

سيدني شيلدون

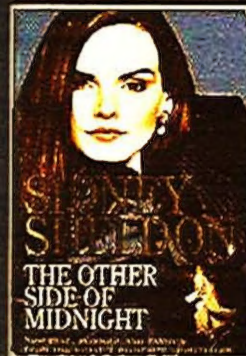
الجانب الأخر

للتصف الكمال

WWW.REWITY.COM

^RAYAHEEN^

إثارة، خداع، هوى
من الكاتب الروائي المفضل عالمياً



الجانب الآخر لمنتصف الليل

الرواية الرائعة التي تتناول الرغبة
الجامحة، وما يحيطها من شر محقق،
فأصبحت عملاً فنياً بديعاً.

إنها قصة ممثلة فرنسية جميلة
انتشلتها رغبتها الجامحة في الحب
والانتقام من أزقة باريس إلى منزل
شخص ثري ذي نفوذ.. وزعيم قوي لا
ينسى الإساءة التي توجه إليه أبداً..
ويطبل حربي وسيم، جذبه امرأة لا يمكن
أن يقاومها رجل، فهجر زوجته.. وفتاة
بريئة تحول حلمها بالحب إلى حلم مزعج
يعد بالخوف..

باريس، وواشنطن، وهوليوود، وجزر
اليونان، تلك هي الأماكن التي دارت فيها
أحداث القصة الروائية التي تناولت حياة
أربعة أشخاص ساء حظهم، ووقعوا في
شرك العشق الناقل، والخداع، والفساد،
حيث دائماً ما يفوق العقاب الجريمة..

«رواية تأسرك، وتفتتك، وتثيرك ولا
يمكنك أن تنساها»
- إيرفينج والاس -

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a bookstore...



تمهيد

أثينا ١٩٤٧

عبر زجاج السيارة المتسخ ، شاهد رئيس الشرطة جورجيسوس سكورى أبنية المكاتب والفنادق فى وسط مدينة أثينا وهى تنهار وتتفكك فى حركة أشبه بالرقصة البطيئة . وكان انهيار المباني أمامه واحداً تلو الآخر يشبه تساقط صف من عمدان لعبة البولينج العملاقة . قال له قائد سيارة الشرطة ذو الزى الرسمى واعداء إياه : " سنصل خلال ٢٠ دقيقة ، فلا يوجد زحام مرورى " .

أوما سكورى برأسه وهو شارد الذهن ، وأخذ يحدق إلى المباني المنهارة ، فقد كان المشهد أشبه بالوهم ، ولم يقل انهياره به قط . كانت الحرارة الشديدة من شمس أغسطس تغلف المباني بتموجات حرارية متحركة جعلت المباني المتهاوية على الشارع تسقط كشلال ينساب بخفة من الفولاذ والزجاج .

كانت الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ظهراً ، وكان الشارع يبدو مهجوراً ، إلا من بعض المارة الذين كانوا يشعرون بالكسل جداً ، لدرجة لم تجعلهم يفعلون أى شىء سوى إلقاء نظرة سريعة - من باب

الفضول - على سيارات الشرطة الثلاث المسرعة ناحية الشرق إلى مطار هيلينيكون ، الذى يقع على مسافة ٢٠ ميلاً من وسط مدينة أثينا . كان رئيس الشرطة سكورى راكباً فى السيارة الأولى . فى الظروف المعتادة كان يفضل أن يظل جالساً فى مكتبه المريح المكيف ، بينما يقوم مرءوسوه بالخروج للعمل فى الحرارة الحارقة وقت الظهيرة ، ولكن الظروف الحالية ليست عادية بالمرّة ، وكان لدى سكورى سببان للحضور شخصياً : أولاً أنه سيصل على متن طائرات اليوم أشخاص ذوو شأن رفيع من كل حدب وصوب ، ومن الضروري أن يهتم بالترحيب بهم بالشكل اللائق ، ويجب أن يجتازوا الجمارك سريعاً بأقل إزعاج ممكن ، ثانياً والأهم هو أن المطار سيزدحم بالمراسلين والمصورين الصحفيين الأجانب .

لم يكن رئيس الشرطة سكورى أحمق ، وقد خطر له عندما كان يحلق ذقنه هذا الصباح أنه لن يضر عمله إذا ظهر فى الأخبار وفى الجرائد وهو يتولى مسئولية حراسة كبار الزوار . إنه لاحظ سعيد للغاية أن يمن عليه القدر - بشكل فوق العادة - بأن يقع حدث عالمي كهذا له أثر كبير على الناس فى منطقة خدمته ، وسيكون غيباً إذا لم ينتهز الفرصة لصالحه . لقد ناقش ذلك الأمر بالتفصيل مع أقرب امرأتين فى حياته : زوجته وعشيقتة . وبالنسبة لزوجته آنا ، فهى امرأة متوسطة العمر ، وقبيحة الشكل ، ودائمة الحزن والتشاؤم ، ولها شكل وقوام الريفيات ، ولقد أمرته بالابتعاد عن المطار والبقاء بعيداً فى خلفية الأحداث ؛ لكيلا يلقى عليه اللوم إذا حدث ثمة خطأ . أما ميلينا ملاكه الجميل الصغير اللطيف فقد نصحته بمقابلة الضيوف المهمين ، واتفقت معه على أن حدثاً مهماً كهذا سيصعد به إلى الشهرة على الفور . إذا تفاعل سكورى وتعامل مع الأمر جيداً فعلى الأقل سيزيد مرتبه أو قد يحصل على ترقية كمفوض عام للشرطة عندما يتقاعد المفوض الحالى .

للمرة المائة تأمل سكورى سخرية الأقدار التى جعلت ميلينا زوجته وآنا عشيقته ، وتساءل مرة أخرى عن الخطأ الذى وقع . غير سكورى أفكاره الآن ، وركز على ما سوف يحدث ، لا بد أن يتأكد من أن كل شيء يتم كما يريد فى المطار بلا مشاكل . لذا فقد أحضر معه ١٢ رجلاً من أفضل رجاله ، لكنه كان يعلم أن مشكلته الرئيسية هى التحكم فى الصحفيين . لقد اندهش من عدد صحفيي الجرائد والمجلات المهمين الذين توافدوا على أثينا من جميع أنحاء العالم . لقد أجرى سكورى ست مقابلات صحفية حتى الآن - فى كل مرة يتقابل مع صحفى يتحدث بلغة مختلفة ، ويتم ترجمة إجاباته إلى اللغة الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والإيطالية ، والروسية ، واليابانية . عندما بدأ يستمتع بشهرته الجديدة اتصل به المفوض ليخبره بأنه ليس من الحكمة له - كقائد للشرطة - أن يعلق على الملأ على محاكمة فى جريمة قتل ولم تبدأ المحاكمة بعد . كان سكورى متأكداً أن هذه المكالمات كانت بدافع غيرة المفوض ، ولكنه بحكمته قرر عدم الجدل ، ورفض إجراء أى حوار صحفى آخر ، ولكن لن يمانع المفوض بالطبع إذا ظهر سكورى فى المطار ، وأصبح فى بؤرة الاهتمام والنشاط أثناء تصوير المصورين الصحفيين للمشاهير القادمين إلى أثينا .

بينما مرت السيارة بسرعة عبر شارع سيجرو ، وانحرفت يساراً إلى البحر فى اتجاه فالرون شعر سكورى بألم فى معدته ، حيث إن خمس دقائق للوصول للمطار ، وظل يراجع فى ذهنه قائمة المشاهير الذين سيصلون إلى مطار أثينا قبل حلول الليل .

كان أرمان جوتيبه يعانى من دوار ركوب الطائرات ، حيث إن لديه خوفاً عميقاً بداخله من ركوب الطائرات ، وهذا الخوف نابع من حب زائد على الحد لذاته ولحياته ، علاوة على المطبات الهوائية التى عادة ما تحدث صيفاً بالقرب من شواطئ اليونان ، مما جعله يشعر بالغثيان

كان يريد رؤية المسرحية / المحاكمة ، ويرى وجه نويل أثناء نطق القاضى بالحكم عليها سواء بالبراءة أو بالإعدام .
أعلن قائد الطائرة عبر الميكروفونات أن الطائرة ستهبط فى مطار أثينا فى غضون ثلاث دقائق ، ولعل الإشارة والترقب لرؤية نويل جعلاً أرمأن جوتيه مرة أخرى ينسى شعوره بالغثيان .

جاء الدكتور إيزرايل كاتس إلى أثينا بالطائرة فى مدينة كيب تاون ، حيث يقيم هناك ، ويرأس قسم جراحة الأعصاب فى مستشفى جروت شور وهو المستشفى الجديد المبنى حديثاً . كان للدكتور كاتس شهرة كواحد من أهم جراحى الأعصاب فى العالم ، وكانت المجالات الطبية تزخر بابتكاراته ، وكان من ضمن مرضاه أهم الشخصيات السياسية والاجتماعية .

جلس دكتور كاتس مستنداً إلى مقعده فى الطائرة ، وهو رجل متوسط الطول ، وله وجه ذو ملامح صارمة ، وتبدو عليه أمارات الذكاء ، ذو عينين بنيتين تطل منهما نظرة عميقة غائرة ، ويدين طويلتين ورقيعتين ، وتتحركان باستمرار . كان د. كاتس متعباً ، ولذلك شعر بالألم المعتاد فى رجله اليمنى التى لم تعد موجودة ؛ حيث تم بترها منذ ٦ سنوات بواسطة رجل عملاق فى يده بلطة ضخمة .

كان يوماً طويلاً ، وكان قد أجرى جراحة قبل الفجر ، وزار عدداً من المرضى ، ثم خرج من اجتماع مجلس الإدارة فى المستشفى لكى يسافر إلى أثينا حتى يحضر المحاكمة . ولقد حاولت إستر زوجته إقناعه بعدم الذهاب قائلة : " لن تتمكن من مساعدتها الآن " .

ربما كانت على حق ؛ ولكن نويل باج خاطرت بحياتها ذات مرة لإنقاذ حياته ، وهو يشعر أنه مدين لها . كان يفكر فى نويل الآن ، وأحس بنفس الشعور الذى لا يوصف ، والذى كان ينتابه كلما كان معها . وكأن مجره ذكرها تبعد سنوات الفراق . كان مجرد خيال

بشدة . كان رجلاً نحيفاً كالزهاد ، وله ملامح المعلم فى جو الدراسة ، وذا جبهة عالية ، وفم تعلوه دائماً ابتسامة توحى بالاستخفاف بالآخرين ، وفى سن الثانية والعشرين ساعد جوتيه فى تشكيل الوجه الجديد فى صناعة السينما التى كانت متعثرة فى فرنسا . وفى الأعوام التالية أحرز انتصارات أخرى فى مجال المسرح . مما جعله يشتهر كواحد من أعظم المخرجين على مستوى العالم ، حتى آخر ٢٠ دقيقة كانت الرحلة ممتعة ، حيث تعرفت عليه المضيفات فى الطائرة ، ولبين كل رغباته ، وأخبرته بأنهن على استعداد للقيام معه بأى خدمات أخرى . وقد جاءه عدة ركاب أثناء الرحلة ، وأخبروه بمدى إعجابهم بأفلامه ومسرحياته ؛ ولكنه كان مهتماً بالفتاة التى كانت طالبة فى جامعة أكسفورد وتقوم بإعداد رسالة ماجستير عن المسرح ، واختارت موضوعها عن مسرح أرمأن جوتيه . ولقد سارت المحادثة بينهما على ما يرام حتى ذكرت الفتاة اسم نويل باج .

قالت الفتاة : " لقد كنت مخرجاً لأعمالها سابقاً . أليس كذلك ؟ أتمنى حضور محاكمتها التى ستتحول إلى شيء أشبه بالسيرك " .

وجد جوتيه نفسه يمسك بقبضة يده بقوة على مسند مقعده ، وقوة رد فعله جعلته يندهش . حتى بعد مرور كل تلك السنوات كانت ذكرى نويل تجعله يشعر بألم شديد لم يشعر بمثله من قبل . لم يؤثر فيه أحد مثلها ، قبلها أو بعدها ، فمنذ أن قرأ خبر القبض عليها منذ ٣ أشهر لم يستطع التفكير سوى فى هذا الموضوع . لقد أرسل لها البرقيات والرسائل ، وعرض عليها المساعدة لكنه لم يتلق أى رد . لم يكن يرغب فى حضور محاكمتها ؛ ولكنه كان يعلم أنه لن يتمكن من مقاومة الرغبة فى حضور المحاكمة ، ولقد أخبر نفسه بأنه يريد الذهاب ليرى ما إذا تغيرت منذ الأيام التى كانا يعيشان معاً فيها ، ولكنه اعترف لنفسه أنه يوجد سبب آخر لرؤيتها . الجزء الداخلى به - الذى يعشق المسرح -

الجسر الحجزى للميناء ، كان يفكر فى نويل التى كان يعرفها ، ويعيش معها ويحبها ، وفى كل مرة يفكر فيها كان يتوصل لنفس الاستنتاج : نويل قادرة على ارتكاب جريمة قتل .

بينما كان يخت فيليب سوريل يقترب من ساحل اليونان ، كان المساعد الخاص لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية على متن طائرة على بعد ١٠٠ ميل جوى شمالى غرب مطار هيلينيكون ، وكان يدعى ويليام فريزر وكان فى الخمسينيات من عمره ، وقد كان وسيماً ذا شعر رمادى اللون ، ووجهه مليئاً بالتجاعيد وذا سلوك سلطوى . كان يحدق إلى تقرير بين يديه ، ولكنه لم يقلب الصفحة ، أو يتحرك وصلت أكثر من ساعة . كان فريزر قد حصل على إجازة من عمله للقيام بتلك الرحلة ، على الرغم من أنه وقت غير مناسب بالمرّة ، حيث وصلت الآن أزمة الكونجرس الأمريكى إلى ذروتها . كان يعلم مدى الألم الذى سيشعر به فى الأسابيع المقبلة ، ولكنه شعر أنه لا يملك خياراً آخر ، وقد ملأته تلك الفكرة بنوع من الرضا والتشفى ، ولقد بذل فريزر جهداً كبيراً لكى يبعد تفكيره عن المحاكمة التى ستبدأ غداً ، ونظر من نافذة الطائرة ، ولمح من بعيد قارباً يمخر عباب البحر إلى اليونان التى كان ساحلها قد ظهر فى الأفق .

ظل أوجست لانشون مصاباً بدوار البحر والخوف لمدة ٣ أيام . لقد أصيب بذلك ، لأن قاربه قد انجرف وسط الرياح الباردة منذ أن أبحر من ميناء مدينة مارسيليا ، وكان خائفاً ومرعوباً من أن تعرف زوجته ما يفعل . كان أوجست لانشون فى الستينيات من العمر ، بديناً ، أصلع ، ذا ساقين ممتلئتين ومكتنزتين ، ووجه ملئاً بالثور والندبات ، وعينين تشبهان عيون الحيوانات ، وشفتين رفيعتين ، ويدخن طوال الوقت نوع سجائر رخيصة . كان لانشون يملك متجرًا للملابس فى

رومانسى بالطبع ، فلن تعود تلك السنوات الماضية بأى طريقة أبداً . شعر د . كاتس أن الطائرة تهتز عند خروج العجلات ، وبدأت الطائرة فى الهبوط ، ثم نظر من النافذة ووجد مدينة القاهرة ، حيث سيهبط ويستقل طائرة أخرى إلى أثينا لكى يرى نويل . هل ارتكبت حقاً جريمة قتل ؟ بينما تتجه الطائرة إلى الممر كان يفكر فى جريمة القتل البشعة الأخرى التى ارتكبتها فى باريس .

وقف فيليب سوريل متكئاً على السور الحديدى لليخت الخاص به الذى يقترب من ميناء بيرايوس ، وكان قد استمتع بالرحلة البحرية ، لأنها إحدى الفرص النادرة لكى يهرب من معجبيه . كان سوريل من أحد نجوم شبك التذاكر كنجم سينمائى لامع وعالى ، ولكن نجوميته المتصاعدة تحيط بها عناصر متناقضة للغاية ، فهو ليس رجلاً وسيماً ، على العكس تماماً كان وجهه يشبه وجه لاعب ملاكمة خسر ١٢ مباراة متتالية ، ولقد كسر أنفه عدة مرات ، وكان شعره خفيفاً مجعداً ، لكن لم تكن تلك الأشياء تهمة ، لأن لديه جاذبية خاصة . كان رجلاً متعلماً ، ويتحدث بهدوء ، ويجمع بين رفته الفطرية ووجهه وجسد قائد الشاحنات ، مما جعل النساء تفتن به ، وينظر إليه الرجال كبطل ومثل أعلى . الآن بينما يقترب يخته من الميناء ، تساءل سوريل مرة أخرى عما أتى به إلى هنا . لقد قام بتأجيل تصوير أحد أفلامه الذى كان يقوم بتصويره لكى يحضر محاكمة نويل . كان يعلم جيداً أنه هدف سهل للصحفيين عندما يحضر فى قاعة المحكمة كل يوم بدون مديرى أعماله ووكلائه الصحفيين . بالتأكيد سيسىء الصحفيون فهم حضوره للمحاكمة ، ويظنونها طريقة للدعاية لأفلامه بالاستفادة من محاكمة جريمة قتل تتهم فيها عشيقته السابقة . مهما نظر للأمر من أوجه عديدة فسوف تكون تجربة مؤلمة ، ولكنه كان يجب أن يراها مرة أخرى ، ويحاول إيجاد طريقة لمساعدتها . بينما يقترب لليخت من

الفخمة ويعين محامين تحت التمرين ، ويصبح عضواً فى ناد للأثرياء مثل نادى أتيني ليسكى حيث سيجد عملاء أغنياء . لقد بدأ التحول بالفعل ، فى كل مرة يمشى ستافروس فى شوارع أثينا كان يتعرف عليه الناس ، ويوقفونه قائلين : إنهم رأوا صورته فى الجريدة . فى غضون أسابيع قليلة قفز من كونه شخصاً لا يعرفه أحد إلى شهرة المحامى الذى يدافع عن لارى دوجلاس . فى قرارة نفسه كان يعترف ستافروس أنه قد اختار العميل الخطأ ، فقد كان يفضل الدفاع عن الشهيرة الفاتنة نويل باج بدلاً من النكرة الذى يدعى لارى دوجلاس ، لكنه كان نفسه محام نكرة قليل الشأن . كان يكفيه أنه مشترك أساسى فى أهم قضية قتل أثارت ضجة فى رأى العام لهذا القرن . إذا تم تبرئة المتهم فسيزال المجد والشهرة . كان هناك شيء واحد يقلق ستافروس للغاية ، وكان يفكر فيه طوال الوقت . كلا المتهمين وجهت لهما نفس التهمة ، وهى جريمة القتل ، ولكن كان هناك محام آخر يدافع عن نويل باج ، فإذا تم تبرئة نويل وإدانة لارى دوجلاس ... ف ... ارتعد ستافروس ، وحاول ألا يفكر فى ذلك . ظل الصحفيون يسألونه : هل يظل المتهمان بريئين أم مذنبين ؟ " وكان يبتسم لنفسه من سذاجتهم : وهل هناك فرق فى أن يكونا بريئين أم مذنبين ؟ فكلاهما يستحق أفضل دفاع ، ولقد تولى المحامى نابليون شوتاس الدفاع عنها ، ولا يوجد محام جنائى أكثر منه براعة فى العالم ، فهو لم يخسر أى قضية مهمة من قبل . بينما يفكر ستافروس فى هذا ابتسم لنفسه ، فلم يكن ليعترف بهذا لأحد ، لكنه كان يخطط للانتصار على موهبة نابليون شوتاس كمحام ضليع فى القانون .

بينما كان فريدريك ستافروس يكد ويتعب فى مكتب المحاماة المتواضع المظلم ، كان نابليون شوتاس يحضر حفلاً فخماً ورسمياً فى منزل فخم وضخم فى الحى الراقى فى أثينا الذى يسمى حى

مارسيليا ولم يكن يملك التكلفة اللازمة - أو على الأقل كان يخبر زوجته بذلك طوال الوقت - لقضاء إجازة كالتى يقضيها الأثرياء . بالطبع أخذ يذكر نفسه أن تلك ليست إجازة حقاً ، فلقد كان يجب أن يرى حبيبته نويل مرة أخرى . منذ سنوات عندما ابتعد عنها كان يتابع بشغف أخبارها الفنية فى الجرائد والمجلات . عندما قامت ببطولة أولى مسرحياتها ، استقل القطار إلى باريس لكى يراها ، ولكن حالت سكرتيرتها الحمقاء دون أن يحظى بمتعة رؤيتها . فيما بعد شاهد أفلام نويل مرات ومرات ، وتذكر كيف كانت تمارس معه الحب . نعم ، كانت تلك الرحلة مكلفة ، ولكنه كان يعرف أنها تستحق كل قرش دفعه من أجل القيام بها . سوف تتذكر نويل العزبة الأيام الجميلة السعيدة ، والأوقات التى كانت تقضيها معه ، وستلجأ له لكى يحميها ، وسيحاول أن يقدم الرشوة لأى قاض أو مسئول آخر - إذا لم تكن مبالغاً فيها - لكى يطلق سراح نويل ، ثم سيحبسها فى شقة صغيرة فى مارسيليا ، لكى تكون متاحة له وحده حينما يرغبها . فقط إذا لم تعرف زوجته ما يعتزم القيام به .

فى مدينة أثينا كان يعمل فريدريك ستافروس فى مكتبه الصغير للمحاماة فى الطابق الثانى من المبنى المتهالك فى الحى الفقير من المدينة ويسمى حى موناستيراكى . كان ستافروس شاباً متحمساً وطموحاً ، ويصارع من أجل قوت يومه فى مهنته التى اختارها وهى المحاماة . لأنه لا يملك القدرة المالية لتعيين مساعد ، كان مجبراً على القيام بكل إجراءات البحث القانونى الممل بنفسه ، حتى يتعرف على خلفية القضية . فى العادة كان يكره هذا الجزء من عمله ، ولكن هذه المرة لم يشعر بذلك ، لأنه يعلم أنه إذا كسب القضية فستنهال عليه الطلبات لخدماته كمحام بدرجة تؤمن له العيش فى رغد لبقية حياته . وبالتالى سوف يتزوج إيلينا ويؤسس أسرة صغيرة ، وينتقل لجناح من المكاتب

مجرد كلمتين فقط ، ثم تذكر فى خياله عند ما رأى كبير الخدم يدخل إلى غرفة النوم ، ويناول الهاتف قائلاً : " كونستانتين ديميريس " .

كانت الجزيرة ليس لها أى مدخل سوى عن طريق اليخت أو الطائرة الهليكوبتر ، وكل من المجال الجوى والميناء الخاص يقع تحت حراسة مشددة ٢٤ ساعة فى اليوم من جانب الحراس المسلحين والكلاب المدربة من سلالة جيرمان شبرد . كانت الجزيرة هى المنطقة الخاصة بكونستانتين ديميريس ، ولا يجزؤ أحد على التسلل إليها بدون دعوة . عبر عدة سنوات كان زوار هذه الجزيرة هم الملوك والملكات ورؤساء الدول الحاليين والسابقين ونجوم السينما والأوبرا والكتاب والرسميين المشهورين . كلهم خرجوا من الجزيرة مبهورين بما رأوه . كان كونستانتين ديميريس هو ثالث أغنى وأقوى رجل فى سلطة فى العالم ؛ وكان يتمتع بالذوق الرفيع ، والأسلوب الجمالى للحياة ، وكان يعرف كيف ينفق أمواله لكى يصنع الجمال .

جلس ديميريس فى مكتبته المغطاة جدرانها بخشب البلوط الفخم ، وكان مسترخياً فى مقعد وثير ذى مساند ، يدخلن إحدى سجائره المصرية ذات الشكل المسطح ، والتى يتم مزجها وتصنيعها بتوليفة خاصة من أجله فقط ، وكان يفكر فى المحاكمة التى ستبدأ صباح غدٍ . حاول كل الصحفيين الوصول إليه لعدة شهور ولكنه ببساطة عزل نفسه عن الجميع ، ولم يكن متاحاً لهم . كان يكفى أن عشيقته سيتم محاكمتها فى جريمة قتل ، وكان يكفى أن يزج اسمه فى القضية حتى بشكل غير مباشر . رفض أن يزيد من احتياج الرأى العام بإجراء المقابلات الصحفية . تساءل كيف تشعر نويل الآن ، فى هذه اللحظة ، فى زنزانتها فى سجن شارع نيكوديموس . هل كانت نائمة ؟ أم مستيقظة ؟ هل يملؤها الخوف فى محتنها ؟ ثم فكر فى آخر حوار له

كولوناكى . كان شوتاس رجلاً نحيفاً للغاية ، ذا عينين كبيرتين بهما مسحة من الحزن كعيني كلب من سلالة بلادهاوند وله وجه مجعد . كان يخفى عقلاً حاداً ، وبارعاً خلف ستار من السلوك الهادئ الذى ينم عن الحيرة إلى حد ما . بينما كان يعبث بالملعقة فى طبق الحلوى ، كان جالساً ومشغولاً فى التفكير فى المحاكمة التى ستبدأ غداً . معظم الحوارات فى تلك الليلة كانت تدور حول المحاكمة التى ستقع ، وكانت المناقشة عامة ، لأن الضيوف كانوا حذرين من أن يطرحوا عليه سؤالاً مباشراً ، ولكن فى نهاية الحفل وتحت تأثير المشروبات الكحولية قالت صاحبة الحفل :

" أخبرنى هل تظنهما مذنبين ؟ "

جاء رد شوتاس فى براءة : " كيف ذلك ؟ أحدهما عميلي " . وقد ضحك الآخرون من هذا الرد . " كيف تبدو نويل باج حقاً ؟ " تردد شوتاس قليلاً ، ثم قال بحرص : " إنها امرأة غير عادية للغاية ، وهى جميلة وموهوبة و ... " اندهش لأنه وجد فجأة أنه لا يريد مناقشة هذا الأمر . كما أنه لا توجد كلمات تكفى لوصف نويل . حتى بضعة شهور مضت كان بالكاد يعرفها كممثلة شهيرة وجميلة يتردد اسمها فى الجرائد ، وتزين صورتها أغلفة المجلات . لم يكن قد رآها رأى العين من قبل ، وإذا كان قد فكر فيها ، فقد كان يفكر فيها بالاحتقار وعدم الاكتراث الذى كان يشعر به حيال كل الممثلات ؛ لأنهن جميعاً أجساد بلا عقول . ولكن كم كان مخبطاً إلى حد كبير ! منذ أن قابلها وقع فى غرامها ، وبسببها أحرق إحدى قواعده الأساسية : لا ترتبط عاطفياً أبداً بالعملاء . تذكر شوتاس جيداً وقت ما بعد الظهيرة حيث تم الاستعانة به للدفاع عنها . كان يعد حقايبه لرحلة إلى نيويورك مع زوجته لزيارة ابنتهما التى أنجبت طفلها الأول . كان يعتقد أنه لا يوجد ثمة ما يمنعه من القيام بتلك الرحلة ، لكن منعه من القيام بها استلزم

مع المحامي شوتاس الذى كان يثق فيه ، ويعرف أنه لن يخذله . كان على شوتاس التحقق من أنه سيعمل مقابل الأتعاب الضخمة التى تلقاها من ديميريس للدفاع عنها . قال له ديميريس إنه لا يهتم هل نويل بريئة أم مذنب . لا داعى لأن يقلقه أى شىء ، وستمر المحاكمة بسلام . ولأن ديميريس رجل لا ينسى أى شىء مطلقاً ، تذكر أن الزهور المفضلة لـ " كاثرين دوجلاس " هى زهور الكاميليا التى تشتهر بها اليونان . مد يده إلى المفكرة على مكتبه ، وكتب ما يلى : " زهور الكاميليا : كاثرين دوجلاس " .

كان هذا أقل ما يجب أن يفعله لها .

الكتاب الأول

كاثرين

شيكاغو : ١٩١٩ . ١٩٣٩

١

كل مدينة لها صورتها المميزة وهويتها التى تمنحها طبيعة خاصة بها ، ولقد كانت مدينة شيكاغو فى العشرينيات من القرن الماضى أشبه بالعملاق الضخم ، كثير الحركة ، والوقح غير المهذب ، وكانت المدينة تحت سيطرة رجال الأعمال الذين أنشأوها ، ويتحكمون فيها بلا رحمة : ويليام بى أوجدن ، جون ونتورث ، سايرس ماكورميك ، وجورج إم بولان . كانت المدينة كالمملكة التابعة لفيليب آرمرز وجوستافوس سويقتس ومارشال فيلدز ، وكانت هذه المنطقة خاصة برؤساء العصابات المحترفين مثل هايمى وايس ، وسكارفيس آل كابونى .

من أقدم ذكريات كاثرين ألكساندر هى عندما كان والدها يصطحبها إلى المقهى ذى الأرضية المغطاة بنشارة الخشب ، ويؤرجحها على الكرسي العالى الذى كان يصيبها بالدوار . حيث كان يحتسى الشراب . كانت كاثرين حينئذ فى الخامسة من عمرها ، وكانت تذكر كم كان

أبوها فخوراً بها عندما كان يجتمع حولها الغرباء المعجبون بها ، فكانوا يطلبون المشروبات ، وكان أبوها هو من يدفع لهم ، تذكرت كاثارين كيف كانت تضغط بجسدها على ذراع والدها للتأكد من أنه مازال معها . لقد عاد للبلدة منذ البارحة فقط ، وكانت كاثارين تعرف أنه سيغادرها مرة أخرى . كان والدها مندوب مبيعات متجولاً ، ولقد شرح لها طبيعة عمله الذي كان يأخذه لدن بعيدة ، وأنه مضطر للابتعاد عنها وعن أمها لعدة شهور في كل مرة ، لكي يتمكن من العودة ومعه الهدايا اللطيفة . حاولت كاثارين بكل جهد - ولكن بلا طائل - أن تعقد اتفاقاً معه يقضى بأنه إذا مكث معها فستتنازل عن الهدايا . إلا أن أباه كان يضحك قائلاً : إنها طفلة تسبق سنّها ، وأن عقلها يفوق عمرها بالسنوات ، ولكنه كان يغادر البلدة ، وتراه مجدداً بعد ٦ أشهر . أثناء تلك السنوات الأولى كانت تبدو لها الأم التي تراها يومياً مجرد شخصية مبهمّة بلا ملامح ، بينما أبوها الذي تراه مرات قليلة فقط يبدو شخصية واضحة ومدهشة ومفعمة بالحياة . كانت كاثارين تعتبره رجلاً وسيماً ، وبشوشاً ، ومفعماً بروح الدعابة والمرح والدفء والكرم . كانت المرات التي يكون فيها متواجداً في المنزل كالإجازات بالنسبة لها ، مليئة بالهدايا والمفاجآت .

عندما بلغت كاثارين السابعة من عمرها فصل والدها من عمله ، وتغير نمط حياتها . لقد غادرت العائلة شيكاغو . وانتقلت إلى مدينة جارى فى ولاية إنديانا ، حيث عمل والدها كبائع فى متجر للمجوهرات ، ولقد دخلت كاثارين المدرسة لأول مرة ، وكانت تنأى بنفسها عن مصاحبة الأطفال الآخرين ، وكانت تخاف جداً من معلميها الذين أساءوا تفسير ابتعادها وإعراضها عن الآخرين بأنها مغرورة . كان يأتي والدها لتناول العشاء كل ليلة ، ولأول مرة فى حياتها شعرت كاثارين بأنها تعيش وسط عائلة مثل باقى العائلات . فى أيام الآحاد كانوا يذهبون إلى شاطئ ميلر ويستأجرون الخيل لركوبها لمدة ساعة أو

ساعتين عبر جبال الرمال . استمتعت كاثارين بالحياة فى مدينة جارى ، ولكن بعد ٦ أشهر من الانتقال إليها فصل والدها من عمله مرة أخرى ، فانتقلت العائلة إلى حى هارفى فى ضواحي شيكاغو . وكانت الدراسة قد بدأت فعلاً ، وكانت كاثارين هى الفتاة الجديدة المنيوذة من الصداقات التى تكونت بالفعل ، وأصبحت معروفة بأنها الفتاة التى تفضل العزلة ، وكان الأطفال يشعرون بالأمان وسط الصداقات التى كوّنها ، فكانوا يسعون إليها كفتاة جديدة ، ويتآمرون عليها لمضايقتها ، والسخرية منها بقسوة وبلا رحمة .

أثناء السنوات القليلة التالية تسترت كاثارين وراء ستار من عدم الاكتراث واللامبالاة ، وكان هذا الستار درعها الواقية ضد هجوم الأطفال الآخرين . عندما يتم هتك هذه الدرع كانت ترد ضرباتهم بتعليقاتها القوية الساخرة الحاذقة ، وكان هدفها هو إبعاد معذبيها وتغيبهم ، حتى يدعوها وشأنها ، ولكن كان لذلك تأثير مختلف وغير متوقع . لقد كتبت أول تقرير مدرسى ، وكان مقالاً عن رأيها فى مسرحية موسيقية قام زملاؤها فى الفصل بالاشتراك فى تمثيلها ، فقالت فى المقال : " كان عزف تومى بيلدن منفرداً على آلة الترومبيت جيداً فى الفصل الثانى ، لكنه عزف عن النجاح " ، فما لبث أن رد الطلاب هذه الجملة الساخرة ذات المعنى المزدوج ، وما أثار الدهشة ، أن تومى بيلدن ذهب إلى كاثارين فى الساحة فى اليوم التالى ، وأخبرها أنه تعليق مرح وظريف .

فى مادة اللغة الإنجليزية تم تكليف الطلاب بقراءة كتاب " كابتن هوريسيو عازف البوق " ، ولكن كاثارين لم يرق لها هذا الكتاب ، وبالتالي كان تقريرها عنه عبارة عن جملة واحدة ، تمثلت فى قول شائع هو : " نباحه أسوأ من عضته " ! وكان معلمها يعمل كبحار فى عطلّة نهاية الأسبوع ، وأعجبه التعليق ، وأعطاهما الدرجة النهائية . ولقد بدأ

على جبهتها فامتعت عن تناول الحلوى ، وعن قراءة كتاب مارى بيكر إيدى ، وعن النظر فى المرأة .

انتقلت كاثرين وعائلتها مرة أخرى إلى شيكاغو ، واستقروا فى شقة صغيرة ، وكثيية فى شمال المدينة فى منطقة روجرز بارك حيث الإيجار الرخيص . وكانت البلاد على حافة الكساد الاقتصادى ، وأصبح والدها يعمل أقل ، ويحتسى الخمر أكثر ، ويتشاجر مع أمها فى سلسلة من تبادل الاتهامات ، والتي كانت تجعل كاثرين تفر من المنزل ، وتذهب للشاطئ الذى كان على بعد اثنى عشر مبنى للشمسية ، وللتمتع بالرياح القوية التى كانت تعطىها إحساساً بالطيران . كانت تقضى ساعات طويلة فى التأمل والتحديث إلى البحيرة الرمادية التى لا تكف عن الحركة ، وكان يملؤها الحنين الجارف لشيء لا تعرف كنهه ، كانت تريده بشدة لدرجة أنها تشعر بالألم الشديد لافتقارها إليه .

ثم وقع تحت يد كاثرين بالمصادفة روايات الكاتب توماس وولف ، التى كانت مرآة عاكسة للحنين الجارف - المرواحلو فى نفس الوقت - الذى يملأ نفسها ، لكنه لم يكن حنيناً للماضى بل للمستقبل الذى لم يقع بعد ، وكأنها بطريقة ما ، وفى مكان ما وزمان ما كانت تعيش حياة رائعة ولن تهدأ نفسها إلا إذا عادت إليها مرة أخرى . بدأت كاثرين تصل لمرحلة البلوغ ، وجسمها يتغير إلى جسد امرأة ، وبدأت تعرف احتياجاتها ورغباتها ، ولكنها لم تكن متطلبات حسية أو جسدية ، بل كانت رغبة مقوحشة وشرسة وملحة لكى تكون مشهورة ، لكى تنأى بنفسها ، وترتفع عن مستوى ملايين الناس الذين يملأون الأرض ، لكى يعرف الجميع مقامها الرفيع ، ولكى يشيروا إليها قائلين : " هذه هى كاثرين ألكساندر العظيمة الـ " ترى ما الذى سيملاً الفراغ فى تلك العبارة ؟ تلك هى المشكلة . لم تكن تعرف ما تريد ، لكنها تتوق إليه بشدة ، كانت تذهب لدور العرض السينمائى لمشاهدة الأفلام . كلنت تذوب تماماً فى العالم الساحر المتقن للممثلين

زملأوها يقتطفون عباراتها الساحرة وتعليقاتها ، ولم يمر وقت طويل حتى اشتهرت فى المدرسة كشخصية تجيد التعليقات الساحرة .

عندما أصبحت كاثرين فى الرابعة عشرة من عمرها ظهرت علامات الأنوثة الناضجة على جسدها . كانت تتفحص نفسها أمام المرآة ساعات متتالية ، وهى تفكر فى كيفية تغيير شكلها الذى لا يروق لها . كانت تشعر فى قرارة نفسها أنها مثل الممثلة ميرنا لوى ، التى تسلب ألباب الرجال بجمالها ، ولكن المرأة - عدوها اللدود الآن - تعكس شعرها الأسود المعقد البائس ، الذى يصعب تسريحه ، وعينيها الرماديتين الجادتين ، وفمها الذى يبدو كبيراً ، وأنفها المعقوف قليلاً إلى أعلى . ربما لم تكن حقاً قبيحة ، كما كانت تخبر نفسها بحرص ، ولكن من ناحية أخرى لن يترك أحد بابها ليحولها إلى نجمة سينمائية . أخذت تشق خدودها إلى الداخل ، وتحرك عينيها بطريقة مثيرة ، وهى تحاول أن تتخيل نفسها كعارضة أزياء . كان ذلك مدعاة إلى الاكتئاب ، فاتخذت وقفة أخرى فى وضع مختلف ، فتحت عينيها على وسعها ، وكان تعبير وجهها يعبر عن الحماس ، وابتسمت بشكل ينم عن الود . لكن بلا فائدة ، لم تكن من النوع الذى يشبه الشخصية الأمريكية ، فلم تكن مميزة ، إلا أن جسدها كان على ما يرام ، أو هكذا كانت تعتقد فى مرارة ، ولكنه لن يكون مميزاً ، وبالطبع ماذا تريد أكثر من هذا فى العالم : أن تكون شيئاً مميزاً ، وأن تكون شخصية مهمة ، وأن يتذكرها الجميع ، وألا تموت أبداً .

عندما بلغت سن الخامسة عشرة وجدت بالمصادفة كتاب " العلم والصحة " لـ " مارى بيكر إيدى " ، وأخذت تتأمل نفسها لمدة أسبوعين أمام المرآة لمدة ساعة يومياً ، وهى ترغب فى أن تجعل انعكاسها فى المرآة جميلاً . فى نهاية الأسبوعين كان التغير الوحيد الذى لاحظته هو ظهور بثور الشباب على ذقنها ، وبقعة سوداء كبيرة

الحى . ظل لساعات يناقش خطته مع كاثرين وأمها ، وقال لهما :
 " لن تفشل الفكرة ، تخيلا الإسكافي وهو يطرق الأبواب ! لم يفعلها
 أحد من قبل . لدى محل متنقل لإصلاح الأحذية . أليس كذلك ؟ إذا
 ربحت ٢٠ دولاراً يومياً فهذا يعنى ١٢٠ دولاراً فى الأسبوع . وفى
 خلال عام سأشتري ٢٠ شاحنة ، وهذا يعنى ٢٤٠٠ دولار أسبوعياً ،
 و ١٢٥٠٠ دولار سنوياً ، وتلك فقط هى البداية ... " بعد شهرين اختفى
 المشروع ، وكانت تلك نهاية حلم آخر .

كانت كاثرين تأمل فى الذهاب لجامعة " نورثوسترن " ، حيث
 إنها كانت أكثر تلاميذ فصلها تفوقاً ، ولكن حتى المنحة الدراسية
 للجامعة كانت صعبة ، فشعرت أنه سيأتى اليوم الذى ستضطر فيه
 لترك الدراسة للعمل طوال الوقت كسكرتيرة ، ولكنها لن تتخلى أبداً عن
 حلمها الذى يعطى لحياتها معنى رائعاً ، ويمنحها الثراء ، ولكن كونها
 لا تعرف ما هو الحلم أو المعنى الذى تريده جعل الأمر محزناً وبلا
 جدوى . قالت لنفسها : إنها ربما تمر بطور البلوغ والمراهقة ، ولكن
 مهما كانت ، فحياتها الآن فى جحيم ، وكانت تفكر بمرارة : " من
 الصعب جداً على الأطفال المرور بمرحلة المراهقة " .

كان هناك فتیان مغرمان بكاثرين : الأول هو تونى كورمان الذى
 سيلتحق بمكتب المحاماة الخاص بوالده يوماً ما ، وكان أقصر منها
 بمقدار قدم . كانت لديه بشرة باهتة ، وعينان بهما قصر نظر ، وكثيرتا
 البكاء ، وتعشقان كاثرين ، والثانى كان دين ماكديرموت الذى كان
 بديناً وخجولاً ، ويريد أن يصبح طبيب أسنان . بالطبع كان هناك رون
 بيترسون ، ولكنه كان بمفرده ولا ينتمى لأى فئة . كان نجم كرة القدم
 فى فريق المدرسة ؛ وكان الجميع يقولون إنه من السهل جداً أن يدخل
 الجامعة بمنحة رياضية . كان طويلاً ، وعريض المنكبين ، ولديه ملامح
 النجم السينمائي ، وكان أكثر الأولاد شعبية فى المدرسة .

كارى جرانت وجين آرثر ، وتضحك مع والاس بيرى ومارى درسلر
 وتتغذّب مع العذابات الرومانسية لبيت ديفيز ، وتشعر أنها أقرب
 للممثلة ايرين دن من أمها .

كانت كاثرين فى العام النهائى من المرحلة الثانوية فى مدرسة شين
 الثانوية ، وأصبحت المرأة - التى كانت فى السابق عدوتها اللدودة -
 صديقتها فى النهاية . كان انعكاسها فى المرآة يوضح وجهاً مثيراً مليئاً
 بالحيوية . كان شعرها أسود داكناً ، وجلدها الناعم أبيض فى لون
 القشطة ، وملامح وجهها متناسقة ، وكان فمها حساساً وممثلة ،
 وعيناها رماديتين تشعان ذكاءً حاداً . كان قوامها معتدلاً ، وخصرها
 رشيقاً وساقاها لهما شكل جذاب . كانت صورتها توحى بأنها تنأى
 بنفسها عن الاختلاط بالناس ، كما كان مظهرها يوحي بالشموخ
 والكبرياء ، ولكنها لم تكن تشعر به . مما جعل كل ذلك يوحي بسمات
 ليست فيها . كانت تعتقد أن ذلك جزء من الستار أو الدرع الواقية التى
 كانت تحميها منذ أيام الدراسة الأولى .

أطبق الكساد الاقتصادى على البلاد بقبضة من حديد ، وكان والد
 كاثرين منهمكاً طوال الوقت فى عقد الصفقات الفاشلة التى لم تتم أبداً .
 كان دائماً ما يهذى بالأحلام التى يختلقها ، ويخترع أشياء يقول إنها
 ستجعله يربح ملايين الدولارات . لقد اخترع مجموعة من الصواميل التى
 يمكن تركيبها فى إطارات السيارات ، ويمكن الفرملة بها عن طريق
 الضغط على زر فى تابله السيارة ؛ لكن لم يهتم مصنعو السيارات
 باختراعه . ثم اخترع لافتة تدور بالكهرباء لحمل الإعلانات داخل
 المتاجر ، فحدثت بسببها عدة اجتماعات تبشر بالخير ، ثم تلاشت
 الفكرة فى الهواء .

اقترض المال من أخيه الأصغر رالف الذى كان يعيش فى مدينة
 أوماها ؛ لكى يصنع شاحنة لتقديم خدمات تصليح الأحذية المتنقلة فى

الشيء الوحيد الذى لم يجعل كاثرين ترتبط بعلاقة مع رون أنه - ببساطة - لم يكن على وعى بوجودها حيث إنه فى كل مرة تعبر الرواق أمامه كان يندق قلبها بعنف ، وتحاول التفكير فى عبارة ماهرة ومستغزة ؛ لكى تقولها له عندما يطلب مواعدها . ولكن كلما اقتربت منه لا تنبس ببنت شفة ، ويعجز لسانها عن الكلام ، فتمر به فى صمت ، كانت تفكر أنه مثل السفينة الضخمة التى تسمى كوين مارى وهى كالسفينة الصغيرة التى تحمل القمامة ، لم يكن لديها أى أمل فى التحدث معه .

زادت حدة المشكلة المالية ، وتأخر والدها ثلاثة أشهر عن دفع الإيجار ، والسبب الوحيد لعدم طردهم من المنزل هو أن صاحبة المنزل كانت منبهرة بوالد كاثرين وخططه واختراعاته العظيمة . كلما استمعت كاثرين إلى والدها كان يملؤها حزن دفين مع الشعور بالأسى . كانت شخصيته كما هى لم تتغير ؛ ظل مرحاً ومتفائلاً ، ولكنها تمكنت عبر الساتر الوهمى أن ترى والدها الممزق ، وكانت تعلم مدى حزنه ، فلقد تآكلت الطبقة الرائعة الساحرة المرحية التى كان يخفى بها كل ما يفعله . كان بالنسبة لكاثرين كالطفل الكبير الذى ينسج من الخيال قصص المستقبل المجيد السعيد ؛ لكى يخفى إخفاقات الماضى التعيس . أكثر من مرة رآته وهو يقيم حفل عشاء لعدد كبير من الناس فى مطعم هنريشى ، ثم ينتحى جانباً بأحد المدعوين ويقترض مبلغاً يكفى مصاريف العشاء مع بقشيش سخى . وكان دائماً ما يعطى بقشيشاً سخياً لكى يحافظ على سمعته . على الرغم من كل ذلك ، وعلى الرغم أيضاً أن كاثرين كانت تعلن أنه لا يعبأ بها ، إلا أنها كانت تحبه جداً . وكانت تحب حماسه وطاقته وابتسامته فى وجه عالم من الناس العابسين الساخطين . تلك كانت موهبة تخصه ، وكان يستخدمها فى كل مناسبة كثيراً .

فى النهاية كانت كاثرين تعتقد أنه أفضل بأحلامه الرائعة التى لن تتحقق أبداً من أمها التى كانت خائفة من أن تحلم . ماتت أم كاثرين فى شهر أبريل إثر أزمة قلبية ، وكانت تلك أولى مواجهات كاثرين مع فكرة الموت . وجاء الأصدقاء والجيران لتقديم واجب العزاء فى الشقة الصغيرة مع التظاهر بالإشفاق على الفتاة الصغيرة من وقع تلك المأساة .

جعل الموت أم كاثرين عبارة عن جسد صغير ذابل بدون حيوية ، ربما بسبب حياتها البالية التى عاشتها قبل أن تموت . هكذا ظنت كاثرين . حاولت أن تتذكر الذكريات السعيدة مع الأم ، والضحكات واللحظات الحميمة ، ولكن ظل والدها هو الذى يتداعى إلى ذهنها بنفس ابتسامته وروحه المرحية وحماسه . وكأن حياة أمها مجرد ظل باهت يتراجع أمام بريق الذكريات مع الأب . ظلت كاثرين تحدد إلى جسد الأم المتصلب فى التابوت ، وقد ألبسوا الجسد رداءً أسود بسيطاً له ياقة بيضاء ، وظنت كاثرين أن حياة أمها ضاعت هباءً وبلا طائل وتساءلت : ما الهدف من الحياة ؟ تملكها الشاعر التى ظلت تنتابها منذ سنوات ، أى إصرارها على أن تكون شخصية مهمة ، وظلت بصمتها فى تاريخ العالم ، لكيلا ينتهى بها المطاف فى قبر مجهول ، حيث لا يعرفها أحد ، ولا يهتم بكونها كاثرين الكساندر التى قد عاشت وماتت وواراها الثرى .

جاء عم كاثرين ويدعى رالف مع زوجته بولين بالطائرة من مدينة أوماها لحضور الجنازة . كان رالف يصغر والدها بعشر سنوات ، ولكنه لا يشبهه فى أى شيء . كان يعمل فى مجال تجارة الفيتامينات وكان ناجحاً جداً ، وكان رجلاً ضخماً عريض المنكبين ذا فك قوى ، وكانت كاثرين متأكدة أن مخه قوى أيضاً . كانت زوجته ثرثرة ، وكثيرة الحركة كالطيور ، وكانا على خلق ، فلقد كانت كاثرين تعلم أنه قد أقرض أباه الكثير من المال ، لكن لم يكن بين عمها وأبيها أى شيء

مشارك . فقد كان عمها وزوجته يشبهان أمها ، أى أنهما كانا بلا أحلام .

بعد الجنازة قال العم رالف إنه يريد التحدث مع كاثرين وأبيها ، جلسوا جميعاً فى حجرة المعيشة الصغيرة فى الشقة ، وكانت بولين منشغلة بإعداد صوانى القهوة والبسكويت .

قال رالف لأخيه : " أعرف أن ظروفك المالية صعبة ، فأنت حالم وغير واقعى كما كنت دائماً . ولكنك أخى ، ولن أدعك تغرق ، ولقد تناقشت مع زوجتى ، وتوصلنا لقرار بأنك يجب أن تأتى للعمل معى " .

" فى أوماها ؟ "

" ستوفر لنفسك دخلاً جيداً وثابتاً ، وستعيش معى أنت وكاثرين ، فلدينا منزل كبير " .

سقط قلب كاثرين بين قديميها ، الذهاب إلى أوماها يعنى نهاية كل أحلامها .

قال الأب : " دعنى أفكر فى الأمر " .

قال رالف : " سغادر فى قطار الساعة السادسة ، فدعنا نعرف قرارك قبل الرحيل " .

عندما كان الأب مع كاثرين بمفرديهما صاح قائلاً : " أوماها ! أراهن أن هذه المدينة ليس بها حلاق محترم ! "

ولكن كانت كاثرين تعرف أن عرض عمها فى مصلحة والدها ، فليس أمامه خيار آخر ، فلقد أحكمت الحياة قبضتها عليه . تعجبت وتساءلت عن تأثير الاستقرار فى وظيفة مملّة وثابتة بساعات منتظمة على روح أبيها . سيصبح أبوها مثل العصفور البرى الأسير الذى يرقرف بجناحيه ، وهو محبوس فى قفص ، وكأنه يموت تحت وطأة الأسر . أما عن نفسها فيجب أن تنسى الالتحاق بجامعة نورثوسترن ، لقد قدمت أوراقها للحصول على منحة دراسية مجانية هناك ؛ ولكنها لم

تتلق أى رد . فى مساء نفس اليوم اتصل والدها بأخيه لكى يقول إنه قد قيل الوظيفة .

فى الصباح التالى توجهت كاثرين إلى مكتب الناظر ؛ لكى تخبره بأنها ستنتقل لمدرسة فى أوماها ، وكان الناظر واقفاً خلف المكتب ، وقبل أن تنفوه بأية كلمة قال لها : " تهانئى لك يا كاثرين . لقد ربحت منحة مجانية كاملة للدراسة فى جامعة نورثوسترن . "

تناقشت كاثرين فى الأمر مع والدها بشكل كامل ، وفى النهاية تقرر أنه سيذهب إلى أوماها وستذهب كاثرين إلى المدينة الجامعية فى نورثوسترن ، وهكذا بعد عشرة أيام اصطحبت كاثرين أبها إلى محطة القطار لتوديعه . اعتراها إحساس عميق بالوحدة بعد رحيله ، وهو حزن وداع أكثر شخص تحبه ، وفى نفس الوقت كانت متحمسة ؛ لكى يتحرك القطار ، ويملؤها إحساس لذيذ بالإثارة ؛ لأنها ستكون حرة تعيش حياتها كما تريد لأول مرة . وقفت فى محطة القطار تشاهد وجه أبيها الملصق فى نافذة القطار من أجل نظره الوداع ؛ كان رجلاً وسيماً يرتدى ثياباً رثة ، ومازال يؤمن بأنه فى يوم ما سيمتلك العالم كله .

فى طريق عودتها من المحطة تذكرت كاثرين ما جعلها تضحك بصوت عال ؛ فلقد ذهب والدها إلى أوماها للوظيفة التى يحتاج إليها بشدة فى قطار من الدرجة الأولى ، وحجز لنفسه جناحاً بأكمله .

أول يوم فى الجامعة كان مليئاً بالإثارة التى تفوق الحد ، وكان يحمل دلالة خاصة لـ " كاثرين " لم تستطع وصفها بالكلمات : كان المفتاح الذى سيفتح الباب لكل أحلامها وطموحاتها التى لا تعرف لها حدودا ، والتى ظلت تتوق إليها بشدة لمدة طويلة . نظرت حولها فى القاعة الكبرى لاجتماع الطلاب ، حيث يقف مئات الطلاب فى طابور لتسجيل أسمائهم ، وكانت تفكر كالتالى : " يوماً ما ستعرفون من أنا ، وستفتخرون بالذهاب إلى الجامعة التى كانت تدرس بها كاثرين

ألكساندر ، ولقد قامت بتسجيل اسمها في أكبر عدد ممكن من المواد الدراسية ، وفي قائمة المقيمين في المدينة الجامعية . وفي نفس اليوم وجدت عملاً بعد الظهر كعاملة في مطعم روست الشهير للسندويتشات أمام الجامعة . كان راتبها ١٠ دولارات في الأسبوع ، وعلى الرغم من أنه لن يوفر لها أية كماليات ، فسوف يوفر لها مصاريف الكتب والاحتياجات الأساسية .

بحلول العام الجامعي الثاني عرفت كاثرين أنها غالباً تعد الفتاة الوحيدة في الجامعة بأكملها غير المرتبطة عاطفياً بأى شخص ، وبينما كانت تكبر كانت تسمع مقتطفات من الحوارات التي كانت تدور بين من يكبرونها عن الحب ، وكان يبدو شيئاً رائعاً ، وكان خوفها الأكبر أنها لن تحصل على فرصة لتجربته عندما تكبر بالقدر الكافي للاستمتاع به . اتضح الآن أنها كانت على حق على الأقل طالما كان اهتمامها بالأمر مجرد اهتمام سطحي ؛ كان الحديث عن محاربة الحب هو الموضوع الوحيد في الجامعة ، حيث يتناقش الجميع في المدينة الجامعية ، وفي قاعات الدراسة والحمامات ، وفي مطعم روست . كانت كاثرين تشعر بالصدمة من صراحة تلك الحوارات الجريئة .

" جيري مذهل حقاً ، فهو أشبه بكينج كونج " .

" هل تقصدين جسده أم عقله ؟ " .

" إنه لا يحتاج للعقل يا عزيزتي " .

" هل تواعدت مع إيرني روبنز ؟ إنه قصير ، لكنه قوى جداً " .

" أليكس يواعدني الليلة ، احكى لي عنه بالتفصيل ؟ " .

" أليكس فتى أحق ، وفري على نفسك العناء ، ولا تخرجي معه " .

وتتوالى الضحكات الماجنة .

اعتقدت كاثرين أن مثل تلك الحوارات فجأة وبلا حياء ومقززة ، ومع ذلك حاولت ألا يفوتها أى حوار ولا أية كلمة . كان تمريناً لها على الماسوكيه (تعذيب الذات) . بينما تصف البنات مغامراتهن

العاطفية ، كانت كاثرين تتخيل أنها تتبادل الحب مع فتى من القتيان بطريقة مثيرة ومحمومة . قالت لنفسها : " ياه ، يبدو أنني سأموت وحيدة . ما خطبى ؟ " . قالت لنفسها : " سأخبرك ما خطبك ، لم يواعدك أحد القتيان ، واللعبه تحتاج إلى اثنين إذا أردت أن تمارسيها جيداً " .

كان أكثر الأسماء التي تتردد على ألسنة البنات في تلك الحوارات هو اسم رون بيترسون ، فلقد التحق بجامعة نورثوسترن بمنحة للتفوق الرياضي ، وكانت له شعبية كبيرة في الجامعة ، كما كانت له في المدرسة الثانوية ، حيث امتلأ جسده ، وأصبحت تكسو وجهه علامات النضج والفحولة والخشونة . بعد انتهاء المحاضرة سار في اتجاه كاثرين ، فبدأ قلبها يخفق في عنف .

كاثرين ألكساندر !

أهلاً يا رون .

هل تدرسين تلك المادة ؟

نعم

هذا مصدر للراحة بالنسبة لي

لماذا ؟

لأننى لا أعرف أى شيء عن مادة اللغة اللاتينية ، وأنت فتاة

عبقرية ، وسننجم معاً ، هل لديك موعد الليلة ؟

لا يوجد موعد خاص ، هل تريدنا أن نستذكر معاً ؟

ما رأيك في الذهاب إلى الشاطئ . حيث سننعم بالخصوصية ،

ونذاكر في أى وقت .

كان يحدق إلى عينيها ،

" يا آه ؟ " كان يحاول تذكر اسمها .

ابتلعت ريقها وحاولت جاهدة أن تتذكر اسمها من فرط الذهول . ثم قالت سريعاً : " كاثرين ، كاثرين ألكساندر " .

" نعم ، ماذا عن هذا المكان ! إنه رائع . أليس كذلك ؟ "

حاولت أن يبدو على صوتها الحماس ؛ لكي تسعده وترضيه وتخطب وده ، فقالت بحماس واندفاع : " نعم إنه مكان رائع ... " .

لقد كان ينظر إلى فتاة شقراء فاتنة تنتظره على باب قاعة المحاضرات فقال لـ " كاثرين " : " أراك لاحقاً " ، ثم ابتعد لكي يلحق بالشقراء .

فكرت كاثرين : كانت تلك هى نهاية قصة السندريلا وفتى الأحلام ، فقد عاشا فى سعادة إلى الأبد ، هو فى جناح نسائه الخاص به ، وهى فى كهف النساك العاصف فى هضبة التبت .

من وقت لآخر كانت كاثرين ترى رون يسير فى الحرم الجامعى ، وبصحبه فتاة مختلفة فى كل مرة ، وأحياناً اثنتان أو ثلاث فتيات . آه ، ألا يتعب أبداً هذا الفتى ؟ تساءلت كاثرين فى تعجب . كانت لديها خيالات وأحلام بأنه سيأتى لطلب مساعدتها فى مادة اللغة اللاتينية ، لكنه لم يتحدث معها أبداً مرة أخرى .

ليلاً وهى مستلقية على فراشها وتشعر بالوحدة ، كانت تفكر فى كل الفتيات وهن يتبادلن الحب مع الفتيان ، وكانت فى خيالها تتخيل رون بيترسون ، وهما فى مكان هادئ يداعب كل منهما الآخر ، حتى حملها رون بين ذراعيه . لكن فى تلك اللحظة من الحلم كان حسها الفكاهى يتغلب عليها ، فتتخيل أنه أصيب بتصلب فى ظهره ، وانهار على الأرض ، وهو يتلوى من الألم ويصرخ . فكرت كاثرين : " يالى من حمقاء ، حتى الخيالات والأحلام لا أنجح فيها " . ربما كان يجب عليها الالتحاق بدير للرهبات . كانت دائماً تتساءل : هل الراهبات لهن أحلام وخیالات عاطفية ؟

كانت كاثرين تتخيل أنها تجلس فى حديقة غناء وهادئة ومليئة بالأشجار الظليلة فى دير قديم خارج حدود روما عاصمة إيطاليا ، وتعبث بأصابعها فى الماء الدافئ من الشمس فى البحيرة القديمة المليئة بالأسماك . ففتحت باب الدير ، وظهر راهب ذو قبعة عريضة ورداء طويل أسود ، وكان يشبه تماماً رون بيترسون .

قال بهدوء : " ياه ، المعذرة يا سيدتى ، لم أكن أعرف أن لى زواراً " .

قامت كاثرين بسرعة ، وقالت معتذرة : " أعرف أنه ما كان يجب أن أتواجد هنا " كان المكان جميلاً ويغرى بالبقاء فيه .

قال لها : " على الرحب والسعة " ثم اقترب منها وكانت عيناه سوداوين لامعتين : " ياه .. لقد كذبت عليك " .

" كذبت على ؟ "

قال وهو يكاد يخترق عينيها بعينيهِ : " نعم ، أعلم أنك كنت هنا ، لأننى اتبعتك " .

شعرت بالإثارة تسرى فى جسدها ، وقالت : " ولكنك راهب " .

قال لها : " أيتها الحسنة ، أنا رجل فى المقام الأول ، ثم راهب فى المقام الثانى " .

ثم تقدم إلى الأمام لكي يضمها بين ذراعيه ؛ ولكن ساقيه اشتبكتا فى ذيل رداءه الأسود ، وسقط فى بحيرة الأسماك ! اللعنة !

كان رون بيترسون يذهب لطعم روست يومياً بعد انتهاء المحاضرات ، ويجلس فى مقعد فى الركن المنزوى الهادئ ، الذى سرعان ما يمتلئ بأصدقائه ، ويصبح مركزاً للحوارات السخيفة العالية . كانت كاثرين تقف خلف الطاولة بجوار الخزينة عندما دخل رون إلى المطعم ، وكان يومئ برأسه لها ببشاشة وبشكل آلى ، ثم يتجه إلى حيث يريد ، ولم يخاطبها أبداً باسمها ، وظننت أنه نسيه تماماً .

ولكن كل يوم عندما يدخل إلى المطعم كانت تبتسم له ابتسامة كبيرة ، وتنتظر أن يلقي عليها التحية ، وأن يطلب منها موعداً غرامياً أو كوباً من الماء أو تعطيه أى شيء يطلبه منها . كانت بالنسبة له كأى قطعة أثاث . عندما فحصت البنات فى القاعة بحياد وموضوعية تامة ، شعرت أنها أجمل منهن جميعاً عدا جين - آن ، الشقراء الفاتنة التى كان يواعدها رون كثيراً ، وكانت أجمل من كل الفتيات . ما الذى يعيبها ؟ لماذا لم يواعدها أى فتى ؟ ولكن كاثرين علمت الإجابة فى اليوم التالى .

كانت تسرع إلى عملها فى مطعم روست عندما رأت جين آن وفتاة سمراء لا تعرفها تتجهان إليها . قالت جين آن : " حسناً ها هى الفتاة ذات العقل الكبير " .

فكرت كاثرين : " وها هى الفتاة الشقراء الفاتنة " وقالت : " كان اختبار الأدب صعباً . أليس كذلك ؟ " .

قالت جين آن ببرود : " لا تتظاهرى بالتواضع ، فأنت تعلمك الغزير يمكنك تدريس منهج الأدب ، وهذا ليس كل ما يمكنك تدريسه لنا يا عزيزتى ؟ " .

احمر وجه كاثرين من لهجة حديث جين آن ، وقالت : " لا ... لا أفهم قصدك " .

قالت الفتاة السمراء : " دعيها وشأنها " .

قالت جين آن : " لماذا ؟ من تظن نفسها ؟ " ثم توجهت إلى كاثرين قائلة : " هل تريدين معرفة ما يقوله الجميع عنك ؟ " . تخوفت كاثرين وقالت : " لا " داخل ذاتها ، لكنها ردت قائلة : " نعم " .

" يقولون إنك فتاة غريبة الأطوار ! " .

حملت إليها كاثرين غير مصدقة : " أنا ... ماذا ؟ ! " .

" إنك كذلك يا عزيزتى ، ولن تخدعينا بمظهرك البرئ " .

قالت كاثرين وهى تتلعثم : " ولكن هذا .. شئ سخيف . " .

قالت جين آن : " هل تظنين أنه بإمكانك خداع الناس " .

" لكن لم أفعل ذلك أبداً ... " .

" يحاول الأولاد الاقتراب منك ؛ لكنك تقومين بصددهم عنك . " .

صاحت كاثرين : " ولكن حقاً ... " .

قالت جين آن : " اصمتى ، فأنت لست مثلنا " .

ثم ابتعدتا وتركتاها واقفة فى ذهول تحقق إليهما بلا حراك .

فى تلك الليلة استلقت كاثرين على فراشها ، ولم تتمكن من النوم

لإصابتها بالأرق وجلست تفكر :

" كم عمرى يا آنسة ألكساندر ؟ " .

" ١٩ عاماً " .

" هل مارست الحب مع رجل من قبل ؟ " .

" أبداً " .

" هل تميلين إلى الجنس الآخر ؟ " .

" ألسنا جميعنا كذلك ؟ " .

فكرت كاثرين فى هذا الأمر بعمق لفترة طويلة . لكن إذا كانت كذلك

حما ، لماذا تجلس على فراشها وحيدة ؟ لماذا لا تمارس الحب مع

الرجال كباقي الفتيات ؟ ربما كانت تعاني من البرود ، أو ربما تحتاج

لعملية جراحية مثل قطع فص من فصوص المخ مثلاً ؛ لكى تكون كفتاة

عادية مثل غيرها من الفتيات .

عندما بزغ النهار من خلال شباك المدينة الجامعية فى مبنى

الطالبات ، كانت كاثرين لم تنم حتى الآن ، ولم يغمض لها جفن ،

ولكنها قد اتخذت القرار : سوف تبادل الرجال الحب . وسيحدث ذلك

على يد الرجل المحظوظ الذى رافق كل الفتيات : رون بيترسون .

كان الزوار يأتون خصيصاً لرؤيتها ، ولكن لم يكن يسمح إلا لقليل منهم بحملها . كان الناس يحملون إليها عندما تستلقى على فراشها ، ويتعجبون من تقاسيم وجهها الجميلة الدهشة ، وشعرها الأصفر الجميل ، وجلدها الناعم الذى يشبه لونه العسل الأبيض ، فكان يقول أبوها بفخر : " أى شخص لا يعرفها سيظن أنها أميرة ! " . ثم يميل إلى فراشها ويهمس قائلاً : " يوماً ما سيأتى الأمير الوسيم لكى يحملك ويذهب بعيداً " . ثم يغطيها بحنان بغطاء وردى اللون ، ثم تنام وهى تشعر بالرضا . كان عالمها بأكملها حلماً وردياً فيه المراكب والسفن والصواري والقصور ، ولم تفهم إلا عند وصولها سن الخامسة أنها ابنة صياد فى مارسيليا ، وأن القصور التى كانت تشاهدها من نافذة حجرة الصندرة كانت المخازن الموجودة حول سوق السمك ذى الرائحة البشعة ، حيث يعمل والدها ، وأن أسطول سفنها ما هو إلا سفن صيد قديمة تنطلق فى البحر من مارسيليا كل صباح فى الفجر إلى العصر ، لتفريغ شحنتها ذات الرائحة النفاذة إلى رصيف الميناء .

تلك كانت مملكة نوبل باج .

اعتاد أصدقاء والدها تحذيره مما يفعله : " لا يجب أن تحشو رأسها بالأكاذيب ، يا جاك ، ستظن أنها أفضل من الجميع " ، ولكن تحققت تلك النبوءات .

من الظاهر تبدو مارسيليا مدينة مليئة بالعنف ، ذلك العنف البدائى الذى يحدث فى أى مدينة ساحلية تزدهم بالبحارة الجائعين ممن معهم أموال كثيرة ، ولصوص مهرة يربحونهم من عناء حملها . ولكن على العكس من باقى الفرنسيين ، كان أهل مدينة مارسيليا لديهم إحساس بالموازنة مع الآخرين ، نابع من صراعهم المشترك من أجل البقاء على قيد الحياة ، للحصول على شريان الحياة للمدينة القادم من البحر . وكان صيادو مدينة مارسيليا ينتمون لعائلة صيادى السمك فى جميع أنحاء العالم ، ويشاطرون بعضهم البعض السراء والضراء .

نوبل

مارسيليا . باريس : ١٩١٩ - ١٩٣٩

٢

لقد ولدت كأميرة ملكية .

كانت أولى ذكرياتها هى سريز الأطفال الأبيض المغطى بعمدان عليها غطاء من القماش ، ومزينة بالأشرطة الوردية اللون ، ومليئة بدمى الحيوانات المحشوة الناعمة والعرائس الجميلة . تعلمت سريعاً أنها إذا فتحت فمها لتصرخ ، فسيهرع إليها أبوها لكى يحملها ويهدئها من روعها ، عندما كانت فى سن ستة أشهر كان والدها يتنزه معها فى الحديقة وهى داخل عربة الأطفال ويجعلها تلمس الأزهار ، ثم يقول لها : " إنها زهور جميلة أميرتى ، ولكنك أجمل منها " . فى المنزل كانت تستمتع عندما كان أبوها يحملها إلى أعلى بذراعيه القويتين ، ويحملها إلى النافذة لكى ترى أسطح المباني العالية ، ويقول : " تلك هى مملكتك راسية فى الخليج . " ويقول : " هل ترين كل تلك السفن الكبيرة ؟ يوماً ما ستكون طوع أوامرک " .

وهكذا كان جيران جاك باج سعداء بحظه الوافر لأنه رزق بطفلة رائعة ومدهشة . كانوا مدركين هول المعجزة بأنه فى تلك المدينة القذرة الماجنة ولدت أميرة جميلة بحق .

لم تنته دهشة أبويها من جمالها الفائق . كانت الأم بدينة للغاية ، ولها ملامح خشنة كالفلاحات . وكان الأب رجلاً بديناً ، وعريض المنكبين ، ولديه عينان صغيرتان يشع منها الشك ، وكأنهما عينا رجل بريطانى ، وكان شعره بلون الرمل المبلل على شواطئ نورماندى . فى البداية شعر أن الطبيعة قد أخطأت ، وأن تلك الطفلة الجميلة الرائعة الشقراء لا تنتمى له أو لزوجته ، وأن نويل عندما تكبر ستتحول إلى فتاة عادية ذات ملامح معتادة مثل كل بنات أصدقائه ، ولكن المعجزة استمرت ، وترعرعت نويل وازدادت جمالاً كل يوم .

كانت دهشة الأم أقل من الزوج عندما ولدت الطفلة ذات الشعر الذهبى فى العائلة . فقبل ميلادها بتسعة شهور رافقت أمها بحاراً من النرويج ، قادماً من سفينة شحن ، وكان ضخماً مهيباً مثل محاربى الفايكينج القدامى ، وله شعر أصفر ، وابتسامة ساحرة مثيرة . بينما كان زوجها جاك فى العمل مارست الحب مع هذا البحار النرويجى لمدة ربع ساعة على فراش الزوجية فى الشقة الصغيرة .

وقد فزعت أم نويل عندما رأت أن الطفلة الوليدة جميلة جداً وشقراء ، وظلت تترقب اللحظة التى سيشير فيها زوجها إليها بأصابع الاتهام ، ويطلب بمعرفة الأب الحقيقى ، ولكنها لم تصدق أن شعوره الجارف بحب الذات سيجعله يقبل الطفلة وكأنها ابنته .

كان الأب يتفاخر أمام أصدقائه قائلًا : " لا بد أنها انحدرت من أصول اسكندنافية ، وفيها دمائى من أسلافى ، لكنكم ترون أن لها ملامحى . " كانت زوجته تسمع وتؤمن مؤمنة على كلامه ، وتفكر أن كل الرجال حمقى .

كانت نويل تحب البقاء مع أبيها . وكانت تعشق مزاحه الثقيل والروائح الغريبة المثيرة العالقة به ، وفى نفس الوقت كانت تخاف من شرسته . كانت تشاهده فى دهشة وهو يصرخ فى وجه أمها ، ويصفعها على وجهها ، وتبرز عروق رقبته من الغضب . كانت الأم تصرخ فى ألم ، ولكن كان فى صراخها شيء أكثر من مجرد الألم ، شيء حيوانى تمتزج به الرغبة ، وكانت نويل تشعر بالغيرة ، وتتمنى أن تحل محل أمها .

ولكن كان الأب رقيقاً دائماً مع نويل ، وكان يحب اصطحابها إلى رصيف الميناء ، لكى يفتخر بها ويستعرضها أمام الرجال الذين يتسمون بالفظاظة والشدة ممن يعملون معه . زادت شهرتها عبر أرصفة الميناء باسم " الأميرة " ، وكانت فخورة بذلك من أجل أبيها ومن أجل نفسها .

أرادت إسعاد أبيها ، ولأنه يحب الطعام فبدأت تطهو له وتعد له أطباقه المفضلة ، وبالتدريج حلت محل الأم فى المطبخ .

فى سن السابعة عشرة ، اكتمل جمال نويل ونضج جسدها ، وأصبحت امرأة فائقة الحسن . كانت ملامح وجهها صغيرة وجميلة ، وعيناها ذواتى لون بنفسجى ملئ بالحيوية ، وكان شعرها ناعماً وأشقر . كان جلدها ناعماً ، وذهبى اللون ، وكأنها غمست فى العسل . كان قوامها مذهباً ، ووسطها رقيقاً ، وشفاتها ممثلتين ومستديرتين وساقها طويلتين ومثلتين قليلاً ، ولديها كاحل دقيق الحجم . كان صوتها مميزاً وناعماً عذباً . كانت مفعمة بالمشاعر والأحاسيس القوية الملتهبة ، لكن لم يكن هذا مصدر فتنتها وسحرها الذى يكمن فى حقيقة أن تحت هذا الستار من الجانب الحسى توجد جزيرة من البراءة لم تطأها الأقدام بعد ، والجمع بين البراءة والأحاسيس لا يقاوم . لم تكن تسير فى الشارع بدون أن يعرض عليها السائرون إقامة علاقة معها ، ولكنها لم تكن عروضاً مخيصة ، وكأنهم يخاطبون ود إحدى العاهرات

فى مارسيليا ؛ لأن حتى أكثر الرجال عناداً أدركوا تميز نويل ، حيث إنها تمتلك سمات لم يشاهدوها من قبل ، وغالباً لن يشاهدوها بعد الآن فى غيرها أبداً ، وكان كل منهم يريد دفع كل ما يملك ؛ لكى يستحوذ عليها ولو لفترة قصيرة .

كان أبوها على وعى بجمالها الفتان أيضاً ، وفى الواقع نادراً ما كان يفكر فى هذا الموضوع ، وكان يعلم ما يثيره جمالها فى نفوس الرجال ، وعلى الرغم من عدم مناقشته هو وزوجته لذلك مع نويل ، لكنه كان متأكداً من أنها لم تقم علاقة مع أى شخص ، فالمعذرية رأس مال الفتاة . كان عقله كالفلاحين الخبثاء يفكر طوال الوقت فى جدية عن استثمار الكنز الذى وهبته الطبيعة له بدون توقع . كانت مهمته هو أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المال من الرجل الذى سيستمتع بجمال ابنته . فلقد رباها وأطعمها وكساها وعلمها - فهى مدينة له بكل شىء . والآن حان وقت السداد . تمنى لو استطاع أن يجعلها خلية أو عشيقة لرجل غنى ، فسيكون ذلك فى صالحها ، وسيتمكن هو من أن يعيش الحياة التى يستحقها فى رغد العيش . مع كل يوم يمر يصعب أكثر على الرجل الشريف أن يحيا حياة كريمة . بدأ شبح الحرب يخيم على أوروبا . اتجه النازيون إلى النمسا فى ضربة خاطفة كالبرق الذى صعق كل أوروبا . بعد شهور اجتاحت النازيون منطقة سودتن ودولة سلوفاكيا . على الرغم من تأكيدات هتلر أنه لا يهتم بالغزو لأبعد من ذلك ، ولكن ظل الشعور المستمر ، وهو وجود صراع رهيب على نطاق كبير .

تأثير كل تلك الأحداث كان له تداعيات خطيرة فى فرنسا . كان هناك نقص فى المتاجر والأسواق ؛ لأن الدولة بدأت فى التعبئة للمجهود الدفاعى الضخم . وسرعان ما خشى جاك بأنهم سيضطرون للتوقف عن الصيد بأمر الحكومة . فما عساه أن يفعل ؟ الحل لكل تلك المشاكل أن يجد رجلاً غنياً لابنته ، والمشكلة أنه لا يعرف رجلاً أغنياً ، كان كل

أصدقائه يعانون من الفقر المدقع مثله ؛ ولم تكن لديه النية فى أن يجعل أى رجل يقترب منها دون أن يدفع الثمن .

الحل لمعضلة جاك باج جاء بدون قصد من نويل ؛ ففي الشهور الأخيرة انتابها القلق والشعور بعدم الراحة الذى ظل فى ازدياد . كانت متفوقة فى الدراسة لكنها ملت منها ، وأخبرت والدها أنها تريد وظيفة . ظل يتأملها فى صمت ، وهو يزن كل الاحتمالات بحنكته المعهودة .

سألها قائلاً : " أى نوع من الوظائف ؟ "

قالت نويل : " لا أعرف ، ولكن يمكننى العمل كمعارضة أزياء يا أبى " . كان الأمر بهذه البساطة .

بعد عودة جاك من العمل طوال أيام الأسبوع التالى كان يستحم جيداً للتخلص من رائحة السمك من يديه وشعره ، ويرتدى أفضل حلة لديه ويذهب إلى شارع كانبيير ، وهو الطريق الرئيسى من الميناء القديم فى المدينة ، الذى يؤدى إلى الأحياء الثرية . كان يقطع الطريق جيئةً وذهاباً ويستكشف كل صالونات الأزياء ، وهو عالم استعراضى أخرج من الملابس الفخمة والدانتيل والحريير ، ولم يهتم بأنه من غير المناسب أو اللائق وجوده هنا . كان لديه هدف واحد ، ووجدته عندما وصل محل للملابس فى مارسيليا ويدعى بون مارشيه ؛ ولكن ليس هذا سبب اختياره له ، بل اختاره لأن صاحبه هو السيد أوجست لانشون ، وهو رجل فى الخمسينيات من عمره ، وأصلع وقبيح ، وله ساقان سمينتان قصيرتان ، وله فم يهتز فى طمع . كانت زوجته سيدة ضئيلة الحجم ووجهها كالفأس المسنون ، وهى تعمل فى غرفة قياس الملابس ، وتشرف بصوتها العالى على الخياطين والترزية . ألقى جاك نظرة واحدة على السيد لانشون وزوجته ، وأدرك أنه وجد الحل لمشكلته .

نظر لانشون نظرة اشمئزاز لـ " جاك " وهو يدخل عليه فى ثيابه الرثة من باب المحل ، ثم سأل بوقاحة : " نعم ؟ ما الذى تريده ؟ هل يمكننى مساعدتك ؟ "

غمز له جاك بعينه ، وضغط بأصبعه الغليظ على صدر لانشون وابتمس ابتسامة ساخرة قائلاً : " بل إننى سأقدم لك خدمة يا سيدى ؛ سوف أجعل ابنتى تعمل لديك " .

حدق لانشون فى الرجل البلطجى المائل أمامه ، وعلت وجهه تعبيرات عدم التصديق قائلاً : " تقول إنك ستدع " .

" ستأتى غداً فى التاسعة صباحاً "

" لكنى لا أريد "

تركه جاك باج وبعد مرور دقائق معدودة طرح لانشون الأمر من ذاكرته تماماً . فى التاسعة من صباح اليوم التالى نظر لانشون إلى جاك وهو يدخل إلى المحل ، وكان على وشك أن يأمر المدير بطرده ، لكنه رأى خلفه نويل . كانا يسيران فى اتجاهه ، الأب وابنته الفتاة ، وكان الرجل العجوز يبتسم قائلاً : " ها هى جاهزة ومستعدة للعمل " .

حدق لانشون فى الفتاة ، ولحق شفتيه .

ابتسمت نويل قائلة : " صباح الخير يا سيدى . أخبرنى والدى أن لديك عملاً لى " .

أوماً لانشون برأسه موافقاً ، وقال وهو يتلثم : " نعم ... أعتقد أنه يمكن ترتيب هذا الأمر " . ثم درس وجهها وقوامها ، ولم يتمكن من تصديق ما يراه .

قال جاك : " سأدعكما تتعرفان على بعضكما البعض " ثم ربت كتف لانشون بقوة ، وأعطاه غمزة بعينه يمكن تفسيرها بمعان كثيرة ، وبلا شك كان لانشون قد فهم مقصد جاك .

شعرت نويل فى الأسابيع الأولى كأنها انتقلت إلى عالم مختلف تماماً . زبائن المحل من السيدات الأثنيات المهدبات ، والرجال الذين

يصطحبونهم يختلفون تماماً عن الصيادين الوقحين المزعجين السخفاء الذين نشأت معهم . بدا لـ " نويل " أنها لم تعد تشم رائحة السمك لأول مرة فى حياتها . لم تكن على وعى بأنها رائحة سيئة من قبل ؛ لأنها كانت دائماً جزءاً من حياتها . والآن تغير كل شيء فجأة ، وكانت مدينة بكل شيء لوالدها ، وكانت فخورة بطريقة تعامل والدها مع لانشون ، حيث كان يأتى والدها للمحل مرتين أو ثلاثاً كل أسبوع ، ويحتسى مع لانشون الشراب وتنمو بينهما أواصر الصداقة . فى البداية لم يعجبها السيد لانشون ، لكن سلوكه تجاهها كان غير مباشر . سمعت نويل من فتيات المحل أنه ذات مرة ضبطته زوجته فى حجره البضائع مع عارضة أزياء ، وقد أحضرت المقص الكبير ، وكانت على وشك قتله . كانت نويل على وعى بأن عينيه تلاحقناها أينما ذهبنا ؛ ولكنه كان حريصاً على أن يكون مهذباً معها دائماً . فكرت أنه قد يخاف من أبيها ورضيت بهذا التفسير .

تغير الجو العام فى المنزل إلى الأفضل فجأة . ولم يعد والدها يضرب أمها ، وتوقف الشجار الدائم . كان هناك لحم بالمنزل كل يوم ، وبعد العشاء كان والدها يخرج الغليون الجديد ويملؤه بالتبغ ذى الرائحة النفاذة من علبة جلدية أنيقة . وابتاع لنفسه حلة جديدة . كانت الظروف تزداد سوءاً على المستوى العالمى والدولى ، وسمعت نويل مناقشات أبيها وأصدقائه ، وكان يبدو عليهم الفرغ من الخطر الوشيك على مورد رزقهم ، ولكن أباهما هو الوحيد الذى لم يبد عليه القلق .

فى الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ غزت قوات هتلر بولندا ، وبعدها بيومين أعلنت فرنسا وإنجلترا الحرب على ألمانيا .

بدأت التعبئة العامة وفى يوم وليلة امتلأت الشوارع بالعساكر . كان هناك شعور عام باليأس والاستسلام بشأن ما يحدث ، وكأن المرء لديه شعور أنه قد شاهد تلك التجربة من قبل فى فيلم قديم ، ولذلك لم يشعر أحد بالخوف . الدول الأخرى لديها سبب لكى ترتعد أمام قوة الجيوش

همس لها قائلاً : " يا لك من جميلة ، بالتأكيد سوف تقضين معى وقتاً ممتعاً " .

فى تلك اللحظة نادته زوجته ، فاضطر - على مضض - أن يدع نويل وشأنها ، وأسرع إلى خارج الحجرة .

فى طريقها إلى المنزل أخذت نويل تفكر هل تخبر أباهما بما حدث أم لا . ربما لو علم فسيقتل لانشون . كانت تكرهه ولم تتحمل البقاء بجواره ، ولكنها تريد الوظيفة ، كما أن والدها سيصاب بالإحباط إذا استقالت . قررت أنها فى الوقت الراهن لن تخبره بشيء ، وستجد حلاً للمشكلة بنفسها .

فى يوم الجمعة التالى تلقت زوجة لانشون مكالمات هاتفية علمت منها أن والدتها مريضة وتريد رؤيتها . وهى تسكن فى مدينة فيشى . قام لانشون بتوصيل زوجته إلى محطة القطار ، ثم عاد سريعاً إلى المحل . واستدعى نويل إلى مكتبه ، وأخبرها أنه يريد قضاء عطلة نهاية الأسبوع معها فى مكان بعيد . حددت نويل إليه ، واعتقدت - فى بادئ الأمر - أنه يريد .

قال لها : " سنذهب إلى مدينة فيينا حيث يوجد أفخم مطعم فى العالم ، ويسمى مطعم " الهرم " . إنه باهظ الثمن ولكن لا يهم ، يمكننى أن أكون كريماً لمن يحسنون معاملتى ، فمتى ستكونين مستعدة ؟ " .

حدقت إليه وكل ما استطاعت قوله هو : " أبداً ! " ثم خرجت مسرعة من مكتبه إلى واجهة المحل . نظر إليها لانشون لبرهة ، ثم تلون وجهه من الغضب ، ثم التقط الهاتف من على مكتبه . بعد ساعة جاء والد نويل إلى المحل ، واتجه مباشرة إلى نويل مما جعل وجهها يستنير بالشعور بالراحة . لقد شعر أن ثمة خطأ قد حدث ، وجاء لكى ينقذها . كان لانشون واقفاً عند باب مكتبه ، أخذها والدها من ذراعيها ، وأسرع بها إلى مكتب لانشون ، ثم استدار إليها ليواجهها

الألمانية ، ولكن فرنسا كانت لا تقهر ، فلديها خط " ماجينو " ، القلعة المحصنة التى لا يمكن اختراقها ، والتى ستحمى فرنسا من الغزو للألف عام التالية . تم فرض حظر التجوال ، وبدأ توزيع حصص التموين بكميات محدودة ، لكن جاك لم يعبأ بكل هذا . فلقد تغير وهدأت طباعه . المرة الوحيدة التى رآته نويل وهو يستشيط غضباً عندما رآها مرافقة لفتى كانت قد واعدته ، وقف وقتها أمامها مشدوها ، وانتفض جسده الذى يغلى من الغضب .

صرخ جاك فى الفتى الخائف : " اغرب عن وجهى ، وأبعد يديك القذرة عن ابنتى أيها الخنزير القذر ! " .

هرب الفتى فى فرع ، وحاولت نويل توضيح الأمر لوالدها ، وأنها لم تخطئ ، لكنه كان غاضباً لدرجة لا تسمح له بسماع أى شيء . صرخ جاك فى وجهها قائلاً : " لن أسمع لك بأن تحقرى من شأنك ، فهذا الفتى نكرة وحقير ، وليس مناسباً بالقدر الكافى لأمرتى الصغيرة " .

ظلت نويل مستيقظة طوال الليل ، وهى معجبة بحب أبيها لها ، وأقسمت أنها لن تفعل ما يزعجه أبداً مرة أخرى .

فى إحدى الليالى قبل وقت إغلاق محل الملابس جاءت إحدى الزبائن من السيدات ، وطلب لانشون من نويل ارتداء بعض الملابس لعرضها على السيدة . بانتهاء نويل من عملها كان الجميع قد غادر المحل ماعدا لانشون وزوجته التى كانت تعمل فى الحسابات فى المكتب . ذهبت نويل إلى حجرة تغيير الملابس الخالية لتغيير ملابسها عندما دخل عليها لانشون وحدق إليها واهتزت شفثاه . أخذت نويل رداءها ، ولكن قبل أن تتمكن من ارتدائه أسرع إليها وأمسك بذراعها . انتفضت نويل وشعرت بالاشمئزاز ، وسرت قشعريرة فى جسدها . حاولت الهرب ، لكنه كان يقبض عليها بيد من حديد وكان ذلك يؤلمها

السمين البدين ، ووجهه اللاهث كالحیوانات وعينیه اللتين تشبهان عینی الخنزير . هل هذا هو الأمير الذى باعها له أبوها الذى يحبها ، ولم يكن يتحمل أن تسلم نفسها لمن لا يستحق ؟ وتذكرت اللحم الذى أصبح ضيفاً دائماً على المائدة فجأة ، وغلبيون أبيها الجديد ، وحلته الجديدة ، وأرادت أن تتقيأ .

بدا لـ " نويل " أنها قد ماتت وولدت من جديد فى الساعات التالية ماتت كأميرة ، وولدت من جديد كعاهرة . ببطء بدأت تعى ما حولها وما يحدث لها . كانت تمتلئ مقتاً بلا حدود . لن تسامح أباهها على خيانتها لها . والغريب أنها لم تكره لانشون لأنها فهمته . كان رجلاً به الضعف الإنسانى لكل الرجال . منذ الآن قررت نويل أن نقطة ضعف الرجال ستكون مصدر قوتها . وستتعلم كيف تستخدمها ، فلقد كان أبوها على حق طوال الوقت ؛ كانت أميرة والعالم كله ملكها . والآن عرفت كيف تحصل عليه ببساطة . العالم ملك الرجال وهم يحكمونه لأن لديهم القوة ، والمال والنفوذ . وبالتالي فإن بإمكانها أن تتحكم فى الرجال . أو على الأقل رجل واحد . ولكن لكى تفعل ذلك يجب أن تستعد ، فعليها أن تتعلم الكثير . وتلك هى البداية .

فى اللحظات المحمومة لم يلاحظ لانشون أن نويل هى الموجودة معه ، ولم يهتم بذلك . كان مجرد رؤيتها يكفيه

قضيا معاً ثلاثة أيام ، ولم يذهبوا ولو لمرة واحدة لمطعم " الهرم " ، وأثناء تلك الأيام والليالى علمها لانشون القليل من تجاربه الحياتية .

عندما عادا بالسيارة إلى مارسيلىا ، كان لانشون يعتبر نفسه أسعد رجل فى فرنسا . فى الماضى كانت له نزوات وعلاقات عابرة مع الفتيات اللاتي يعملن فى مطعم " كابينييه بارتيكولير " ، حيث يوجد حجرات عشاء خاصة بها أرائك ، ولقد تفاوض فى السعر مع عاهرات مارسيلىا ، وكان بخيلاً ويعطى هدايا قليلة لمحظياته ، وكان بخيلاً مقتراً مع زوجته وأطفاله . ولكنه الآن وجد نفسه يقول فى نوبة كرم

قالت نويل : " أنا سعيدة بمجيئك يا أبى ، أنا " قاطعها والدها قائلاً : " لقد أخبرنى السيد لانشون أنه عرض عليك عرضاً ممتازاً ؛ ولكنك رفضته "

حدقت إليه فى حيرة وقالت : " أى عرض ؟ لقد طلب منى السفر معه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع " .
" وهل رفضت ذلك العرض ؟ "

قبل أن تتمكن نويل من الإجابة رفع الأب يده فى الهواء وصفعها على خدها بشدة . وقفت فى ذهول وهى لا تصدق ما حدث . وقد شعرت بطنين فى أذنها ، وأغرورقت عيناها بالدموع وهى تسمعه يقول : " يالك من غبية وحمقاء ! حان الوقت للتفكير فى الآخرين ، وليس فى نفسك فقط أيتها الأنانية الملعونة ! " ثم صفعها مرة أخرى بعد نصف ساعة وقف الأب على الرصيف ، وهو يشاهدهما يرحلان بالسيارة ، حيث يتجه لانشون ونويل إلى مدينة فيينا .

كانت حجرتهم فى الفندق مكونة من فراش كبير مزدوج ، وأثاث رخيص ، وحوض للاغتسال فى أحد الأركان . فالسيد لانشون لا يحب تبذير أمواله ، حيث إنه أعطى بقشيشاً ضئيلاً لحامل الحقائق الذى بمجرد أن رحل ، اتجه لانشون إلى نويل . وحملق إلى عينيها ، ثم قال لها : " هيا يا حبيبتي "

تذكرت نويل صراخ أبيها : " يجب أن تعترفى بالجميل عندما يريد رجل مثل السيد لانشون أن يعتنى بك . كل ما يجب عليك فعله هو معاملته معاملة لطيفة ، من أجلى ومن أجلك " . كان المشهد كله أشبه بالكابوس . كانت متأكدة من أن والدها قد أساء فهم الموقف بطريقته ما ، ولكن عندما بدأت توضح له كان قد صفعها مرة أخرى وصرخ قائلاً : " ستفعلين ما تؤمرين به . فتيات غيرك سيشعرن بالامتنان لتلك الفرصة " . فرصة ! نظرت إلى لانشون وجسده القبيح

مفاجئة : " سأحضر لك شقة تقييمين فيها يا نويل ، هل تتقنين الطهي ؟ "

قالت نويل : " نعم " .

" رائع ، سأحضر إليك للغداء كل يوم ثم نمارس الحب معاً . وسأحضر إليك ليلتين أو ثلاثاً كل أسبوع من أجل العشاء " . ثم وضع يده على ركبتيها ، وقال لها : " ما رأيك ؟ "

قالت نويل : " يبدو ذلك رائعاً " .

قال لها : " وسأعطيك مصروفاً خاصاً بك ، ولكنه لن يكون كبيراً " قال تلك العبارة الأخيرة بسرعة . ثم أردف قائلاً : " ولكنه سيكون كافياً للخروج والشراء والتسوق من آن إلى آخر ، وكل ما أطلبه منك ألا يشاركني الرجال فيك ، فأنت ملكي الآن " .

قالت نويل : " كما تريد يا أوجست " .

تنهد لانشون في ارتياح ، ثم قال بصوت ناعم : " لم أشعر بهذا القدر من السعادة مع أى فتاة أخرى ، أعرفين لماذا ؟ "

" كلا يا أوجست " .

" لأنك تجعلينني أشعر وكأنني شاب من جديد ، سنحيا حياة رائعة معاً " .

وصلا إلى مارسييا في وقت متأخر من الليل ، وطوال الطريق لم يتحدثا ، كان لانشون غارقاً في أحلامه ، ونويل غارقة في أحلامها هي الأخرى .

قال لانشون : " أراك في المحل غداً الساعة التاسعة صباحاً " ثم فكر قليلاً . وأردف قائلاً : " إذا شعرت بتعب في الصباح نامى لوقت أطول ، ويمكنك المجيء غداً في التاسعة والنصف " .

" شكراً لك يا أوجست " .

أعطاهما حفنة من الفرنكات الفرنسية قائلاً :

" إليك هذه النقود ، ابحتي غداً عن شقة ، وادفعي النقود كعربون لها حتى أراها " .

نظرت إلى النقود في يديه ولم تلمسها .

قال لانشون : " ما الخطب ؟ " .

قالت نويل : " أريد أن نحصل على شقة جميلة حقاً ، لكي تكون مكاناً نستمتع به معاً " .

قال معترضاً : " أنا لست رجلاً ثرياً " .

ابتسمت نويل عندما فهمت الموقف ، ووضعت يدها على كتفه ، فحدث إلى وجهها للحظة طويلة ، ثم أوماً برأسه قائلاً : " معك كل الحق " .

التقت حافظة نقوده ، وبدأ يخرج الفرنكات ، ويشاهد وجهها أثناء ذلك .

عندما بدا عليها الرضا توقف عن إخراج النقود من الحافظة ، واحمر وجهه من نوبة الكرم المفاجئة . فبعد كل ما حدث بينهما لا يهم أى شيء . كان رجل أعمال ذا حنكة ، وكان يعرف أن هذا يؤمن له أن نويل لن تحتقره أبداً .

شاهدته نويل وهو يبتعد بالسيارة وهو مفعم بالسعادة ، ثم ذهبت إلى الطابق العلوى ، وأعدت حقائبها ، وأخرجت مدخراتها من مخبئها ، وفي الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم كانت تستقل القطار المتجه إلى باريس .

عندما وصل القطار إلى باريس في صباح اليوم التالي ، كانت المحطة مزدحمة بالمسافرين الذين وصلوا للتو . كان ضجيج المحطة يسم الآذان عندما يتبادل الناس التحيات المرحية الصاخبة ، ويودعون بعضهم البعض بالبكاء ، ويتدافعون بكل وقاحة ، ولكن نويل لم تكثر ل كل ما يحدث حولها . بمجرد نزولها من القطار ، وقبل أن تتاح لها الفرصة لرؤية المدينة ، كانت تعرف أنها ستكون مدينتها ومستقرها . كانت

مارسيليا تبدو لها مدينة غريبة ، وباريس هي المدينة التي تنتمي إليها . شعرت بشعور غريب يجتاحها ، ولكنها استمتعت وتحملت الضجيج والزحام والإثارة ، وكأن كل ما سبق ملكها ، وكل ما عليها هو أن تعلن عن ملكيتها له . حملت حقبيتها ، واتجهت إلى باب الخروج . بالخارج في ضوء الشمس الساطع ، وزحام المرور الشديد ، ترددت نويل عندما أدركت فجأة أنها ليس لديها مكان تذهب إليه . كانت هناك عدة سيارات أجرة تقف في صف أمام محطة القطار . فاتجهت لأول سيارة منها .
 " إلى أين ؟ "

ترددت ، ثم قالت : " هل يمكنك أن ترشح لي فندقاً لطيفاً ورخيصاً ؟ "

التفت السائق وحدق إليها ليتفحصها جيداً ، وقال :

" هل هذه أول مرة تأتين فيها إلى باريس ؟ "

" نعم . "

أوما برأسه ، ثم قال : " أعتقد أنك بحاجة إلى وظيفة ؟ "

" نعم . "

قال لها : " حظك سعيد اليوم ، هل عملت من قبل كعارضة "

أزياء ؟ "

قفز قلبها فرحاً : " في الحقيقة نعم . "

" أختي تعمل لأحد أكبر بيوت الأزياء ، وذكرت لي هذا الصباح أن إحدى الفتيات تركت العمل . هل تودين الذهاب لمعرفة هل الوظيفة مازالت شاغرة أم لا ؟ "

" سيكون ذلك رائعاً . "

" إذا ذهبت بك إلى هناك فستعطيني عشرة فرانكات . "

عبرت بوجهها ، فقال لها : " الأمر يستحق ، صدقيني . "

" حسناً . " ثم اتكأت بظهرها في المقعد ، وفتح السائق العداد ، وانطلق وسط الزحام المروري الرهيب متجهاً إلى وسط المدينة . كان السائق يثرثر أثناء القيادة ، ولكن نويل لم تستمع لأية كلمة مما قال ؛ لأنها كانت منهمكة في مشاهدة معالم المدينة . لقد افترضت أنه بسبب الغطاء الواقى من الشمس على النوافذ بدت باريس مظلمة أكثر من المعتاد ، ولكن بالنسبة لـ " نويل " كانت مدينة لها سحرها الخاص ، قلها أنيقة وأسلوب خاص ، ولها رائحة تخصها وحدها . مرت السيارة بكنيسة " نوتردام " ، والجسر الجديد ، ثم الضفة الشرقية لنهر السين . ثم عبرت شارع مارشال نوش ، ومن هذه المسافة رأت نويل برج إيفل الذي يخيم على المدينة كلها . من خلال المرآة العاكسة شاهد السائق تماثيل وجهها .

" إنها مدينة جميلة ، أليس كذلك ؟ "

قالت بهدوء : " بكل تأكيد " ، لم تكن تصدق أنها هنا . إنها مملكة تليق بأميرة ... أى بها .

وقب التاكسي أمام مبنى حجرى يخيم عليه اللون الرمادى فى شارع بروفنس .

قال السائق : " لقد وصلنا ، قراءة العداد ٢ فرنك و ١٠ فرانكات لي كما اتفقنا . "

سألته نويل : " من أين لي أن أعرف أن الوظيفة مازالت شاغرة ؟ " هز كتفه في عدم اكتراث قائلاً : " أخبرتك أن الفتاة غادرت هذا الصباح ، وإذا لم ترغبى فى الدخول فسوف أعيدك إلى محطة القطار . " قالت نويل سريعاً : " كلا . " فتحت كيس نقودها ، وأخرجت اثني عشر فرانكاً ، وأعطتها للسائق . حدق السائق إلى المال ، ثم نظري إليها . فشعرت بالإحراج ، ففتحت كيس نقودها ، وأعطته فرنكاً آخر .

أوما لها برأسه ولم يبتسم ، وشاهدها وهى تحمل حقيبتها من التاكسى .

وعندما أوشك على الانصراف قالت له : " ما اسم أختك ؟ "

" جانيت . "

وقفت نويل حتى اختفى التاكسى عن الأنظار . ثم استدارت للنظر إلى المبنى . لم يكن هناك أية لافتة أمامية تدل على المكان ، ولكنها ظنت أن بيت الأزياء الشهير لا يحتاج للافتة . فالجميع يعرفون أين سيجدونه . حملت حقيبتها ، وتوجهت إلى الباب . ودقت الجرس . بعد بضع دقائق فتحت الباب خادمة ترتدى مريضة سوداء ، ونظرت إلى نويل نظرة دون أى تعبير يكسو وجهها .

" نعم ؟ "

قالت نويل : " أرجو المذرة ، ولكنى أعتقد أنه يوجد مكان شاغر لديكم للعمل كمعارضة أزياء . "

حدقت المرأة إليها ، ثم غمزت بعينيها ، وقالت : " من أرسلك ؟ "

" أخو جانيت . "

" ادخلي . "

فتحت الباب على مصراعيه ، ودخلت نويل إلى صالة الاستقبال التى كانت من طراز أوائل القرن التاسع عشر . كانت هناك نجفة ضخمة معلقة فى السقف . وعدة نجفات أخرى منتشرة فى المكان . من خلال أحد الأبواب المفتوحة رأت نويل حجرة الجلوس المليئة بالآثاث القديم الفخم ، وسلماً يؤدي للطابق العلوى . على المنضدة المصعة بالجواهر كانت هناك أعداد من الجرائد الشهيرة مثل جريدة " فيجارو " و " ليكو دى بارى " . قالت المرأة : " انتظرى هنا ، وسأرى هل لدى مدام ديليس وقت لرؤيتك أم لا . "

قالت نويل : " شكراً لك " . وضعت نويل حقيبتها على الأرض ، وتوجهت إلى المرأة الكبيرة على الحائط . كانت ملابسها مكرمشة من جراء الرحلة الطويلة التى قطعها بالقطار ، وفجأة ندمت على اندفاعها للدخول إلى هنا بدون إعداد نفسها ، فلقد كان من المهم أن تترك انطباعاً جيداً . لكنها فحصت نفسها ، وكانت تعرف أنها تبدو جميلة بدون غرور ، وهى تعلم أن جمالها من ذخائرها التى يجب أن تستخدمها مثل ذخائرها الأخرى . استدارت نويل عندما رأت فى المرأة فتاة تنزل من على السلم . كانت الفتاة لها قوام رشيق ، ووجه جميل ، وترتدى تنسورة طويلة ، بنينة اللون ، وقميصاً ذا رقبة عالية . ابتسمت لـ " نويل " سريعاً ، ثم ذهبت لحجرة الجلوس . بعد دقيقة واحدة دخلت مدام ديليس الحجرة . كانت سيدة فى الأربعينيات من عمرها ، وكانت قصيرة وبدينة ، ولها عيناں باردتان حادتان . كانت ترتدى فستاناً قدرت نويل ثمنه بألفى فرنك على الأقل .

قالت لـ نويل : " رجينا تخبرنى أنك تبحثين على وظيفة . "

قالت نويل : " نعم يا سيدتى . "

" ما مسقط رأسك ؟ "

" مارسيليا . "

قالت بسخرية : " ملعب البحارة السكارى . "

هزت نويل رأسها موافقة .

ربتت مدام ديليس على كتف نويل قائلة : " لا يهم يا عزيزتى ،

كم عمرك ؟ "

" ١٨ عاماً . "

أومات مدام ديليس برأسها قائلة : " جيد ، أعتقد أن زبائنى

سيحبونك . هل لديك أسرة تقيمين معها فى باريس ؟ "

" كلا . "

" ممتاز ، هل أنت مستعدة للعمل حالاً ؟ "

تشعر بالتعب والجوع . كانت قد تركت حقيبتها وكيس نقودها عند مدام ديليس ، ولكنها لم تكن تنوى العودة لاستردادها : بل سترسل في طلبهما لاحقاً .

لم تشعر نويل بالصدمة أو الحزن مما حدث ، كانت ببساطة تعرف الفرق بين الخيليات والمحظيات من ناحية ، والعاشرات من ناحية أخرى . العاشرات لم يغيرن مجرى التاريخ ؛ بل المحظيات هن من قمن بذلك . ولكن الآن ليس معها سنت واحد . كان عليها أن تجد طريقة لكي تعيش ، حتى تحصل على وظيفة غداً . لاح المغيب في الأفق ، وبدأ التجار والبوابون في الفنادق في الانشغال في وضع الستائر السوداء لحمايتها من أى غارة جوية محتملة . لحل مشكلتها الحالية ؛ كانت نويل تحتاج إلى أن تجد من يشتري لها وجبة عشاء ساخنة . سألت ضابط المرور عن الاتجاهات ، ثم اتجهت إلى فندق كريلون . كان الفندق من الخارج مغطى بغطاء حديدي على كل النوافذ ، ولكن من الداخل كانت صالة الاستقبال تحفة فنية من الأناقة الخاضعة لظروف الحرب . كان كل شيء فى غاية الروعة ؛ ولكن أقل من المعتاد فى البهاء والرونق . سارت نويل بكل ثقة ؛ وكأنها تنتمى إلى هذا المكان ، وجلست على كرسي فى مواجهة المصعد . لم تكن قد فعلت هذا من قبل ، ولذلك كانت متوترة قليلاً ، ولكنها تذكرت سهولة التعامل مع أوجست لانشون . الرجال بالنسبة لها غير معقدين ، ومن السهل فهمهم . كان يوجد درس واحد على الفتاة أن تذكره : " يكون من السهل قيادة الرجل عند استئثارته ، ومن الصعب قيادته عندما يهدأ " . ولذلك من الضروري أن تثيره حتى تحصل على ما تريد . أخذت تنظر حول قاعة الاستقبال حتى قررت أنه من السهل جذب انتباه رجل فى طريقه إلى تناول العشاء وحيداً .

" أرجو المذرة يا آنسة "

قالت نويل بحماس : " أوه ، نعم " .
جاءت من الطابق العلوى أصوات الضحكات ، وبعد لحظة واحدة نزلت من على السلم فتاة ذات شعر أحمر فى أحضان رجل بدين فى الخمسينيات من العمر . كانت الفتاة ترتدى قميص نوم شفافاً كالغلالة الرقيقة .

بادرته مدام ديليس بالسؤال : " هل انتهيت بالفعل ؟ " .
قال الرجل وهو يبتسم : " لقد أنهكت أنجيلا معى الليلة " .
ثم رأى نويل ، وقال : " من هذه الجميلة الصغيرة ؟ " .
قالت مدام ديليس : " تلك هى إيفيت ، الفتاة الجديدة " .
وأضافت بدون تردد : " إنها ابنة أميرة من قبيلة أنتابيس " .
تعجب الرجل قائلاً : " لم أصاحب أميرة من قبل ، ما سرها ؟ "

" ٥٠ فرنكاً " .
" لا بد أنك تمزحين . ٣٠ فرنكاً تكفى " .
" ٤٠ فرنكاً ، وصدقنى إنها تستحق " .
" اتفقنا " .

اتجهت إلى نويل ، ولكنها قد اختفت .

ظلت نويل تجوب شوارع باريس لعدة ساعات . سارت عبر شارع الشانزليزيه جيئةً وذهاباً من رصيف إلى آخر ، وتجولت عبر ليدو أركاد ، توقفت أمام كل محل لمشاهدة المعروضات من الملابس والمجوهرات والمنتجات الجلدية والعلطور ، وتعجبت . تساءلت كيف كان شكل باريس قبل نقص الوارد بسبب الحرب . كانت البضائع المعروضة فى المحلات مذهلة ، كانت تشعر بالدهشة ، كان جزء آخر منها يعرف أنه يوماً ما ستكون كل تلك الأشياء ملكاً لها . عبرت شوارع بوا وفوبورج سانت أوتريه و فيكتور هوجو ، حتى بدأت

رفعت نویل رأسها لترى رجلاً ضخمًا يرتدى حلة سوداء . لم تر مخبراً سرياً في حياتها من قبل ، ولكنها لم تشك للحظة في قدراتها .
 " هل الآنسة تنتظر أحداً ؟ "
 قالت نویل بنبرة توحى بالثبات والهدوء : " نعم أنا في انتظار صديق "
 شعرت فجأة وبحدة بفستانها المكروش ، وأنها لا تحمل أى حقيبة أو كيس نقود .
 " هل صديقك من نزلاء الفندق ؟ "
 شعرت بالفرع يسرى في جسدها : " هو ... ليس هكذا " .
 تفحص الرجل وجهها للحظات ، ثم قال بلهجة صارمة : " هلا أعطينى إثبات شخصيتك ؟ "
 قالت متلعثمة : " ليس معى أية أوراق ، لقد فقدتها " .
 قال المخبر : " ربما ستأتين معى يا آنسة " . ثم قبض عليها من ذراعها ، وقامت من مجلسها .
 فى تلك اللحظة قبض على ذراعها رجل آخر ، وقال : آسف أننى تأخرت يا عزيزتى ، ولكنك تعرفين جو الحفلات ، حيث يتعين على المرء الخروج منها بصعوبة . هل انتظرتنى لوقت طويل ؟ "
 التفتت نویل فى دهشة لكى ترى المتحدث . كان رجلاً طويلاً ورشيقاً ووسيماً ، ويرتدى زياً عسكرياً غير مألوف لها . كان شعره أسود يميل إلى الزرقة ، وأنفه قصيراً ، ولون عينيه كالبحر الهادر الداكن ، وله رموش كثيفة وطويلة . كانت ملامحه كملامح الرجال المطبوعين على العملات القديمة فى فلورنسا . كان وجهه غير متساو من الناحيتين ، وكأن من سك العملة قد أخطأ فى رسم الصورة . كان وجهه مغمماً بالحيوية والحركة ، وكأنه مستعد على الدوام للابتسام والضحك والعيوس . والشئ الوحيد الذى حال دون أن يبدو جماله أنثوياً هو ذقنه الذكورى القوى الذى يحتوى على غمارة عميقة .

أشار الرجل إلى المخبر قائلاً : " هل يزعجك هذا الرجل ؟ " كان الرجل يتحدث بصوت عميق ، وبلكنة تدل على أنه ليس فرنسياً .
 قالت نویل : " كلا " . بصوت تشوبه الحيرة والدهشة .
 قال مخبر الفندق : " أرجو قبول اعتذارى يا سيدى ، لقد أسأت فهم الموقف ، فلدينا مشكلة مؤخراً مع المتطفلين " . ثم اتجه إلى نویل قائلاً : " أرجو قبول اعتذارى يا آنسة " .
 توجه الغريب إلى نویل قائلاً : " والآن : لا أعرف ، ما رأيك ؟ " .
 ازدردت نویل لعابها ، وأومات برأسها سريعاً .
 توجه الرجل إلى المخبر قائلاً : " سوف تكون الآنسة كريمة معك وتسامحك ، لكن راقب سلوكك فى المستقبل " .
 ثم أمسك بذراع نویل ، وخرجا من الباب .
 عندما وصلا إلى الشارع قالت نویل : " أنا .. لا أعرف كيف أشكرك يا سيدى " .
 قال الغريب مبتسماً : " أنا أكره رجال الشرطة ، هل تريدان أن أحضر لك سيارة أجرة ؟ " .
 نظرت إليه نویل فى فزع من التجربة السابقة . وقالت : " لا " .
 " حسناً ، عمت مساءً " . ثم اتجه إلى الرصيف لاستدعاء تاكسى ، وعندما هم بالركوب التفت ، ووجدها مازالت واقفة ، ثابتة فى مكانها تحديق إليه . كان المخبر على باب الفندق يراقب ما يحدث ، فتردد الرجل ، ثم قال لها : " من الأفضل أن تبتعدى عن هنا ، لأن صديقنا المخبر يراقبك " .
 قالت له : " ليس لدى مكان أتوجه إليه " .
 أوماً برأسه ، وهم بإخراج بعض النقود من جيبه .
 قالت سريعاً : " لا أريد أية أموال " .
 نظر إليها فى دهشة ، وقال : " ماذا تريدان إذن ؟ "
 " أن أتناول العشاء معك " .

قال موضحاً : " أنا أنتمى للجيش الإنجليزى ، فلقد قاموا بتشكيل فرقة من الطيارين الأمريكيين تسمى " فيلق النسر " .

" ولماذا تحارب من أجل إنجلترا ؟ "

" لأنها تحارب من أجلنا ، ولكن الأمر غير معروف حتى الآن " هزت نويل رأسها قائلة : " لا أصدق ذلك ، فهتلر مهرج كبير " ربما يكون مهرجاً ، لكنه يعرف ما يريد الألمان ، وهو أن يحكموا العالم " .

استمعت نويل له بانبهار . بينما أخذ لارى يناقش استراتيجيات هتلر العسكرية ، وانسحابه المفاجئ من عصبة الأمم ، واتفاقية الدفاع المشترك بين ألمانيا واليابان وإيطاليا . لم يأت انبهار نويل مما قال ، بل إنها كانت مستمتعة برؤية وجهه وهو يتحدث . كانت عيناه السوداوان تلمعان بالحماس أثناء تحدثه ، وكانتا مغمغمتين بالحيوية والقوة التى لا تقاوم .

لم تقابل نويل رجلاً مثله من قبل . كان رجلاً نادراً جداً - مسرفاً وكريماً قى تدليل نفسه . كان متفتحاً ودافئاً ، ومليئاً بالحيوية ، ويتحدث عن نفسه ، ويستمتع بالحياة ، ويتأكد أن من حوله يستمتعون بها . وكأنه مغناطيس يجذب إلى مجاله كل من يقترب منه .

وصلا إلى الحفل الذى كان فى شقة صغيرة ، فى شارع " الطريق الأخضر " . كانت الشقة مليئة بالضحكات والصياح ، والناس معظمهم من الشباب . قدم لارى نويل للمضيفة صاحبة الحفل ، والتى كانت امرأة فاتنة ومثيرة ، وكان شعرها أحمر ، ثم قدمها للضيوف . ظلت نويل تلاحقه بنظراتها طوال الليل ، كان محاطاً بالفتيات اللاتي حاولن لفت انتباهه لهن ، لكنه لم يكن مغروراً كما لاحظت نويل ، وكأنه ليس على وعى بمدى جاذبيته . أحضر أحدهم شرباً إلى نويل ، وأحضر لها آخر طبق طعام من البوفيه ، لكنها فجأة لم تعد تشعر بالجوع . بل أرادت أن تبقى بصحبة الأمريكى الوسيم ، بعيداً عن الفتيات اللاتي

ابتسم وقال : " للأسف لدى موعد ، ولقد تأخرت بالفعل " قالت له : " إذن اذهب إلى موعدك ، وسأكون بخير " .

أعاد المال إلى جيبه ، وقال : " كما تريد يا عزيزتى ، الوداع " . ثم سار إلى التاكسى . ظلت نويل تلاحقه بنظراتها ، وهى تتساءل : لماذا هى ليست على ما يرام ؟ لقد تصرفت بغباء ، ولكن لم يكن لديها البديل لكى تفعل شيئاً سوى ما حدث . منذ اللحظة التى رآته فيها شعرت برد فعل لم تعرفه من قبل ، موجة من الانفعالات القوية الملموسة . لم تعرف اسمه ، وغالباً لن تراه مرة أخرى . نظرت نويل إلى القندق ، ورأت المخبر يتجه ناحيتها . كان الخطأ خطأها ، ولكن هذه المرة لم تتمكن من الابتعاد . شعرت بيد على كتفها ، واستدارت لترى نفس الرجل يأخذها من ذراعها ، ويدفعها إلى داخل التاكسى بعد أن فتح الباب ، ثم جلس بجوارها . أعطى العنوان للسائق الذى انطلق تاركاً وراءه المخبر على الرصيف فى حالة ذهول . قالت نويل : " ماذا عن موعدك ؟ "

قال الرجل دون اكتراث : " إنه حفل ، ولن أخسر شيئاً إذا فاتنى . اسمى لارى دوغلاس . ما اسمك ؟ "

" نويل باج " .

" من أين أتيت يا نويل ؟ "

نظرت إلى عينيهِ السمراوين اللتين يشع منهما الذكاء ، وقالت : " أنا من أنتابيس ، ابنة أمير هناك " .

ضحك الرجل ، وظهرت أسنانه البيضاء المتساوية ، وقال : " هذا من حسن حظك أيتها الأميرة " .

" هل أنت من إنجلترا ؟ "

" بل أنا أمريكى " .

نظرت إلى الزى العسكرى ، وقالت : " أمريكا ليست فى حالة حرب " .

"هل تتذكرين مكان المنزل ؟"

"نعم ."

"هيا أميرتي ."

عندما وصلا للمنزل فى شارع بروفنس ، فتحت الباب نفس الخادمة ، ولعت عينها عندما رأت الأمريكى الوسيم ، ثم اسودت عندما رأت الفتاة بجواره .

قال لارى : " نريد مقابلة مدام ديليس " ثم دخل مع نويل إلى قاعة الاستقبال . كانت هناك فتيات كثيرات فى حجرة الجلوس المجاورة . تركتهما الخادمة ، وبعد دقائق جاءت مدام ديليس قائلة : " مساء الخير يا سيدى " ، وقالت لنويل : " أتمنى أن تكونى قد غيرت رأيك " .

قال لارى بمرح : " كلا لم تغير رأيها . لديك ما يخص الأميرة " . نظرت إليه مدام ديليس ، وعلى وجهها علامات استفهام ثم قالت :

" أتقصد حقيبتها وكيس نقودها ؟ "

"نعم ."

ترددت مدام ديليس للحظات ، ثم غادرت الحجرة . بعد بضع دقائق جاءت الخادمة وهى تحمل الحقيبة وكيس النقود . قال لارى للخادمة : " شكراً لك " ثم التفت إلى نويل قائلاً : " هيا بنا يا أميرة " .

فى تلك الليلة انتقلت نويل للإقامة مع لارى فى حجرته بالفندق فى شارع لافايت ، وقد كانت الحجرة صغيرة ونظيفة . لم يتم مناقشة الأمر ، فلم يكن هناك مفر من ذلك بالنسبة لكليهما . عندما مارسا الحب فى تلك الليلة ، كان شيئاً مثيراً لم تعرفه نويل من قبل ، كان الأمر عبارة عن انفجار مثير بدائى هز الأرض تحت أقدامهما .

أحطن به . حاول الرجال التحدث معها ؛ ولكنها كانت مشغولة بأشياء كثيرة فى ذهنها ؛ فبمجرد دخولها المكان تجاهلها الأمريكى تماماً ؛ وكأنها غير موجودة ، فسألت نفسها : " لماذا ؟ " ، نعم ، لماذا يهتم بأمرها طالما أنه يمكن أن يحظى بأية فتاة من الحفل ؟ حاول أن يتحدث معها رجلان ، لكنها لم تركز معهما . فجأة أصبح الجو فى الحجرة حاراً وخانقاً ولا يطاق ، فحاولت العثور على وسيلة للهروب . فجأة همس لها لارى : " هيا بنا نذهب " ، وبعد مرور بضع دقائق خرجا إلى الشارع فى الهواء الطلق . كانت المدينة مظلمة وهادئة أمام طائرات الألمان ، وكانت السيارات تمر عبر الشوارع كالسمك الصامت فى البحر الأسود .

لم يتمكن من استدعاء تاكسى ، ولذلك سارا عبر الطريق ، وتناولوا العشاء فى مطعم صغير فى ميدان النصر ، حيث كانت نويل تتصور جوعاً . ظلت تدرس ملامح الأمريكى الجالس أمامها . بدا الأمر ، وكأنه تطرق إلى نبع عميق بداخله لم تكن تعلم بوجوده . تحدثا معاً عن كل شيء . أخبرته بتاريخ حياتها ونشأتها ، وأخبرها أنه من مدينة بوسطن ، وأنه من أصل أيرلندى من ناحية الأم .

قالت نويل : " أين تعلمت أن تتحدث الفرنسية بطلاقة ؟ "

" اعتدت قضاء الصيف فى " كاب دانتيس " عندما كنت طفلاً ، كان أبى رجل أعمال فى البورصة حتى فشل أمام حيتان البورصة . " " حيتان ؟ "

بدأ لارى يشرح لها الطرق المبهمة السرية لبورصة أمريكا . لم تهتم نويل بما كان يقوله طالما أنه يستمر فى التحدث .

" أين تسكنين ؟ "

قالت له : " ليس لدى مكان للمبيت . " ثم أخبرته بقصة سائق التاكسى ، ومدام ديليس ، والرجل البدين الذى ظن أنها أميرة ، وطلبها مقابل ٤٠ فرانكاً ، فضحك لارى بصوت مرتفع .

استيقظا في الصباح ، ثم خرجا لاستكشاف المدينة . قام لارى بدور مرشد سياحي بشكل ممتاز ، وكأنه جعل باريس لعبة جميلة للترفيه عن نويل . تناولوا الغداء في مطعم تويلريز ، وقضيا فترة العصر في مال ميوزون . وقضيا ساعات أمام الميدان المسمى دى فوزاج فى حتى نوتردام فى أقدم حى فى باريس بنه الملك لويس الثالث عشر . لقد جعلها تشاهد أماكن لا تطوُّها أقدام السياح ، مثل السوق ذى الألوان المختلفة فى شارع موبير ووصيف الميناء فى منطقة مجيسيرى الملىء بأقفاص الطيور ذات الألوان الزاهية البراقة ، والحيوانات العجيبة التى لا تكف عن الصياح . ذهب بها إلى سوق بوسى ، واستمعا إلى ضجيج الباعة الجائلين الذين يصيحون بمزايا بضائعهم من الطماطم الطازجة والمحار المختلط بأعشاب البحر ، والجبن المدون عليه الأسعار والأنواع . تناولوا العشاء فى مطعم باتوموش ، وتناولوا حساء البصل فى الرابعة صباحاً فى منطقة ليزهال مع الجزارين وسائقي الشاحنات . قبل أن ينتهى اليوم كان لارى قد اكتسب صداقات كثيرة بسبب موهبته التى تتمثل فى قدرته على الضحك . لقد علمها كيف تضحك ، ولم تكن تعرف أن لديها هذه الموهبة التى حباها بها الله . كانت ممثلة لـ " لارى " ووقعت فى غرامه . عادا للفندق قبيل الفجر . كانت نويل تشعر بالتعب ؛ ولكن لارى كان مفعماً بالطاقة كالمحرك الذى لا يهدأ أبداً . استلقت نويل على الفراش تراقبه ، وهو يطل من النافذة ليرى سطوع الشمس على أسقف مباني باريس .

قال لارى : " أنا أحب باريس ، فهى كالمتحف الذى يحوى أجمل وأفضل ما صنعه الإنسان ، فهى مدينة الجمال والطعام والحب . " ثم اتجه إليها قائلاً وهو يبتسم : " ليس بالضرورة بهذا الترتيب . "

فكرت نويل فى أبيها وكيف خانها . كانت مخطئة أنها أطلقت حكمها على كل الرجال وفقاً لأبيها وأوجست لانشون . عرفت الآن أنه يوجد رجال مثل لارى دوجلاس . ولن ترضى عنه بديلاً .

سألها : " هل تعرفين أعظم رجل يا أميرتى ؟ " .
قالت : " أنت " .

" بل الأخوان ويلبور وأورفيل رايت ، لأنهما اخترعا الطائرات التى حققت للإنسان الحرية . هل سافرت بالطائرة من قبل ؟ " . هزت رأسها بالنفى . كان لدينا منزل صيفى - فى نهاية لونج أيلاند - وعندما كنت طفلاً اعتدت مشاهدة طيور النورس ، وهى تطير على الشاطئ مع أمواج البحر ، وددت لو أتمكن من الطيران مثلها . عرفت أنني أريد أن أصبح طياراً قبل أن أتمكن من التحدث كطفل . اصطحبني صديق للأسرة فى طائرته القديمة التى تتسع لراكبين عندما كنت فى التاسعة من عمري . ثم تلقيت أول درس فى الطيران فى سن الرابعة عشرة . أشعر أنني مقعم بالحياة حقاً عندما أطيّر .
استمر بينهما الحوار حتى قال لارى :

" ستكون هناك حرب عالمية . تريد ألمانيا الاستيلاء على العالم " .
" لن تقهر فرنسا يا لارى ، فلا أحد يمكنه عبور خط ماجينو " .

قال ساخراً : " لقد عبرته مئات المرات " نظرت إليه فى حيرة فقال : " ستكون الحرب جوية يا أميرتى ... أى حرب فى مجال الفضل " .

وبعد دقائق ، وأثناء حديثهما قال دون اكتراث : " لم لا نتزوج ؟ " كانت تلك أسعد لحظات حياتها .

كان يوم الأحد التالى يغرى بالكسل والاسترخاء . تناولوا الإفطار فى مطعم صغير مفتوح فى مونتمارتر ، ثم عادا إلى الفندق ، وقضيا اليوم يكمله على الفراش . لم تصدق أن هناك من هو أسعد منها فى الدنيا كلها . كان هناك سحر خاص كلما مارسا الحب ، كانت راضية فقط بالاستلقاء والاستماع لـ " لارى " وهو يتحدث ، وتشهده وهو يتحرك

كثيراً بدون توقف في الحجرة . كان يكفيها فقط البقاء بجواره . كانت خاتمة الأمر غريبة بالنسبة لها ، وما آلت إليها ظروفها ، لقد نشأت كأميرة في منزل أبيها ، والآن على سبيل المزاح يطلق عليها لارى لقب أميرة . عندما كانت مع لارى كانت تشعر بكيانها ووجودها . لقد أعاد لها ثقتها المفقودة في الرجال . كان لارى هو عالمها الأوحده ، ولن تحتاج إلى أى شئ آخر . كان لا يبدو من المعقول أن تكون محظوظة إلى هذا الحد . وكان لارى يشعر بنفس الإحساس تجاهها .

قال لها : " لم أكن أخطط للزواج إلا بعد انتهاء الحرب ، لكن لا يهمنى ذلك . فالخطط يتم وضعها ، ثم يتم تغييرها ، أليس كذلك يا أميرتى ؟ "

أومأت برأسها ، وكانت مقععة بالسعادة التي كادت تنفجر بداخلها .

" لن تزوج في الريف ، إلا إذا كنت تريدين إقامة حفل زفاف كبير . "

هزت نوبل رأسها بالنفي قائلة : " الزواج في الريف فكرة رائعة . "

أوما برأسه قائلاً : " اتفقنا . سأضطر للعودة للجيش الليلة . نتقابل الأسبوع القادم هنا . ما رأيك ؟ "

قالت نوبل بصوت مهزوز : " لا ... لا أعرف كيف سأطبق ابتعادك عنى طوال هذه المدة . "

احتضنها لارى ، وقال : " أتحبيننى ؟ "

قالت ببساطة : " أكثر من نفسى . "

بعد ساعتين ذهب لارى في طريقه للسفر إلى إنجلترا . لم يجعلها تصطحبه إلى المطار قائلاً : " لا أحب الوداع . " أعطاه حفنة من الفرنكات قائلاً : " اشترى فستان الزفاف يا أميرتى . أريد أن أراك الأسبوع القادم ، وأنت ترتدينه . " ثم رحل .

قضت نوبل الأسبوع التالى في حالة من النشوة والسعادة ، كانت تذهب للأماكن التي ذهبت إليها معه ، وتقضى الساعات تحلم بحياتها معاً . كانت الأيام تمر ببطء شديد جداً ، وكأن الدقائق تمضى على مضض . وكأنها ترفض الحركة ، حتى ظنت نوبل أنها على حافة الجنون .

ذهبت إلى عشرات المتاجر للبحث عن فستان الزفاف ، وفي النهاية وجدت ما تريد بالضبط في محل " مادلين فيونيت " . كان فستاناً أبيض فخماً وجميلاً ، له رقبة عالية ، وأكمام طويلة ، ومجموعة أزوار من اللؤلؤ ، ومبطنة بطانة ثلاثية من المنطقة العلوية . كان ثمنه أغلى مما توقعت ، لكنها لم تتردد . لقد أنفقت كل ما أعطاه لارى من مال علاوة على مدخولاتها الخاصة . كان كيانها كله يدور حول لارى . أخذت تفكر في أى طريقة لكى تسعده بها ، وأخذت تفكر في المكريات والتقصص للترفيه عنه عندما يأتى ، وشعرت أنها هازلت طالبة في المدرسة .

انتظرت نوبل حتى اليوم المتفق عليه ، وكاد صبرها ينفد ، وعندما جاء اليوم الموعد سهرت حتى الفجر ، وقضت ساعتين في الاستحمام وارتداء الملابس . حيث كانت ترتدى الزى ، ثم تغيره في محاولة لتحسين الزى المناسب الذى سيسعد لارى . ارتدت فستان الزفاف ، ثم خلعتة سريعاً ، لأنها اعتقدت أن ارتدائه قبل الفرح يجلب سوء الحظ . كانت محمومة من فرط الإثارة .

في الساعة العاشرة وقفت نوبل أمام المرآة في حجرة النوم ، وأدركت أنها لم تبد أجمل من تلك الساعة . لم يكن هناك غرور في تقديرها لذاتها ، كانت سعيدة من أجل لارى ، فهي كالهديّة له من السماء . جاء الظهر ولم يظهر لارى ، وقالت يا ليتة أخبرها بموعد وصوله ! ظلت تتحدث إلى الاستقبال في الفندق لترى إذا ما ترك لها رسالة أم لا ، وكل عشر دقائق ظلت ترفع سماعة الهاتف للتأكد من أنه

صرخت نویل قائلة : " لقد تحدثت إليهم بالفعل ! " وبدأت تبكى وتنتحب ، فقال لها الرجل الذى كان يحادثها وهو يشعر بالإحراج : " اهدئى يا آنسة . لن تسوء الأمور إلى هذا الحد . ابقى معى على الخط لمدة دقيقة واحدة " .

ظلت نویل ممسكة بالساعة ، وهى تعرف أنه لا أمل ، واعتقدت أنه مات ، ولن تتحقق من ذلك أبداً ، وكانت على وشك غلق الساعة عندما تحدث الصوت مرة أخرى بمرح : " أنت يا آنستى تريدين فيلق التسور ، قاعدتهم فى يورك شاير ، سأوصلك الآن بالمجال الجوى لهم فى تشيرش فنتون ، وسيتمكن الرجال هناك من مساعدتك " . ثم انقطع الخط .

بحلول الساعة الحادية عشرة ليلاً جاءت المكالمة ، وسمعت صوتاً لا يبدو آدمياً يقول : " هنا القاعدة الجوية تشيرش فنتون ، لكن الصوت كان سيئاً جداً ، وكانت نویل بالكاد تسمعه . كان الصوت يبدو وكأنه قادم من أعماق البحر . كان يعانى من صعوبة فى سماع صوتها فكان يقول : " ارفعى صوتك من فضلك " . فى تلك اللحظة كانت أعصابها على وشك الانهيار ، وبالكاد كانت تتحكم فى صوتها .

لم تكن تعرف رتبته ، هل كان ملازماً أم قائداً أم غير ذلك ؟ فقالت : " أريد التحدث إلى لارى دوجلاس . أنا خطيبته " . " لا يمكننى سماعك يا آنسة ، هلا تحدثت بصوت مرتفع ؟ " .

فى لحظة فرغ رهيب صرخت نویل بنفس العبارة مرة أخرى ، لأنها كانت متأكدة أنه يخفى عنها خبر موت لارى . حدثت المعجزة ، والخط أصبح واضحاً ، وكأن الرجل فى الحجرة المجاورة ، فقال : " هل تصدين الملازم لارى دوجلاس ؟ " .

قالت : " نعم " ، وكانت تتحكم بشدة فى انفعالاتها " انتظري دقيقة يا آنسة " .

يعمل . بحلول الساعة السادسة مساءً لم تصل أية رسالة منه . عند حلول منتصف الليل لم يتصل بها هاتفياً . جلست نویل على المقعد منكمشة ، وهى تحقق إلى الهاتف ، وتريده أن يرن . ثم غلبها النوم وعندما استيقظت كان الفجر قد بزغ ، وجاء يوم جديد . كانت لا تزال قابعة فى المقعد . وتشعر بالتعبس والبرد . تكرمش الرداء الذى اختارته بعناية ، وكان هناك تمزق صغير فى جوربها .

قامت بتغيير ملابسها ، وظلت فى حجرتها طوال اليوم ، وجلست أمام النافذة المفتوحة ، وهى تخبر نفسها أنها لو جلست هنا فسيظهر لارى ، وإذا تركت هذا المكان فسيحدث له مكروه . بمجىء الظهيرة تيقنت أنه قد تعرض لحادث . ربما تحطمت طائرته ، وهو الآن مستلق فى الميدان أو المستشفى جريحاً أو مقتولاً . امتلأ ذهنها بالرؤى البشعة للموت ، وظلت ساهرة طوال الليل يكاد يقتلها القلق . وخائفة من أن تغادر الفندق بدون أن تعرف كيف تصل إليه .

عندما لم يصلها منه أى خبر فى اليوم التالى ، لم تتمكن من تحمل هذا الوضع أكثر من اللازم . يجب أن تتصل به هاتفياً . ولكن كيف ؟ فى ظل ظروف الحرب كان من الصعب إجراء مكالمات دولية ، وهى لم تكن متأكدة من مكان لارى . كل ما تعرفه أنه فى سلاح الطيران الأمريكى التابع لجيش إنجلترا . التقطت سماعة الهاتف ، وتحدثت مع عامل التحويل ، فقال لها : " من المستحيل يا آنسة " .

شرحت نویل الموقف له ، ورغم نبرة صوتها واليأس المحموم فيه لم تعرف أبداً ، ولكن بعد ساعتين كانت تتحدث مع وزارة الحربية فى لندن ، لكنهم لم يتمكنوا من مساعدتها ، وحولوها لوزارة الدفاع الجوى الذين حولوها إلى غرفة عمليات المقاومة ، حيث انقطع الاتصال قبل أن تحصل على أية معلومات . بعد مرور أربع ساعات عاد الاتصال وكانت هى على وشك الإصابة بحالة من الهستيريا ، لم يتمكنوا من مساعدتها واقترحوا وزارة الحربية .

انتظرت نويل للحظة بدت وكأنها الدهر ، ثم عاد الصوت إلى الخط : " الملازم دوجلاس فى إجازة نهاية الأسبوع ، إذا كان الأمر عاجلاً يمكن الوصول إليه فى قاعة حفلات فندق سافوى فى حفل الجنرال ديفيز " ثم انقطع الخط .

عندما جاءت الخادمة إلى الحجر ، لكى تنظيفها صباح اليوم التالى وجدت نويل مغشياً عليها ، وملقاة على الأرض . حذقت الخادمة إليها للحظة ، وحاولت الاستسلام لإغراء الابتعاد ، ومغادرة الحجر . لماذا تحدث تلك الأشياء دائماً فى حجراتها ؟ ذهبت وتحسست جبهة نويل . ووجدتها تغلى من السخونة . قامت وهى تزمرجر ، وذهبت على مضض لقاعة الاستقبال ، وطلبت من حامل الحقائق استدعاء المدير . بعد ساعة جاءت سيارة الإسعاف إلى باب الفندق وجاء طبيبان تحت التمرين يحملان المحفة ، وقامت عاملات الفندق ، بإرشادهما إلى حجر نويل الفاقدة وعيها . حاول أحدهما رفع جفن عينيها ، ووضع سماعة الطبيب على صدرها ، واستمع إلى تنفسها الثقيل ، وهو يصدر صوتاً ثقيلاً ، وقال : " التهاب رئوى ، دعنا نخرجها من هنا " .

رفعا نويل على المحفة ، وبعد خمس دقائق أسرع عربة الإسعاف إلى المستشفى ، وتم وضع نويل فى غرفة الإنعاش ، ولقد استعادت وعيها بالكامل بعد أربعة أيام . أجبرت نفسها على الخروج من غياهب النسيان ، وهى تعلم فى عقلها الباطن أن ثمة شيئاً بشعاً قد حدث وهى تجاهد لكيلا تتذكره . لاحقاً بدأ هذا الشيء يتضح شيئاً فشيئاً ، وظلت تحاول الابتعاد عنه ؛ لكنه قفز إلى ذهنها بوضوح تام : لارى دوجلاس . بدأت نويل فى البكاء والتحيز حتى استغرقت فى النوم . شعرت بيد تلمسها برفق ، كانت تعرف أن لارى سيعود إليها ، وسيكون كل شيء على ما يرام . فتحت عينيها ، ووجدت شخصاً غريباً يرتدى الزى الأبيض ، وهو يقيس نبض القلب ، ثم قال بمرح : " حسناً ، لقد عدت إلى الحياة ! " .

قالت نويل : " أين أنا ؟ " .

" أنت فى مستشفى المدينة : " لوتيل ديو " .

" ما الذى أفعله هنا ؟ " .

" أنت هنا لتحسين صحتك ، كنت تعانين من التهاب رئوى حاد . اسمى هو إيزرايل كاتس " . كان طبيباً شاباً ، وله وجه قوى تبدو عليه ملامح الذكاء ، وله عينان باللون البنى الداكن .

" هل أنت طبيب ؟ " .

قال مبتسماً : " أنا طبيب تحت التمرين ، وأنا الذى أحضرك إلى هنا ، أنا سعيد لأنك نجوت ، لم تكن متأكدين من ذلك " .

" كم يوماً مكثت هنا ؟ " .

" أربعة أيام " .

قالت بضعف : " هلا قدمت لى خدمة ؟ " .

" لو كانت فى إمكاني " .

" هلا اتصلت هاتفياً بالفندق لكى تسأل هل توجد رسائل متروكة لى أم لا ؟ " .

" حسناً ، لكننى مشغول جداً و ... " .

ضغطت على يديه بعنف ، وقالت : " من فضلك هذا أمر عاجل ، فخطيبى يحاول الاتصال بى " .

ابتسم قائلاً : " لا ألومه ، حسناً سأهتم بالأمر . حاولى النوم الآن " .

" ليس قبل أن تأتبنى بالخبر اليقين " .

غادر الطبيب ، وظلت نويل فى حالة انتظار ، وقالت لنفسها إن لارى ظل يحاول الاتصال بها ، ولا بد أن ثمة شيئاً فظيماً قد حدث ، أو سوء فهم قد حدث ، وسوف يشرحه لها ، ويصبح كل شيء على ما يرام .

عاد كاتس بعد ساعتين ، وذهب إلى فراشها ، ومعه حقيبتها التي وضعها على الأرض قائلاً : " أحضرت لك ملابسك ، وذهبت إلى الفندق بنفسى " .

نظرت إليه ورأى وجهها يتصلب من القرب ، فقال فى إحراج : " أنا آسف ، لم يكن هناك أية رسائل " .

ظلت نويل تحدد إليه مدة طويلة ، ثم استدارت بوجهها إلى الحائط ، وكانت عيناها متحجرتين .

غادرت نويل المستشفى بعد يومين وجاء كاتس ليودعها قائلاً : " هل لديك مكان للإقامة أو عمل تمارسينه ؟ " .

هزت رأسها بالنفى .
" هل تجيدين عمل أى شىء " .

" عملت فى عرض الأزياء " .
" قد أتمكن من مساعدتك " .

تذكرت سائق التاكسى ومدام ديليس ، فقالت : " لا أحتاج للمساعدة " .

كتب كاتس اسمه على ورقة ، وقال : " إذا غيرت رأيك فاذهبى لهذا المحل الخاص بالأزياء الذى تملكه عمتى . سأحدثك عنك معها .

هل لديك مال ؟ " .
لم تتمكن من الإجابة عليه .

أعطاهم بضعة فرانك من جيبه ، وقال : " للأسف لا أملك المزيد ، فالأطباء تحت التمرين يتقاضون مرتبات قليلة " .

" شكراً لك " .
جلسست فى المقهى تحتسى القهوة ، وهى تقرر إعادة ترتيب

حياتها . كانت تعلم أنها يجب أن تحيا ، فلديها سبب للحياة الآن . كانت تملؤها كراهية ، ومقت عميق مشتعل يدمر كل شىء ، ولا يترك

مكاناً فى قلبها لشيء آخر . كانت كطائر الرخ المنتقم الذى يصعد من الرماد الخاص بالمشاعر المحترقة التى قتلها لارى . فلن ترتاح إلا بعد أن تدمره ، لم تعرف كيف سيحدث ذلك ، ولا متى ، ولكنها كان لديها يقين من أنه سيحدث فى يوم ما .

الآن تحتاج لعمل ومكان تقيم فيه . فتحت حقيبة نقودها ، وأخرجت قطعة الورق التى أعطاه لها الطبيب الشاب . ظلت تدرسها لمدة دقيقة واحدة ، ثم قررت الذهاب إلى عمة كاتس ، وحصلت على وظيفة عارضة أزياء فى بيت أزياء صغير من بيوت الدرجة الثانية فى شارع " بورسو " .

كانت عمة كاتس امرأة فى الخمسينيات ، وشعرها رمادى اللون ، ولها وجه يبدو شريراً ، ولكن لها روح الملاك . كانت تعامل كل الفتيات فى المحل ، وكأنها أم لهن جميعاً وكن يعشقنها . كان اسمها مدام روز ، ولقد أعطت نويل جزءاً من راتبها مقدماً ، ووجدت لها شقة صغيرة قرب المحل . كان أول شىء فعله نويل وهى تفرغ حقيبتها هو تعليق فستان الزفاف أمام الدولاب ؛ لكى يكون أول ما تراه عند الاستيقاظ صباحاً ، وآخر شىء تراه عندما تخلع ملابسها للنوم .

كانت نويل تعلم أنها حامل قبل ظهور علامات الحمل ، وقبل إجراء اختبار تأكيد الحمل وقبل توقف الدورة الشهرية . شعرت بالحياة الجديدة تتكون فى أحشائها . وكانت ليلاً تستلقى على الفراش تحدد إلى السقف تفكر فى الأمر ، وفى عينيها لمعان يدل على متعة شرسة حيوانية .

فى أول يوم إجازة لها اتصلت نويل بـ " كاتس " ، وحددت معه موعداً على الغداء .

قالت له : " إننى حامل " .
" كيف عرفت ؟ هل أجريت الاختبارات للتحقق من ذلك ؟ " .

" لا أحتاج إلى الاختبارات "

هز رأسه بالنفي ، وقال : " الكثير من النساء يعتقدن أنهن حوامل ، ولكن يثبت عكس ذلك . كم يوماً مضى منذ آخر دورة شهرية لك ؟ "

تجاهلت سؤاله ، وقالت وقد نفد صبرها : " أريد مساعدتك " .
 حذق إليها قائلاً : " لكي تتخلصي من الجنين ؟ هل ناقشت والده ؟ "

" إنه ليس هنا "

" تعلمين أن الإجهاض ضد القانون ، سأقع في مشاكل " .
 تفرست نويل في وجهه للحظة واحدة ، وقالت : " ما المقابل الذي تريده ؟ "

تقلص وجهه في غضب ، وقال : " هل تظنين يا نويل أن كل شيء له سعر ؟ "

قالت : " بالطبع ، يمكن شراء وبيع أي شيء "

" وهل هذا يشملك أنت أيضاً ؟ "

" نعم ، لكنني غالية الثمن جداً . هل ستساعدني ؟ "

بعد تردد دام لفترة طويلة : " نعم ، لكنني أريد إجراء بعض الفحوصات أولاً " .
 اتفقنا "

في الأسبوع التالي رتب كاتس لـ " نويل " الذهاب لمعمل المستشفى .
 عندما ظهرت نتيجة التحاليل بعد يومين اتصل بها في مكان العمل وقال : " كنت على حق ، فأنت حامل " .
 " كنت أعلم ذلك "

" رتبت للقيام بعملية إجهاض لك بالمستشفى . أخبرتهم أن زوجك مات في حادث ، وأنت غير قادرة على الاحتفاظ بالطفل . موعد العملية السبت القادم "

" كلا "

" هل السبت يوم غير مناسب ؟ "

" أنا لست مستعدة للإجهاض بعد ، أردت فقط التأكد من أنني يمكنني الاعتماد عليك لكي تساعدني "

لاحظت مدام روز تغييراً في نويل ، ليس فقط تغييراً في جسمها ، بل تغييراً أعمق كثيراً ، متمثلاً في تألق ولعان داخلي يملأها . كانت نويل تسير والابتسامة لا تفارقها ، وكأنها تحتضن سراً جميلاً ورائعاً .

قالت مدام روز : " هل يوجد من يحبك وتحبينه . فالسعادة تشع من عينيك "

أومأت برأسها وقالت : " نعم يا سيدتي "

" إذا كان يعاملك جيداً فتمسكي به "

" بالطبع طالما أنا قادرة على ذلك "

بعد ثلاثة أسابيع اتصل بها كاتس : " لم أعرف ماذا قررت . هل تجاهلت موضوع الإجهاض ؟ "

" كلا ، فأنا أفكر فيه طوال الوقت "

" كيف تشعرين هذه الأيام ؟ "

" أنا في أحسن حال "

" لقد نظرت إلى النتيجة ، وأعتقد أننا يجب أن نبدأ في إجراء العملية "

" لست مستعدة بعد "

مرت ثلاثة أسابيع ، ثم تحدث معها كاتس مرة أخرى هاتفياً :
 " هيا نتناول العشاء مع الليلة "

" لا بأس "

قال إنه سوف ينتظرها في مقهى بسيط في شارع " شاكي بيش " ، وفكرت نويل في أن تقترح مطعمًا أفضل ، ولكنها تذكرت ما قاله لها عن أن الأطباء تحت التمرين لا يتقاضون أجرًا كبيراً .

كان في انتظارها عندما جاءت . ظلا يتحدثان عن كل شيء أثناء تناول الطعام ، وعندما وصلت القهوة بدأ كاتس يناقشها فيما يدور في ذهنه .

" ألا زلت تريدين إجهاض الطفل ؟ "

نظرت إليه في دهشة : " بالطبع . "

" إذن يجب إجراء العملية على الفور ، فأنت حامل منذ شهرين . "

هزت رأسها بالنفي ، وقالت : " ليس الآن يا كاتس . "

" هل هذا هو أول حمل لك ؟ "

" نعم . "

" دعيني أطلعك على أمر مهم يا نويل ؛ حتى ثلاثة شهور تكون عملية الإجهاض سهلة ؛ لأن الجنين لم يكن قد تشكل بعد ؛ ولكن بعد مرور ٣ شهور ... تكون عملية من نوع آخر وتصبح خطيرة . كلما انتظرت تصبح أكثر خطورة على حياتك . يجب أن تجرى العملية الآن . "

مالت نويل نحوه قائلة : " ما شكل الجنين . "

قال كاتس : " الآن ، مجرد خلايا كثيرة ؛ ولكن توجد نواة لإكمال شكل الجسم البشري بالكامل . "

" وبعد مرور ٣ شهور ؟ "

" يصبح للجنين شكل آدمي . "

" هل يشعر بالأشياء ؟ "

" يتجاوب مع الضربات والضجيج العالي . "

نظرت في عينيه ، وقالت : " هل يمكنه أن يشعر بالألم ؟ "

" أعتقد ذلك ، لكن يوجد كيس من الأحماض الأمينية يحميه ، ولن يؤذي شيء " كان قد بدأ القلق يساوره .

نظرت إلى أسفل على المنضدة ، وأطرقت في سكون تفكر .

نظر إليها لبرهة ، وقال بخجل : " إذا كنت تريدين الاحتفاظ بالطفل ، وخائفة ألا يكون له أب ... دعينا نتزوج ، ونكتب الطفل باسمي . "

نظرت له في دهشة ، وقالت : " أخبرتك من قبل أنني لا أريد هذا الطفل . أريد إجهاضه . "

صرخ كاتس : " إذن لنجر العملية الآن ! " ثم خفض صوته عندما رأى الناس تحمق إليه : " إذا انتظرت لفترة أطول فلن تجدى طبيباً في فرنسا يمكن أن يساعدك . ألا تفهمين ؟ قد تموتين أثناء العملية . "

قالت بهدوء : " أفهم ذلك ، ولكن إذا كنت أريد الاحتفاظ به ، فما النظام الغذائي المناسب لذلك ؟ "

حك شعر رأسه ، وهو حائر يفكر : " الكثير من اللبن والفاكهة ، واللحوم بدون دهون . "

في تلك الليلة وفي طريقها إلى المنزل توقفت عند السوق بجوار المنزل ، واشترت كمية كبيرة من اللبن ، وصندوقاً كبيراً من الفاكهة الطازجة .

بعد عشرة أيام ذهبت نويل لمكتب مدام روز ، وأخبرتها أنها حامل ، وطلبت إجازة طويلة .

قالت مدام روز وهي تتفحص جسد نويل : " ما مدة الإجازة التي تريدينها ؟ "

" ستة أو سبعة أسابيع . "

تنهدت مدام روز قائلة : " هل أنت متأكدة من أنك تقومين بما هو في صالحك ؟ "

" أنا متأكدة . "

" هل بإمكانني مساعدتك في أي شيء ؟ "

" كلا ، شكراً . "

" حسناً ، عودي إلينا بمجرد أن تتمكني من ذلك . سأطلب من الصراف إعطائك جزءاً من مرتبك القادم "

" شكراً يا مدام "

ظلت نويل لمدة أربعة أسابيع في شقتها ، لا تغادرها إلا لشراء مستلزماتاتها . لم تكن تشعر بالجوع ، وكانت تأكل أقل القليل لنفسها ، لكنها كانت تشرب كميات كبيرة من اللبن ، وتأكل كميات كبيرة من الفاكهة من أجل الطفل . لم تكن بمفردها في المنزل ، كان الرضيع معها ، وظلت تتحدث معه طوال الوقت . عرفت أن الطفل ذكر بمجرد علمها بأنها حامل . ولقد أسمته لارى .

كانت تقول وهي تشرب اللبن : " أريدك أن تكبر ، وتصير قوياً عندما تموت " . ظلت كل ليلة تستلقي على الفراش تخطط للانتقام من لارى وابنه . ما كان في جسدها ليس جزءاً منها بل يخصه ، ولذلك قررت أن تقتله . هذا هو الجزء الوحيد المتبقى منه معها ، وسوف تدمره كما حاول تدميرها .

لم يفهمها كاتس على الإطلاق ! لم تكن مهتمة بجنين لا شكل له ، ولا يعرف شيئاً . أرادت لابن لارى أن يشعر بما سيحدث له ، ويعاني مثل معاناتها . كان فستان الزفاف معلقاً بجوار الفراش الآن في مرمى البصر دائماً يذكرها بخيانتته . أولاً سأقضى على ابن لارى . ثم أحطم لارى نفسه .

ظل الهاتف يرن ، وظلت نويل مستلقيه على الفراش غارقة في أحلامها حتى توقف رنين الهاتف . كانت متأكدة أن كاتس يحاول الاتصال بها .

في إحدى الليالي سمعت طرقةً على الباب ، فتجاهلته وهي مستلقيه على الفراش ، ولكن الطرق استمر ، ولذلك نهضت متثاقلة ، وفتحت الباب .

كان كاتس واقفاً عند الباب ، وكان وجهه يعتريه القلق ، وقال : " ظللت أحاول الاتصال بك طوال الأيام الماضية " .

نظر إلى بطنها المستدير ، وقال : " ظننتك أجريت عملية الإجهاض في مكان آخر " .

هزت رأسها بالنفي ، وقالت : " كلا ، فأنت من سيجريها لي " .

حدق إليها قائلاً : " ألم تفهمي ما قلته لك ؟ فات الأوان ! لن يجريها أحد لك " .

رأى كاتس رجاجات اللبن الفارغة ، والفاكهة الطازجة على المائدة ، ثم نظر إليها مرة أخرى قائلاً : " أنت تريدين الطفل ، فلماذا لا تعترفين بذلك ؟ " .

أخبرني ما شكله الآن ؟ "

" من ؟ " .

" الطفل . هل لديه عينان وأذنان ؟ هل لديه أصابع في يديه وقدميه ؟ هل يمكن أن يشعر بالألم ؟ " .

" توقفى يا نويل .. أنت تتحدثين وكأنك ... " .

" ماذا ؟ " .

" لا شيء " ، هز رأسه في يأس وقال : " لا أفهمك " .

ابتسمت وقالت : " نعم لن تفهمنى " .

وقف لمدة دقيقة ، ثم قال بعد أن حسم أمره : " حسناً سأعرض نفسي للخطر من أجلك ، إذا كنت مصممة على الإجهاض ، فهناك صديق طبيب مدين لي بخدمة و ... " .

" كلا " .

حدق إليها في ذهول .

قالت : " لارى ليس مستعداً بعد " .

بعد ٣ أسابيع ، فى الساعة الرابعة صباحاً استيقظ كاتس بطرق عنيف على الباب من البواب الغاضب : " استيقظ ، هناك مكانة هاتفية لك ! أخبر من يتصل بك أننا فى منتصف الليل ، حيث ينام المحترمون من الناس ! "

نهض متثاقلاً من الفراش ، ونزل إلى الصالة ، وهو يترنح من النوم ، ووصل إلى الهاتف ، وهو يتساءل أى مصيبة قد حلت به ، ثم التقط السماعة .

" كاتس ؟ "

" نعم ؟ "

لم يدرك الصوت فى الطرف الآخر .
" الآن ... " كان الصوت هامساً غير واضح ، ولم يعرف من يحدثه .

" من المتحدث ؟ "

" تعال الآن يا كاتس . "

كان هناك ما يدعو للخوف فى نبرتها ، فكانت غير طبيعية ، حيث سرت رجفة فى بدن كاتس : " نويل ؟ "

" الآن ... "

قال غاضباً : " لن أقوم بعملية إجهاض الآن ، فات الأوان ، ستموتين ، ولن أتحمّل مسؤولية ذلك . اذهبي إلى المستشفى . "

أغلق الخط فى وجهه ، ولكنه ظل ممسكاً بالسماعة ، ثم وضع السماعة بعنف . وعاد لحجرتة ، وكان ذهنه يغلى من التفكير والغيظ . كان يعرف أنه لن يتمكن أحد من مساعدتها الآن حتى هو ، فهى حامل فى خمسة شهور ونصف ، ولقد حذرهما مراراً وتكراراً ، ولكنها رفضت النصيحة . حسناً فلتتحمل المسؤولية ، لن يتحملها هو .

ثم بدأ يرتدى ملابسه على عجل ، وهو يشعر ببرودة شديدة بسبب الخوف .

عندما دخل كاتس إلى شقتها وجدها راقدة على الأرض فى بحيرة من الدماء ، وكانت تنزف . كان وجهها أبيض ، وكأنها على وشك الموت ، لكن لم تظهر آثار الألم الذى يعتصر جسدها الآن . كانت ترتدى رداء الزفاف ، ومال كاتس إليها وقال : " ماذا حدث ؟ "

" كيف حدث ذلك .. " ثم توقف عندما رأى السماعة المعدنية المثنية الملتصقة بالدماء بجوار قدميها .
" يا إلهي ! " ، كان يغلى من الغضب ، وفى نفس الوقت يشعر بالإحباط وقلة الحيلة . كان النزيف مستمراً بشكل أسرع الآن ، ولم يكن هناك داع لتضييع أى وقت . هب واقفاً وقال : " سأتصل بالإسعاف . "

نهضت نويل ، وجذبت ذراعه بقوة تدعوه إلى الدهشة ، وجذبتة إليها قائلة :

" طفل لارى مات " ثم ابتسمت ابتسامة جميلة أنارت وجهها .
حاول فريق مكون من ستة أطباء لمدة خمس ساعات إنقاذ حياة نويل . كان التشخيص حالة تسمم ، وجرحاً ملوثاً وثقلاً فى الرحم ، وتسمماً دموياً ، وحالة من الصدمة . اتفق الأطباء على أن فرصتها فى الحياة ضعيفة ، ولكن بحلول الساعة السادسة مساءً كانت قد تجاوزت مرحلة الخطر ، وبعد يومين كانت تجلس على الفراش ، وتتمكن من التحدث ، عندما جاء كاتس إليها .
" يقول الأطباء إن نجاتك معجزة يا نويل . "

هزت برأسها بالإيجاب . كانت تقول ببساطة إن موعد موتها لم يحن بعد . لقد حققت أول انتقام من لارى ، ولكنه كان مجرد بداية . هناك المزيد سيحدث . ولكن أولاً عليها أن تجده . سيستغرق ذلك وقتاً ، لكنها ستنتقم منه إن عاجلاً أو آجلاً .

تخيلت أنها ماتت فى حادث سيارة ، وأجروا تشريحاً لجسدها لمعرفة سبب الوفاة ، واكتشفوا أنها لم تمارس الحب قط !

ظلت كاثرين تتفحص وجوه الحاضرين فى المطعم ؛ ولكنها لم تر وجه من تريده بعد . بعد ساعة جاء رون بيترسون ومعه جين - آن ، وشعرت كاثرين أن جسدها يرتعش وقلبها يدق . ابتعدت عندما مر بها ، ورأتهما بطرف عينها ، يتجهان للركن المفضل لـ " رون " ، ويجلسان . كانت هناك إعلانات معلقة حول قاعة الطعام : " جرب الهامبورجر الدوبل الخاص " .. " جرب ساندوتش العشاق " .. " جرب الساندوتش التريبيل " .

أخذت كاثرين نفساً عميقاً ، ثم توجهت إلى رون ، الذى كان يدرس قائمة الطعام لاختيار ما يريد من طعام ، وقال : " لا أعرف ما الذى أريده " .

قالت جين - آن : " هل أنت جائع ؟ " " إننى أتضور جوعاً " .

جاءت كاثرين فجأة ، وقالت له : " جرب هذا " فنظر فى دهشة إليها ، حيث أعطت رون رسالة مغلقة ، واستدارت وعادت للخزينة . فتح رون الرسالة ، ونظر إليها ، ثم ضحك ، فنظرت إليه جين - آن ببرود قائلة :

" هل هذه نكتة خاصة ، أم يمكنك إطلاعى عليها ؟ " " بل هى خاصة بى " . ثم وضع الرسالة فى جيبه .

غادر رون وجين - آن المطعم بعد قليل . لم يقل رون لـ " كاثرين " أى شىء وهو يدفع الحساب ، بل ألقي عليها نظرة طويلة متفحصة ، وابتسم ، وخرج متأبطاً ذراع جين - آن . رمقتهما كاثرين بنظراتها ، وكانت تشعر بالغباء ، فلم تتمكن من إغواء الفتى بنجاح .

عندما انتهت فترة عملها أحضرت معطفها ، وألقت تحية المساء على زميلتها التى ستحل محلها وخرجت . كانت ليلة خريفية دافئة ،

كاثرين

شيكاغو ١٩٣٩ - ١٩٤٠

٣

كانت رياح الحرب العاتية التى تجتاح أوروبا ، مثل النسيم الخفيف ، عندما وصلت لشواطئ الولايات المتحدة .

فى جامعة نورثوسترن انضم المزيد من الفتيان للجيش ، وكانت هناك مظاهرات طلابية تحفز الرئيس الأمريكى " روزفلت " لإعلان الحرب على ألمانيا ، وانضم طلاب كثيرون للقوات المسلحة . ولكن حالة السكون العام ظلت كما هى ، كما أن الشعور الكامن بالهدوء الذى يسبق العاصفة كان سائداً ، حيث كانت هناك عاصفة وشيكة سوف تعصف بالبلاد .

عندما سارت كاثرين ألكساندر إلى عملها فى مطعم روست تساءلت عما إذا كانت الحرب ستغير حياتها أم لا إذا نشبت . كانت تعلم أن هناك تغييراً واحداً يجب أن تقوم به بأسرع وقت ممكن . كانت تحتاج بشدة للتعرف على شعور ممارسة الحب ، كانت تريد هذا من ناحية بسبب احتياج جسدها ، ومن ناحية لأنها شعرت أنه قد يفوت عليها تجربة رائعة ومهمة .

وكان النسيم البارد يهز البحيرة في أمواج مرحة . كانت السماء تكسوها درجات اللون الأرجواني ، وسحب كثيرة ، ونجوم لا تنالها يد . كانت ليلة مثالية لـ ... لماذا ؟ شكلت كاثرين قائمة في ذهنها :

يمكننى الذهاب إلى المنزل لأغسل شعري .

يمكننى الذهاب للمكتبة للمذاكرة ، والاستعداد لامتحان اللاتينية غدا .

يمكننى الذهاب إلى السينما .

يمكننى الاختباء وسط الشجيرات ، ومعاينة أول بحار يمر

يمكننى أن ألتزم .. أو ألتزم نفسي

ألتزم .. أو ألتزم نفسي بشيء ما .

بينما بدأت تتجه إلى المكتبة في الحرم الجامعي باغتها شبح لشخص يخرج من وراء عمود نور ، ويقول : " أهلاً يا كاثي ، إلى أين تتجهين ؟ "

كان رون بيترسون ، يبتسم لها ، مما جعل قلبها يدق بعنف ، وكأنه سيخترق صدرها ، وهي تراقبه في استسلام لكي يخرج إلى الهواء الطلق . لاحظت أن رون يحدق إليها . لا عجب في ذلك . كم عدد البنات اللاتي عرفهن ، وأجرى معهن نفس الحيلة لإيقاع قلوبهن في شباكه ؟ أرادت بشدة أن تمشط شعرها ، وتترزين بالمكياج ، وتفحص تمزق جوربها ، ولكنها حاولت ألا تظهر قلقها . القاعدة رقم واحد : احتفظي بهدوئك .

قالت له : " لا شيء "

" إلى أين تتجهين ؟ "

هل تخبره بالقائمة التي كانت تحضرها في ذهنها ؟ بالطبع لا ! ولا سيظن أنها مجنونة . تلك هي فرصتها الكبرى ، ولن تسمح لأى شيء يضيعها . نظرت إليه بعينين دافئتين تدعوه إلى نفسها ، مثل الممثلة " كارول لومبارد " في فيلم " لا شيء رهيب " .

قالت له : " ليس لدى خطط خاصة " .

كان رون يتفحصها بعينه ، لا يزال غير واثق منها ، غريزته الأساسية جعلته يحترس منها في البداية : " هل تريدين القيام بشيء خاص ؟ "

هذا هو ما تريده . أن يعرض عليها أحد المواعيد . هذه هي نقطة اللاعودة ، فقالت : " أخبرني بما تريد ، وأنا رهن إشارتك . " ثم انكشفت إلى الداخل بجسدها ، فلقد بدا حوارها مملاً باهتاً ، فلا أحد يقول مثل هذه العبارة التي قالتها إلا في الروايات الرومانسية الرخيصة . شعرت أنه سيبعد عنها عندما شعر بالتقزز مما قالت . لكنه لم يهرب ، لم تصدق عندما ابتسم لها وتأبط ذراعها ، وقال : " هيا بنا نذهب " .

سارت كاثرين معه وهي مذهولة . كان الأمر في غاية البساطة . إنها في طريقها الآن لممارسة الحب . بدأت ترتعش داخلياً ، فإذا اكتشف أنها لم تمارس الحب من قبل ستموت من الخجل . ما الذي ستحدث عنه عندما تنام معه في الفراش ؟ هل يتحدث الناس عادة أثناء ممارسة الحب ، أم يتحدثون بعد الممارسة ؟ لم تكن تريد أن تبدو وقحة ، ولكن لم تكن لديها أدنى فكرة عن القواعد الخاصة بذلك .

قال لها رون : " هل تناولت العشاء ؟ "

" العشاء ؟ " حدثت كاثرين إليه وهي تفكر : " هل يجب أن نتعشى ؟ " إذا قالت نعم فسيضطحيها بعد ذلك إلى الفراش ، وتحصل على ما تريد . قالت بسرعة : " كلا لم أتناول العشاء " . وقالت لنفسها : ماذا فعلت ؟ لقد دمرت كل شيء . لكن رون لم يبد مزعجاً .

" حسناً هل تحبين الطعام الصيني ؟ "

" إنه المفضل لي " . كانت تكرهه ، ولكنها مجرد كذبة صغيرة حتى لا تفسد أهم ليلة في حياتها .

" يوجد مطعم صيني هناك يسمى " لوم فونج " هل تعرفينه ؟ "

كلا ولكنها لن تنساه طوال حياتها .

هل تتذكرين الليلة التي التقيت فيها مع أحدهم ؟

نعم ، ذهبت لمطعم " لوم فونج " وتناولت طعاماً صينياً مع رون بيترسون

هل كان رائعاً ؟

بالطبع ، ولكنك تعرف الطعام الصيني ، بعد ساعة كنت في قمة النشوة .

وصلا للسيارة ذات اللون الكستنائي ماركة " ريو " ، وذات السقف المتحرك . فتح لها رون باب السيارة ، وجلست في المقعد الذي جلست فيه كل الفتيات سابقاً . كان رون وسيماً وساحراً ورياضياً من الطراز الأول ، وكان مهووساً بالجنس الآخر . هذا يصلح لاسم فيلم : المهووس بالجنس الآخر . ربما كان من الأفضل أن تتعشى في مطعم هنريشى ، وحينها قد يفكر رون في أنها من نوع الفتيات اللاتي سيعرف والدته عليها ويخطبها .

قال لها رون : " فيم تفكرين ؟ "

ياه رائع ! إنه ليس أفضل متحدث في العالم . ولكنها لم تكن مستعدة للحوار ، نظرت إليه برقة ، وقالت : " كنت أفكر فيك " ثم احتك جسدها بجسده .

ابتسم قائلاً : " لقد خدعتني يا كاثرين . "

" ماذا تقصد ؟ ! "

" كنت أظن أنك مغرورة وتبتعدين عن الناس ، أو أنك لست مهتمة بالرجال . "

إنه يخفي مقصده ، فهو يشير إلى أنه كان يظنني مغرورة . قالت كاثرين : " إنني فقط كنت في انتظار الوقت والمكان المناسبين . "

" أنا سعيد لأنك اخترتني "

" وأنا سعيدة أيضاً " وكانت كذلك حقاً ، فهي متأكدة أن رون مارس الحب بروعة ، فلقد اختبرته كل فتاة تتوق إلى الحب في مساحة ١٥٠ ميلاً حول الجامعة . كانت ستكون إهانة لها إذا مارست الحب مع شخص جاهل مثلها . فهي معها الآن خبير في أمور الحب . بعد الليلة لن تسمى نفسها القديسة كاثرين ، بل ستعرف باسم كاثرين العظيمة . وهذه المرة ستعرف إلى ماذا تشير صفة العظيمة .

" ماذا ؟ "

نظرت إليه في فزع ، وأدركت أنها صرخت بصوت عال : " أنا .. لم أقل شيئاً " .

" لقد أطلقت صيحة غريبة " .

" معقول ؟ ! " ، ثم ضحكت قليلاً عن قصد .

" كنت شاردة الذهن " .

قامت بتحليل تلك العبارة ، وقررت أنها سيئة . لا بد أن تصبح مثل جين - آن . وضعت كاثرين يدها على ذراعه ، واقتربت منه هامسة : " أنا هنا بجوارك " .

حاولت أن يكون صوتها أجش ، مثل " جين آرثر " في فيلم " جين الكارثة "

نظر إليها رون مرتبكاً ، ولكن الشيء الوحيد الذي استشفه من عينيها هو الدفء والحماس .

كان " لوم فونج " مطعماً صينياً عادياً ، ومظهره يبدو كئيباً ، ويقع تحت شريط القطار المعلق . طوال العشاء كانا يسمعان صوت هدير القطار الذي يجعل الأطباق تهتز . كان المطعم يبدو كآلاف المطاعم الصينية في أمريكا ، لكن أخذت كاثرين تحفظ كل تفاصيل المكان والموقع الذي جلسا فيه ، وورق الحائط الرخيص المنقط ، وإبريق الشاي الصيني المكسور ، ويقع صلصة الصويا على المائدة .

جاء النادل الصينى القصير ، وسألها عما إذا كانا يرغبان فى شرب شىء ما . كانت كاثرين قد تذوقت الكحوليات من قبل مرات قليلة فى حياتها ، وكانت تكرهها ، ولكن هذه الليلة كانت بمثابة عيد بالنسبة لها ، ويجب أن تحتفل بها .
" شراب عتيق مع كريز "
قال رون : " وأنا أيضاً "

انحنى الساقى وانصرف . تساءلت كاثرين عما إذا كان من الحقيقى أن النساء فى الشرق يملن إلى الأمام طوال الوقت .
قال رون : " لا أعرف لماذا لم نصبح أصدقاء من قبل ؟ يقول الجميع إنك أذكى فتاة فى الجامعة . "
" أنت تعرف أن الناس يبالغون فى تقديراته . "
" وأنت جميلة للغاية . "

" شكراً لك . " حاولت أن تجعل صوتها مثل " كاثرين هيبورن " فى فيلم " ليس آدمز " ، ونظرت بلهفة إلى عينيه . لم تعد بعد الآن كاثرين ألكساندر ، بل كانت فتاة لعوباً ، وسيدرج اسمها فى تاريخ المعشوقات مثل ماى ويست ، ومارلين ويتريش ، وكليوباترا .
أحضر الساقى المشروبات ، واحتست شرابها فى جرعة واحدة بعصبية ، وشاهدها رون فى دهشة .

قال لها : " اشربى بهدوء ؛ لأن المادة الكحولية قوية التأثير " قالت له بثقة : " لا يهم . يمكننى تحملها . "
قال رون للساقى : " مرة أخرى من فضلك . "
عبر المائدة وتحسس يدها قائلاً : " يا للغرابة ، كل الناس أساءوا فهمك . "

" بل لم يفهمنى أحد فى الجامعة . "
حدق إليها ، فقالت لنفسها : لا تكونى ماهرة جداً . احترسى .
الرجال يفضلون الفتاة ذات البدن السمين ، والمخ الضئيل .

قالت بسرعة : " كنت أكن لك المشاعر منذ فترة طويلة . "
قال رون : " لقد أحسنت إخفاء السر " ، ثم أخرج رسالتها من جيبه ، وقرأها بصوت عال : " جرب خزانتنا " ، ثم ضحك قائلاً : " عموماً أفضل هذا عن سلاطة الفاكهة بالموز . " أخذ يتحسس ذراع كاثرين ، ولمسته الحانية سببت رجفات صغيرة حارة عبر عمودها الفقرى كما قرأت فى الكتب من قبل . ربما يعد قضاء هذه الليلة ستقوم بإعداد كتاب عن تجربتها لكى تعلم الفتيات الغيبات حقائق الحياة . بعد الشراب الثانى شعرت كاثرين بالأسى نحو هؤلاء الفتيات .

" خسارة . "
" أية خسارة ؟ "

أخطأت وتحدثت بصوت عال مرة أخرى ، لكنها قررت التحلى بالشجاعة : " كنت أشعر بالأسى لكل فتيات العالم . " ابتسم لها رون قائلاً : " لنشرب نخب الفتيات . " وارتشف كأسه . نظرت إليه وهو جالس أمامها ومستمتع بصحبتها . لم يكن لديها ما تقلق بشأنه ، فكان كل شىء يسير على ما يرام . سألها هل تريد أن تشرب المزيد لكنها رفضت . لم تكن تريد أن تظل مخمورة ، فهى تريد أن تتذكر كل لحظة وكل إحساس .

طلب رون عشاءً مكوناً من ستة أطباق رئيسية وثمانه ١,٧٥ دولار ، وتظاهرت كاثرين أنها تتناوله ، لأنه كان يشع الطعم . كانت متوترة لدرجة أنها لم تتمكن . من تذوق أى شىء . كان لونها جافاً وحلقها جافاً ويؤلها . ماذا لو أصيبت بأزمة قلبية هنا ؟ إذا مارست الحب بعد الأزمة القلبية ستموت بالتأكيد . ربما يجب أن تحذر رون ، وإلا ستدمر سمعته إذا وجدوا فتاة ميتة فى فراشه ، وربما يجعل ذلك شهرته مدوية أكثر !

قال رون : " ما الخطب ؟ تبدين شاحبة . "

قالت كاثرين باندفاع : " أنا بخير ، أنا أشعر بالإثارة لكوني معك " .

نظر إليها رون موافقاً على رأيها ، وكانت عيناه العسليتان تتفحصان كل تفاصيل وجهها ، ثم اتجه بصره إلى صدرها وتعلق به ، وقال لها : " أنا أشعر بالإثارة ؛ لكوني معك أيضاً " .

رفع الساقى الأطباق من على المائدة ، ودفع رون الحساب ، ونظر إليها لكنها لم تتحرك .

فكرت محدثة نفسها : " نعم ! أريد مركباً يسير ببطء ، لأسافر إلى الصين ، أريد أن يطهيني ويأكلني على العشاء أكل لحوم البشر . أريد أمي ! " .

كان رون يراقبها وينتظر ، سحبت كاثرين نفساً عميقاً ، وقالت : " أنا ... لا يمكنني التفكير في أى شيء " .

" حسناً " . قالها ببطء ، وكأنه يمهّد الطريق للقاء الحميم بينهما " هيا بنا نذهب " . وقف وتبعته كاثرين ، وكان إحساس النشوة من الخمر قد اختفى تماماً ، وبدأت ساقها ترتجفان .

كان بالخارج حيث الهواء الدافئ ليلاً ، وخطر لكاثرين خاطر مفاجئ جعلها تشعر بالارتياح : " لن يمارس معي الحب الليلة ، فالفتيان لا يفعلون ذلك مع الفتيات في أول موعد غرامى . بل سيصطحبني إلى العشاء غداً ، ثم نمارس الحب بعد ذلك ، وسنذهب لمطعم هنريشى ، وسنتعرف على بعضنا البعض أكثر حقاً ، ربما سنقع في الغرام العنيف ، ثم يعرفني بأبويه ونتزوج .. لن أشعر بالرعب الأحق بلا مبرر " .

" هل لديك تفصيلات محددة للفنادق ؟ "

حدقت كاثرين إليه ، ولم تنبس ببنت شفة . ذهبت أحلام الليالي الموسيقية الأنيقة مع أبويه أدراج الرياح . الوغد كان يخطط لممارسة

الحب في فندق ! حسناً هذا ما كانت تريده . أليس كذلك ؟ والا فلماذا كتبت له الرسالة المجنونة ؟

كانت يده على كتفها الآن ، ثم امتدت إلى ذراعها . شعرت بدفع يسرى في أعضائها . ازدردت لعابها ، وقالت : " لا بد أنك قد جربت كل الفنادق ؟ " نظر إليها رون باستغراب ، لكنه قال : " حسناً هيا بنا " .

ركبا السيارة ، واتجها غرباً . تحول جسدها إلى كتلة من الثلج ، لكن كان ذهنها يغلي من التفكير المحموم . كانت آخر مرة ذهبت فيها للإقامة في فندق . عندما كانت في الثامنة من عمرها أثناء السفر بالسيارة مع والديها .

والآن ستنام مع رجل غريب عنها تماماً . على أية حال ما الذى تعرفه عنه ؟ فقط إنه وسيم ، وله شعبية كبيرة ، ويعرف الفرصة السانحة لممارسة الحب عندما يراها .

مد رون يده وأمسك يدها ، وقال : " يدك باردتان " . فكرت محدثة نفسها : " يدى باردتان ولكن ساقى ساخنتان . ياه هاأذا عدت إلى المزاح ! " . بدأت تتذكر كلمات أغنية رومانسية قديمة تسمى " سر حلاوة الدنيا " . اتجه رون إلى شارع كلارك جنوباً ، وعلى كلا الجانبين كانت هناك إعلانات مضيئة تومض وتطفئ ، ولافتات من النيون تضيء الليل ، وتظهر عروضها الرخيصة لإقامة مؤقتة للعشاق الذين يغلبهم الشوق : " فندق الراحة " : " فندق ليلة واحدة " " راحة المسافرين " . كان خيالها واسعاً جعلها تترنح من الإثارة ، ولكن من ناحية أخرى فإن أصحاب تلك الفنادق مشغولون بتنظيم دخول وخروج العشاق من وإلى الحجرات ، ولن يهتموا بالأفكار الفنية الأدبية لأسماء الفنادق .

قال رون : " هذا أفضل فندق هنا . " وأشار إلى اللافتة :

" فندق الجنة - الإجازات "

هذا شيء رمزي ، كان هناك مكان شاعر في الجنة ستحتله كاثرين الآن .

ركن رون السيارة في الحديقة ، بجوار مكتب مدهون باللون الأبيض معلق عليه لافتة : " دق الجرس وادخل " . كانت الحديقة مكونة من أربعة وعشرين منزلاً ذات الطابق الواحد .

قال لها رون : " ما رأيك في المكان ؟ "

فحدثت كاثرين نفسها : " مثل جهنم في الشعر الملحمي لـ " دانتي " . مثل مبنى الكولوسيوم في روما ، حيث سيلقى الأقباط الأوائل إلى الأسود الجائعة .

شعرت كاثرين بحرارة في جسدها ، وقالت " رائع ، رائع للغاية " .

ابتسم رون متفهماً ، وقال : " سأعود حالا " . ووضع يده على ركبتيها ، وغادر السيارة ، وذهب إلى المكتب . ظلت جالسة في انتظاره ، وحاولت ألا تفكر في أي شيء .

سمعت صفارة الإنذار الخاصة بالغارات ، ففكرت وهي منغلة : " ياه ! إنها غارة ، إنهم يغيرون على هذا المكان ! "

فتح باب المكتب وخرج رون . كان يحمل مفتاحاً متجاهلاً أصوات الغارة التي كانت تقترب أكثر . سار إلى كاثرين ، وفتح لها باب السيارة .

قال لها : " كل شيء جاهز " كانت صفارة الغارة كالفأل السيئ ، هل سيقبض عليهما البوليس لوجودهما هنا . "

قال رون : " هيا بنا . "

" ألا تسمع ؟ "

" أسمع ماذا ؟ "

تجاوزتهما صفارة الإنذار ، وخفت صوتها تدريجياً عبر الشارع بعيدا عنهما . اللعنة ! قالت له بضعف : " هل تسمع العصافير ؟ "

بدت نظرة على وجه رون تدل على أن صبره بدأ ينفد وقال : " هل هناك خطأ .. ؟ "

قالت كاثرين سريعاً : " كلا كلا ، أنا آتية " . ثم خرجت من السيارة . واتجهت لإحدى الكبائن الخشبية . قالت له بمرح : " أتمنى أن يكون رقم الحجرة رقم حظي . "

" ماذا قلت ؟ "

نظرت إليه كاثرين ، وأدركت فجأة أنها غير قادرة على الكلام ، وكان فيها جافاً . قالت بحسرة : " لا شيء " .

وصلا إلى الباب . وكان رقم الحجرة ثلاثة عشر . كان هذا هو الرقم الذي تستحقه ، حيث دل على أنها ستحمل طفلاً ، وأن القدر سيعاقبها .

فتح رون الباب بالمفتاح ، وتركه مفتوحاً لكي تدخل . ضغط زر النور ودخلت كاثرين . لم تصدق ما تراه ، كانت الحجرة وكأنها تتكون فقط من فراش كبير . الأثاث الوحيد في الحجرة كان مقعداً غير مريح في أحد أركان الحجرة . وتسريحة صغيرة تعلوها مرآة ، ومذيعاً محطماً بجوار الفراش ، وبه فتحة إدخال عملات فئة ربع دولار لكي يعمل . لا يمكن أن يدخل أحد الحجرة ولا ينال غرضه منها : مكان يحضر إليه الفتيان والفتيات لممارسة الحب . حسناً ، لن تقول إنه مكان لأدوات التزلج على الجليد ، أو للألعاب ، أو جناح المتزوجين حديثاً في فندق " الإمباسادور " ، كلا ، فهذا ما هو إلا عش حب رخيص . التفتت كاثرين لترى ما يفعله رون ، ووجدت أنه يغلق الباب بالقليل . ياه ، إذا هجم بوليس الآداب لكي يقبض عليهما فيضطروا لتحطيم باب الحجرة أولاً ، وتخيلت أن بوليس الآداب يحملها عارية ، والتقط مصور صحفي صورة لها للصفحة الأولى لجريدة شيكاغو اليومية .

اتجه رون إلى كاثرين ، وطوقها بذراعيه ، وقال : " هل تشعرين بالتوتر ؟ "

نظرت إليه وتصنعت الابتسام بطريقة المثلثة مارجريت سوليفان ،
وقالت : " متوترة ؟ لا تكن سخيفاً يا رون " .
ظل يتفحصها ، وهو غير متأكد ؛ ولكنه قال : " لقد فعلت هذا من
قبل أليس كذلك يا كاثي ؟ "
" من كثرة ما فعلته لا أعرف عدد المرات ! "
" ينتابني إحساس غريب نحوك طوال الليل "
هنا تأتي اللحظة الحاسمة ، سيطردها عندما يعرف أنها عذراء
وستحاول التخلص من المعاناة والصدمة بدش بارد . لكنها لن تسمح
بحدوث ذلك الليلة . قالت : " أي إحساس تقصد ؟ "
قال رون في حيرة : " لا أعرف ، فتارة تبدين مثيرة ، وفي حالة
مزاجية مناسبة لممارسة الحب ؛ وتارة أخرى تسرحين في أمور أخرى
وتصبحين باردة كالثلج . وكأنك مصابة بانفصام في الشخصية . أي من
الشخصيتين تمثل كاثرين ألكساندر ؟ "
" ستعرف بعد قليل . "

في العام الثاني الجامعي لـ " كاثرين " كان هناك تغيير كبير في
جو الجامعة .
أول شيء ، كان هناك قلق متزايد عبر البلاد بشأن ما يحدث في
أوروبا والشعور العام أن أمريكا سوف تتدخل في الحرب . كان حلم
هتلر بحكم الألف عام للعهد الثالث (الرايخ الثالث) على وشك أن
يصبح حقيقة ، فلقد احتل الألمان الدنمارك والنرويج .
انتقل الحوار عبر الشهور الستة التالية من الملابس والحفلات
والحب ، إلى الجيش ونقص الموارد والغلاء وارتفاع قيمة إيجار السكن .
حيث التحقت العديد من الفتيات بالجيش ، والبحرية .

في أحد الأيام قابلت سوزى روبرتس كاثرين في رواق إحدى بنايات
الجامعة ، وكانت زميلتها في المدرسة الثانوية : " أريد أن أودعك يا
كاثي ، سأترك الدراسة بالجامعة . "
" إلى أين أنت ذاهبة ؟ "
" إلى مدينة كلوندايك . "
" كلوندايك ؟ "
" نعم في ولاية واشنطن ، الفتيات يصادفن حظاً سعيداً ، وافرأ
هناك . يقولون إنه يوجد لكل فتاة ١٠٠ رجل على الأقل ، لماذا تريدين
البقاء هنا ؟ الجامعة مملة جداً . يوجد عالم كبير حولنا يجب أن
تستكشفه "

قالت كاثرين : " لا يمكنني مغادرة الجامعة الآن " لم تكن
متأكدة ، فلا شيء يربطها يشيكاغو ، وهي تتصل هاتفياً بأبيها في
أوماها مرتين كل شهر ، وكل مرة تشعر وكأنه في السجن .
كاثرين الآن بمفردها وكلما فكرت في واشنطن يبدو الأمر مثيراً .
اتصلت في تلك الليلة بأبيها ، وقالت له إنها ستترك الدراسة
الجامعية ، وستذهب للعمل في واشنطن . سألها عما إذا كانت تريد أن
تعيش معه في أوماها . لكنها شعرت بإحساس التقاعس والخيبة في
صوته . لم تكن تريد أن تقع في الفخ ، وتشعر أنها مسجونة مثله .

في صباح اليوم التالي ذهبت كاثرين لعميدة الجامعة المختصة بشئون
الطالبات ، وأخبرتها أنها ستترك الجامعة ، وأرسلت برقية إلى سوزى
روبرتس ، وفي اليوم التالي كانت تستقل القطار المتجه إلى واشنطن .

التبذل الحسى ، وكأن العقل والجسد لم يتمكنوا من استيعاب المزيد من الرعب والإرهاب . فلجأ إلى حيلة دفاعية نفسية ، وهى الدخول فى شرنقة اللامبالاة . الآن توقفت طاحونة الإشاعات تماماً ، وتوقفت الصحف عن الصدور ومحطات الإذاعة عن البث . الغريزة الإنسانية حلت محل الآلات . وأحس سكان باريس أن اليوم هو يوم الحسم . وكانت السحابة السوداء نذيراً ينبئ بشئ سيئ سيحل بالمدينة . ثم بدأ الألمان ينتشرون فى باريس كالجراد .

فجأة امتلأت باريس بالعساكر الأجانب والناس الغرباء الناطقين بالألمانية . وهم يجوبون الشوارع الواسعة التى يوجد أشجار على جانبيها بسياراتهم الليموزين والمسيديس . ويرفرف عليها أعلام النازية ، كانوا يظنون أنهم العرق الأنقى والأعلى بين البشر . وأن قدرهم هو غزو وحكم العالم .

خلال أسبوعين حدث التحول المذهل . ظهرت اللافتات بالألمانية فى كل مكان . تم تدمير تماثيل الأبطال الفرنسيين ، وتم رسم علامة النازية (الصليب المعقوف) على المباني الحكومية . وصلت جهود الألمان لمحو كل ما هو فرنسى لحدود تدعو إلى السخرية . الكلمات الدالة على الماء البارد والساخن فى الصنبور - مثلاً - تم استبدالها من اللغة الفرنسية إلى الألمانية فاستبدلوا ميدان بروجلى فى ستراسبورج باسم ميدان أدولف هتلر وتم تفجير تماثيل لافايت ونى وكليبر بالديناميت من قبل جنود النازية ، والكتابات المحفورة على الآثار ، وقبر الجندى المجهول تم طمسها ، وكتبت عليها عبارة : " سقطت من أجل ألمانيا " .

كان جنود الاحتلال الألمان يستمتعون للغاية ؛ بينما كان الطعام الفرنسى ثرياً فى أشكاله . ويغنى بأنواع مختلفة من الصلصات . وكان هذا الطعام أيضاً تغييراً لطيفاً بديلاً عن التمرين العادى للطعام أيام

نويل

باريس ١٩٤٠

٤

فى السبت الموافق ٢٤ من يونيو ١٩٤٠ احتل الجيش الألمانى باريس . اتضح أن خط ماجينو المنيع مشروع فاشل تماماً ، والذى كان يعد أفضل خط دفاع فى تاريخ الحروب ، وبالتالى كانت فرنسا بلا دفاع أمام أقوى آليات الحرب التى شهدتها العالم .

بدأ اليوم بسحابة سوداء غريبة عمت المدينة كلها ، وكانت تلك السحابة مرعبة غير معلومة المصدر ، وكأنها تشبه أكفان الموتى . كانت الأصوات المتقطعة لإطلاق النيران قد خرقت الصمت الرهيب لمدينة باريس لمدة ٤٨ ساعة . كان هدير المدافع يدوى خارج المدينة ، ولكن الصدى كان يتردد فى جنبات قلب باريس . كان هناك سيل من الإشاعات كالتيار الجارف من المذيع والجراند وكلام الناس . " احتل الألمان سواحل فرنسا " .. " تم تدمير لندن " ... " توصل هتلر للاتفاق مع الحكومة البريطانية " ... " سيدمر الألمان باريس بقنبلة ذرية " فى البداية كان الناس يصدقون كل إشاعة وكأنها حقيقة مطلقة ، تتسبب فى زعر عام ، ولكن كثرة الإشاعات أصبح لها فى النهاية تأثير

الحرب . لم يهتم أو يعرف الجنود أن باريس هي مدينة الشاعر بودلير والكاتب الروائي دوماس والكاتب المسرحي موليير ، وبالنسبة لهم كانت باريس عبارة عن عاهرة مليئة بألوان الزينة والساحيق ، ومتأهبة دائماً لارتكاب أفعال الرذيلة ، وقد أجبر الجنود الألمان الفتيات الفرنسيات على ممارسة الرذيلة معهم ، أحياناً تحت تهديد البندقية ، بينما القادة أمثال جورينج وهimler استولوا على متحف اللوفر والقصور الخاصة الثرية التي صادراها من أعداء الرايخ المرمومين .

مثلاً ارتفع معدل الفساد والانتهازية في فرنسا في زمن الحرب . زادت الوطنية والبطولة أيضاً . وكان أحد الأسلحة السرية للمقاومة الشعبية هو سلاح رجال المطافي ، حيث إن هيئة المطافي في فرنسا تخضع لحكم الجيش . وقد صادر الألمان عشرات المباني لصالح الجيش والمخابرات الألمانية والوزارات الأخرى ، وبالطبع لم تكن تلك الأماكن سرية ، وفي مقر المقاومة الشعبية في " سانت ريميه " فحصوا جيداً الخرائط المفصلة لمواقع كل مبنى ، ثم تولى الخبراء تنفيذ أهدافهم ، وفي اليوم التالي كان من الممكن أن تمر أية سيارة مسرعة ، أو دراجة يبدو راكبها بريئاً بجوار أية مبنى مستهدف وتلقى عليه قنبلة يدوية من النافذة ، وحتى هذه النقطة كان التدمير بسيطاً ، لكن عبقرية الخطة كانت فيما سيحدث بعد ذلك .

كان الألمان يعدون رجال المطافي لإطفاء الحريق ، لأنه من البديهي في كل البلاد أنه عند اندلاع الحرائق يتم تسليم كل المسؤولية والسلطة لرجال المطافي ، وهكذا كان الحال في باريس . حيث كان رجال المطافي يسرعون إلى المبنى الذي اندلعت به الحرائق . بينما ينتحى الألمان جانباً في هدوء فيشاهدونهم يدمرون كل شيء بخراطيم المياه ذات الضغط العالي وبالفنوس ، وعندما تبرز فرصة سانحة كانوا يستخدمون قنابلهم المشعلة للحرائق . بتلك الطريقة تمكنت المقاومة الشعبية من

تدمير وثائق ألمانية لا تقدر بثمن للمخابرات الألمانية ، والتي كانت تخفيها في تلك المباني . تنبه الألمان للحيلة بعد حوالي ستة أشهر ، وبحلول ذلك الوقت كان قد حدث ضرر لا يمكن مداواته . لم يتمكن رجال المخابرات من إثبات أي شيء ، ولكن تم تجنيد كل رجال المطافي ، وإرسالهم للحرب في الجبهة الروسية .

كان هناك نقص في كل شيء من الطعام إلى الصابون ، لم يكن هناك بنزين أو لحم أو منتجات ألبان . لقد صادر الألمان كل شيء . وظلت المتاجر ذات البضائع الفاخرة مفتوحة ، ولكن الزبائن كانوا من الجنود الألمان الذين يدفعون ثمن البضائع بالمارك الألماني الخاص بالاحتلال ، والذي كان يشبه المارك العادي ماعدا الأحرف المسننة ، وعدم وجود توقيع دار سك النقود ، لكي يتم تحويل المال إلى العملة المحلية (الفرنك) لتسديد الحساب .

كان التاجر الفرنسي يقول : " من سيسدد الحساب ؟ " . وكان الألمان يقولون متهمكين : " الضامن هو بنك إنجلترا " لكن لم يعان ذلك كل الفرنسيين فمن كان لديه المال والعلاقات والنقود يتمتع بخدمات السوق السوداء .

* * *

لم تتغير حياة نويل بسبب الحرب إلا قليلاً . حيث كانت تعمل كعارضة أزياء في بيت أزياء شانيل الشهير في شارع كانيون في مبنى حجرى عمره ١٥٠ عاماً ، وكان يبدو عادياً من الخارج ، ولكن ديكوراته كانت حديثة جداً من الداخل وكانت الحرب ، كأى حرب قد جعلت بعض الناس مليونيرات ما بين يوم وليلة ، ولم يقل عدد الزبائن . جاءت لنويل عروض كثيرة لممارسة الحب ، أكثر من ذى قبل ، الفرق أنها عروض كانت تأتي فقط من الألمان ، وفي غير أوقات

العمل كانت تجلس لساعات طويلة فى المقاهى الصغيرة فى شارع الشانزليزيه ، أو فى الضفة الغربية لنهر السين بجوار الكوبرى الجديد . كان هناك مئات الرجال الألمان بالزى العسكرى بصحبة الفتيات الفرنسيات . كان المدنيون الفرنسيون إما كبار سن أو عرجاً ، وفهمت نويل أن الرجال الشباب قد تم إرسالهم إلى المعسكرات أو للخدمة الوطنية فى الجيش . كان بإمكانها معرفة الرجل الألمانى بنظرة واحدة ، حتى إن لم يكن يرتدى حلته العسكرية ، حيث كانت تملو وجهه نظرة الغرور التى تملو وجوه الغزاة منذ أيام الإسكندر الأكبر وهادريان . لم تكره نويل الألمان أو تحبهم ، ولكنها لم تسمح لهم بمجرد لمسها .

كانت حياتها الخاصة مشحونة ، حيث كانت تخطط لكل حركة فى حياتها . كانت تعرف هدفها بالضبط ، وأنه لن يحول أى شىء دون تحقيقه ، ولن يوقفها أى شىء . بمجرد أن أصبحت حالتها المادية ميسورة استأجرت مخبراً سرياً كان قد قام بالترافع فى قضية طلاق عارضة أزياء ، حيث كانت زميلة لها فى العمل ، وكان اسم هذا المخبر كريستيان باربيه ، وكان مكتبه الصغير القديم يقع فى شارع القديس لازار . كانت اللافتة على مكتبه تقول :

تحقيقات خاصة وتجارية

للبحث والاستقصاء

لكشف المعلومات

لإعداد التقارير السرية

لاقتفاء الأثر

للبحث والتقصى عن الأدلة

كانت اللافتة تبدو وكأنها من المكتب ، وكان باربيه رجلاً قصيراً أصلع ، وذا أسنان صفراء ومكسورة ، وعينين ضيقتين حولوين ، وأصابعه ملوثة بالتيكوتين من فرط التدخين .

قال لـ " نويل " : " هل يمكننى تقديم أى خدمة ؟ "

" أريد معلومات عن شخص فى إنجلترا "

غمز بعينيه فى شك قائلاً : " أى نوع من المعلومات ؟ "

" أى شىء . هل هو متزوج ، أو يواعد أحداً ، من هم معارفه ، أى معلومات عنه . أريد فتح ملف كامل لكل شىء عنه "

أخذ ينظر إليها شزراً وبوقاحة ، وهدق إليها قائلاً :

" هل هو إنجليزى الجنسية ؟ "

" بل هو أمريكى ويعمل طياراً فى الجيش الإنجليزى . "

حك باربيه رأسه الأصلع فى قلق ، وقال متذمراً :

" لا أعرف ، لكننا فى وقت الحرب ، وإذا أمسكوا بى وأنا أحاول

الحصول على معلومات من إنجلترا عن طيار حربى .. "

خفت صوته تدريجياً ، ثم هن كنفه دون اكترات قائلاً : " فالألمان

يطلقون الرصاص أولاً ، ثم يطرحون الأسئلة فيما بعد "

أكدت نويل : " أنا لا أريد أى معلومات عسكرية " ، ثم فتحت

كيس نقودها ، وأخرجت رزمة فرنكات ورقية ، ثم نظر إليها باربيه فى نهم .

قال لها بحرص : " لدى معارف واتصالات فى إنجلترا ، لكن الأمر سيكلفك الكثير . "

وهكذا بدأ الأمر . اتصل المخبر السرى بـ " نويل " بعد ٣ شهور ،

فذهبت لمكتبه ، وكانت أولى كلماتها : " هل هو على قيد الحياة ؟ "

عندما أوما لها برأسه موافقاً هداً جسمها فى ارتياح وفكر باربيه : "

لا بد أنه من الرائع أن تجد من يحبك بهذا القدر . "

قال لها : " لقد تم نقل صديقك ؟ "

" إلى أين ؟ "

نظر إلى مجموعة أوراق في مكتبه ، وقال : " كان ملتحقاً بالفرقة رقم ٦٠٩ في الطيران العسكى الإنجليزى ، ولكن تم نقله إلى الفرقة ١٢١ فى مارتلشام فى أنجليا الشرقية ، وكان يقود طائرات من طراز ... "

" لا يهمنى ذلك . "

" أنت تدفعين لى من أجل هذه المعلومات ، ويجب أن تحصلى على المعلومات بقدر ما دفعت لى من مال " ، ثم نظر إلى أوراقه مرة أخرى ، وأردف قائلاً : " كانت من طراز هاريكين ، والآن يقود طائرات من طراز بافلو " .

قلب الصفحة وقال : " هنا نأتى للمعلومات الشخصية "

" استمر "

هز كتفيه دونما اكتراث قائلاً : " توجد قائمة بأسماء الفتيات اللاتي يمارسن الحب معه ، لا أعرف أهمية ذلك لك ... " .

" أخبرتك أننى أريد معرفة كل شيء " .

كانت هناك نبرة غريبة فى صوتها كانت تحيره .. لم يكن ثمة شيء طبيعى فى هذه الفتاة ، وكأنها لا تظهر حقيقتها . كان كريستيان باربيه محقق درجة الثالثة ، ويتعامل مع زبائن درجة الثالثة ، ولكن بسبب ذلك نمت لديه غريزة أو حاسة حيوانية لتقصى الحقيقة ، وله أنف مدرب على استخلاص الحقائق . لكن الفتاة الجميلة الواقفة فى مكتبه كانت تثير بداخله القلق والريبة . فى البداية ظن أنها توقعه فى فخ التجسس ، ثم قال إنها قد تكون زوجة جرحها زوجها ، وتريد جمع الأدلة ضده للحصول على الطلاق . ثم اعترف لنفسه أنه كان مخطئاً ، والآن هو فى حيرة من أمرها . ولا يتمكن من التكهن بما تريد الفتاة معرفته ولا سبب ذلك . أعطى لها قائمة بأسماء الفتيات اللاتي كن

يمارسن معه الحب ، وشاهد تعابير وجهها أثناء قراءتها . كانت غير مكترثة ، وكأنها تقرأ قائمة ملابس لدى محلات التنظيف والكي . انتهت من قراءة القائمة ونظرت إليه . لم يكن باربيه مستعداً لكلماتها التالية : " أنا ممتنة لك " .

نظر إليها وعُجز بعينه سريعا بحركة لا إرادية .

" من فضلك اتصل بى هاتفياً عندما تتوافر لك المزيد من المعلومات " .

جلس باربيه لمدة طويلة بعد انصرافها ، وهو يحرق خارج النافذة ، ويحاول فك رموز زبنته ويفهم مقصدها .

بدأت تزدهر مسارح باريس مرة أخرى . كان الألمان يرتادون المسارح للاحتفال بمجد انتصاراتهم ، ويظهرون مع السيدات الفرنسيات الجميلات للتباهى بهن أثناء تأبطهن لذراع الجنود ، وكأنهن من غنائم الحرب . كان الفرنسيون يرتادون المسارح لكى يتناسوا لساعات قليلة أنهم قوم غير سعداء ومهزومون .

كانت نويل قد ذهبت إلى المسرح فى مارسيليا عدة مرات ، ولكنها رأت مسرحيات للهواة وكانت سيئة ، ويمثلها مؤدون درجة رابعة لجماهير غير مكترثة . كان المسرح فى باريس شيئاً مختلفاً تماماً ، كان مقعماً بالحياة والبريق ، ومليئاً بالفكاهة والفن لأشهر كتاب المسرح من أمثال موليير وراسين وكوليت ، وكان الممثل الذى لا يضاهيه أحد " ساشا جويتري " فتح مسرحه ، وذهبت نويل لمشاهدته ، وذهبت لإعادة عرض مسرحية بوشنر " موت دانتون " ، وإلى مسرحية تسمى " آسموديه " للكاتب الشاب الواعد " فرانسوا موريك " . ثم ذهبت للمسرح الكوميدي الفرنسى لمشاهدة مسرحية " بيرانديلو " واسمها " من يقول الحقيقة ؟ " ومسرح " روستان " لمشاهدة مسرحية " سيرانو من مدينة برجراك " . كانت نويل ترتاد المسارح بمفردها . ولم تكن تلتفت

لنظرات الإعجاب التي يوجهها لها من حولها ، وكانت مستغرقة في مشاهدة المسرحيات على خشبة المسرح . كان هناك شيء ساحر على خشبة المسرح يلمس وتراً حساساً داخلها . كانت تشعر أنها تؤدي دوراً مثل الممثلين على المسرح ، فهي تدعى ما ليس بها من صفات ، كأنها تتخفى تحت قناع .

تأثرت على وجه الخصوص بمسرحية تسمى هويس كلوس لـ " جان بول سارتر " ، وكان يقوم ببطولتها " فيليب سوريل " أحد نجوم التمثيل في أوروبا . كان سوريل رجلاً قبيحاً ، وقصيراً ، وممتلئ الجسم ، وكان أنفه مكسوراً ووجهه كوجه الملاكين . ولكن بمجرد أن يتحدث كان لحديثه مفعول السحر على المستمعين ؛ كان يتحول إلى رجل وسيم وحساس . كانت نويل تفكر في أن الأمر يشبه حكاية الأمير والصفدع عندما كانت تشاهد أداؤه ، فهو يشبه الاثنين معاً . عادت لمشاهدته مرات ومرات ، وكانت تجلس في المقعد الأمامي ، وتدرس أداؤه بتركيز ؛ محاولة معرفة سر جاذبيته .

في إحدى الليالي في المسرح أثناء الاستراحة جاء أحد عمال المسرح ، وسلم نويل رسالة كانت فحواها : " رأيتك بين الجمهور ليلة تلو الأخرى . من فضلك اذهبي للكواليس بعد العرض لتتقابل " بي . إس . قرأتها نويل عدة مرات لفهم مغزاها ، ليس لأنها مهتمة بفيليب سوريل ، لكنها كانت تعرف أنها بداية ما تبحث عنه . ذهبت إلى الكواليس بعد انتهاء العرض ، وأوصلها رجل عجوز على الباب إلى حجرة سوريل الخاصة . كان جالساً أمام مرآة الزينة ، مرتدياً شورتاً قصيراً فقط ، وكان يمسح المكياج عن وجهه . ظل يتفرس في وجه نويل في المرآة ، وقال في النهاية : " شيء لا يصدقه عقل ؛ أنت أجمل عندما اقتربت أكثر مني " .

" شكراً يا مسيو سوريل "

" من أين أتيت ؟ "

" من مرسيليا "

استدار سوريل لينظر إليها عن قرب أكثر . انتقلت عيناه إلى قدميها ، ثم تأملها من أخمص قدميها إلى مفرق رأسها ، ولم يفتت أي جزء من تفاصيل جسدها . وقفت نويل بلا حراك وهو يدقق فيها بعينه الفاحصتين . وقال لها : " هل تبحثين عن عمل ؟ "

" لا " .

" أنا لا أدفع أي أموال لقاء ذلك ، كل ما سوف تحصلين عليه مني هو الدخول لمسرحيتي ، إذا أردت المال فمارسي الحب مع صاحب بنك " .

وقفت نويل في هدوء تراقبه ثم قال لها في النهاية :

" ما الذي تبحثين عنه ؟ "

" اعتقد أنني أبحث عنك ؟ "

تناولا العشاء سوياً ، وبعد ذلك ذهبوا لشقته في الشارع الجميل المسمى موريس بار ، المثل على المنطقة التي سُميت فيما بعد بوادي بولونيا .

ثم قضيا الليل بأكمله في سعادة حتى الصباح ، حيث دعاها لكي تعيش معه في شقته .

عاشت معه لمدة ستة أشهر ، ولم تكن سعيدة ولا تلسة . كانت تعلم أن وجودها هنا يسعده للغاية ، لكنها لم تكثر لأى شيء . كانت تعتبر نفسها تلميذة تتعلم بإصرار كل يوم شيئاً جديداً . كان لها بمثابة مدرسة للحياة تحضرها نويل ، فهو جزء صغير من خططها الكبرى . لم تكن علاقتهما شخصية لها ، فهي لم تحبه . لقد وقعت في الحب ، وكانت خطيئة لن تقع فيها مرة أخرى . كان يوجد في قلبها مكان لرجل واحد : لارى دوجلاس . كلما مرت نويل بميدان النصر ، أو أى

حديقة أو مطعم كانت بصحبة لارى فيه كانت تشعر بالوقت يملؤها ويخففها إلى درجة تجعلها تتنفس بصعوبة ، كان يراودها شعور آخر مع الكرة لم تكن نويل تعرف اسمه .

بعد شهرين من انتقالها للإقامة مع سوريل جاءت مكالمة هاتفية من باربيه : " لدى تقرير آخر لك . "

قالت له بلهفة : " هل هو بخير ؟ "

شعر بعدم الراحة ، لكنه قال لها : " نعم . "

امتلاً صوتها بالراحة ، وقالت له : " سأحضر إليك على الفور . "

كان التقرير عبارة عن جزئين : الجزء الأول يتعلق بعمله العسكري ؛ فلقد أسقط خمس طائرات ألمانية ، وأصبح أول أمريكي ذا رتبة عالية في الحرب ، وتم ترقيته لدرجة ملازم طيار . الجزء الثانى من التقرير كان به ما يهيمها أكثر . أصبح له شعبية جارفة فى الحياة الاجتماعية فى لندن وقت الحرب ، وقد خطب ابنة أدميرال إنجليزى ، ثم جاءت قائمة بأسماء الفتيات اللاتى مارسن الحب معه كثيراً ، من فتيات الاستعراض إلى زوجة وكيل وزارة .

قال لها : " هل تريدني أن أستمع فى هذا ؟ "

" بالطبع . " ثم أخرجت مظروفاً به نقود من كيسها ، وأعطته لباربيه قائلة : " اتصل بى عندما تتوافر لديك معلومات أخرى . "

ثم رحلت .

تنهد ونظر إلى السقف وقال مفكراً : " يا لها من فتاة مجنونة ! " .

* * *

لو كان لسوريل أدنى فكرة عما يدور فى ذهن نويل ، لتعجب كثيراً . كانت نويل تبدو مخلصه له تماماً ، وتكرس كل وقتها له . كانت تفعل كل شئ من أجله ، فتطهو له الوجبات الرائعة ، وتتسوق وتشرف على تنظيف الشقة ، وينعم بلحظات حميمية معها . لم

يكن تطلب منه أى شئ . كان يهنئ نفسه على أنه وجد أفضل عشيقة ، وكان يأخذها معه فى كل مكان ، ويعرفها بأصدقائه الذين انبهروا بها ، وقالوا إنه رجل محظوظ لمعرفته بها .

فى إحدى الليالى كانا يتناولان العشاء معاً بعد العرض المسرحى ، فقالت له نويل : " أريد أن أمثل يا فيليب . "

هز رأسه وقال : " أنت جميلة حقاً ؛ لكنى عرفت ممثلات كثيرات فى حياتى ، وأنت مختلفة ، وأريدك كما أنت بلا تغيير . لا أريد أن يشاركنى فىك أحد . " ثم تحسس يدها قائلاً : " ألا أمنحك كل ما تريدين ؟ " .

ردت قائلة : " نعم يا فيليب . "

عندما عادا إلى الشقة فى تلك الليلة ، وقضيا وقتها شعر سوريل أنه منهك القوى . لم تكن نويل مثيرة له هذه الليلة ، وهنا سوريل نفسه ، وقال إن كل ما تحتاجه هو توجيه أحد الرجال الموثوق بهم لها .

كان الأحد التالى عيد ميلاد نويل ، وأقام سوريل حفل عشاء لها فى مطعم ماكسيم الشهير . لقد قام بحجز قاعة عشاء خاصة فى الدور العلوى ، وكانت مزينة بالمحمل الأحمر الغامق وخشب الحائط الفخم . ساعدته نويل فى كتابة قائمة المدعوين ، وكتبت أحد الأسماء بدون أن تقول له . كان هناك أربعون شخصاً فى الحفل شربوا نخب عيد ميلادها ، وأغدقوا عليها الهدايا . عندما انتهى العشاء قام سوريل ، وكان يترنح من إسرافه فى الشراب ، وقال للمدعوين بصوت أجش : " أصدقائى ، كلنا شربنا نخب أجمل فتاة فى العالم ، وأهديناها هدايا عيد الميلاد اللطيفة ، ولكنى سأمنحها هدية ستكون مفاجأة كبرى . "

نظر إليها مبتسماً ، ثم وجه كلامه للحضور : " أنا ونويل سوف نتزوج . "

صق الحضور ، وتساق الضيوف لتهنئة سوريل وتمنوا له حياة سعيدة مع زوجة المستقبل . جلست نويل وهي تبتسم للضيوف ، وتتمتع بكلمات الشكر . كان هناك شخص جالس على مائدة فى آخر القاعة ، يدخل سيجاراً ببسم طويل ، وينظر إلى المشهد باحتقار . كانت نويل تعلم أنه كان يراقبها طوال العشاء . كان رجلاً نحيفاً وطويلاً ، وله وجه حاد الملامح ، وكأنه يفكر ملياً طوال الوقت . كان يبدو مستمتعاً بكل ما يدور حوله ، وكأنه جاء لملاحظة الحفل ، وليس كمدمعو . نظرت نويل فى عينيه وابتسمت .

كان هذا الرجل هو أرمان جوتييه ، وهو من أشهر المخرجين فى فرنسا . كان مدير مسرح ريبورتورى الفرنسى ، وكانت مسرحياته مشهورة ، ويمدحها كل من شاهدها عبر أنحاء العالم . مجرد إخراجة لفيلم أو مسرحية كان ضماناً كافياً للنجاح . كانت قد سمعت أنه يتعامل جيداً مع الممثلات ، ولقد اكتشف حوالى ست ممثلات صرن نجومات شهيرات .

كان سوريل بجوار نويل ، ويتحدث معها قائلاً : " هل اندهشت يا حبيبتي ؟ "

" نعم يا فيليب . "

" أريد أن نتزوج على الفور ، سنقيم حفل الزواج فى فيلتى " . عبر كتف سوريل رأت نويل أرمان جوتييه يراقبها ، وابتسم ابتسامته الغامضة ، وعندما جاء بعض الأصدقاء اصطحبوا سوريل معهم وعندما التفتت نويل كان جوتييه واقفاً أمامها .

قال لها : " مبروك " كان هناك سخرية فى صوته . " لقد حظيت بصيد وافر " .
" حقاً ؟ "

" نعم ، ف " سوريل " فرصة رائعة للزواج . "

قالت بدون اكتراث : " ربما لبعض الأخريات . "

نظر إليها فى دهشة ، وقال : " هل تحاولين التلميح بأنك غير مهتمة به ؟ "

" أنا لا أحاول التلميح بأى شىء " .

" حظاً سعيداً . " ثم تركها ، وتأهب للذهاب .

" مسيو جوتييه ... "

توقف عن السير .

قالت له : " هل يمكننى مقابلتك الليلة . فأنا أريد التحدث معك على أفراد " .

نظر إليها جوتييه لبرهة ، ثم هز كتفيه قائلاً :

" كما تريد " .

" سأذهب إلى منزلك ، أيروك ذلك ؟ "

" بالطبع عنوانى هو ... "

" أعرف عنوانك .. سأحضر فى الثانية عشرة . هل هذا يناسبك ؟ "

" بكل تأكيد " .

كان جوتييه يعيش فى شقة فخمة ، فى مبنى فخم فى شارع " ماربوف " . اصطحبها البواب إلى البهو أسفل المبنى . ثم قادها عامل المصعد إلى الدور الرابع ، وأشار لها إلى شقة جوتييه . دقت نويل الجرس وفتح لها جوتييه الباب ، وكان يرتدى روبا مزينا بصور الأزهار .

قال لها : " تفضلى بالدخول " .

دخلت نويل الشقة وشعرت رغم قلة خبرتها أن ديكورات الشقة تنم عن ذوق رفيع ، وكانت التحف الفنية القيمة تملأ المكان .

قال معتذراً : " آسف لأننى لا أرتدى الرزى اللائق ، فلقد كنت

أتحدث فى الهاتف " .

تفحصت نويل رداءه ، وقالت : " ليس من الضروري أن ترتدى ملايسك الرسمية " ، ثم اتجهت إلى الأريكة وجلست .

ابتسم جوتيه قائلاً : " هذا ما شعرت به يا نويل ، ولكنني فضولى بشأن شيء ما . لماذا اخترتني وأنت مخطوبة لرجل شهير وثرى . أنا متأكد أنك إذا أردت القيام بعلاقات مع الرجال فستجدين من هم أوسم منى ، وأصغر سناً ، وأغنى منى . ماذا تريد منى ؟ " .

" أريدك أن تعلمني فن التمثيل " .

نظر إليها لبرهة ، ثم تنهد قائلاً : " لقد جلبت لى الإحباط . كنت أتوقع أى شيء سوى هذا " .

" عملك هو التعامل مع الممثلين " .

" مع الممثلين وليس الهواة . هل مثلت من قبل ؟ " .

" كلا ولكنك ستعلمني " خلعت قبعيتها وقفازاها ، وقالت : " أين

حجرة النوم ؟ " .

تردد جوتيه في البداية ، فحياته مليئة بالجماليات ممن يردن

التمثيل في المسرح ، وتكبير مساحة الدور ، أو القيام بدور البطولة في

مسرحية جديدة ، أو حجرة كبيرة في الكواليس . كلهن كن مصدر

إزعاج وألم له . كان يعرف أنه سيكون أحرق إذا تورط مع فتاة أخرى ،

وهو ليس في حاجة إلى ذلك . ها هي فتاة جميلة تراوده عن نفسه . من

السهل أن يمارس الحب معها ثم يطردها . أشار إلى باب الحجرة ،

وقال : " إنها هنا " .

في الصباح قال لها جوتيه : " سأرتدى ملايسى ، ونذهب لتناول

الإفطار " .

قالت نويل : " ابق مكانك " ثم ذهبت إلى الدولاب ، وارتدت

الروب الخاص به وأضافت : " استرح وسأعود حالاً . " .

بعد ٣٥ دقيقة عادت نويل بالإفطار في صينية ، كان عليها عصير

برتقال طازج ، وبيض بالسجق ، ومخبوزات كرواسون بالزبد الساخن ،

ومربى ، وإناء قهوة بدون لبن . كان الطعم أكثر من رائع

قال جوتيه : " ألا تأكلين ؟ " .

هزت رأسها بالنفي : " كلا " ، ثم جلست على المقعد الوثير تراقبه

وهو يأكل .

عدل جوتيه عن تقديره السابق لنويل تماماً . لم تكن مجرد نزوة

الليلة واحدة ، بل هي كنز ثمين . لكنه قد قابل من هن مثلاً في عمله

في المسرح ، لكنه لن يهدر وقته وعمله وموهبته كمخرج على هاوية

ذات عيئين ساحرتين مهما كان جمالها أو مهاراتها في ممارسة الحب .

فلقد كان يأخذ عمله وفنه مأخذ الجد ، ورفض أن يقدم تنازلات في

المالسى ، ولن يقدمها الآن .

ليلة أمس كان يخطط لقضاء الليلة معها ، ثم طردها في الصباح .

والآن وهو يتناول إفطاره ويتفرس فيها كان يحاول التفكير في إبقائها

كمشيقة حتى يمل منها . ولن يشجعها كممثلة . لكن كان يعلم أنه

يجب أن يستغل التمثيل كطعم للإيقاع بها . قال لها بحرص : " هل

تخططين للزواج من فيليب سوريل ؟ " .

قالت : " بالطبع لا ، ليس هذا ما أريده " .

فبادرها بالسؤال : " وما الذى تريدينه منه ؟ " .

قالت له بهدوء : " أخبرتك من قبل أنني أريد أن أكون ممثلة " .

بدأ في التهام الكرواسون ، ثم قال محاولاً إضاعة الوقت :

" بالطبع يوجد مدربون رائعون في فن التمثيل يمكننى أن أرسلك لهم يا

نويل .. " .

قالت : " كلا " وكانت تنظر إليه بدفء وود ، وكأنها متحمسة

لقبول أى شيء يقترحه عليها . لكن جوتيه شعر أن بداخلها إرادة

فولاذية . كانت هناك عدة طرق للرفض ، بغضب ، أو بعتاب ، أو

بإحباط ، أو بغضب مكتوم ، لكنها قالت : " كلا " بنعومة وبشكل قاطع . سيكون الأمر أصعب مما توقع . شعر للحظة أنه أراد أن يخبرها كما أخبر عشرات الفتيات مثلها كل أسبوع أن ترحل ؛ لأنه لا يهدر وقته الثمين مع أمثالها . لكنه تذكر الشعور الرهيب الذى شعر به أثناء الليل ، وعرف أنه سيكون أحق إذا تركها تذهب سريعاً . فهى بالتأكيد تستحق بعض التنازل البسيط .

قال جوتيبه : " حسناً ، سأعطيك مسرحية لكى تدرسيها جيداً ، وعندما تحفظينها عن ظهر قلب ، ستقرئينها لى ؛ لنرى مدى موهبتك ، ثم نقرر ماذا نفعل " .

قالت له : " شكراً يا أرمان " . لم يكن فى صوتها نبرة انتصار ، أو حتى متعة يشعر بها فى كلامها ، بل مجرد اعتراف بالجميل لما هو لا مفر منه . لأول مرة شعر جوتيبه بالشك . لكن كان ذلك سخيلاً ، فبالطبع هو خبير فى معاملة النساء .

بينما شرعت نويل فى ارتداء ملابسها ذهب جوتيبه إلى مكتبه الذى يزخر بالكتب ، وفحص المجلدات القديمة من كثرة الاستخدام ، وفى النهاية ابتسم ابتسامة خبيثة ، واختار مسرحية يور ببيديس " أندروميخا " ، وهى من أصعب المسرحيات الكلاسيكية تمثيلاً . وعاد إلى حجرة النوم ، وأعطاه المسرحية .

" أمسكى يا حبيبتي ، عندما تحفظين دورك سراجعه معاً "

" شكراً يا أرمان ، لن تندم على ذلك . "

كلما فكر فى الأمر زادت سعادته بخطته المحكمة . سيستغرق الأمر أسبوعاً أو اثنين من نويل ، لكى تحفظ دورها ، أو حتى أكثر ، وستأتى له ، وتعتزف أنها لم تتمكن من حفظ الدور ، وسوف يتعاطف معها ، ويوضح لها مدى صعوبة فن التمثيل . وبالتالي يستمر فى إقامة علاقة معها دون إعاقة من طموحها . تواعدا على موعد للعشاء مع الليلة ، ثم غادرت منزله .

عندما عادت نويل للشقة التى تقيم بها مع سوريل وجدته فى انتظارها ، وكان مخموراً .

صرخ فى وجهها : " أيتها العاهرة ! أين كنت طوال الليل ؟ " لم يكن من المهم ما سيسمعه منها ، فلقد تخيل أنه سيسمع اعتذارها ، ثم يضربها ويسامحها .

بدلاً من كل هذا لم تعتذر نويل ، بل قالت له ببساطة : " كنت مع رجل آخر يا فيليب ، وجئت لكى أجمع أغراضى " .

راقبها سوريل بدهشة بالغة وعدم تصديق ، وهى تذهب لحجرة النوم وتعد حقائبها .

صرخ متوسلاً : " لا تفعل ذلك يا نويل أرجوك وأتوسل إليك ! نحن نحب بعضنا البعض وستنزوج " . ظل يتحدث معها لمدة نصف ساعة يناقشها ويهددها ويستميلها ، وعندما انتهت من إعداد حقائبها وغادرت الشقة لم يكن لدى سوريل أدنى فكرة عن سبب فقدانه لها لأنه لم يعرف أنه لم يمتلكها قط .

كان أرمان جوتيبه يخرج مسرحية جديدة سيفتتح أول عروضها بعد أسبوعين ، وكان مشغولاً طوال اليوم فى البروفات . كقاعدة فى حياته فإن جوتيبه لا يفكر فى أى شيء أثناء العمل إلا العمل نفسه ، وكان جزءاً من عبقريته يتمثل فى قدرته على التركيز الحاد فى عمله ، وكأنه لا يوجد سوى الجدران الأربعة للمسرح والممثلين . لكن اليوم كان حاله مختلفاً ، كان يسرح عقله ، ويشرد بذهنه إلى نويل ، واللييلة الرهيبة التى قضياها معاً . كان المثلون يجرون بروفة مشهد ، ثم يتوقفون منتظرين تعليقاته ، ولكنه يدرك فجأة أنه لم يكن منتبهاً لهم . كان غاضباً من نفسه ، وحاول أن يركز انتباهه لعمله ؛ لكن تفكيره فى نويل والتجربة المدهشة معها شقت انتباهه . فى منتصف المشهد الدرامى وجد نفسه يخرج من المسرح متعللاً بحاجته إلى الراحة .

لأن عقله يحلل كل شيء ، حاول جوتيه أن يفكر فى هذه الفتاة وتساءل عما بها حتى يؤثر فيه لهذه الدرجة . كانت نويل جميلة ، ولكنه عرف أجمل النساء فى العالم . كانت لها مهارات متعددة فى ممارسة الحب ، ولكن بالطبع قد ضاع الكثيرات ممن يبرعن فى ممارسة الحب أيضاً . كانت تبدو ذكية ، لكن ذكاءها غير حاد ، وشخصيتها تبدو مبهجة وليست معقدة . لكن هناك شيئاً آخر لم يتوصل إليه المخرج العبقري . فقد تذكر كلمة " لا " وهى تخرج منها فى نعومة ، وشعر أن هذا هو مفتاح السر . كانت بداخلها قوة لا تقاوم تجعلها تحصل على ما تريد . كان يوجد شيء غير ملموس بداخلها . مثل الرجال الذين سبقوه شعر جوتيه أن نويل لها تأثير عليه بأكثر مما يجب الاعتراف به . لكنه لم يلمسها بيديه . وهذا تحدي لم ترفضه فحولته .

قضى جوتيه يومه فى حالة من الحيرة ، وأخذ يترقب عشاء الليلة بشغف شديد ، ليس لأنه يريد أن يضاجعها ، بل لكى يثبت لنفسه أنه يهول من شأن الأمر . إنه يتمنى لها الفشل فى التمثيل لكى يتمكن من طردها من حياته بعد أن يصاب منها بالإحباط .

بينما كانا يمارسان الحب فى تلك الليلة شعر جوتيه عن وعى بكل حيلها . لكنه كان مخطئاً . بحلول الصباح كان مقتوناً بها أكثر من ذى قبل .

أعدت له نويل الإفطار مرة أخرى ، ولكن هذه المرة كان الإفطار متمثلاً فى شرائح الفطير بالزبد ، واللحم البارد ، والقهوة الساخنة ، وكان شهياً للغاية .

قال جوتيه لنفسه : " حسناً لقد وجدت فتاة جميلة تسر العين وتمارس الحب وتطبخ ، رائع ! لكن هل هذا يكفي لرجل ذكى ؟ عند الانتهاء من الأكل وممارسة الحب يحب الرجل الذكى التحدث . ما الذى يمكنها التحدث عنه ؟ " الإجابة هى أن الأمر غير مهم بالمرّة . لم

تذكر له المسرحية ، وكان يأمل أن تكون قد نسيت الأمر ، أو لم تتمكن من حفظ الدور . عندما غادرت فى الصباح وعدته بتناول العشاء معه هذه الليلة .

" هل تمكنت من التخلص من فيليب ؟ "

قالت ببساطة : " لقد تركته " ، وأعطت جوتيه عنوانها الجديد حديق إليها للحظة ، وقال : " فهمت " . لكنه لم يفهم أى شيء .

قضى الليلة معاً مرة أخرى ، حيث كانا يتحدثان ، أو بالأحرى كان جوتيه هو من يتحدث . كانت تبدو نويل مهتمة به لدرجة أنه أخذ يناقش أموراً لم يناقشها منذ سنوات ، وأشياء شخصية لم يخبر بها أحداً من قبل . لم تذكر المسرحية التى أعطاها لها لكى تقرأها ، وبالتالى هنا جوتيه نفسه ؛ لأنه توصل إلى حل بسيط للمشكلة .

فى الليلة التالية التى تناولوا فيها العشاء معاً ، وكانا مستعدين للعودة للمنزل ، اتجه جوتيه إلى حجرة النوم ؛ لكن نويل قالت له : " ليس الآن " .

فاستدار فى دهشة .

" قلت إنك تريد الإنصات لى ، وأنا أمثل دورى فى المسرحية " .

قال متلعثماً : " نعم - بالطبع ، بمجرد أن تستعدى للدور " .

" إننى مستعدة " .

هز رأسه بالنفى قائلاً : " لا أريدك أن تقرئها يا عزيزتى ، بل أريد سماعها منك عندما تحفظين الدور ، لكى أحكم عليك كمثلة " .

" لقد حفظتها عن ظهر قلب " .

حديق إليها فى دهشة وعدم تصديق ، فمن المستحيل أن تحفظ دورها فى المسرحية فى غضون ثلاثة أيام .

بعد أن هدا احتضن كلاهما الآخر : عرف الآن أنه كان يقلق بلا داع ، فهي كأتى امرأة تحتاج لمن يتحكم فيها ويسيطر عليها . لن تصدر مشاكل منها بعد الآن .
قال لها أثناء الليلة : " ستصبحين ممثلة رائعة يا نويل ، وسأفخر بك " . همست له قائلة : " شكراً لك يا أرمان " .

أعدت له الإفطار فى الصباح ، ثم غادر جوتيبه المنزل للذهاب إلى المسرح . عندما حاول التحدث معها عبر الهاتف بالنهار ، لم ترد عليه الهاتف . وعندما وصل منزله ليلاً لم تكن هناك . انتظر عودتها ؛ ولكنها لم تظهر . وظل مستيقظاً طوال الليل وهو يتساءل هل تعرضت لحادث أم ماذا حدث ؟ حاول أن يتحدث معها هاتفياً فى منزلها ، ولكن لم يلق أى رد . أرسل إليها رسالة برفقية ، لكنها عادت إليه لعدم الاستدلال على المرسل إليه ، وعندما جاء إلى الشقة الخاصة بها بعد بروفات المسرح لم يرد أحد على رنين جرس الباب .

فى الأسبوع التالى لذلك ، أصيب جوتيبه بالجنون ، وانهارت البروفات . وفشلت فشلاً ذريعاً ، وكان يصرخ فى كل الممثلين مما جعلهم يغضبون منه . لدرجة أن مدير المسرح اقترح عليه الحصول على إجازة ، وقد وافق جوتيبه . بعد مغادرة الممثلين جلس فى المسرح وحيداً وهو يحاول فهم ما حدث له . أخذ يخبر نفسه أن نويل مجرد امرأة شقراء رخيصة ، وطموح ، لها قلب بائعة فى محل ، وأرادت أن تكون نجمة . ظل يبخس من قدرها ، ويتعنتها بما ليس فيها بكل الطرق ؛ لكنه فى النهاية عرف أنه لا فائدة من ذلك . كان عليه أن يستحوذ عليها مرة أخرى . فى تلك الليلة تجول عبر شوارع باريس ، وهو يحتسى الشراب فى أحد البارات الصغيرة ، حيث لن يتعرف عليه أحد . حاول التفكير فى عدة طرق للوصول إلى نويل ؛ ولكن لم تكن هناك فائدة ترجى من أى طريقة . لم يكن هناك من يمكنه التحدث معه عنها ، عدا فيليب سوريل ، وبالطبع لن يفعل ذلك مطلقاً .

قالت له : " هل أنت مستعد لسماعى ؟ " لم يكن أمامه خيار فقال : " بالطبع " . ثم أشار لها لكى تقف فى منتصف الحجرة : " تلك ستكون خشبة المسرح ، وسنفترض أن المتفرجين هنا " ، ثم جلس على الأريكة الوثيرة .

بدأت نويل تلعب دورها ، وبدأت الشعريرة تسرى فى جسده ، لم تكن لديها أية خبرة ، فهي بعيدة جداً عن ذلك المجال ، وانعدام خبرتها كان يبرز فى كل حركاتها وسكناتها . لكن كان لديها ما هو أهم من المهارة : كان لديها موهبة طبيعية ، وأمانة نادرة فى حفظ الدور ، مما يعطى كل سطر معنى ولوئاً متجدداً .

عندما انتهت نويل من سرد حوار البطلة لذاتها قال جوتيبه بدفء : " أعتقد أنك يوماً ما ستكونين ممثلة من العيار الثقيل يا نويل ، وأنا لا أجملك . سأرسلك لأفضل مدرب فى فن التمثيل ، وهو جورج فيبر وبالعمل معه سوف ... " .
" كلا " .

نظر إليها فى دهشة . كانت نفس نبرتها عندما قالت " كلا " فى نعومة ، بشكل إيجابى وقاطع .

قال جوتيبه فى حيرة : " ما الذى ترفضينه ؟ فيبر لا يدرب إلا عظماء الممثلين ، وسيقبلك لأننى سأطلب منه ذلك " .
قالت نويل : " أنا أريد أن أعمل معك " .

شعر جوتيبه بالغضب العارم يرتفع داخله ، فقال سريعاً : " أنا لا أدرب أحداً ، فأنا لست معلماً ، بل أنا مخرج للممثلين المحترفين . عندما تصبحين ممثلة محترفة سأخرج لك " . كان يقاوم إظهار الغضب فى صوته : " هل فهمت ؟ " .

أومأت برأسها ، وقالت : " نعم يا أرمان " .
" حسناً " .

بعد مرور أسبوع على اختفاء نويل عاد أرمان جوتييه إلى منزله في الرابعة صباحاً ، وهو ثمل ، وفتح الباب ودلف إلى حجرة المعيشة ، وكانت كل الأنوار مضاءة ، ونويل نائمة في استرخاء على مقعد وثير ، وهي ترتدى روب جوتييه ، وتقرأ كتاباً . نظرت إليه وهو يدخل ، وقالت وهي مبتسمة :
" أهلاً يا أرمان "

حدق جوتييه إليها ، وشعر برجفة في قلبه ، وشعر بالارتياح البالغ والسعادة يغمرائه ، وقال :
" سنبدأ العمل معاً غداً "

كاثرين

واشنطن ١٩٤٠

٥

كانت واشنطن من أكثر المدن المثيرة التي رأتها كاثرين ، كانت تعتقد أن شيكاغو هي قلب أمريكا ، ولكن واشنطن كانت بالنسبة لها مفاجأة مذهلة غيرت مفاهيمها ، فهنا قلب أمريكا الحقيقي النابض بالقوة . في البداية كانت كاثرين تشعر بالحيرة من تعدد الرجال ذوي الحلل العسكرية المختلفة عبر الشوارع من الجيش والبحرية والمارينز ، ولأول مرة شعرت كاثرين بالاحتمال الكئيب بوقوع حرب وشيكة ، لم تكن إشاعة ، بل حقيقة .

كان الوجود المادي للحرب الوشيكة في كل مكان في واشنطن . إنها المدينة التي ستبدأ منها الحرب إذا وقعت . سيتم هنا إعلان الحرب ، وتعبئة الجنود ، والتخطيط للحرب . كانت تلك المدينة تحمل بداخلها مصير العالم ، وكاثرين ستكون جزءاً من هذه الخطة .

انتقلت كاثرين للإقامة مع سوزي روبرتس ، التي كانت تعيش في شقة مبهجة ومتواضعة في الدور الرابع ، ولم يكن بالعمارة مصعد ،

وكانت بالشقة حجرة معيشة متوسطة المساحة ، وبها حجرتان متجاورتان صغيرتان ، وفيها حمام ، ومطبخ صغيران بمساحات ضيقة . سرت سوزى لرؤيتها ، وكانت أولى كلماتها لها :
 " أسرعى بإفراغ حقائبك ، وكى أفضل فستان لديك ، فلدينا موعد على العشاء الليلة . "

تعجبت كاثرين قائلة : " لماذا العجلة ؟ "

" كاشى ، فى واشنطن يحتفظ الفتيان بالدفاتر لتدوين أسماء الفتيات ، وليس العكس ؛ لأن المدينة مليئة بالرجال الفرادى ، الذين يشعرون بالوحدة ، وهذا يدعو إلى الرثاء . "

فى فندق ويلارد ، كان رفيق سوزى عضواً فى البرلمان من ولاية أنديانا ، ورفيق كاثرين فى مجلس الشورى من مدينة أوجون ، وكلاهما فى واشنطن غير متزوجين . بعد العشاء رقصوا معاً فى نادى واشنطن الريفى . تمت كاثرين لو أن رفيقها وجد لها وظيفة ؛ ولكنه عرض عليها شقة وسيارة مقابل أن تصبح عشيقته ؛ لكنها رفضت وشكرته .

عادت سوزى برفيقها إلى المنزل ، وذهبت كاثرين للنوم ، لكن بعد قليل سمعتها يذهبان لغرفة نوم سوزى . فى الصباح استيقظت كاثرين ، وتناولت طعام الإفطار ، وكانت سوزى مستيقظة قبلها ، وتبدو عليها أمارات المرح والرضا ، ومستعدة للذهاب لعملها . بدأت كاثرين تبحث فى صديقتها عن آثار العنف والعريضة التى سمعتها لكنها لم تجدها . بل على العكس كانت تبدو أكثر إشراقاً ، وجلدها بدون أى كدمات أو علامات . فكرت كاثرين : " ياه يبدو أنها مثل دوريان جراى ذات الشباب الدائم ! فى يوم ما ستظل محتفظة بجمالها ، وسأبدو أنتى عجوز ذات ١١٠ أعوام ! "

بعد عدة أيام قالت لها سوزى أثناء تناول الإفطار : " سمعت أنه يوجد وظيفة شاغرة قد تهكم . إحدى الفتيات فى الحفل قالت إنها

ستترك الوظيفة ؛ لكى تعود إلى ولاية تكساس ، لا أعلم لماذا من يغادر تلك الولاية يريد العودة إليها . "

" أذكر ذات مرة ... "

قاطعتها كاثرين قائلة : " أين مكان عملها ؟ "

" من ؟ "

قالت كاثرين بصير : " الفتاة " .

" إنها تعمل لدى نيل فريزر ، المسئول عن العلاقات العامة فى وزارة الداخلية . مجلة نيويورك كتبت عنه مقالاً صحفياً الشهر الماضى . إنها لوظيفة مريحة جداً ، ولقد سمعت عنها بالأمس فقط ، إذا ذهبت إلى هناك الآن سوف تهزمين المنافسات على الوظيفة " .

قالت لها كاثرين بامتنان : " شكراً لك . أنا آتية يا ويليام فريزر " .

بعد ٢٠ دقيقة كانت فى طريقها لوزارة الداخلية . عندما وصلت أخبرها حارس المبنى بموقع مكتب فريزر ، واستقلت المصعد إلى الطابق العلوى . فكرت كاثرين : " العلاقات العامة ، إنه نوع الوظائف الذى أبحث عنه " .

وقفت كاثرين فى الردهة خارج المكتب ، ثم أخرجت المرأة من الحقيبة للتحقق من زينتها ، وتأكدت أنها على ما يرام . لم تبلغ الساعة التاسعة والنصف بعد ، ولديها الملعب كله لها وحدها . فتحت الباب ودلفت إلى المكتب .

كان المكتب مليئاً بالفتيات الواقفات ، والجالسات ، والمستندات على الحائط . كانت موظفة الاستقبال فى قمة الغضب ، وهى جالسة خلف مكتبها القديم الذى هجمت عليه الفتيات ، وهى تحاول دون جدوى فرض النظام فى المكان : " السيد فريزر مشغول الآن " أخذت تكرر : " لا أعلم متى سيكون بإمكانه رؤيتك " .

قالت إحداهن بغضب : " هل سيجرى مقابلة مع السكرتيرات أم لا ؟ "

نظرت حولها إلى الجماهير الغفيرة ، وقالت : " نعم لكن ... يا إلهي ! يا للسخف ! "

انفتح الباب ، ودلفت ثلاث فتيات ، ودفعن كاثرين إلى الجانب أثناء دخولهن مسرعات .

قالت إحداهن : " هل الوظيفة مازالت شاغرة ؟ "

قالت الأخرى : " ربما يريد نساء لجناح الحريم ، وبالتالي نظل جميعاً هنا . "

انفتح المكتب وخرج الرجل . كان طوله أقل قليلاً من ست أقدام ، ولديه بنية جسدية ليست رشيقة ، وليست بدينة لشخص غير رياضي ، لكنه يمارس الرياضة ثلاث مرات أسبوعياً في النادي الصحي . كان شعره أصفر ومتجعداً ، وكانت عيناه زرقاوين ، وفك أسنانه مستطيلاً . قال الرجل : " ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم يا سالي ؟ " كان صوته عميقاً وسلطوياً .

" لقد سمعت هؤلاء الفتيات عن الوظيفة الشاغرة يا سيد فريزر . "

" يا إلهي ، لم أسمع عنها أنا نفسي إلا منذ ساعة " مسح بعينه أرجاء الحجرة ، وقال : " إنها تشبه الغابة " عندما وقعت عيناه على كاثرين وقفت معتدلة وابتسمت له ، وكأنها واثقة من أنها ستكون أفضل سكرتيرة ، اتجهت عيناه إلى موظفة الاستقبال ، وقال : " أحتاج لنسخة من جريدة لايف ، وهى نسخة ظهرت منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع ، وعلى غلافها صورة للزعيم الاشتراكي ستالين . "

قالت موظفة الاستقبال : " سأطلبها لك يا سيدى "

" أريدها الآن ! " ثم عاد إلى مكتبه .

قالت موظفة الاستقبال : " سأصل بمكتب هذه المجلة ، وسأرى هل يمكنهم العثور على نسخة لنا أم لا . "

وقف فريزر على الباب ، وقال : " سالى ، معى السيناتور بورا على الهاتف ، وأريد أن أقرأ له فقرة من هذا العدد من المجلة ، ولديك دقيقتان لإيجاد نسخة منها لى " وعاد لمكتبه ، وأغلق الباب .

نظرت الفتيات لبعضهن البعض : ولم تكثرث إحداهن . أما كاثرين ففكرت بعمق ، ثم خرجت مسرعة من المكتب .

قالت إحدى الفتيات : " رائع ، انسحبت واحدة "

التقطت الموظفة سماعة الهاتف ، واتصلت بالاستعلامات : " أريد رقم مكتب مجلة لايف " ثم ساد الهدوء فى الحجرة . بينما تراقبها الفتيات : " شكراً لك " . ثم وضعت السماعة ، واتصلت بعد أن رفعها مرة أخرى وقالت : " أهلاً ، هنا مكتب السيد فريزر ، وهو بحاجة إلى نسخة قديمة من مجلتكم فى الحال ، والتي على غلافها صورة ستالين .. أنتم لا تحتفظون بالأعداد السابقة ؛ لمن أحدث ؟ ... فهمت شكراً " ثم وضعت السماعة .

قالت إحدى الفتيات لها : " حظاً سعيداً يا عزيزتى "

قالت إحداهن : " ربما يعينون الجميلات فقط هنا ، أليس كذلك ؟ إذا أراد هذا الرجل المبيت عندى الليلة فسأقرأ له تلك المجلة ! " ضحكت جميع الحاضرات .

جاء صوت الهاتف الداخلى ، فضغطت الموظفة على الزر : " انتهت مهلة الدقيقتين ، أين المجلة ؟ "

سحبت الموظفة نفساً عميقاً ، وقالت : " تحدثت إلى مكتب المجلة ، وقالوا لى من المستحيل أن ... "

فتحت كاثرين الباب ، وأسرعت بالدخول ، وكان فى يدها نسخة المجلة التى على غلافها ستالين ، ثم اندفعت وسط الزحام ، ودفعت بالمجلة فى يد الموظفة التى حددت إليها ، وهى غير مصدقة ، وقالت : " لدى نسخة هنا يا سيد فريزر سأحضر لك حالا . " ثم قامت ، وابتسمت لكاثرين تعبيراً عن امتنانها ، وأسرعت للمكتب

الداخلي . نظرت كل الفتيات إلى كاثرين بغیظ ، والحسد يأكل قلوبهن .

بعد دقيقتين انفتح باب المكتب ، وظهر منه فريزر ، والموظفة التي أشارت إلى كاثرين ، وقالت : " تلك هي الفتاة " .
ألقي فريزر نظرة فاحصة على كاثرين ، وقال : " هلا دخلت من فضلك ؟ " .

" نعم يا سيدى " ثم تبعته إلى المكتب ، وهي تشعر بنظرات الفتيات تكاد تخترقها . أغلق فريزر الباب .
كان المكتب يبدو بيروقراطياً معتاداً في بنايات واشنطن ، لكنه به ديكورات ذات طراز جميل ، ينم عن الذوق الشخصى فى الأثاث والفن .

" اجلسى يا آنسة .. "

" كاثرين ألكساندر . "

" أخبرتنى سالى أنك أحضرت المجلة . "

" نعم يا سيدى . "

" بالطبع لن أفترض أن المجلة كانت فى حقيبتك منذ ثلاثة أسابيع بالصدفة " .

" كلا يا سيدى . "

" كيف وجدتتها سريعاً ؟ "

" ذهبت للحلاق ، ولأن الحلاقين وأطباء الأسنان لديهم مجلات قديمة للقراءة أثناء الانتظار . "

ابتسم فريزر ، وبدا وجهه المجدد أقل رعباً : " فهمت ، لم تكن تلك الفكرة لتخطر على بالى ، هل أنت ذكية فى كل شيء ؟ "

فكرت كاثرين فى رون بيترسون ، وقالت : " كلا ياسيدى . "

" هل تريدین العمل كسكرتيرة ؟ "

" ليس بالضبط " ، ثم رأت الدهشة بادية على وجهه ، فأردفت قائلة بسرعة : " ولكنى سأقبل الوظيفة ، فما أريده هو أن أكون مساعدة شخصية لك " .

قال بفضافة : " لماذا لا تبدئين كسكرتيرة اليوم ؟ يمكنك غداً أن تصبحى مساعدة لى " .

نظرت إليه بأمل ، وقالت : " هل تعنى أننى حصلت على الوظيفة ؟ "

" ستكونين تحت الاختبار والتدريب " ، ثم ضغط على زر الاتصال الداخلى ، ومال إلى الصندوق الآلى ، وقال : " سالى ، اشكرى الآنسات وقولى لهن إن الوظيفة لم تعد شاغرة " .
" حسناً يا سيد فريزر " .

ثم ترك الزر ، وقال : " هل يكفىك ثلاثون دولاراً كل أسبوع ؟ "

" نعم ، شكراً يا سيد فريزر . "

" يمكنك البدء من صباح الغد من التاسعة صباحاً . اجعلنى سالى تعطيك استمارة عاملين ؛ لكى تملئها " .

عندما غادرت كاثرين المكتب ذهبت لجريدة واشنطن بوست ، فأوقفها رجل الأمن فى بهو الاستقبال .

قالت بثقة : " أنا السكرتيرة الخاصة لـ " ويليام فريزر " من وزارة الداخلية ، وأريد بعض المعلومات من الأرشيف الخاص بكم " .

" أى نوع من المعلومات ؟ "

" عن ويليام فريزر . "

تفرس الرجل فى وجهها لبرهة ، ثم قال : " هذا أغرب طلب سمعته هذا الأسبوع . هل رئيسك يتحرش بك ، أو ما شابه ذلك ؟ "

قالت مهدئة من روعه : " كلا ، فأنا أخطط لكتابة بحث عنه " .

بعد خمس دقائق جاء أحد الموظفين لكي يصطحبها إلى الأرشيف وسحب ملفاً عن ويليام فريزر وبدأت كاثرين تقرأه .

بعد ساعة أصبحت كاثرين خبيرة في كل ما يتعلق بـ " ويليام فريزر " وعلمت كل شيء عنه . عمره ٤٥ عاماً ولقد تخرج في جامعة برينستون مع مرتبة الشرف وأسس وكالة إعلانية تسمى " فريزر وشركاه " التي أصبحت من أنجح الوكالات الإعلانية في سوق العمل ، وقد طلب إجازة منذ عام يطلب من رئيس الجمهورية للعمل لدى الحكومة ، وتزوج سيدة ثرية تدعى ليديا كامبيون ثم وقع الطلاق منذ أربعة أعوام ولم ينتج عن هذه الزيجة أولاد . كان فريزر مليونيراً وله منزل في جورج تاون ومنزل صيفي في بارهاريور في مدينة ماين . كانت هواياته ممارسة لعبة التنس والتجديف والبولو . وكان العديد من مقالات الأخبار تصفه كأشهر عازب يصلح للزواج في أمريكا .

عندما وصلت كاثرين إلى المنزل وأخبرت سوزى بالأنباء السارة ، أصرت سوزى على الخروج للاحتفال ، بصحبة فتیان من العساكر الأغنياء من مدينة " أنابوليس " .

كان الفتى رفيق كاثرين مهذباً ومرحاً لكنها ظلت تقارنه في ذهنها بـ " ويليام فريزر " ، وبالتالي بدأ الفتى مملاً وثقيل الظل . تساءلت كاثرين هل ستقع في حب رئيسها الجديد أم لا . لم تكن تشعر بأي ارتعاش كفتاه وهي معه ولكن كانت تظهر أنه يعجبها وتكن له كل الاحترام والتقدير . ثم قررت أن ارتعاش الفتاة عندما تكون بصحبة رجل مثله لا يوجد سوى في الروايات الإباحية الفرنسية .

قام الفتیان باصطحاب الفتاتين إلى مطعم إيطالي صغير في ضواحي واشنطن وتناولوا عشاءً فاخراً وشاهدوا فيلماً في السينما استمتعت به كاثرين للغاية . في نهاية الليلة قام الفتیان بتوصيلهما إلى المنزل وسوزى دعتهما لقضاء الليلة والمبيت ، لكن عندما أدركت كاثرين عزمهما على

المبيت اعتذرت عن عدم استكمال السهر معللة بأنها تريد الذهاب للنوم .

لكن اعترض رفيقها قائلاً : " لم نبدأ السهرة بعد " .

وجذبها من ذراعها قائلاً بجدية : " قد تقع الحرب قريباً ، ولن ترسلي رجلاً إلى الحرب بتلك الحالة الشديدة من الشوق ، أليس كذلك ؟ " .

قاومت بصعوبة إظهار شعورها بالغضب ، وقالت دون إظهار لأي مشاعر : " فكرت كثيراً ، وقررت أنني سأرافق الجرحى بعد الحرب " ثم استدارت ، وذهبت إلى حجرة نومها ، وأغلقت الباب بالمفتاح . ولكنها أصيبت بالأرق ، فلقد ظلت مستلقية على الفراش تفكر في ويليام فريزر ، وفي عملها الجديد .

وصلت كاثرين في الساعة الثامنة والنصف إلى مكتبها الجديد . كان الباب مفتوحاً ، والضوء مضاءً في مكتب الاستقبال . من المكتب الداخلي سمعت صوت ويليام فريزر ، فدخلت إليه .

كان جالساً على مكتبه يملأ الآلة الصوتية ليسجل البيانات ، ونظر إلى كاثرين وهي تدخل ، فأغلق الآلة ، وقال لها : " لقد حضرت مبكراً " .

" أحب استكشاف واستطلاع المكان قبل أن أبدأ العمل . "

قال بلهجة تنم عن أنه يخفى شيئاً : " اجلسي ! "

وبدا عليه الغضب ، فجلست كاثرين فقال لها : " أنا أكره المتطفلين يا آنسة ! "

احمرّ وجهها ، وقالت : " لا أفهم ما مقصدك . "

" واشنطن مدينة ، بل قرية صغيرة ، ولا شيء يحدث فيها إلا ويعرفه الجميع في غضون خمس دقائق " .

" مازلت لا أفهم .. "

" رئيس تحرير المجلة اتصل بى بعد دقيقتين من وصولك له ؛ لكى يسألنى لماذا تود سكرتيرتى عمل بحث عنى . "

جلست كاثرين وهى تشعر بالخجل والذهول ، ولم تحر جواباً .

" هل عرفت كل النسيمة التى أردت معرفتها ؟ "

شعرت أن إحراجها يتحول سريعاً إلى غضب : " لم أكن أتطفل " ثم قامت ، وأردفت قائلة : " السبب الوحيد لطلبى لتلك المعلومات عنك هو أننى أريد معرفة نوع الرجل الذى أعمل معه " كان صوتها يتهدج من الغضب وأضافت : " أعتقد أن السكرتيرة الماهرة يجب أن تتكيف مع رئيسها ، وأردت أن أعرف من الذى سأتكيف معه . "

جلس فريزر بلا حراك وعلى وجهه أمارات المقت والازدراء . حدثت كاثرين إليه فى مقت هى الأخرى ، وكانت على وشك البكاء : " لا تقلق بعد الآن يا سيد فريزر ، فأنا مستقيلة " ثم استدارت وسارت نحو باب الخروج .

قال لها بصوت أجش ولفظ " اجلسى ! " فاستدارت كاثرين فى ذهول ، فأردف قائلاً : " لا أطيق من تظن نفسها أهم امرأة فى العالم " .

نظرت إليه فى غضب : " أنا لست ... " " حسناً حسناً أنا آسف . هلا جلست الآن من فضلك ؟ " ثم التقط الغليون من مكتبه وأشعله .

وقفت كاثرين ولم تدر ماذا تفعل ، وكانت تشعر بالإهانة : " أعتقد أن الأمر غير مُجد وأنا ... " .

دخن الغليون ، وأطفأ عود الكبريت ، وقال : " بالطبع فإن الأمر مُجد يا كاثرين " ثم قال بعقلانية : " لا يمكنك ترك العمل الآن ، لاحظى مشقة العثور على فتاة جديدة " .

نظرت كاثرين إليه ، ورأت لعان عينيه الزرقاوين ، وابتسم ، فوجدت رغباً عنها أن شفتيها تنفرجان عن ابتسامة صغيرة ، ثم جلست على المقعد .

" هذا أفضل ، هل أخبرك أحدهم من قبل أنك حساسة ؟ "

" أعتقد ذلك . اعتذر . "

رجع إلى الخلف فى المقعد وقال : " ربما أنا حساس أكثر من اللازم ، إنها شوكة فى ظهري أن يطلقوا على أكثر عازب فى أمريكا يصلح للزواج " .

تمنت كاثرين لو لم يستخدم مثل هذه الكلمات

ربما كان هو على حق ، ربما اهتمامها به ينبع من العقل الباطن ، وليس بشكل غير شخصى كما ظنت ...

" أنا هدف لكل عانس حمقاء ، لن تصدقيني لو أخبرتك بمدى عدوانية بعض النساء . "

بل ستصدق ، وتذكرت رسالتها إلى رون بيترسون : " جرب عاملة الخزينة " ، واحمر وجهها عندما تذكرت ذلك .

تنهد فريزر قائلاً : " الأمر حولنى من إنسان إلى ملاك تسعى نحوه النساء . بما أنه يوم الأبحاث العالمى فأخبريني ، هل لديك صديق ؟ "

قالت : " كلا " ، ثم أردفت سريعاً : " لا يوجد شخص له خصوصية فى حياتى . " نظر إليها فى حيرة ، وقال : " أين تسكنين ؟ "

" مقيمة فى شقة مع زميلة من أيام الجامعة " .

" من جامعة نورث ويسترن ؟ "

نظرت إليه فى دهشة ، ثم أدركت أنه لابد أنه قرأ استمارة العاملين التى كتبته .

" نعم يا سيدى . "

" سأخبرك بشيء عني لم تجديه في أرشيف المجلة . أنا رجل صعب المراس ، ومن الصعب إرضائي . أنا عادل مع الموظفين ؛ لكنني أسعى إلى الكمال دائماً . هل يمكنك التكيف مع ذلك ؟ "

" سأحاول . "

" جيد ، سالي ستعرفك على روتين العمل ، وأهم شيء يجب أن تعرفه أنني أحتسى الكثير من أقذاح القهوة الساخنة بدون لبن " .

" سأذكر ذلك " . ثم قامت واتجهت نحو الباب

" كاثرين ، لحظة من فضلك "

" نعم يا سيدى "

" عندما تعودين للمنزل الليلة تمرنى على قول الألفاظ النابية أمام المرأة ، لأننى سأصاب بالجنون والغضب كلما رأيتك تنظرين لى بغزع كلما نطقت لفظاً قبيحاً " .

كانت كلماته تشعرها وكأنها طفلة صغيرة .

قالت له ببرود : " حسناً يا سيدى " وخرجت مسرعة ، وأغلقت الباب بعنف .

لم يكن هذا اللقاء كما توقعت كاثرين . لم تعد معجبة به ، وظننت أنه شخص مغرور وقيادى . لا عجب فى أن زوجته طلبت منه الطلاق . لقد حصلت على عمل ؛ ولكنها قررت البحث عن عمل آخر مع إنسان عادى وليس طاغية مثله .

عندما انصرفت كاثرين اتكأ على المقعد وابتسم ، وتساءل : " هل لازال هناك فتيات صغيرات جميلات ، وفى نفس الوقت يتسمن بالجدية والإخلاص فى العمل ؟ " كانت عيناها تلمعان من الغضب وشفاتها ترتعشان ، وبدت بلا دفاع أمام فريزر لدرجة أنه أراد احتضانها بين ذراعيه لحمايتها . اعترف بذلك لنفسه على غير رغبة منه ، وشعر بالحزن . كانت تتمتع بصفة جذابة تشع منها ، وكان قد نسي أنها من سمات الفتيات . كانت جميلة ، وتشع جاذبية ، ولها

عقلية خاصة . ستكون أجمل وأفضل سكرتيرة فى حياته . فى أعماقه أحس أنها ستكون أكثر من مجرد موظفة له ، لكنه لم يكن متأكداً بعد . لقد مر بتجارب فاشلة كثيرة مع النساء ، لدرجة أنه يسيطر على انفعالاته بجهاز إنذار كلما تطرقت إليه امرأة ، وكانت تلك اللحظات نادرة . انطفأ الغليون ، فأشعله مرة أخرى ، وكان مازال مبتسماً . لاحقاً استدعاها للإملاء ، وكانت كاثرين مهذبة ولكن ببرود ، وانتظرت منه أن يقول أى تعليق شخصى لكى تظهر له جفاءها ؛ ولكنه كان يعاملها معاملة رسمية ولم يظهر أى جانب شخصى . اعتقدت كاثرين أنه مسح الموقف من ذاكرته تماماً . يا له من رجل عديم الإحساس !

رغماً عنها وجدت كاثرين عملها مثيراً وممتعاً . كان الهاتف لا يتوقف عن الرنين ، وأسماء المتصلين كانت تملؤها بالإثارة . فى أول أسبوع عمل لها اتصل نائب رئيس الجمهورية مرتين وحوالى ستة أعضاء من مجلس الشيوخ (السناتور) ، ووزير الخارجية ، وممثلة شهيرة تريد الدعاية والترويج لفيلمها الجديد . وأكثر إثارة حدثت نهاية الأسبوع عندما كان معها على الهاتف الرئيس الأمريكى " روزفلت " ، وكانت كاثرين متوترة جداً لدرجة أنها أسقطت سماعة الهاتف ، وأغلقت الخط فى وجه سكرتيته .

علاوة على المكالمات الهاتفية ، كان فريزر يعقد اجتماعات ومواعيد كثيرة فى مكتبه ، أو فى النادى ، أو فى أفخم وأشهر المطاعم . بعد مرور الأسابيع الأولى جعلها تنظم مواعيده ، وتحجز له فى الأماكن الفخمة . ثم بدأت تعرف من يرغب فى رؤيتهم ، ومن يريد تجنبهم . كان العمل يستنفد كل نشاطها ، ونسيت بنهاية الشهر فكرة البحث عن عمل آخر .

لا تزال علاقتها به علاقة عمل غير شخصية ؛ ولكنها بدأت تتعرف عليه أكثر ، وبالتالى أدركت أن ابتعاده عن الآخرين ليس دليلاً على أنه غير ودود ، بل كان نوعاً من الكرامة ، وحائطاً من التحفظ بمثابة درع

واقية من كل الناس . كانت تشعر أنه رجل يشعر بالوحدة ، وكان عمله يستدعى كونه اجتماعياً ، لكن طبيعته هي العزلة . وشعرت أنه ليس نوع الرجال المناسب لها . وهذا يسرى على معظم رجال أمريكا .

ظلت تواعد الفتیان مع سوزى من حين لآخر ؛ ولكنها وجدت أن معظم رفقاتها رياضيون ومتزوجون ، وكانت تفضل الذهاب للمسرح أو السينما بمفردها ، وقد شاهدت جرتروود لورنس والممثل الجديد الذى يدعى داني كاي فى فيلم " سيدة فى الظلام " و " حياتى مع أبى " ، وفى فيلم " أليس والسلاح " مع الممثل الشاب كيرك دوجلاس . أعجبها جداً فيلم " كيتى نويل " للممثلة جذر روجرز لأنه يذكرها بنفسها .

فى إحدى الليالى عندما كانت تشاهد مسرحية هاملت شاهدت فريزر فى المقصورة بصحبة فتاة جميلة ترتدى فستان سهرة أبيض غالياً ، وأنيقاً رآته كاثرين من قبل فى فيلم " فوجيو " ؛ ولكنها لم تعرف من هذه الفتاة . كان فريزر هو من يقوم بالمواعدة بدون اللجوء للسكرتيرة ، ولم تكن تعرف إلى أين يذهب أو مع من . رآها فريزر وسط القاعة ، وفى الصباح لم يذكر لها ذلك إلا بعد انتهائه من إملائها بعض الخطابات .

بادرها بالسؤال قائلاً : " هل أعجبتك مسرحية هاملت ؟ " " النص هو ما يجعل العرض ناجحاً ، فأنا أهتم بالتمثيل والأداء " . قال لها : " لكن الممثلين أعجبونى ، وبالذات من أدت دور أوفيليا " .

أومات برأسها ، وتأهبت للانصراف . أصر على استكمال الحوار ، فقال : " ألم تعجبك أوفيليا ؟ " قالت بحرص : " إذا أردت رأيى الصريح ، لقد أخفقت للغاية . " ثم استدارت خارجة من مكتبه .

عندما وصلت للمنزل ليلاً كانت سوزى فى انتظارها ، وقالت : " جاءك زائر " " من ؟ " .

" رجل من مكتب المباحث الفيدرالية ، يريد التحقيق معك " . فكرت كاثرين فى نفسها : " يا إلهى ! لقد علموا أننى مازلت عذراء ، لابد أنه يوجد قانون ضد هذا فى واشنطن " ثم قالت بصوت عال : " لماذا تريد المباحث الفيدرالية التحقيق معى ؟ " " لأنك تعملين فى جهة حكومية الآن " .

" آه ! " " كيف حال السيد فريزر ؟ " " بخير . " " هل تظنين أنه سيعجب بى ؟ " " تأملت صديقته الطويلة النحيلة السمراء ، وقالت لها : " لا أظن ذلك " .

بمرور الأسابيع تعرفت كاثرين أكثر على السكرتيرات فى المكاتب المجاورة . كانت معظمهن على علاقة غرامية برؤسائهن ، ولم تهتم كل منهن ؛ إذا كان رئيسها متزوجاً أم لا ، وكن يحقدن على كاثرين لأنها تعمل لدى ويليام فريزر .

قالت إحداهن لـ " كاثرين " : " ما أخبار رئيسك الوسيم ؟ هل خرض عليك إقامة علاقة معه أم لا ؟ " قالت كاثرين ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الجدية : " إنه لا يهتم بتلك الأمور " .

" ما رأيك فى رئيسك حقاً يا كاثرين ؟ " " من النوع الذى يمكن مقاومته " . كانت تعلم أنها تكذب ، فلقد رقت مشاعرها نحوه منذ آخر مشاجرة تمت بينهما . كان قد أخبرها بالحقيقة عندما قال لها إنه ينشد الكمال فى كل شىء . كلما أخطأت كان يوبخها ، لكنها علمت أنه منصف ، ويتفهم كل موقف . كانت تراه وهو يستقطع جزءاً من وقته لمساعدة الآخرين بدلاً من حل مشاكله ، وكان من هؤلاء الناس من ليس بإمكانهم رد الجميل ، وتقديم

خدمات في المقابل ، وكان يرتب للأمر بحيث لا يعطيه أحد أى مقابل ، ولا يمدحه أحد . نعم ، فهي معجبة به جداً ؛ ولكن هذا الأمر لا يخص أحداً سواها .

ذات مرة تراكم عليها كم كبير من العمل ، ولم تتمكن من إنجازه ، فعرض عليها تناول العشاء في منزله للسهر على إتمام العمل . كانت سيارته الليموزين بسائقها في انتظارهما أمام المبنى ، وشاهدتها عدة سكرتيرات خارجات من المبنى ، وهي تركب في المقعد الخلفي للسيارة ويجلس بجوارها فريزر ، ثم انطلقت السيارة عبر زحام المرور وقت العصر .

قالت كاثرين : " سألوته سمعتك . "

ضحك قائلاً : " دعيْنى أسدى لك نصيحة ، إذا أردت إقامة علاقة غرامية مع شخص مشهور ، فافعلْ ذلك على الملأ ، وفي الهواء الطلق . "

" وماذا لو أصبت بالبرد ؟ "

ابتسم قائلاً : " أعنى اصطحبى عشيقك إلى الأماكن العامة والمطاعم الشهيرة والمسارح . "

قالت ببراءة : " ومسرحيات شكسبير ؟ "

تجاهل فريزر تلك العبارة وقال : " الناس تبحث دائماً عن الدوافع المنحرفة ، وسيقولون إنه يصطحب فلانة فى الأماكن العامة ؛ ولكن ياترى من التى يواعدها سراً ؟ فالناس لا تصدق المظاهر . "

" إنها نظرية مثيرة . "

" كتب " إدجار آلان بو " قصة قصيرة عن خداع الناس بالمظاهر ، ولكنى لا أذكر اسمها الآن . "

قالت كاثرين : " بل المؤلف هو آرثر كانون دويل " والقصة اسمها " الخطاب المسروق " . ولقد ندمت كاثرين لأنها قالت ذلك ، فالرجال

لا يحبون الفتيات الذكيات . ولكن ما أهمية ذلك فهي ليست رفيقته ، بل مجرد سكرتيرة .

ساد الصمت باقى الطريق إلى المنزل .

كان منزله فى مدينة جورج تاون ، وكأنه منزل الأحلام ؛ مبنى من أربعة طوابق على طراز الملك جورج الإنجليزى ، وعمره مائتا عام . فتح الباب رئيس الخدم الذى كان يرتدى جاكيت أبيض . قال فريزر : " فرانك ، أقدم لك كاثرين ألكساندر . "

قالت كاثرين : " أهلاً يا فرانك ، لقد تحدثت معك عبر الهاتف من قبل . "

" نعم يا سيدتى ، سررت لمقابلتك . "

نظرت كاثرين لقاعة الاستقبال ، وكان بها سلم قديم وجميل يؤدي إلى الطابق الثانى ، وقد تم تلميع خشب البلوط الخاص بالسلم لدرجة اللعان ، وكانت الأرضية من الرخام ، وتوجد نجفة كبيرة مبهرة فى السقف .

تفرس فريزر فى وجهها ، وقال : " هل أعجبك منزلى ؟ "

" للغاية ! "

ابتسم ، وتساءلت إذا ما كانت قد بدت متحمسة أكثر من اللازم كفتاة مبهورة بثروته مثل اللاتى يطاردنه بكل عنف ، فقالت بإحراج : " إنه .. رائع . "

نظر إليها نظرة سخرية وشعرت كاثرين بشعور رهيب بأنه قد قرأ أفكارها ؛ لكنه قال : " لندخل إلى المكتب . "

تبعته كاثرين إلى حجرة كبيرة مليئة بالكتب على الأرفف والحوائط من الخشب الأسود اللامع . كانت تبدو وكأنها حجرة من الزمن الماضى ، من عصر به أسلوب الحياة أسهل وأزهى وأجمل .

حدق فريزر إليها ، وقال بجدية : " حسناً ؟ "

لم تكن تريد أن يضبطها متلبسة بشروود الذهن مرة أخرى ،
فقالت : " إنها أصغر من مكتبة الكونجرس الأمريكي "

ضحك بقهقهة ، وقال : " عندك حق . "

جاء فرانك إلى الحجرة حاملاً دلواً معدنياً مليئاً بالثلج ، ووضعه على
الطاولة في ركن من أركان الحجرة ، وقال : " في أى وقت تريد العشاء
يا سيد فريزر ؟ "

" في السابعة والنصف . "

" سأخبر الطاهي " ، ثم غادر الحجرة .

قال فريزر : " هل احتسيت شرباً ؟ "

" كلا ، شكراً . "

نظر إليها ، وقال : " لماذا ؟ "

" لا أشرب أثناء العمل ، وإلا فلن أتمكن من الكتابة على الآلة
الكاتبة ، وأخلط ما بين الحروف " P " و " O " .

" تقصدين حرفي " P " و " Q " "

" بل حرفي " O " و " P " فهما متجاوران في الآلة الكاتبة . "

" لم أكن أعلم ذلك . "

" من المفترض ألا تعرف ، وهذا سبب المرتب الضخم الذى تدفعه لى

كل أسبوع "

" كم أدفع لك ؟ "

" ٣٠ دولاراً أسبوعياً وعشاء فى أجمل منزل فى واشنطن . "

" هل أنت متأكدة من أنك لن تغيرى رأيك بشأن تناول مشروب

ما ؟ "

" نعم ، لا أريد ، شكراً . "

بدأ يشرب ، وألقت هى نظرة فاحصة على الكتب . كانت كلها
كتباً ذات عناوين لأشهر الكلاسيكيات ، علاوة على قسم للكتب
الإيطالية والعربية .

قالت كاثرين : " هل تتقن اللغتين الإيطالية والعربية ؟ "
" نعم ، فلقد عشت فى الشرق الأوسط لبضعة أعوام ، وتعلمت
العربية . "

" وماذا عن الإيطالية ؟ "

" كنت على علاقة بممثلة إيطالية لفترة ما من حياتى . "

احمرَّ وجهها خجلاً ، وقالت : " أنا آسفة لم أقصد التطفل . "

نظر إليها فى متعة ، وشعرت وكأنها طفلة فى المدرسة . لم تكن
متأكدة هل هى تكره فريزر أم تحبه . لكنها كانت متأكدة من شيء
واحد ، إنه من ألطف الرجال الذين عرفتهم .

كان العشاء أكثر من رائع ، كانت كل الأصناف فرنسية ، وبها
أنواع فاخرة من الصلصات ، وكانت الحلوى آيس كريم بالكريز . لا
عجب فى أن فريزر يتدرب فى النادى ثلاث مرات أسبوعياً .

قال لها : " ما رأيك فى الطعام ؟ "

قالت مبتسمة : " أفضل من طعام المقصف فى العمل " . ضحك
وقال لها : " سأتناول غدائى يوماً ما فى المقصف " .

" لن أفعل ذلك لو كنت مكانك " .

نظر إليها قائلاً : " هل الطعام بهذا السوء ؟ "

" المشكلة ليست فى الطعام ، بل فى الفتيات ، فسوف يحطن
بك . "

" لماذا تعتقدين ذلك ؟ "

" لأنهن يتحدثن عنك طوال الوقت . "

" تقصدين أنهن يسألنك عنى ؟ "

" نعم " وابتسمت .

" لايد أنه بعد انتهاء حصة الغداء عادة ما يشعرون بالإحباط ، لأنك
لا تخبرينهن بشيء . "

هزت رأسها بالنفي ، وقالت : " خطأ ؛ فأنا أخلق كل أنواع القصص عنك " .

استند إلى ظهر المقعد ، وقال باسترخاء أثناء الشرب : " ما نوع القصص التي تنسجنيها عني ؟ "

" هل أنت متأكد من أنك تريد سماعها ؟ "

" بالتأكيد . "

" حسناً ، أخبرتهن أنك متوحش ، وتصرخ طوال اليوم . "

ابتسم قائلاً : " ليس طوال اليوم " .

" وأخبرتهن أيضاً أنك مهووس بالصيد ، وتحمل معك مسدساً مليئاً بالطلقات في المكتب أثناء الإملاء ، وأكون في حالة ذعر خشية أن تقتلني . "

" لا بد أنهن مستمتعَات بتلك الأكاذيب . "

" إنهن يحاولن معرفة شخصيتك الحقيقية دون جدوى . "

قال فريزر بنبرة جادة : " وهل عرفت شخصيتي الحقيقية ؟ "

نظرت لبرهة في عينيه الزرقاوين ، ثم قالت : " أعتقد ذلك " .

" من أنا ؟ "

شعرت بقلق مفاجئ . فقد انتهت الثرثرة ، وبدأت نبرة جديدة

تتطرق إلى الحوار ، نبرة مثيرة وتثير القلق ، وبالتالي لم تحر جواباً .

تفرس في وجهها للحظة ، ثم ابتسم قائلاً : " أنا موضوع ممل . "

هل تناولت المزيد من الحلوى ؟ "

" كلا ، شكرًا ، لن أتناول أى طعام لمدة أسبوع من كثرة ما تناولت

هنا . "

" لنستأنف العمل " .

ظلا يعملان حتى منتصف الليل ، وقام فريزر بتوصيلها إلى الباب ،

وكان السائق في الانتظار بالخارج ، لكى يوصلها إلى منزلها .

ظلت تفكر فيه طوال الرحلة إلى المنزل ، وفي قوته وروح الدعاية لديه ، وعطفه عليها . يقال إن الرجل يجب أن يظهر أنه قوى جداً قبل أن يظهر أنه لطيف . كان ويليام فريزر قوياً جداً ، والليله كانت من أجمل الليالي في حياتها ، ولكنها كانت تشعر بالقلق . كانت خائفة من أن تتحول إلى سكرتيرة غيور ، تجلس في المكتب ، غارقة في كره كل فتاة تتصل برئيسها . لن تسمح بحدوث ذلك . كانت كل فتاة تصلح للزواج تلقى بنفسها في طريقه ، ولكنها لن تنضم لهن .

عندما عادت كاثرين إلى المنزل كانت سوزى ساهرة في انتظارها ، ثم هجمت عليها بمجرد دخولها قائلة : " هيا ! أطلعيني على كل ما حدث ! "

قالت كاثرين : " لم يحدث شيء ، تعشينا معاً فقط " .

حدقت سوزى إليها غير مصدقة : " ألم يحاول إغواءك ؟ "

" بالطبع لا " .

تنهدت سوزى قائلة : " كان لابد أن أعرف ، لقد كان خائفاً من ذلك " .

" ماذا تقصدين ؟ "

" أعني يا عزيزتي أنك تتصرفين كالعذراء المقدسة ، وربما قد خاف من أنه إذا لمسك ستصرخين قائلة إنه يحاول اغتصابك ، وتصابين بالإغماء " .

شعرت كاثرين باحمرار وجنتيها ، وقالت بغضب : " لست مهممة به بهذه الطريقة ، ولا أشبه العذراء المقدسة " . وقالت لنفسها : " بل أنا العذراء القديسة كاثرين ! " كل ما فعلته أنها نقلت مزارها المقدس إلى واشنطن ، فهي لم تتغير وسلوكها كما هو .

فى الشهور الستة التالية كان فريزر يسافر كثيراً إلى شيكاغو وسان فرانسيسكو وأوروبا . كان هناك دائماً كم كاف من العمل لكى تظل كاثرين مشغولة ، لكن المكتب كان يبدو كئيباً وفارغاً بدون فريزر . كان هناك عدد كبير من الزوار المثيرين ، ومعظمهم من الرجال ، وتلقت كاثرين دعوات كثيرة لإقامة علاقات معهم ، والسفر إلى أوروبا وتناول العشاء أو الغداء . لم تقبل أية دعوات ؛ لأنها لم تهتم بأى رجل منهم ، ولكن السبب الأهم أنها اعتقدت أن فريزر لن يوافق على الخلط بين المتعة والعمل . عندما كان يعلم فريزر بكم الفرص التى ترفضها كان يسكت ولا يعلق . بعد أن تعيش معه فى منزله رفع أجرها عشرة دولارات فى الشهر .

بدأ لـ " كاثرين " أن إيقاع المدينة تغير ، فالناس تتحرك أسرع ويزداد توترها ، ومانشيتات الجرائد تصرخ بسلسلة مستمرة من الغزو والاستعمار والكوارث فى أوروبا . سقوط فرنسا فى أيدى الألمان هو أكثر ما أثر فى الأمريكان مقارنة بالأحداث اللاهثة السريعة فى أوروبا ، حيث شعروا بالتعدى على أحد قيمهم ؛ لأن فقدان الحرية هذا قد حدث فى بلد كان مهد الحرية .

سقطت النرويج ، فى أيدى الألمان ، وإنجلترا تحارب من أجل حياتها فى معركة بريطانيا وتم توقيع التحالف بين ألمانيا وإيطاليا واليابان . كان هناك إحساس عارم بالهزيمة ، وأن أمريكا ستدخل الحرب . سألت كاثرين فريزر عن هذا فى أحد الأيام .

قال لها : " أعتقد أنها مسألة وقت قبل أن تتورط أمريكا فى الحرب . إذا لم تتمكن إنجلترا من إيقاف هتلر فستضطر للتدخل " .

" لكن السيناتور بورا يقول ... "

صاح فى غضب : " من الأفضل أن يكون شعار جيشنا هو النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال ! "

" ماذا ستفعل إذا قامت الحرب ؟ "

" سأصبح بطلاً " .

تخيلته كاثرين وهو فى الحلة العسكرية ذاهباً للحرب ، ولكنها كرهت الفكرة . من الغباء فى عصر التنوير أن يحل الناس مشاكلهم بالقتل والدمار .

قال فريزر : " لا تقلقى يا كاثرين ، لن يحدث شئ فى الوقت الحالى ، وعندما يحدث شئ سنكون مستعدين له " .

قالت له : " ماذا عن إنجلترا ؟ إذا قرر هتلر غزوها ، هل ستمكن من الدفاع وصده ؟ فليده طائرات ومدافع وهم لا يملكونها " .

قال لها : " سيكون لديهم قريباً جداً " .

ثم غيّر الموضوع وعادا لعمل المكتب .

بعد أسبوع نشرت الصحف خطب الرئيس الأمريكى روزفلت ، وعلم فريزر وحاول تهدئة وطمأنة كاثرين دون إطلاعها على أية معلومات .

مرت الأسابيع سريعاً ، ووافقت كاثرين على الخروج بصحبة أحد القتيلان كل فترة ، ولكنها كانت تقارن بين كل فتى وويليام فريزر وتساءلت عن سبب خروجها مع هؤلاء الحمقى . كانت تعلم أنها قد ضيقت الخناق على نفسها من الناحية العاطفية . ولكنها لم تتمكن من الهرب من هذا المأزق العاطفى . كانت تقول لنفسها إنها فقط معجبة به ، وسوف تتغلب على هذا الأمر ، وفى هذه الأثناء كانت مشاعرها تمنعها من الاستمتاع بصحبة الرجال ؛ لأنهم فى نظرها أقل منه .

فى إحدى الليالى سهرت كاثرين فى العمل ، وجاء فريزر إلى المكتب بدون توقع بعد أن حضر مسرحية ، فنظرت إليه ، واندعشت عندما دخل المكتب .

صاح بها : " نحن لسنا فى معتقل . لماذا تعملين حتى الآن ؟ "

" أردت الانتهاء من هذا التقرير ؛ لكى تأخذه معك إلى سان فرانسيسكو غداً " .

" كان يمكنك إنهاءه غداً ، وإرساله لى بالبريد " ثم جلس على المقعد المقابل لها ، وتفكر في وجهها ، ثم أردف قائلاً : " أليس لديك أشياء أفضل تفعلينها ليلاً بدلاً من التقارير المملة ؟ "

" بالمصادفة ليس لدى ما أفعله الليلة "

اتكأ على المقعد وتشابكت أصابع يديه ، واتكأ بذقنه على يديه ، وحدث إليها وقال : " هل تذكرين أولى كلماتك عندما دخلت مكتبي ؟ "

" أنا أقول أشياء سخيفة كثيرة "

" قلت إنك لا تريدين أن تصبحي سكرتيرة بل مساعدة خاصة لى "

ابتسمت قائلة : " لا أعرف منصباً أفضل من ذلك "

" أنت الآن مساعدتى الخاصة "

نظرت إليه وقالت : " لا أفهم "

" الأمر بسيط يا كاثرين ، فى الشهور الثلاثة الماضية كنت حقاً مساعدتى الخاصة ، والآن سأجعل الأمر رسمياً "

حدقت إليه فى غير تصديق : " هل أنت متأكد من ... ؟ "

لم أعطك لقب المهنة وزيادة المرتب فى وقت سابق حتى لا تخافى ، والآن أعرف أننى يمكننى الاعتماد عليك "

قالت متلعثمة : " لا أعرف ماذا أقول ، لكن لن تندم أبداً على قرارك يا سيد فريزر "

" أنا نادم بالفعل ، المساعدون الخاصون بى يدعوننى بيل "

" بيل ! "

لاحقاً ظلت كاثرين مستلقية على الفراش ، وهى تتذكر كيف كان ينظر إليها ، وكيف جعل مثل هذه المشاعر تنتابها ، وتمكنت من النوم فقط بعد ساعات طويلة .

كانت كاثرين قد كتبت العديد من الرسائل لوالدها تطلب منه زيارتها فى واشنطن . كانت متحمسة لى تقوده عبر معالم المدينة ،

وتقدمه إلى صديقاتها ، وإلى بيل فريزر ، لكنها لم تتلق أى رد على آخر خطابين ، فشعرت بالقلق فاتصلت بمنزل عمها فى أوماها ، فرفع عمها السماعه .

" كاثرين ! كنت على وشك الاتصال بك . "

شعرت بفزع رهيب : " كيف حال أبى ؟ "

توقف العم عن الكلام لفترة ثم قال :

" أصيب بأزمة قلبية ، وأردت أن أتحدث معك من قبل ، لكن والدك طلب منى الانتظار حتى يتماثل للشفاء "

أمسكت السماعه بلهفة ، ثم قالت :

" هل هو بخير ؟ "

" للأسف يا كاثرين . إن الأمر عكس ذلك ، فلقد أصيب بالشلل . "

" سأسافر إليكما حالاً . "

ذهبت كاثرين إلى بيل فريزر ، وأطلعتة على الأخبار ، وقال لها :

" أنا آسف من أجلك ، هل من مساعدة أقدمها لك ؟ "

" لا أعرف ، ولكنى أريد الذهاب إليه فى الحال يا بيل . "

" بكل تأكيد . " والتقط سماعه الهاتف وأجرى بعض الاتصالات .

قام السائق بتوصيل كاثرين إلى منزلها لجمع أغراضها ، ثم إلى المطار حيث حجز بيل تذكرة طائرة لها .

عندما وصلت الطائرة لمطار أوماها ، جاء عم كاثرين وزوجته لاستقبالها ، وكانت نظرة واحدة تكفى لى تفهم أنه فات الأوان ، وأن والدها قد مات . قادوا السيارة فى صمت إلى الحانوتى ، وعندما دلفت كاثرين إلى المبنى شعرت بإحساس عميق لا يوصف بالوحدة والثكل ، وكأن جزءاً منها قد مات ، ولن يعود أبداً . وكان جسد والدها يرقد فى سلام فى تابوت بسيط ، وكان يرتدى أفضل حلة لديه . وكأنه انكمش مع الزمن ، فقد صغر وتقلص حجم جسمه ، وكأن عناء الحياة قد أعياه

تماماً . أعطاهما عمها كل متعلقات ومستحقات والدها ، وكانت حصيلة كل ما جناها طوال عمره ٥٠ دولاراً وصوراً قديمة وفواتير ، وساعة يد ، ومديّة ملطخة ومتسخة ، ومجموعة خطاياتها له ، وكانت مربوطة ، وأطرافها ذابلة من كثرة القراءة . كان إرثاً يدعو للشفقة من رجل رحل عن عالمنا ، وكان قلب كاثرين يعتمر من الحزن والألم على رحيله . كانت أحلامه كبيرة جداً ونجاحاته صغيرة جداً ، أخذت تتذكر كم كان يتمتع بالحياة عندما كانت فتاة صغيرة ، وشعورها بالإثارة عندما كان يأتي إلى المنزل محملاً بالهدايا وجيوبه مليئة بالنقود . تذكرت أيضاً اختراعاته التي لم تنجح أبداً . لم تكن الذكريات كثيرة لكنها كل ما تبقى منه . كانت تريد أن تقول له أشياء كثيرة ، وتقوم بالعديد من الأشياء من أجله ، لكن فات الأوان .

تم الدفن في مدفن بجوار دار العبادة ، وخططت كاثرين للإقامة لدى عمها هذه الليلة ، ثم تستقل القطار للعودة غداً ، لكنها شعرت فجأة أنها لم تعد تطيق البقاء هنا ولو لدقيقة واحدة ، فاتصلت بالمطار وحجزت لها مكاناً في الطائرة التالية إلى واشنطن . استقبلها فريزر في المطار ، وبدا من الطبيعي أن ينتظرها ، ويعتنى بها عندما تحتاجه . اصطحبها للعشاء في معظم ريفي صغير ، وظل يستمتع لحكايتها وذكرياتها مع أبيها ، وأثناء سردها لقصة طريفة عنه بدأت تبكي ولم تشعر بأى إحراج أمام فريزر .

اقترح عليها القيام بإجازة ، ولكنها أرادت أن تظل مشغولة ، حتى لا تتذكر موت والدها . فجأة اعتادت تناول العشاء مع فريزر مرة أو مرتين أسبوعياً ، وشعرت أنه قريب منها أكثر من أى وقت مضى .

حدث ما يلي بدون تخطيط أو تفكير مسبق . كانا يعملان لوقت متأخر ليلاً في المكتب ، وكانت تتفقد بعض الأوراق ، ثم شعرت بفريزر يقف بجوارها يتحسس شعرها قائلاً : " كاثرين "

فكرت كاثرين : " الأمر بسيط ، وكان كذلك دائماً ، لكنى لم أكن أعرف " .

قال فريزر : " احضري معطفك يا عزيزتى ، سنذهب للمنزل " .

فى السيارة أثناء ذهابهما لـ " جورج تاون " جلسا متجاورين ، وكان يحيطها بذراعه بلطف ، وكأنه يحميها من العالم كله . لم تعرف سعادة أكثر من اللحظة الراهنة . كانت الآن متأكدة من أنها تحبه ، ولا يهم هل يحبها أم لا . كان مغرمًا بها ، وسوف تكتفى بذلك . تذكرت رون بيترسون الذى كانت سترضخ له من قبل ارتعدت من الخوف .

قال لها فريزر : " ما الخطب ؟ "

تذكرت كاثرين الحجرة الصغيرة فى الفندق ، والمرأة المتسخة المكسورة . نظرت إلى الوجه القوي الذى يبدو عليه أمارات الذكاء الذى يضع ذراعه حولها ، وقالت له وهى تزدد لعابها : " دعنى أخبرك بشيء ، أنا مازلت عذراء " .

ابتسم فريزر وهز رأسه فى تعجب ، وقال : " إنه غير معقول ، كيف عثرت على عذراء فى مدينة مثل واشنطن ؟ "

قالت بجديّة : " حاولت التخلص من عذريتى ، لكنى أخفقت . " " أنا سعيد بذلك . "

" تعنى أنك لا تعبا لكونى مازلت عذراء ؟ "

ابتسم لها مرة أخرى ، وكانت ابتسامته تضىء وجهه : " هل تعرفين مشكلتك ؟ "

" بالطبع ! "

" لقد كنت تشعرين بقلق أكثر من اللازم بشأن هذا الأمر . "

" نعم ! "

" الأفضل لك أن تسترخى . "

هزت رأسها بالنقى .

" كلا يا حبيبتي ، بل الأفضل أن تقعى فى الحب . "

وصلت السيارة بعد نصف ساعة إلى منزله ، وقادها إلى المكتبة ،
وقال : " هلا احتسيت شراباً ؟ "

نظرت إليه قائلة : " لأذهب لحجرة النوم . "

كانت حجرة نوم فريزر فسيحة وتبدو عليها ملامح حجرة عازب ،
وكان الدولاب ذو الأدراج موجوداً في أحد الحوائط ، وفي الناحية
المقابلة ديكور على شكل كهف به مدفأة أمامها مائدة لتناول الإفطار ،
وهناك فراش ضخم مزدوج ، وإلى اليسار حجرة لتغيير الملابس ،
وبجوارها حمام .

سألها فريزر : " هل أنت متأكدة أنك لا تريدين الشراب ؟ "
" لست بحاجة إليه . "

احتضنها مرة أخرى ، وشعرت برجولته وفحولته ، وكذلك شعرت
بالطمأنينة بين أحضانها .
قال لها : " سأعود حالاً . "

شاهدته وهو يدخل حجرة تغيير الملابس . كان أروع وألطف رجل
عرفته ، ظلت واقفة تفكر فيه ، ثم أدركت فجأة لماذا تركها بمفردها ؛
لأنه أراد لها أن تنفرد بنفسها ، لكيلا تكون مخرجة .
دخل فريزر وهو يرتدى روباً فاخراً ، وسار إلى الفراش وهدق إليها .
كان شعرها الأسود الداكن مفروداً على الوسادة على شكل مروحة ،
وكأنه إطار لوجهها الجميل . كان الأمر مثيراً ؛ لأنه لم يكن مخططاً له
تماماً .

نويل

باريس ١٩٤١

٦

كانت باريس عام ١٩٤١ مصدر مهم للثروات والفرص لبعض
الأشخاص ؛ بينما بدت باريس للبعض الآخر من الناس كالجحيم .
كانت كلمة الجستابو (المخابرات الألمانية) تثير الرعب في القلوب ،
وكانت حكايات أنشطتهم هي المحور الرئيسي لكل الحوارات حتى ولو
بالحلم . اضطهاد اليهود الفرنسيين ، والذي بدأ بإغلاق بعض
متاجرهم بلا مبرر ، كان يتم بعملية تنظيمية من جانب الجستابو عن
طريق نظام مصادرة ممتلكاتهم ، وعزلهم عن المجتمع ، وتصفيتهم
جسدياً .

في يوم ٢٩ مايو تم إصدار قانون جديد : " ... يجب على كل
يهودى لصق شارة النجمة السداسية بحجم كف اليد وباللون الأصفر ،
وحدودها باللون الأسود ، ويطرز على ملابسه بحروف سوداء كلمة
" يهودى " ، ويجب أن يتم رسم هذه الشارة وهذه الكلمة على الجانب
الأيسر من الصدر لكل يهود من سن السادسة . "

انتعش المسرح جداً ، كما هو المعتاد في حالة الأزمات الطويلة ؛ لأن الناس وجدوا في المسرح والسينما مهرباً وملاذاً من الواقع الأليم للحياة اليومية .

ما بين يوم وليلة أصبحت نويل باج نجمة وممثلة شهيرة . زميلاتھا الغيورات في المسرح قلن إن ذلك يرجع إلى موهبة ونفوذ أرمان جوتييه ، وعلى الرغم من صحة أنه هو من وضع أقدامها على أول الطريق ، لكن أهل المسرح كانوا يعرفون أنه لا أحد يمكنه الوصول للنجومية بدون موافقة الجماهير ؛ فالجماهير حاكم عادل قد يتحكم في مصير الممثل بأن يحبه أو يكرهه . وكانت تلك الجماهير تعشق نويل .

بالنسبة لأرمان جوتييه ، فلقد ندم أشد الندم على الدور الذى لعبه في حياتها لكي تصبح نجمة ؛ فهي لم تعد في حاجة إليه بعد الآن ، كل ما يربطها به الآن مجرد نزوة ، وكان يعيش في رعب دائم من أنها قد تتركه فجأة . كان قد عمل في المسرح معظم حياته ، لكنه لم يقابل من هي مثل نويل . كانت نويل نعمة للمعرفة والتعلم ، ولا تشبع منهما أبداً ، وتعلمت كل ما علمه لها ، وطلبت المزيد . كان من الرائع مشاهدة تحولها من البدايات الخارجية والمتردة لفهم وحفظ الدور إلى إتقانه بتأكد تام . كان جوتييه يعلم من البداية أنها ستكون نجمة - لا جدال في ذلك - لكن ما أدهشه عندما تعرف عليها أكثر هو أن النجومية ليست هدفها . بل إن الحقيقة أنها ليست حتى مهتمة بالتمثيل .

في البداية لم يصدق جوتييه ذلك ؛ لأن النجومية عرش يريد الجميع اعتلاءه بدون شك ، ولكن كان التمثيل لـ " نويل " مجرد درجة في السلم ، ولم تكن لدى جوتييه أدنى فكرة عن هدفها الحقيقي . كانت نويل لغزاً ، وكلما فحصها جوتييه بعمق زادت حيرته ، مثل الصندوق الصيني السحري الذى كلما فتحته وجدت صناديق أصغر داخله . كان جوتييه يفخر بأنه يفهم كل الناس ، وخاصة النساء . لكنه في الحقيقة لا يعرف أى شيء عن الفتاة التى يحبها ، وتعيش

لم يرضخ كل الفرنسيين لحكم النازيين . كانت هناك فرقة المقاومة الشعبية السرية التى تقاومهم ببراعة وقوة ، وعندما يسقط بعض أفرادها في يد النازيين كانوا يعدمون بطرق بشعة .

كانت هناك شابة تمتلك عائلتها قصراً خارج منطقة شارتر وتم إجبارها من جانب النازيين على إيواء مجموعة من الجنود الألمان في حجرات الطابق الأرضى لمدة ستة أشهر ، وكانت في نفس الوقت تخفى خمسة أفراد من المقاومة ، مطلوب القبض عليهم في الطابق العلوى من القصر .

كلتا الفتيتين لم تتقابل . ولكن شعر الشابة بأكمله تحول في غضون ٣ شهور إلى اللون الأبيض .

عاش الألمان في باريس عيشة تليق بالغزاة ، ولكن العامة من الفرنسيين عاشوا في نقص من كل شيء عدا البرد والبؤس . كان غاز الطهى يتم توزيعه في حصص تموينية ، ولم يكن هناك مصدر للتدفئة . كان أهل باريس يقاومون برد ليالى الشتاء بحرق نشارة الخشب ؛ حيث كانوا يشترونها بالطن ، ويحرقونها بمواقد خاصة .

كان هناك نقص في كل شيء حتى السجائر والقهوة والجلود . كان الفرنسيون يسخرون من الوضع الحالى ، ويقولون إنه مهما كان ما تأكله فالمذاق يظل كما هو . حتى السيدات الفرنسيات - المعروفات بأنهن الأكثر أناقة - كن يرتدين معاطف رثة من جلد الماعز بدلاً من الصوف ، وأحذية خشبية ، ولذلك عندما كن يمشين في الشارع كانت تصدر عنهن قرقرة مثل حوافر الخيل .

حتى الاحتفال التقليدى باليوم السابع لأى مولود جديد قد تأثر بالاحتلال ، فلم تعد هناك مراسم احتفالية تقليدية ، ولا حلولى تلك المناسبات . كان هناك عدد قليل من السيارات الأجرة ، ولكن وسيلة المواصلات الرائجة كانت السيارات التى تتسع لراكبين فقط ، والدراجات الثنائية عبر شوارع باريس .

بدور البطولة . كان الممولون يتقاعسون عن إسناد البطولة لفتاة مجهولة ، ولكنهم وافقوا على إجراء اختبار تمثيل لها . أسرع جوتيه إلى المنزل بالخبر السار لنويل . لقد جاءت إليه لكى تصبح نجمة ، وسوف يحقق أمنيتها . أخبر نفسه أن هذا سيقربها منه ، ويجعلها تحبه ، ويتزوجها ويمتلكها دائماً .

ولكن عندما أطلعها على النبا نظرت إليه بدون اكتراث قائلة : " رائع يا أرمان ، شكراً لك . " بنفس نبرة الصوت التى تشكره بها عندما يخبرها بالوقت ، أو يشعل سيجارها .

تفرس جوتيه فى وجهها ، وتساءل هل هى مريضة نفسياً ، فالانفعالات اختفت من داخلها ، أو لم تتواجد من الأساس ، والدليل أن أحداً لم يمتلكها . كان يعلم ذلك ، ولكنه لم يصدق ذلك حقاً ، لأنه كان يرى أنها فتاة جميلة وعطوفة ، وتشبع بسرور ورضا كل رغباته ولم تطلب أى شىء فى المقابل ، لأنه قد أحبها ، فقد ترك شكوكه جانباً وقام بإخراج المسرحية لها .

كانت نويل رائعة ومتألقة فى اختبار التمثيل ، وحصلت على دور البطولة بلا شك ، كما تنبأ جوتيه . عندما تم افتتاح المسرحية بعد شهرين أصبحت نويل ما بين يوم وليلة أكبر نجمة فى فرنسا . النقاد الذين استعدوا لمهاجمة المسرحية ، لأنهم كانوا يعلمون أن جوتيه قد قدم فيها عشيقته المثلة لأول مرة فى دور البطولة ، وهو موقف لن يتركوه ، لأنهم يحبون الفضائح والنميمة ، سلبت نويل ألبابهم بسحرها ، وأخذوا يبحثون عن أفضل الكلمات لوصف أدائها وجمالها . وكانت المسرحية ناجحة جداً ، وكانت النذاكر تنفد كل ليلة عرض .

كل ليلة بعد العرض كانت غرفتها فى الكواليس مليئة بالضيوف ، وكانت تقابل الجميع : عاملى محلات الأحذية ، والجنود ، والمليونيرات ، والفتيات البائعات فى المحلات ، وكانت تتعامل مع الجميع بصبر وحلم وأدب ، وكأنها تمن عليهم بإحسان . كان جوتيه

معه فى منزل واحد ، والتى تدفعه إلى الجنون . طلب من نويل الزواج ، فقالت : " حسناً يا أرمان . " وعلم أنها لا تعنى الموافقة ، فلقد خدعت فيليب سوريل من قبل ، ولا أحد يعلم عدد الرجال فى حياتها السابقة ، وبالتالى أدرك أن تلك الزيجة لن تتم أبداً ، وعندما تستعد نويل فإنها سوف تتركه ، وتمضى بعيداً .

كان جوتيه متأكداً من أن كل رجل قابلها حاول إقناعها بأن تمارس معه الحب ، وعرف من أصدقائه الغيورين أنهم فشلوا فى إقناعها .

قال له أحد أصدقائه ذات مرة : " إنك محظوظ للغاية ، فلقد عرضت عليها يخبأ وقصراً وخبثاً وحشماً فى جزيرة كاب دانتيب . لكنها سخرت منى " .

أخبره صديق آخر صاحب بنك : " أخيراً عرفت أول شىء لا يشتري بالمال " .

" نويل ؟ "

أوما صاحب البنك برأسه : " هذا صحيح ، أخبرتها أن تخبرنى بالثمن الذى تريده ، لكنها لم تكثر . ما سر جاذبيتك لها يا صديقى ؟ " .

كان جوتيه يمتنى معرفة الإجابة عن هذا السؤال .

تذكر جوتيه أول مسرحية يخرجها لها . لم يقرأ سوى ١٢ صفحة من المسرحية حتى عرف أنها مناسبة لها تماماً . كانت المسرحية تتحدث عن سيدة ذهب زوجها للحرب ، ثم جاءها فى المنزل جندى يخبرها بأنه زميل زوجها الذى يحارب على الجبهة الروسية . بينما تتوالى الأحداث تقع المرأة فى حب الجندى ، وهى لا تعلم أنه قاتل سايكوباتى مريض . وأن حياتها فى خطر . كان دور الزوجة رائعاً ، ووافق جوتيه على إخراج المسرحية على الفور ، بشرط أن تقوم نويل

يراقبها فى ذهول : " كأنها أميرة تقابل رعيبتها " . فى خلال عام واحد تلقت نويل ثلاث رسائل من مارسيليا ، ولكنها كانت تمزقها دون أن تفتحها ، وفى النهاية لم تعد تتلقى المزيد من الرسائل .

فى الربيع قامت نويل ببطولة فيلم سينمائى من إخراج جوتييه ، وزادت شهرتها عندما تم عرضه . كان جوتييه يتعجب من صبرها أثناء إجراء الحوارات الصحفية ، والتصوير من جانب الصحافة . كان معظم النجوم يكرهون ذلك ، وهذا كان يساعد على زيادة أرباح وإيرادات أفلامهم ، وكان ذلك فى أحيان أخرى بدافع الغرور . فى حالة نويل ، لم تكثر لكلا الدافعين . كانت تغير موضوع الحوار كلما سألها جوتييه عن سبب أنها تضع على نفسها فرصة قضاء إجازة فى جنوب فرنسا ، وتظل فى باريس الباردة المطرة شتاءً ، لكى تجرى حوارات ، وتتصور من أجل مجلات وجرائد مثل " لوماتان " . " لا بتيت باريزيان " و " ليلوستراسيون " . كان سيدهش أكثر إذا عرف السبب الحقيقى ، فدافع نويل بسيط للغاية .

كل ما تفعله كان من أجل لارى دوجلاس .

عندما تقف أمام عدسات الصحافة كانت تتخيل لارى دوجلاس ، وهو يلتقط المجلة ، ويرى صورتها ، ويتعرف عليها . وعندما كانت تمثل مشهداً فى فيلم ، كانت تتخيله يدخل السينما فى بلد بعيد ويراه . كان عملها رسالة منها له تذكره بالماضى ، إشارة لكى يعود إليها وهذا كانت كل ما تريده ، أن يعود إليها ؛ لكى تدمره .

بفضل كريستيان باربيه ، أصبح لدى " نويل " ألبوم صور يزداد باستمرار يشمل كل أخبار لارى دوجلاس . كان المخبر السرى الضئيل قد انتقل من مكتبه الحقيقى إلى جناح فخم وكبير فى شارع رئيسى . فى أول مرة تذهب إليه نويل فى مقره الجديد كان يقف باربيه مبتسماً عندما رأى تعابير الاندهاش على وجهها ، وقال : " حصلت عليه بسعر رخيص ، لأن صاحبه كان يهودياً " .

قالت له بجفاء : " قلت لى إن لديك المزيد من الأخبار " اختفت الابتسامة من وجهه ، وقال : " نعم " . كان لديه أخبار على الرغم من صعوبة الحصول على معلومات من إنجلترا بسبب حصار النازيين ، لكن باربيه وجد طرقاً للحصول على معلومات . كان يدفع الرشاوى للعاملين على السفن المحايدة لتهريب الرسائل من وكالة استعلامات فى لندن . ولكن هذا كان مجرد أحد مصادره للمعلومات . كان يتطرق إلى وطنية المقاومة الشعبية ، وإنسانية الصليب الأحمر الدولى ، وطمع أصحاب السوق السوداء ممن لديهم علاقات عبر الدول الأخرى . وبالتالى كان يحضر من كل منهم قصة مختلفة . واستمر تدفق المعلومات .

أخذ باربيه التقرير من على مكتبه ، وقال بلا تمهيد : " تم إطلاق الرصاص عليه وهو يعبر المانش ، وكان يشاهد وجهها خلصة ، وينتظر أن ينهار القناع الزائف لعدم الاكتراث ، ولكى يستمتع بإيلاهما . لكن تعبير وجهها لم يتغير . نظرت إلى وجهه ، وقالت بثقة : " لكن تم إنقاذه " . حدى إليها باربيه وازدرد ريقه ، وقال " نعم ، أنقذته سفينة بريطانية " وتعجب كيف عرفت بحق الشيطان .

كل شيء عن هذه السيدة كان يحيره ، كان يكرهها كعميلة وشعر برغبة فى تركها ؛ لكنه كان يعرف أنه سيكون غيباً إن فعل ذلك . حاول مرة أن يعرض عليها ممارسة الحب مقابل تقديم خدماته مجاناً لكنها رفضت العرض بطريقة جعلته يبدو كالأحمق ، ولن يسامحها أبداً على ذلك . فى أحد الأيام ، أقسم باربيه أنه سيجعلها تدفع ثمن كل ذلك .

والآن تقف نويل فى مكتبه ، وتعتلى نظرة الازدراء وجهها الجميل ، أسرع باربيه باستكمال قراءة التقرير ، وهو يتوق للخلاص منها .

" انتقلت فرقته إلى مدينة لينكولنشاير والتى تستخدم طائرات " هاريكين " و ... " لكن نويل كانت مهتمة بشيء آخر .

قالت له : " لقد تم فسخ خطبته لابنة الأدميرال ، أليس كذلك ؟ " نظر إليها بارييه فى دهشة ، وغمغم قائلاً : " نعم ، لأنها عرفت عشيقاته " . بدا الأمر وكأن نويل قد قرأت التقرير ، وبالطبع لم يحدث ذلك ، ولكن لم يكن ذلك هو المهم ، وكأن رباط الكراهية بينها وبين لارى دوجلاس قوى لدرجة أنه لن تحدث له أى أمور مهمة دون أن تعلمها . أخذت نويل التقرير وغادرت المكتب ، عندما عادت إلى المنزل أعادت قراءته ببطء ، ثم وضعته فى الملف مع التقارير الأخرى فى مكان سرى لا تصل إليه يد إنسان .

فى إحدى الليالى بعد العرض كانت نويل فى حجرتها تسمح المكياج من على وجهها ، ثم كان هناك طرق على الباب ، ودخل بواب المسرح العجوز المعاق " ماريوس " إلى حجرة نويل .

" المذرة ، ولكن طلب منى رجل لا أعرفه إحضار هذا لك " . نظرت نويل إلى المرأة ، ورأته يحمل باقة زهور حمراء كبيرة فى مزهرية جميلة جداً .

" ضعها هنا يا ماريوس " ، ثم شاهده يضعها بحرص على المائدة . كان الوقت فى أواخر شهر نوفمبر ، ولم ير أهل باريس الزهور منذ ثلاثة أشهر ، لا بد أن تلك الباقة بها أكثر من ٥٠ زهرة ، كلها لونها أحمر غامق ، وذات فروع طويلة ، وكان يبللها الندى . شعرت نويل بالفضول ، فذهبت إلى الباقة ، والتقطت الكارت ، وكان مدونا عليه : " إلى السيدة الجميلة ، هلا تناولنا العشاء معاً ؟ الجنرال هانز شايدر " . كانت المزهرية فخمة ، وبها أنماط فنية متشابهة ، وتبدو غالية الثمن . لا بد أن الجنرال شايدر قد كلف نفسه المزيد من العناء لإحضارها .

قال حارس باب المسرح : " إنه فى انتظار الرد " " أخبره أنني لا أتناول وجبة العشاء ، وأن يذهب بالورد ليقدمه لزوجته . "

حقق إليها فى دهشة ، وقال : " لكن الجنرال .. " " هذا كل ما لدى " .

هز ماريوس رأسه وحمل المزهرية ، وأسرع بالخروج . كانت نويل تعلم أنه سيخبر كل الناس بأنها تتحدى الجنرال الألماني ، وسيظن الفرنسيون أنها بطلة قومية . ياله من سخف ! حقيقة الأمر أنها لا تكره الألمان ولا تحبهم ، بل هى غير مكترثة بوجودهم أساساً . فهم ليسوا جزءاً من خططها ، وبالتالى تحملت وجودهم فى انتظار يوم جلائهم عن فرنسا . كانت تعلم أنها إذا تورطت مع الألمان فسيعرضها ذلك للآذى . ليس الآن ، ولكنها لم تقلق بشأن الحاضر ، بل المستقبل . كانت تظن أن فكرة الرايخ الثالث لمدة ألف عام من حكم العالم ، ليست إلا هراء . أى تلميذ درس التاريخ يعلم أن كل الغزاة ينهزمون فى النهاية . وفى نفس الوقت لا تريد شيئاً يجعل الفرنسيين يكرهونها عند جلاء الألمان عن البلاد . لن تدع النازيين يقتربون منها ، وعندما يثير أحدهم الموضوع معها كانت تتجنب الخوض فيه .

انبهر جوتبيه باتجاهها ، ولطالما حاول فتح الموضوع معها . " ألا تهتمين بغزو الألمان لفرنسا ؟ " " وهل من المهم أن أهتم ؟ " " ليس هذا هو بيت القصيد ، لكن إذا لم نهتم كلنا ، فسنذهب إلى الجحيم " .

" سنذهب إلى الجحيم على أية حال . أليس كذلك ؟ " " لن يحدث ذلك إذا أمنا بالإرادة الحرة . هل تعتقدين أن حياتنا مرسومة لنا منذ ميلادنا ؟ "

" إلى حد ما ، فلدينا أجساد ومكان ، ووضعنا فى الحياة ، ولكن هذا لا يعنى عدم إمكانية تغيير كل ما سبق ، يمكنك أن تكون ما تريده " .

" هذا ما أود قوله بالضبط ، ولذلك يتعين علينا محاربة الألمان " .

نظرت إليه قائلة : " لأن الله معنا ؟ "
قال لها : " نعم . "

" ولكن الله خلق الألمان كما خلقنا ! "

كانت الذكرى الأولى لمسرحية نويل فى أكتوبر ، وأقام المنتجون حفلاً لفريق الممثلين فى أفخم فندق ويسمى تور دارجان . كان الحاضرون خليطاً من الممثلين وأصحاب البنوك ورجال الأعمال المهمين من ذوى النفوذ . كان معظم المدعوين من الفرنسيين ، ولكن هناك حوالى عشرة رجال من الألمان ، وكان بعضهم بالزى العسكرى ، عدا من جاءوا بصحبة الفتيات الفرنسيات . كان الاستثناء الوحيد ضابطاً ألمانياً فى الأربعينات من عمره ، وله وجه طويل تبدو عليه أمارات الذكاء وعيناه خضراوان ، وجسده رياضى . كان هناك جرح غائر يمتد من عظمة الخد إلى الذقن فى وجهه . كانت نويل قد لاحظت أنه يراقبها طوال الوقت ، ولكنه لم يقترب منها .

قالت دون اكتراث لأحد المنتجين : " من هذا الرجل ؟ " نظر المنتج إلى الضابط الذى كان يجلس بمفرده يتناول مشروبه المثلج ، ثم اتجه المنتج إلى نويل فى دهشة ، وقال : " من الغريب أن تسألنى ، اعتقدت أنه صديقك . إنه الجنرال هانز شايدر من الجيش الألمانى ، " تذكرت نويل الورود والبطاقة ثم تساءلت : " فلماذا تظن أنه صديقى ؟ "
بدت الحيرة على وجه الرجل ، وقال : " اعتقدت أنه ... أن كل فيلم ينتج فى فرنسا يجب أن يحصل على موافقة الألمان أولاً . عندما حاول الرقيب منع تصوير فيلمك الجديد تدخل الجنرال شخصياً ، وأبدى موافقته على الفيلم . "

فى تلك اللحظة قدم جوتييه شخصاً ما إلى نويل ، لكى يتعرف عليها ، وتغير مجرى الحوار .

ولم تهتم نويل بملاحقة الجنرال لها بنظراته فى الليلة التالية . عندما وصلت لحجرتها فى المسرح وجدت زهرة واحدة فى مزهريه

صغيرة ، وبطاقة مدون عليها : " ربما نبدأ بشئ أصغر ، هلا سمحت لى بمقابلتك ؟ هانز شايدر "

قامت نويل بتقطيع البطاقة ، وألقت بالوردة والزهرية فى سلة المهملات .

بعد تلك الليلة لاحظت نويل أنه فى كل حفلة تحضرها مع أرمان جوتييه كان الجنرال شايدر حاضراً . كان يظل فى الخلفية يراقبها ، وقد حدث ذلك كثيراً مما لا يوحى بأنها مجرد مصادفة . أدركت نويل أنه يتكبد المشقة لملاحقة أخبارها وتحركاتها ، ولكى يحصل لنفسه على دعوات للمكان الذى ستواجه به .

تعجبت عن سر اهتمامه بها ، لكنها لم تهتم كثيراً بالأمر . كانت تتسلى أحياناً بقبول دعوة لحفل ما ، ثم لا تذهب ، ثم تتأكد من المضيفة صاحبة الحفل فى اليوم التالى عن حضور الجنرال ، الذى كان يحضر دائماً .

على الرغم من قتل الألمان الفورى لكل من يعارضهم ، استمرت أعمال التخريب ، وزادت فى باريس . علاوة على أفراد المقاومة الشعبية كانت هناك بؤر مقاومة من الفرنسيين المحبين للحرية ، ممن كانوا يجازفون بحياتهم لمحاربة العدو بكل الأسلحة المتاحة ، وكانوا يقتلون جنود الألمان ويتسقفون عربات المؤن والذخيرة والكبارى والقطارات . كانت تلك الأنشطة توصف فى الجرائد تحت إشراف الألمان بأنها أعمال مخزية ، ولكن بالنسبة للفرنسى المخلص ، فقد كانت أعمالاً مجيدة . كان الاسم الذى يظهر كثيراً فى الجرائد هو اسم الصرصار - وهو لقب أخطر رجل للمقاومة الشعبية ، وقد أطلقوا عليه هذا اللقب ، لأنه يبدو منتشراً فى كل مكان ، ويتواجد فى كل الأماكن ، وينتقل سريعاً من مكان لآخر ، ولا تتمكن المخابرات الألمانية من الإمساك به . لم يتعرف أحد على هويته . ظن البعض أنه رجل إنجليزى يعيش فى باريس ، وزعم الآخرون أنه من عملاء الجنرال الفرنسى شارل ديغول زعيم قوات

فرنسا الحرة ، ويقول البعض الآخر إنه ألمانى مثشق . مهما كانت الأقاويل فلقد بدأت رسومات الصراصير تنتشر فى كل باريس : على المباني ، والأرصفة ، وفى مقر الجيش الألمانى . كانت المخابرات الألمانية تركز جهودها للإمساك به ؛ لكن هناك حقيقة لاشك فيها ؛ وهو أن الصرصار أصبح بطلاً قومياً .

فى يوم مطير فى ديسمبر حضرت نويل افتتاح معرض فنى لأحد أصدقائها هى وجوتيه ، وكان المعرض مقاماً فى صالة فنية فى شارع شهير ، وكانت هذه الصالة مزدحمة بالناس ، وكان هناك مشاهير من ضمن الحضور والمصورين الصحفيين فى كل مكان . بينما تشاهد نويل اللوحات الفنية ، شعرت بمن يلمس كتفها ، فالتفتت ووجدت أنها مدام روز ، لم تتعرف عليها نويل إلا بعد برهة ، كان وجهها قبيحاً كما هو ، ولكنها بدت أكبر من سنها بعشرين عاماً ، وكأنها أم مدام روز وليست روز نفسها ! كانت ترتدى معطفاً أسود له غطاء للرأس ، ولاحظت نويل أنها لا ترتدى النجمة السداسية وليس على ملابسها كلمة " يهودية " .

همت نويل بالكلام ؛ لكن المرأة أسكتتها بالضغط على ذراعيها ، وقالت لها بصوت مسموع بالكاد : " هلا تقابلنا فى مطعم لودوماجوت ؟ "

وقبل أن تتمكن نويل من الرد اختفت روز وسط الزحام ، وأحاط المصورين بنويل ، بينما وقفت لهم ، وابتسمت من أجل التصوير . تذكرت نويل مدام روز ، وابن أخيها كاتس ، حيث كان كلاهما عطوفين عليها فى أوقات محنتها ، وأنقذ كاتس حياتها مرتين ، وتساءلت نويل عما تريده مدام روز ، ربما تريد بعض المال .

بعد دقيقتين غادرت نويل المعرض الفنى ، واستقلت تاكسياً ليبدان " سانت جيرمان دى برى " . كان الجو ممطراً طوال اليوم ، وبدأ المطر

يتحول إلى جليد . بينما وقف التاكسى أمام المطعم ، دخلت نويل لتحتوى من البرد القارس ، فقابلها رجل ظهر فجأة ، وكان يرتدى معطفاً للمطر وقبعة كبيرة . تعرفت عليه نويل بعد برهة : كان هو كاتس بنفسه ، وبدا أكبر سناً من عمره الحقيقى ، ولكن التغيير داخله كان أعمق من ذلك . كانت تحيط به حالة من السلطة والقوة الداخلية ، وكان أنحف من آخر مرة شاهده نويل ، وكانت عيناه غائرتين ، وكأنه لم ينم منذ ليال طويلة . لاحظت نويل أنه لم يرتد النجمة السداسية على ملايسه .

قال لها : " هيا نحتفى من المطر " .

ثم سحبها من ذراعها ، وقادها إلى داخل المطعم . كان هناك حوالى ستة زبائن من الفرنسيين ، وقادها كاتس إلى مائدة فى ركن خلفى وهادئ .

" هلا احتسيت شيئاً ؟ "

" كلا شكراً " .

ثم خلع قبعته المبتلة من المطر ، وتفحصت نويل وجهه .

كانت تعلم أنه لم يحاول الاتصال بها سعيًا للمال ، وظل هو ساكناً بلا حراك يتفرس فى وجهها .

قال بهدوء : " مازلت جميلة يا نويل . رأيت كل أفلامك ومسرحياتك . أنت ممثلة عظيمة " .

" لماذا لم تزرنى فى الكواليس ؟ "

تردد كاتس ، وقال مبتسماً فى خجل : " لم أرغب فى إحراجك " .

لم تفهم مقصده لبرهة ، ثم فهمت ؛ لأن كلمة " يهودى " بالنسبة لها كانت مجرد كلمة فى الجرائد تظهر من آن لآخر ، ولا تعنى لها شيئاً ، ولكن ما شعور اليهودى فى بلد يريد القضاء عليه ، وخاصة أن هذا البلد هو وطنه الأم .

قالت نويل : " أنا أختار أصدقائي ، ولن يجبرني أحد على رؤية أو عدم رؤية أحد " .

ابتسم كاتس بأسى ، وقال : " لا تهدري شجاعتك ، بل استخدمها فيما يفيد " .

قالت : " أطلعني على أخبارك " .

هز كتفيه بلا اكتراث ، وقال : " أحيا حياة مملة جداً ، وأصبحت جراحاً ، ودربت الجراحة على يد أشهر الجراحين د. أنجيبيوست هل تعرفينه ؟ " كلا .

إنه جراح قلب شهير ، وجعلني تحت حمايته ، وشملني بالرعاية ، ثم سحب مني الألمان رخصة ممارسة الطب . " ثم مد يديه المنحوتتين بشكل جميل ، وفحصهما وكأنهما يدان لشخص غيره ، وقال : " أنا أعمل نجاراً الآن " .

نظرت إليه لفترة طويلة ، وقالت : " أهذا كل شيء ؟ "

نظر إليها في دهشة ، وقال : " بالطبع ، لماذا ؟ "

طرحبت الفكرة عن ذهنها ، وقالت : " لا شيء ، لماذا أردت رؤيتي ؟ "

مال بالقرب منها ، وقال بصوت خفيض : " أريد خدمة منك لدى صديقك ... "

في تلك اللحظة فتح الباب ودخل المطعم جنود الألمان بزيهم العسكري الأخضر الفاتح ، وبرفتهم قائدهم الذي قال بصوت عال : " ممتاز ! نريد رؤية بطاقتكم لإثبات الهوية ! "

تصلب جسد كاتس ، وكأنه ارتدى قناعاً ، ووجدت نويل أنه وضع يده اليمنى في جيب معطفه ، وعيناه تنظران للمخرج الخلفي الضيق ، لكن أحد الجنود سار للمخرج ، ومنع الدخول أو الخروج منه . قال

كاتس بصوت ينم عن حالة الطوارئ : " ابعدي عني الآن ، واخرجني من الباب الأمامي . "

قالت له نويل : " لماذا ؟ "

كان الألمان يفحصون بطاقات الهوية لبعض الزبائن في المائدة بالقرب من المدخل .

قال بلهجة أمرة : " لا تطرحي الأسئلة ، اذهبي الآن ! "

ترددت نويل لبرهة ، ثم قامت وسارت نحو الباب .

انتقل الألمان لمائدة أخرى ، وكان كاتس قد حرك المقعد إلى الورا ، لكي يفر في الوقت المناسب ، ولكن الحركة نبهت اثنين من الجنود ، فسارا نحوه قائلين : " بطاقتك " .

أدركت نويل أن الجنود يبحثون عن كاتس ، وإذا حاول الهرب فسيردونه قتيلاً ، فلا مهرب له الآن .

استدارت نويل ، وقالت له بصوت عال : " فرانسوا ! سنتأخر على المسرح ، ادفع الحساب ، وهيا بنا " .

نظر إليها الجنود في دهشة ، ووجدوها تعود إلى المائدة .

اقترب القائد شولتس لمواجهتها ، وكان أشقر ذا خدين متوردين في أوائل العشرينيات من العمر ، وقال لها : " هل أنت مع هذا الرجل يا سيدتي ؟ "

صاحت بغضب : " بالطبع ! ليس لديكم أفضل من مضايقة المواطنين الشرفاء ؟ "

" آسف يا آنستي الجميلة ... "

ردت بغضب : " أنا لست آنستك الجميلة ! أنا نويل باج ، نجمة مسرح المنوعات ، وهذا الرجل زميلي في الفرقة . سأتناول العشاء مع صديقي الجنرال شايدر ، وسأخبره بسلوكك ، وسيغضب منك ! " رأت نويل نظرة إدراك في وجهه ، لكنها لم تدر هل تعرف على اسمها ، أم اسم الجنرال .

قال القائد متلعثماً : " أنا آسف يا آنسة ، بالطبع أعرفك " .
ثم اتجه إلى كاتس الذى جلس فى صمت ، ويده فى جيب المعطف ، وقال : " لكن لا أعرف هذا الرجل " .
قالت باحتقار : " إذا كنتم تذهبون للمسرح فستعرفونه . هل نحن مقبوض علينا أم يمكننا الذهاب ؟ " .
لاحظ القائد أن الجميع ينظرون إليه ، وكان عليه اتخاذ القرار السريع : " بالطبع ليس مقبوضاً عليكم ، ويمكنكما الذهاب ، وأعتذر عما بدر منى من مضايقات .. " .
نظر إليه كاتس ، وقال ببرود : " إنها تمطر أيها القائد . هلا أمرت جنودك بإيجاد تاكسى لنا ؟ " .
" بالطبع فى الحال " .

ركب كاتس التاكسى مع نويل ، وراقبهما القائد وهو واقف فى المطر بينما يبتعد التاكسى . عندما وقف التاكسى عند إشارة المرور بعد ٣ مبان فتح كاتس الباب ، وضغط على يد نويل ، معبراً عن عرفانه بالجميل ، واختفى فى الظلام دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

فى السابعة مساءً عندما ذهبت نويل لحجرتها فى المسرح كان هناك رجلان فى انتظارها . كان أحدهما القائد الذى قابلها فى المطعم . والآخر رجلاً لا تعرفه يرتدى زياً عسكرياً ، وكان أمهق بلا شعر وله عينان ذات لون أحمر فاتح ، وكان أشبه لنويل بالطفل الذى لم يتشكل بعد . كان فى الثلاثينيات من العمر ، وله وجه مستدير ، وكان صوته عالى النبرة ونسائياً بشكل يثير الضحك ، لكن كان لصوته سمة ملحوظة لا تخطئها الأذن ، كان يعطى إحساساً بالموت وبالبرد الذى تقشعر له الأبدان عندما قال : " هل أنت نويل باج ؟ " .

" نعم " .

" أنا الكولونيل كيرت مولر من المخابرات الألمانية . أعتقد أنك قابلت القائد شولتس من قبل " .

نظرت إليه نويل دون اكتراث ، وقالت : " كلا لم أره من قبل . " .
قال القائد : " بل فى المطعم عصراً يا آنسة " .
اتجهت نويل إلى مولر ، وقالت : " أنا أقابل الكثير من الناس .
أوماً الكولونيل برأسه ، وقال : " من الصعب تذكر كل الناس ، وخاصة أن لديك أصدقاء كثيرين " .
أومأت وقالت : " بالضبط " .

قال : " مثلاً : الصديق الذى كان بصحبتك فى المطعم " ثم نظر إلى عينيها ، وأردف قائلاً : " هل أخبرت القائد شولتس أنه يمثل معك فى المسرحية ؟ " .

نظرت إليه فى دهشة ، وقالت : " لا بد أنه أساء فهمي " .
قال القائد بغضب : " كلا يا آنسة لقد أخبرتنى ... " .
نظر إليه الكولونيل نظرة باردة ليوقفه ، فسكت قبل إنهاء الجملة .
قال مولر بول : " ربما يحدث ذلك عندما يحاول المرء التفاهم بلغة أجنبية " .

رأت جلسة وجه القائد يحمر من الغيظ ، لكنه التزم الصمت .
قال مولر : " آسف للإزعاج على أمر بسيط " .
شعرت نويل باسترخاء جسدها ، وأدركت فجأة كم كانت تشعر بالتوتر .

قالت : " لا بأس ، ربما أعطيكم تذاكر للعرض " .
" لقد رأيتهما ، وشولتس اشترى تذكرة لنفسه ، لكن شكراً لك " .
وبدا يسير باتجاه الباب ثم توقف ، وقال : " عندما قلت لشولتس إنه همجى ، قرر شراء تذكرة لمشاهدة العرض ثم نظر لصور الممثلين فى الردهة ، ولم ير صورة لصديقك الذى قابلته فى المطعم ، ولذلك اتصل بى " .

بدأ قلبها يدق بعنف .

" على سبيل الثرثرة يا آنسة ، إذا لم يكن ممثلاً معك فى الفرقة فمن يكون ؟ "

" صديق لى "

قال بصوت نسائى رفيع ، ولكنه ينذر بالخطر : " ما اسمه ؟ "

قالت : " وماذا سيفيدك من معرفة اسمه ؟ "

" أوصافه تطابق أوصاف مجرم نبحت عنه ، وهناك من رأوه فى ميدان سانت جيرمان دى برى اليوم . "

وقفت نويل وهى تتأمله ، وكان رأسها قد أصيب بالدوار .

قال بإصرار : " ما اسم صديقك ؟ "

" لا أعرف . "

" هل كان غريباً ؟ "

" نعم . "

حدق إليها ، ونظر فى عينيها نظرة متفرسة قائلاً : " كنت

تجلسين معه ، ومنعت الجنود من رؤية بطاقته ، فلماذا ؟ "

" شعرت بالأسى من أجله ، فلقد جاءنى ... "

" أين ؟ "

فكرت نويل سريعاً ، واعتقدت أن هناك من رآها وهى تدخل المطعم معه : " خارج المطعم ، وقال لى إن الجنود يبحثون عنه ؛ لأنه سرق البقالة من أجل أطفاله وزوجته ، وبدت لى جريمة بسيطة ؛ ولذلك ساعدته . " ثم نظرت إلى مولر ، وهى تستعطفه .

تفرس فى وجهها لبرهة ، وأوماً برأسه فى إعجاب ، وقال : " فهمت الآن لماذا أنت نجمة كبيرة . " ثم اختفت الابتسامة من وجهه عندما قال بصوته الناعم : " دعينى أنصحك يا آنسة ، نحن نريد أن تكون علاقتنا جيدة مع الفرنسيين ، وأن يصبحوا أصدقاءنا وحلفاءنا . لكن من يساعد عدونا يصبح عدواً لنا . سنقبض على هذا الرجل ونستجوبه ، وسوف يتكلم ، وأعدك بذلك . "

قالت : " ليس لدى ما أخشاه . "

قال : " أنت مخطئة ، فعليك أن تخشى على نفسك من عقابى " ، ثم أوماً للقائد شولتس ، وبدأ يسير فى اتجاه الباب مرة أخرى ، ثم استدار ناحيتها مرة أخرى ، وقال : " سوف تبلغيننى إذا حاول أن يقابلك وإلا ... " وابتسم لها ابتسامة مخيفة ، واختفى الرجلان من المكان .

انهارت نويل على أقرب مقعد ، وهى منهكة القوى والأعصاب . كانت تعلم أن كذبتها غير مقنعة ، لكنه غافلها على حين غرة . كانت متأكدة أن الموقف مر بسلام فى المطعم ، وتذكرت الآن القصص المرعبة التى تقشع لها الأبدان عن وسائل التعذيب فى المخابرات الألمانية . ماذا لو قبضوا على كاتس وتحدث عنها . قد يقول إنها صديقان قديمان ، وإنها كانت تكذب عندما قالت إنها لم تعرفه . بالتأكيد الأمر ليس بهذه الأهمية إلا إذا ... كان كاتس هو الصرصار .

بعد نصف ساعة كانت نويل تمثل دورها على خشبة المسرح ، وأبعدت عن ذهنها كل شئ سوى دورها فى المسرحية . كان الجمهور شغوفاً بالمسرحية ، وصفق لها بحرارة ، وظلت تسمع الهتاف والتصفيق ، وهى تذهب إلى حجرتها ، وتفتح الباب . كان الجنرال هانز شايدر جالساً على مقعد فى حجرتها ، ووقف عندما دخلت نويل ، وقال فى أدب جم : " أخبروننى أننا على موعد على العشاء الليلة . "

تناولا العشاء فى مطعم لوفرويه برود ، الذى يطل على نهر السين ، بعد حوالى ٢٠ ميلاً خارج باريس ، وذهبا إلى هناك فى سيارة الجنرال التى يقودها سائق خاص ، وكانت سيارة ليموزين سوداء ولامعة . كان المطر قد توقف بيد أن الليل كان بارداً ولطيفاً . لم يذكر الجنرال موقف اليوم إلا بعد انتهاء الأكل . كان أول رد فعل لها فى البداية ألا تذهب

معه ، لكنها قالت إنه من الضروري أن تعرف إلى أى مدى يعرف الألمان عنها ، وهل هى فى مشكلة أم لا .

قال الجنرال : " تلقيت مكالمة من المخابرات ، وقالوا لى إنك أخبرت قائداً يدعى شولتس أنك ستتناولين العشاء معى الليلة " . راقبته نويل ولم تجب ، فأردف قائلاً : " فقررت أنه سيكون من غير اللائق لك إذا رفضت أنا الدعوة ، وسيكون من المتع لى قبولها . " ثم ابتسم وقال : " وها نحن معاً " .

قالت معترضة : " الأمر كله هزل ، مساعدة رجل فقير سرق البقالة ... " .

قال لها بصوت حاد : " لا تقعى فى خطأ اعتقاد أن الألمان أغبياء ، ولا تهونى من شأن المخابرات الألمانية " .

قالت نويل : " ليس لديهم ما يفعلونه معى يا جنرال . " ظل يعبث بالكأس ، وقال : " يشك الكولونيل مولر فى أنك ساعدت رجلاً يريد إلقاء القبض عليه . إذا كان هذا صحيحاً ، فانت فى مشكلة كبيرة . الكولونيل مولر لا يسامح ولا ينسى أبداً " . ثم نظر إليها ، وقال بحرص : " ولكن إذا لم تتعاملى مع هذا الصديق مرة أخرى فسينتهى الأمر ببساطة " .

قالت نويل : " حسناً أريد تناول مشروب ما . " بعد أن طلب المشروبات قال : " منذ متى وأنت مقيمة مع أرمان جوتيه ؟ "

قالت نويل : " أنا متأكدة من أنك تعرف إجابة هذا السؤال . " ابتسم قائلاً : " فى الحقيقة نعم ، وأردت أن أعرف لماذا رفضت تناول العشاء معى من قبل ، هل كان بسبب جوتيه ؟ "

هزت رأسها بالنفى قائلة : " كلا . " قال بصرامة : " فهمت " وكانت هناك نبرة فى صوته تشير دهشتها .

قالت نويل : " باريس مليئة بالنساء الجميلات ، وأنا متأكدة أنك ستحصل بسهولة على إحداهن " .

قال بهدوء : " أنت لا تعرفيننى ، وإلا لما قلت هذا " . وبدأ عليه الارتباك ، وأردف قائلاً : " لدى زوجة وطفل فى برلين وأحبهما جداً ، ولكنى بعيداً عنهما ، ولم أرها منذ أكثر من عام ، ولا أعرف هل سأراها مرة أخرى أم لا " .

قالت بقسوة : " ومن أجبرك على المجئ لباريس ؟ " " أنا لا أستجدى العطف منك ، بل أردت توضيح موقفى قليلاً ، أنا لست من الرجال الذين ينساقون وراء أية فتاة فى طريقهم . أول مرة أراك كانت فى المسرح ، وغمرنى شعور غريب ، وأردت التعرف عليك ، وأتمنى أن نصبح أصدقاء " . " لكنى لا أستطيع أن أعدك بشئ . " " أفهم ذلك " .

كان يتكلم بهدوء ، وبدت كرامة واضحة فى نبرة صوته . بالطبع لم يفهم الرجل نويل ، فهى كانت تنوى عدم رؤيته مرة أخرى . قام الجنرال من باب الذوق بتغيير موضوع الحوار ، وتحدث معها عن التمثيل والمسرح ، واندeshت نويل لثراء معلوماته ، حيث كان ذهنه يعرف قدراً ما عن كل شئ ، وكان ذكاؤه حاداً . كان ينتقل برشاقة من موضوع لآخر ، ويوضح الاهتمامات المشتركة بينه وبين نويل . كان أداؤه ماهراً ، واستمتعت به نويل ؛ لقد قام بمجهود كبير لكى يعرف تاريخ حياتها . كان يبدو فى صورة نمطية للجنرالات الألمان بزيه الأخضر وقوته وسلطته ؛ ولكن كانت هناك مشاعر رقيقة توضح أنه رجل من نوع آخر ، له سمات ذكاء وعقلانية لعلامة نابغة وليس أحد الجنود ، ومع ذلك كان الذى يشوه تلك الصورة هو الجرح الفائر فى وجهه .

تصلب جسد الجنرال للحظة ، وكأنه صعب ، ثم اتجه إلى نويل قائلاً بهدوء : " قد أكون صديقاً جيداً ونافعاً لك ، لنأمل ألا نكون أعداء " .

عندما عادت نويل لمنزل أرمان جوتييه كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكان في انتظارها وهو في قمة العصبية .

صاح غاضباً وهي تدخل إلى المنزل : " أين كنت بحق الجحيم ؟ " قالت نويل وهي تحول بصرها عنه إلى حجرة النوم : " كانت لدى ارتباطات مهمة " .

عندما ألقت نظرة على الحجرة ، بدت وكأن الأعاصير قد هبت فيها ، ثم فتح كل الأدراج ، وألقى كل المحتويات في أرجاء الحجرة ، وتم فتح وتفتيش كل الدواليب . وانقلبت الأباجورة رأساً على عقب ، وكانت ساق المنضدة الصغيرة المجاورة مكسورة .

تساءلت نويل : " ماذا حدث ؟ " رجال المخابرات الألمانية كانوا هنا ، ماذا كنت تفعلين ، وما الذى تعتزمين فعله ؟ " " لا شيء " .

" إذن فلماذا يفعلون ذلك بنا ؟ " بدأت تتحرك نويل عبر أرجاء الحجرة ، وتقوم بإعادة وضع كل قطعة أثاث في مكانها ، وهي تفكر بعمق فيما حدث . أمسك جوتييه نويل من كتفها ، ونظر إلى وجهها وقال : " أريد أن أعرف ما الذى يحدث . "

سحبت نفسها عفيقاً ، وقالت : " حسناً سأخبرك بكل شيء " . ثم أخبرته بكل ما حدث بشأن كاتس وحوارها مع الكولونيل مولر ، ثم قالت فى النهاية : " لا أعرف هل صديقى هو الصرصار أم لا ، ولكن من المحتمل أن يكون هو " .

قالت له نويل : " كيف جرح وجهك بهذا الشكل ؟ " قال دون اكتراث ، وهو يمرر أصبعه على الجرح : " كان ذلك فى قتال لرد الشرف والكرامة ونسميه بالألمانية " جرح الكرامة " . ثم تناقشا فى فلسفة النازية .

قال الجنرال : " نحن لسنا وحوشاً ، ولا نريد أن نحكم العالم ، ولكننا لا نريد أن نعاقب على حرب خسرتها منذ ٢٠ عاماً . معاهدة فيرساي قيد تخلص منه الشعب الألماني " .

ثم تحدثا عن احتلال باريس ، حيث قال الجنرال : " لم يكن خطأ الجنود الفرنسيين أننا دخلنا باريس ، ولكن اقتحامها كان سهلاً لنا ، والمسئولية تقع بشكل كبير على عاتق نابليون الثالث " . " لا بد أنك تمزح " .

" بل أنا جاد للغاية ، فى عهد نابليون الثالث كان عامة الناس تستخدم طرق باريس المتعرجة لعمل المتاريس والكمائن لمقاومة جنوده ، ولكن كان يمنعهم البارون يوجين جورج هاوسمان الذى كان يعيد تخطيط باريس ، ويجعل شوارعها مستقيمة وواسعة ، وهى نفس الشوارع التى مشى عليها جنودنا وقواتنا . أخشى أن التاريخ لن يغفر للمخطط هاوسمان فعلته " .

بعد العشاء ، عادا بالسيارة إلى باريس ، وأثناء رحلة العودة قال لها : " هل تحبين جوتييه ؟ " .

بدا وكأنه سؤال عابر ، لكنها شعرت أن الإجابة مهمة جداً له . قالت ببطء : " كلا " .

أوماً برأسه وشعر بالراحة والرضا ، فقال : " كنت أعلم ذلك ، وأعتقد أننى سأجعلك سعيدة " . " سعيدة مثل زوجتك ؟ " .

انهار جوتيبه على المقعد فى ذهول ، وقال : " يا إلهى ! لا أهتم بمعرفة من هو ، ولا أريدك أن تتورطى معه فى أى شىء . قد نقتل بسبب ذلك . أنا أكره الألمان مثلك و ... " ثم توقف عن الكلام ؛ لأنه لا يعرف هل نويل تكره الألمان أم لا . ثم قال : " يا عزيزتى طالما أن الألمان هم من يضعون القوانين الآن فيجب علينا الطاعة ؛ لأننا لن نتحمل التورط مع المخابرات الألمانية . هذا اليهودى - ماذا كان اسمه ؟ "

" لم أقل لك اسمه ، ولن أتفوه به "

نظر إليها لبرهة ، وقال : " هل هو حبيبك ؟ "

" كلا يا أرمان . "

" هل تحببته ؟ "

" كلا . "

قال جوتيبه بارتياح : " حسناً ، ليس هناك داع للقلق ، لن يلومك أحد على مقابلته بالصدفة . إذا لم تقابليه مرة أخرى فلن يتذكروا الأمر . "

قالت نويل : " بكل تأكيد . "

فى طريقها للمسرح فى الليلة التالية ، كان يراقبها رجلان من المخابرات الألمانية .

منذ ذلك اليوم ظلت نويل تحت المراقبة أينما ذهبت . كان الأمر فى البداية مجرد إحساس أو هاجس بأن هناك من يمعن النظر إليها ، وكلما استدارت ترى فى الزحام رجلاً ضخماً كالجنود القدامى ؛ لكنه يرتدى زياً مدنياً ، وبدا وكأنه لا يعيرها انتباهه ، لاحقاً يعود إليها شعور أنها تحت المراقبة ، وتلتفت وراءها فتجد رجلاً آخر بنفس الملامح والهيئة . فى كل مرة تجد رجلاً مختلفاً ولكن كان الزى موحداً ، واتجاههم

متشابهاً : اتجاه احتقار للآخر والقسوة والسمو والتعالى ، وتلك الإشارات لا يمكن تجاهلها .

لم تقل نويل أى شىء لجوتيبه عما يحدث لها من مراقبة ؛ لأنها وجدت أنه لا فائدة من تعريضه للقلق دون داع ؛ لأن ما حدث من المخابرات فى شقته جعله عصبياً ، ولم يكن يتحدث سوى عما قد يفعله الألمان له ولها من تدمير لمستقبلهما إن أرادوا ذلك . كانت نويل تعلم أنه على حق . بمقدور المرء أن يقرأ الصحف فقط لكى يعرف أن الألمان لا يرحمون أعداءهم . حاول الجنرال شايدر الاتصال بنويل عدة مرات ، لكنها لم تهتم وتجاهلته تماماً . فهى لا تريد أن يصبح النازيون أصدقاءها أو أعداءها . قررت أن تكون محايدة تماماً مثل دولة سويسرا . وعلى كاتس وأمثاله الاهتمام بأنفسهم بعيداً عنها . كانت فضولية فقط ، وتريد معرفة ماذا كان يريد منها ، ولكنها لم تكن تريد التورط معه .

بعد أسبوعين من مقابلة كاتس لنويل قرأت نويل فى الصحف مقالاً فى الصفحة الأولى عن أن المخابرات ألقى القبض على مجموعة من المخبرين الذين يتزعمهم الصرصار . قرأت نويل المقال بدقة ، ولم يذكر المقال هل قبضوا على الصرصار أم لا .

تذكرت وجه كاتس عندما اقترب منه الألمان ، وعلمت أنه لم يكن ليدعهم يقبضون عليه حياً . قالت نويل لنفسها : " لا بد أنه نجار مسالم كما ذكر لى ؛ ولكن خيالى يجعلنى أظن أنه الصرصار " . لكن إذا كان مسالماً ، فلماذا تريد المخابرات القبض عليه ؟ هل هو الصرصار ؟ هل هرب أم قبضوا عليه ؟ ألقى نويل نظرة من النافذة المطلة على شارع مارتنجنى ، فرأت رجلين فى معاطف مطر سوداء ، يقفان تحت عمود نور فى انتظارها . لماذا ؟ بدأت تشعر بالقلق مثل جوتيبه ولكنها شعرت بالغضب أكثر . تذكرت كلمات الكولونيل مولر : " يجب أن تخشى على نفسك منى " . كان الأمر يمثل تحدياً لها ، وشعرت أنها ستقابل كاتس مرة أخرى .

انتظرت المرأة ردها .

قالت نويل وهى تشعر بالغباء ، كأن خطورة الموقف يتم تحقيرها بالتمثيل المصطنع لها : " لديك كعكة عيد ميلادى هنا " .
أومأت المرأة برأسها ، وقالت : " إنها جاهزة يا آنسة " ووضعت لافتة " مغلق " على باب المخبز وأغلقتة ، وقالت لنويل : " من هنا يا آنسة " .

كان كاتس مستلقياً على الفراش فى حجرة خلفية صغيرة من المخبز ، وعلى وجهه أمارات الألم المبرحة ، وعرقه الغزير ينضح من كل جسده . كانت الملاء ملطخة بالدماء ، وكان هناك رباط ضاغط حول ركبته اليسرى .
" كاتس "

حرك رأسه ناحية الباب ، ووقعت الملاء ، وكشفت عن ساقه المبتورة وعظمة الفخذ ، واللحم المحاط بها .
قالت نويل : " ماذا حدث ؟ "
حاول الابتسام فلم يستطع ، كان صوته متحشراً ومجهداً من الألم : " لقد حاولوا قتلى ، ولكن ليس من السهل أن يقتل الصرصار . "

كانت نويل على حق بأنه هو الصرصار فقالت : " قرأت عنك ، هل ستكون بخير ؟ "

سحب نفساً عميقاً ، وشعر بالآلام المبرحة ، وأومأ لها رأسه بالإيجاب ، وقال بصعوبة وهو مجهد :

" المخابرات تقلب باريس رأساً على عقب بحثاً عني ، وفرصتى فى النجاة هى الخروج من المدينة .. إذا كان يمكننى الذهاب إلى لوهافر فلدئى أصدقاء يساعدونى للحصول على مركب للفرار من البلاد " .

قالت نويل : " ألا يتمكن أصدقاؤك من إخراجك من باريس ؟ لماذا لا تتخفى فى شاحنة و ... " .

جاءتها رسالة فى صباح اليوم التالى من شخص غير متوقع ، وهو حارس العقار . كان رجلاً قصيراً ، وضئيل الحجم ، وكانت عيناه ضيقتين ، ويبدو فى السبعينيات من العمر . وله وجه نحيل وخشن ، وليس لديه أسنان فى الفك السفلى ، ولذلك من الصعب فهمه عندما يتحدث . عندما استدعت نويل المصعد كان هو بالداخل ونزلاً معاً ، وقال لها بصوت منخفض : " كعكة عيد الميلاد التى طلبتها فى المخبز فى شارع دى باسى " صدقت إليه نويل ، واعتقدت أنها لم تسمعه جيداً ، ثم قالت : " لم أطلب أى حلوى " .

قال الرجل بإصرار : " شارع دى باسى " .
فجأة فهمت نويل أنه رسول كاتس لها ، لكنها لن تفعل شيئاً طالما أنه يوجد رجلان من المخابرات يلاحقانها كظلهما مثل المجرمين غير الشوارع ! كان الرجلان يتحدثان ولم يرياها على مدخل البناية ، فقالت للبواب : " أين الباب الخلفى للبناية ؟ " قال لها : " من هنا يا سيدتى " .

تبعته نويل من المدخل الخلفى ، وعبر سلالم القبو إلى الحارة خلف البناية ، وبعد ثلاث دقائق كانت فى التاكسى فى طريقها لمقابلة كاتس .

كان المخبز معتاداً وشكله مألوفاً فى منطقة متواضعة فى حى للطبقات المتوسطة . كان مكتوباً بالحروف الكبيرة على زجاج المحل كلمة " مخبز " بالفرنسية ، وكانت الحروف متأكلة وطلاؤها متقشراً . عندما دخلت نويل إلى المكان بعد فتح الباب استقبلتها امرأة قصيرة بدينة ترتدى مريضة بيضاء نظيفة للغاية .

" أى خدمة يا آنسة ؟ "

ترددت نويل ، وكان أمامها وقت للتراجع ، وعدم التورط فى شىء خطير لا تهتم به .

هز رأسه في ضعف ، وقال : " الطرق مسدودة ، ومستحيل الهرب من باريس " .

قالت نويل في سرها : " ولا حتى الصرصار يمكنه الهرب . " وقالت له : " هل يمكنك السفر بساقل المبتورة ؟ " ثم وقفت تفكر في القرار ملياً .

ابتسم ابتسامة ممزوجة بالألم الذي يعتصره وقال : " لن أسافر بهذه الساق . "

نظرت نويل إليه ، ولم تفهم ما قاله ، وفي تلك اللحظة انفتح الباب ودخل رجل عريض المنكبين ، ضخمة الجثة ، وطويل اللحية ، وكان يحمل في يده فأساً ، وأزاح الملاء بعد أن سار إلى الفراش ، واستعد لبتز ساق كاتس ، وشعرت نويل بالدم يهرب من وجنتيها . فكرت نويل فيما سيقعله معها الجنرال شايدر ، ورجل المخابرات الألمانية إذا اكتشفا أمرها .

قالت نويل : " سأساعدك يا كاتس " .

كاثرين

واشنطن - هوليوود ١٩٤١

٧

بدأ لـ " كاثرين " أن حياتها دخلت مرحلة جديدة في الحياة ، وكأنها صعدت لمستوى انفعالي أعلى ، بل إلى ذروة الابتهاج . عندما كان فريزر في المدينة كانا يتناولان العشاء معاً كل ليلة ، ويذهبان للحفلات الموسيقية أو المسرح أو الأوبرا . ثم قام فريزر لاحقاً باستئجار شقة صغيرة وجميلة لها بجوار أرلينجتون . كان يريد دفع الإيجار ، ولكنها أصرت على دفعه بنفسها . كان يشتري لها الهدايا والملابس والمجوهرات ، وكانت ترفضها في البداية بسبب خجلها النابع من نشأتها الدينية ، لكنه أصبح سعيداً جداً عندما أصبحت تقبلها منه .

قالت كاثرين لنفسها : " سواء رضيت أم لا ، فأنت مجرد عشيقة " . كانت تلك الكلمة محملة بالنسبة لها بالإحياءات التي تشير إلى امرأة رخيصة ومبتذلة في شقة في شارع خلفي ، وتحيا حياة الإحباط العاطفي . لكن الآن هي داخل التجربة نفسها ، فهي لا تعيش التجربة بإحياءاتها المذكورة سلفاً ، فهي تمارس الحب مع رجل تحبه ، ولم تشعر أن الأمر قدر بل طبيعي .

قالت كاثرين لنفسها : " من المثير أن ما يفعله الناس يبدو بشعاً . ولكن عندما تفعل مثلهم يبدو الأمر عادياً . فعندما تقرأ عن تجارب الآخرين تبدو مثيرة ، ولكن تجاربك أنت كالجريدة المملة " .
كان فريزر رفيقاً متفهماً ، ومراعياً لشعورها . وبدا وكأنهما يعيشان معاً منذ زمن بعيد . كانت كاثرين تتوقع ردود أفعال لكل المواقف . وتحفظ كل حالاته المزاجية .

كان والاس تيرنر كبير المحاسبين مدير الوكالة الإعلانية الخاصة بـ " فريزر " في غيباه . حاول فريزر التدخل في عمل الوكالة بأقل قدر ممكن ، لكي يكرس كل وقته لعمله في واشنطن ، ولكن كلما حدثت مشكلة كبرى تحتاج لمشورته في الوكالة الإعلانية ، اعتاد فريزر مناقشتها مع كاثرين كصدي لروحه وأفكاره . لقد اكتشف أن لديها موهبة طبيعية في إدارة الأعمال ، وكانت تأتي بأفكار للحملات الإعلانية ، وكان لها آراء فعالة ، وثبتت صحتها .

قال لها ذات مرة على العشاء : " إذا لم أكن أنانياً يا كاثرين لكنت جعلتك رئيسة الوكالة لكي تديرى الحسابات " . ثم أمسك يدها قائلاً : " ولكن في تلك الحالة كنت سأفتقدك كثيراً ، وأريدك أن تظلى بجوارى " .

" أريد أن أظل معك يا بيل ، وأنا سعيدة بالوضع كما هو " وكانت تلك هي الحقيقة ، لقد فكرت في أنه بينما هي في وضع كهذا ، فيجب أن تسعى للزواج . لكن في موقفها لم تكن متعجلة ، فهي تتعامل معه كزوجته بالضبط .

في نهاية يوم العمل كانت تنتهي كاثرين من عمل ما ، ودخل عليها فريزر المكتب قائلاً :

" ما رأيك أن نذهب إلى الريف الليلة ؟ "

" بكل تأكيد ، إلى أين سنذهب "

" إلى فيرجينيا لتناول العشاء مع والدى " .

نظرت إليه في دهشة ، وقالت : " ماذا يعلمان عن علاقتنا ؟ " قال مبتسماً : " لا يعرفان الكثير ، سوى أن مساعدتى الرائعة ستحضر معى العشاء " .
شعرت بخيبة الأمل ، ولكنها لم تظهرها على وجهها ، وقالت : " حسناً ، سأذهب للمنزل ، وأبدل ملابسى " .
" سأحضر لاصطحابك فى الساعة مساءً " .
" لا بأس " .

كان منزله الفخم المطل على جبال فيرجينيا الجميلة يقع وسط مزرعة تبلغ مساحتها ٦٠ فداناً ، والعشب الأخضر الزاهى اللون ، وكان أثرياً من القرن الثامن عشر .

قالت كاثرين بدهشة وتعجب : " لم أر منزلاً كهذا من قبل . " قال فريزر : " إنها من أفضل مزارع أمريكا " .
مرت السيارة بإسطنبول مليء بالخيل وأكوخ ساسة الخيل . تعجبت كاثرين قائلة : " كأنه عالم مختلف ، كم أغبطك لأنك نشأت هنا " .

" هل تظنين أنك يمكنك الإقامة فى إحدى المزارع ؟ " قالت بجفاء : " إنها ليست مزرعة بالضبط ، بل الأمر مثل امتلاك عالم صغير خاص بك " .
ثم وصلت السيارة أمام الباب .

قال فريزر لها : " والداى يتعاملان بشكل رسمى ، ولكن لا تقلقى ، كونى على طبيعتك ، هل أنت متوترة الآن ؟ "

قالت كاثرين : " كلا ، ولكنى خائفة " . بمجرد أن قالت ذلك اندهشت لأنها كانت تكذب . كل الفتيات فى القصص عندما يقابلن آباء فتيانهن كن يشعرن بالخوف الشديد . لكنها لم تكن تشعر بشيء .

سوى الفضول . لا وقت للتعجب الآن ؛ حيث خرجا من السيارة .
وفتح لهما الباب رئيس الخدم بزي فاخر ، وألقى التحية بابتسامة .
الكولونيل فريزر وزوجته كان شكلهما ، وكأنهما قد خرجا من كتاب
للقصص التاريخية القديمة ، وكان أول ما اندهشت له كاثرين هو كم هما
عجوزان وضعيفان .

كان كولونيل فريزر نسخة باهتة بالكربون لرجل كان وسيماً ومفعماً
بالحياة ، وكان يذكر كاثرين بشخص ما ، ثم فزعت عندما أدركت
أنه صورة قديمة بالية لابنه . كان لديه شعر خفيف وأبيض ، وكان
ينحني بالأم أثناء سيره . كانت عيناه لونهما أزرق باهت ويدها القوية في
الماضي أصابها التهاب المفاصل . كانت زوجته تبدو من عائلة
أرستقراطية ، وما زالت تحتفظ بمسحة جمال كالفتيات الصغيرات ،
وكانت كريمة وعطوفة مع كاثرين .

على الرغم مما أخبرها به فريزر ، كانت تشعر أنها هنا لكي
يفحصها أبواه حيث ظلا طوال الليل يطرحان الأسئلة عليها بشكل غير
مباشر . أخبرتهما كاثرين بكل شيء عن طفولتها وأبويها وحدثتهما عن
الانتقال من مدرسة لأخرى ، وجعلت الأمر يبدو كمغامرة ممتعة ، وليس
أمراً مؤلماً . بينما كانت تتحدث رأت أن بيل فريزر يبتسم لهما لكونه
فخوراً بها . كان العشاء رائعاً ، حيث تناولوه على ضوء الشموع في
حجرة سفرة كبيرة ، وذات طراز قديم ، ولها مدفأة ورخام ، وكان
الخدم بالزي الرسمي القديم . كانت فضيات المائدة قديمة والنقود
قديمة ، والشراب معتقاً . نظرت إلى بيل فريزر وسرت في جسدها
موجة من الامتنان الدافئ له ، كانت تشعر أن هذه الحياة ستصير لها
إن أرادت هي ذلك ، وكانت تعلم أنه يحبها وهي تحبه ، لكن كان
هناك شيء ناقص : الشعور بالإثارة . فكرت قائلة : " ربما أنا الخيالية
أكثر من اللازم ، ربما تأثرت بالروايات الرومانسية ، فالحب ليس
فارساً ذا درع لامعة ، بل فلاح مهذب في بدلة أنيقة . " بينما تنظر إلى

الكولونيل ، قالت إن بيل فريزر سيكون كذلك بعد ٢٠ عاماً ، حيث إنه
سوف يشبه أباه بالضبط ، ظلت كاثرين صامئة طوال باقي السهرة .
في طريقهما للمنزل سألهما فريزر : " هل استمتعت الليلة ؟ "
" نعم جداً ، وأحببت والديك "
" ولقد أحباك أيضاً "

" أنا سعيدة بذلك " . كانت تلك هي الحقيقة ، عدا الفكرة المقلقة
المبهمة في خلفية ذهنها عن أنها كانت يجب أن تشعر بالتوتر أكثر
بشأن مقابلة والديه .

في الليلة التالية تناولا العشاء معاً في نادى الجوكرى ، وأخبرها بأنه
سيذهب إلى لندن في عمل يستغرق أسبوعاً . قال لها : " أثناء غيابي
لدى عمل مثير لك ، فلقد طلبوا من وكالتى للإعلان الإشراف على
تصوير فيلم عن تجنيد ضباط الطيران فى استوديوهات " مترو جولدن
ماير " فى هوليوود . أريد منك تولى مهام الإشراف أثناء غيابي " .

حدقت إليه كاثرين وهي لا تصدق : " أنا ؟ أنا لا أعرف حتى أقل
القليل عن الجيش ، كيف سأشرف على فيلم عن تدريب الجنود ؟ "
ابتسم فريزر قائلاً : " الأمر فى غاية السهولة ، وكلها أمور جديدة
فلا داعى للقلق ، فسيكون هناك المنتج وكل العاملين ، والجيش يخطط
لاستخدام الممثلين فى الفيلم للقيام بدور الجنود " .
" لماذا ؟ "

" ربما يعتقدون أن الجنود الحقيقيين لا يقنعون المشاهدين إذا لعبوا
نفس الدور فى الفيلم " .

" وهل هذا مفيد للجيش ؟ "
" تحدثت لفترة طويلة على الهاتف مع الجنرال " ماتيويز " اليوم ،
وظل يؤكد على أهمية العرض المبهر ، فالإبهار سيضمن توزيع وبيع
الفيلم ، فهو موجه لشباب أمريكا لكى يتطوعوا فى الجيش " .
" ما المطلوب مني ؟ "

" إدارة ومتابعة سريان الأمور على ما يرام ، وسيكون لك الرأي النهائي في كل شيء ، وحجزت لك على طائرة لوس أنجلوس في التاسعة من صباح غد . "

أومات برأسها وقالت : " لا بأس . "

" هل ستفتقدينى ؟ "

" تعلم بالطبع أنني سوف أفتقدك . "

" سأحضر لك هدية لدى عودتي . "

" لا أريد هدايا ، بل عد إلى السلامة . "

أضافت بتردد : " هل الأمور تسير إلى الأسوأ على المستوى "

العالمي ؟ "

" نعم ، وأعتقد أن الحرب ستقع قريباً "

" شيء بشع . "

" سيكون الأمر بشعاً إذا لم نتدخل في الحرب "

وأردف بهدوء قائلاً : " انسحبت إنجلترا من معركة دانكيرك "

بأعجوبة . إذا أراد هتلر عبور بحر المانش فلن يتمكن البريطانيون من "

صدّه . " انتهاء من احتساء القهوة في صمت ، ثم قام فريزر بدفع "

الحساب . "

" هل تودين قضاء الليلة في منزلي ؟ "

" لا داعي لذلك ، فيجب أن أستيظف مبكراً ، وأنت كذلك . "

" حسناً . "

بعد أن قام بتوصيلها إلى منزلها ، استعدت للذهاب إلى الفراش ، "

وسألت نفسها لماذا لم تقض معه الليلة قبل رحيله . ولكن لم تتوصل إلى "

الإجابة أبداً . "

بدا وكأنها نشأت في هوليوود ، على الرغم من أنها لم تذهب إلى "

هناك أبداً . فلقد قضت مئات الساعات في المسارح ودور السينما ، "

وكانت تنزوب في الأحلام السحرية في أفلام عاصمة السينما في العالم ، وكانت تشعر بالامتنان لتلك الساعات الممتعة . "

عندما هبطت طائرة كاثرين في مطار بيرباتك ، كانت تشعر "

بالإثارة ، وكانت هناك سيارة ليموزين في انتظارها لاصطحابها إلى "

الفندق . أثناء سير السيارة عبر الشوارع الواسعة المشمسة كان أول ما "

لاحظته كاثرين هو أشجار النخيل الباسقة في السماء بسيقانها الرشيقة "

العارية من الورق ، وفي الجزء العلوى أوراق خضراء زاهية اللون . في "

مركز كل نخلة كانت هناك دائرة مجمعة من الأفرع الورقية من سعف "

النخيل . وكانت تبدو لكاثرين كالملابس المتسخة المعلقة بدون نظام على "

عمود أخضر . "

مرت السيارة بمبنى ضخيم أشبه بالمصنع ، وكانت هناك لافتة "

ضخمة على المداخل مدون عليها " الأخوان ورنر " ، وتحتها " نجتمع "

بين الأفلام الرائعة والمواطنة الشريفة " ، وعندما مرت السيارة من "

البوابة ابتسمت كاثرين وهي تتذكر الأفلام التي شاهدها وأبطال هذه "

الأفلام . "

مرت السيارة بالقلل المدون عليه بالحروف الكبيرة المنحوتة في "

انصخر اسم هوليوود ، وكان ضخماً جداً ، ثم انحرفت السيارة إلى شارع "

هاى لاند ، ثم غرباً لشارع هوليوود ، مروراً بالمرح المصرى ، ثم "

الصينى ثم اتجه السائق لشارع صانست ، واتجه إلى فندق " بيفرلى "

هيلز " . قال السائق : " ستستمتعين بالإقامة في هذا الفندق يا آنسة ، "

فهو من أفضل فنادق العالم " . "

حقاً ، فهو من أجمل الفنادق التي رأتها كاثرين ، وكان يقع شمال "

شارع صانست ، وتحيط به أشجار النخيل والحدائق الكبيرة . كان "

هناك ممر للسيارات بمنحني حتى مدخل الفندق ذى اللون الأحمر "

الفاصح الرقيق . جاء مساعد المدير الشاب المتلئى بالحماس لكى "

يصطحب كاثرين إلى حجرتها ، وهي عبارة عن شاليه فخم خلف المبنى "

الرئيسي للفندق . كانت هناك باقة ورد بها بطاقة تقول : " مع تحيات إدارة الفندق " ، وباقة أخرى أكبر وبها بطاقة تقول : " أتمنى لو كنت معك أوكنت معي ، أحبك ، بيل " . أحضر مساعد المدير ثلاث رسائل هاتفية لـ " كاثرين " ، وكانت كلها من آلان بنيامين منتج فيلم التدريب العسكري كما قيل لها . بينما كانت كاثرين تقرأ البطاقة التي جاءت مع الورد من بيل رن جرس الهاتف ، فهرعت إليه ورفعت السماعة ، وقالت بلهفة : " بيل ؟ " لكن اتضح أن المتحدث هو : " آلان بنيامين " .

قال صوته عبر الأثير : " أهلاً بك في كاليفورنيا يا آنسة كاثرين ألكساندر ، أنا القائد العام آلان بنيامين منتج الفيلم القصير " . فكرت كاثرين : " مجرد قائد عام ، كان لابد أن يكون المنتج برتبة كابتن أو كولونيل على الأقل " .

" سنبدأ التصوير غداً ، هل أخبروك بأننا سنستعين بممثلين بدلاً من الجنود ؟ "

" نعم . "

" سنبدأ التصوير في التاسعة في صباح الغد ، إذا حضرت في الثامنة ، فانا أريدك أن تلقي نظرة عليهم ، فأنت تعلمين ماذا يريد جيش الدفاع الجوي "

قالت بشغف : " نعم " ، ولكنها لم يكن لديها أدنى فكرة عما يريده جيش الدفاع الجوي ، لكنها افترضت أنه إذا استخدمت عقلها السليم ، وقامت باختيار ممثلين يصلحون للقيام بدور الطيارين فسيكون ذلك كافياً .

" سأجهز لك سيارة على باب الفندق في الساعة السابعة والنصف من صباح الغد ، وسوف يستغرق الطريق نصف ساعة للوصول لاستوديوهات مترو جولدن ماير في مدينة كالفر ، وسأقابلك في المحطة رقم ١٣ " .

لم تنم كاثرين ، ولم يغمض لها جفن قبل الساعة الرابعة صباحاً ، وبدا وكأنها أغلقت عينيها لمدة دقيقة ، ثم رن جرس الهاتف ، وأخبرها عامل تحويل المكالمات بأن هناك سيارة ليموزين بانتظارها . بعد نصف ساعة كانت كاثرين في طريقها إلى استوديوهات مترو جولدن ماير .

كان أكبر استديو تصوير سينمائي في العالم ، وكان هناك حوالى ٣٢ استوديو للتصوير ، ومبنى ضخم للإدارة يؤوى حوالى ٢٥ مديراً تنفيذياً وأشهر المنتجين والمخرجين وكتاب السيناريو في عالم السينما ، وفي منطقة أخرى كانت هناك الديكورات الخارجية ، والتي يعاد استخدامها في أفلام متعددة بعد إدخال التعديلات عليها . فبعد تغييرها في ٣ دقائق مثلاً سيكون المنظر لجبال الألب السويسرية ، أو لمدينة في الغرب الأمريكي ، أو مبنى ضخم في مانهاتن أو في شاطئ هاواي . كانت هناك منطقة ثالثة على طريق واشنطن بها ديكورات تساوى ملايين الدولارات للتصوير الخارجي .

كان كل ما سبق هو ما أوضحته المرشدة لـ " كاثرين " ، وكانت هي المكلفة باصطحابها لاستوديو رقم ١٣ . قالت المرشدة بفخر : " وكأنها مدينة متكاملة ، فنحن نولد الكهرباء الخاصة بنا ، ومطاعمنا تصنع الطعام لستة آلاف موظف يومياً ، ونصنع الديكورات في الساحة الخلفية ، فلدينا اكتفاء ذاتي ، ولا نحتاج لمساعدة خارجية " .

قالت كاثرين : " ماعدا الجمهور " . بينما سارا عبر الشارع موا بقعة مكونة من واجهة لها أعمدة محمولة عليها ، وعلى مقربة منها بحيرة ، وبهو مسرح سان فرانسيسكو . ضحكت كاثرين بتهقئة ، ونظرت إليها الفتاة المرشدة في دهشة قائلة : " هل ثمة خطأ قد حدث ؟ "

قالت كاثرين : " كلا ، فكل شيء رائع . "

عشرات الكومبارس يجوبون الشارع ، من رعاة البقر إلى الهنود الحمر ، وكلهم يتحدثون بود معاً ، وهم متجهون إلى استوديوهات الصوت . ظهر رجل دون توقع من أحد الأركان ، وتراجعت كاثرين للخلف ، لكي تتجنبه ، ورأت أنه فارس يرتدى البدلة الحديدية لفرسان العصور الوسطى ، وخلفه مجموعة بنات بملايس البحر . قررت كاثرين أنها ستستمتع بهذا التغيير المؤقت فى عملها فى مجال السينما ، وتمنت لو أن والدها قد رأى ذلك ، فكم كان سيستمتع .

قالت المرشدة : " ها قد وصلنا " . كانتا أمام مبنى ضخم رمادى به لافتة تقول : " استوديو ١٣ "

" سأتركك هنا . هل ستكونين بخير ؟ "

" نعم ، شكراً "

أوصأت المرشدة برأسها وانصرفت . التفتت كاثرين لاستوديو الصوت ، وكانت اللافتة مدونا عليها : " ممنوع الدخول عند إضاءة الضوء الأحمر " . وكان الضوء منطفئاً ، فحاولت فتح الباب ، لكنه كان ثقيلًا بشكل غير متوقع ، واستجمعت كل قوتها لفتحه .

بداخل الاستوديو الواسع كالكهف كان يوجد عشرات العمال المسرعين جيئةً وذهاباً ، وكان كل منهم مشغولاً بمهمة ما . حيث كانت هناك مجموعة من الرجال فى سلاح الطيران بالزى العسكرى ، وأدركت كاثرين أنهم المثلون فى الفيلم . وفى أحد أركان استوديو الصوت كان يتواجد مكتب كامل بالمقاعد والمناضد والخريطة العسكرية الكبيرة المعلقة على الحائط وكان العمال التقنيون يضيئون المكان .

قالت كاثرين لأول رجل يعبر بجوارها : " اعذرنى ، هل الأستاذ آلان بنيامين هنا ؟ "

" القائد العام ؟ هناك . " ثم أشار بذراعه .

استدارت كاثرين ، فرأت رجلاً قصيراً وضعيفاً فى حلة عسكرية لا تليق بحجمه وبرتبة قائد ، وكان يصرخ فى قائد آخر برتبة جنرال .

كان يصرخ قائلاً : " اللعنة على ما يقوله المخرج ، فأنا لدى العديد من الجنرالات ، وأريد رجالاً للأدوار الأخرى . " ثم رفع يديه فى يأس قائلاً : " الكل يريد دور الرئيس ، ولا أحد يريد دور الهنـدى " .

قالت كاثرين : " المعذرة ، أنا كاثرين ألكساندر . "

قال الرجل القصير : " الحمد لله ! " ثم قال للآخرين بمرارة : " انتهى اللعب يا أغبياء ، فبندوبة واشنطن هنا " .

اندھشت كاثرين ، وقبل أن تتحدث قال القائد ذو الحجم الضئيل : " لا أعرف ما الذى أفعله هنا ، لدى عمل أتقاضى فى مقابله ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار فى العام فى مدينة ديربورن ، حيث إننى رئيس تحرير مجلة متخصصة فى الأثاث ، ثم قيدت اسمى فى الجيش وهأنذا أكتب سيناريو فيلم تدريبى . ما الذى أعرفه أنا عن الإنتاج والإخراج ؟ تلك أسوأ فوضى رأيتها " . ثم أصدر صوتاً من فمه ، ووضع يده على معدته ، وقال : " لدى قرحة فى المعدة " ثم أردف متذمراً : " أنا ليس لدى علاقة حتى بالتصوير ، المعذرة سأذهب الآن " .

ثم أسرع للخروج من الباب ، وترك كاثرين واقفة هناك ، فنظرت حولها فى يأس ، وبدا وكأن الجميع يحدق إليها فى انتظار أوامرها وأفعالها .

جاءها رجل نحيل شعره أبيض يرتدى معطفاً ، وقال لها فى هدوء مبتسماً : " هل يمكننى تقديم أى مساعدة ؟ "

قالت كاثرين بصراحة : " أحتاج لمعجزة ، فأنا المسئولة عن كل شىء هنا ، ولا أعرف ما المفترض أن أقوم به " .

ابتسم لها قائلاً : " أهلاً بك فى هوليوود وأنا توم أوبراين المدير المساعد " .

نظرت إليه مستفهمة عن مقصده .

فقال : " أنا المدير المساعد ، ومن المفترض أن القائد العام سيخرج الفيلم ؛ ولكنني أشعر أنه لن يعود " . كان يتحدث بثقة وهدوء واطمئنان جعلها ترتاح إليه .

قالت له : " منذ متى وأنت تعمل في استوديوهات مترو جولدوين ماير ؟ "

" منذ ٢٥ عاماً . "

" هل تظن أنه بإمكانك إخراج الفيلم ؟ "

انفجرت شفتاه عن ابتسامة خفيفة : " سأحاول " وقال بجدية ؛

" لقد شاركت في إخراج ستة أفلام مع " ويلي وايلر " ، وأعرف أن الأمر هنا ليس بهذا السوء كما يبدو ، فنحن بحاجة فقط إلى النظام ، فالسيناريو مكتوب ، والديكور جاهز . "

قالت كاثرين : " تلك هي البداية الصحيحة . "

ثم نظرت في أرجاء الاستوديو على الرجال ذوى الزى العسكرى . فكان معظمهم لا يرتدى الزى على المقاس المناسب ، وبدا عليهم التوتر من الزى غير المناسب .

قالت كاثرين : " مظهرهم كفتيان إعلانات التطوع للبحرية . "

ضحك أوبراين لتعليقها المرح .

" من أين تم إحضار الملابس ؟ "

" إنها أزياء غريبة ؛ لأن قسم الأزياء نفذت منه الأزياء ، وإننا بحاجة لغيرها ، فنحن نصور ثلاثة أفلام عن الحرب . "

فحصت كاثرين الرجال بنظرة انتقادية ، وقالت : يوجد حوالى ستة أفراد في غاية السوء ، لنطردهم ونرى هل سنحسن العمل أم لا .

أوما برأسه موافقاً ، وقال : " إننى أوافقك ذلك . "

ذهبت كاثرين وأوبراين إلى مجموعات الكومبارس ، وكانت ضجة الحوار في الاستوديو الواسع تكاد تصم الآذان .

صاح " أوبراين " : " رجاءً التزام الصمت يا رجال ، هذه هي الآتية كاثرين ألكساندر المسئولة عن كل شيء هنا . "

ظل الرجال يصفرون ويصدرون الأصوات ابتهاجاً بها .

ابتسمت كاثرين ، وقالت : " شكراً لكم ، معظمكم يبدو مظهره رائعاً ؛ ولكن يجب على بعضكم الذهاب لقسم الملابس للحصول على أزياء مختلفة ، لتقفوا في صف لكى أراكم جيداً . "

قال أحد الرجال : " وأنا أريد أن أراك جيداً ، ما خطتك للعشاء الليلة ؟ "

قالت كاثرين : " سأتناوله مع زوجى بعد انتهائى من العمل معكم . "

قسمهم أوبراين إلى صفوف ، وسمعت كاثرين أصواتهم الخافتة وتعليقاتهم وضحكاتهم وتعابيرات الضيق والغممة . كان أحد رجال الكومبارس يقف بجوار خلفية الديكور يتحدث إلى ثلاث فتيات ينصتن له بتركيز ، ويضحكن بصوت عال على كل ما يقوله . راقبتهم كاثرين للحظة ، ثم اتجهت للرجل وقالت : " معذرة ، هلا انضممت للباقيين ؟ "

قال الرجل وهو يستدير ببطء : " هل تتحدثين معى ؟ "

قالت كاثرين : " نعم ، يجب أن نتأهب للعمل " ثم رحلت مبتعدة عنه .

همس الرجل بشيء للفتيات جعلهن ينفجرن ضاحكات ، ثم ذهب ببطء خلف كاثرين . كان هذا الرجل طويلاً ومتناسق القوام ، ونحيفاً ووسيماً جداً ، وله شعر أسود مائل للزرقة ، وعينان داكنتان لامعتان . كان صوته عميقاً ، ويوحى بالمتعة والجرأة ، وقال لـ " كاثرين " :

" هل من خدمة أؤديها لك ؟ "

قالت له : " هل تريد العمل ؟ "

قال مطمئناً لها : " بالطبع ، بالطبع . "

قرأت كاثارين ذات مرة مقالاً عن الكومبارس . كانوا رجالاً من نوع غريب ، يقضون حياة بلا شهرة في الاستوديوهات كخلفية للمشاهد التي بها زحام من الناس حيث يظهر النجوم ، وكانوا بلا وجوه أو أصوات في الفيلم ، وبلا طموح للسعى وراء وظيفة لها حيوية . كان الرجل المائل أمامها مثلاً يجسد ذلك ؛ لأنه وسيم للغاية . ربما أخبره أحد في بلدته أنه قد يصبح نجماً سينمائياً ، ولذلك جاء إلى هوليوود ، وتعلم أهمية الموهبة والوسامة ، وقرر أن يصبح " كومبارس " كطريق مختصر وسهل للشهرة .

قالت كاثارين بصبر : " ستغير هذا الزى مثل بعض الرجال هنا . "

" لماذا ؟ هل يوجد في الزى ما يعيب ؟ "

نظرت كاثارين عن قرب إلى ملابسه ، واعترفت أنها تليق بقوامه . وتظهر أنه عريض المنكبين دون مبالغة ، وجسده ممشوق ، وعلى كتفيه رتبة كابتن ، وعلى صدره شارات ملونة ونياشين .

قال لها : " هل كل هذا مؤثر بشكل كاف في باريس ؟ "

" من قال لك إنك ستلعب دور الكابتن ؟ "

نظر إليها بجدية ، وقال : " إنها فكرتي ألا تظنين أنني أصلح

لدور الكابتن ؟ "

هزت رأسها بالنفي ، وقالت : " كلا ، لا تصلح . "

قال متسائلاً : " ملازم أول ؟ "

" كلا "

" ملازم ثان ؟ "

" بل أنت لا تصلح للقيام بأدوار عسكرية . "

نظر إليها بعينييه الداكنتين . وكان يتساءل : " هل ثمة ما

يستوجب إصلاحه في ملابسي ؟ "

قالت له : " نعم ، الميداليات تجعلك ذا مظهر شجاع أكثر من

اللازم . "

ضحك قائلاً : " أعتقد أنها ستضقى لونا للفيلم . "

قالت له بصرامة : " يوجد ما نسيته حقاً ، نحن لسنا في الحرب حقاً ، لا بد أنك ربحت تلك الأوسمة والميداليات في المسابقات والمهرجانات . "

ابتسم لها الرجل قائلاً بنبوة اعتراف : " أنت محقة ، لم أفكر في ذلك ، سأخلع الميداليات . "

قالت له كاثارين : " اخلعها كلها "

ابتسم لها بوقاحة ، وقال : علم يا سيدتي الرئيسة . " كانت على وشك الرد " لا تقل لى رئيسة " ، لكنها قالت لنفسها : " عليه اللعنة " ثم ابتعدت عنه وذهبت للتحدث مع أوبراين .

أرسلت كاثارين ثمانية رجال لتغيير ملابسهم ، ثم قضت ساعة في مناقشة المشهد التالي مع أوبراين . كان القائد القصير الضئيل قد عاد منذ قليل ، ثم اختفى ؛ كان ذلك من الأفضل من وجهة نظر كاثارين . حيث إن كل ما يفعله إما الشكوى أو التذمر ، وإصابة الآخرين بالتوتر . انتهى أوبراين من تصوير المشهد الأول قبل وقت الغداء ، وشعرت كاثارين أنه كان مشهداً لا بأس به . لكن حدث شيء واحد أفسد نهارها ، فلقد أعطت عدة سطور للكومبارس وذلك لكي تظهره بمظهر سيئ عقاباً له على وقاحته . لكنه قرأ السطور بمهارة ، وأظهر قدرات تمثيلية فائقة ، وعندما انتهى قال لها : " هل أعجبك ذلك يا سيدتي الرئيسة ؟ "

عندما جاءت حصّة الغداء ذهبت كاثارين لمطعم الاستوديو الضخم ؛ وجلست على مائدة في الركن ، وجلست على المائدة الضخمة المجاورة لها مجموعة من العساكر بالزي العسكري . كانت كاثارين جالسة بجوار الباب عندما شاهدت الكومبارس الذي أغاظها يدخل إلى المطعم . وحوله ثلاث فتيات يتدافعن للبقاء بجواره . شعرت كاثارين بالدم يغلي في عروقها ، وقالت لا بد أنه مجرد تفاعل كيميائي في جسدها . كان هناك

من تكرههم من أول نظرة مثلما يوجد من تحبهم من أول نظرة . هناك شيء في غروره وتكبره يثيرها ، كان يصلح لدور رفيق امرأة عجوز ثرية ، وربما هو كذلك بالفعل .

أجلس الفتيات على المائدة ونظر إلى أعلى ، ورأى كاثرين ، ثم انحنى على الفتيات ، وقال لهن شيئاً ، فنظرن إليها ، وانفجرت ضاحكات ، يا لسذاجته ! ثم رآته يتجه إلى مائدتها وحقق إليها بابتسامته المعهودة وقال لها : " هلا سمحت لي بالجلوس معك لبرهة من الوقت ؟ "

" أنا ... "

لكنه قد جلس أمامها بالفعل ، وأخذ يتفرس في وجهها ، ويشعر بالاستمتاع .

قالت له بصرامة : " ماذا تريد ؟ "

ابتسم ابتسامة عريضة قائلاً : " هل تريدين معرفة ذلك حقاً ؟ "

شعرت بغضب شديد ، وقالت : " أنصت إلى جيداً ... "

قال سريعاً : " أردت معرفة رأيك في أدائى ، ثم مال إليها وقال في جدية : " هل كنت مقنعاً كممثل ؟ "

قالت له : " قد تكون مقنعاً لهم " وأشارت للفتيات ، " لكن إن أردت رأيى ، فأنت مزيف ومخادع "

" هل فعلت ما يسيء إليك ؟ "

قالت بهدوء : " كل ما تفعله يسيء لى ، فأنا لا أحب نوعك من الرجال "

" ما نوعى ؟ "

" أنت مزيف ومخادع ، وتستمتع بارتداء الزى العسكرى ، وتثرثر مع الفتيات ، ولكن هل فكرت فى الانضمام للجيش ؟ "

حقوق إليها مذهولاً وغير مصدق : " ويطلق أحدهم الرصاص على ؟ هذا للحمقى فقط . " ثم مال إليها مبتسماً ، وقال : " إن البقاء هنا ممتع أكثر . "

اهتزت شفتاها من الغضب ، وقالت : " هل لا تصلح للجيش ؟ " بل من الناحية التقنية ، أصلح ، لكن هناك صديقاً لى يعرف رجلاً مهماً فى واشنطن لإعفائى من الجيش . " لقد قال العبارة الأخيرة بصوت خفيض .

صاحت كاثرين : " أعتقد أنك حقير ومثير للاشمئزاز . "

" لماذا ؟ "

" إذا لم تعرف السبب ، قلن أقوله لك . "

" لماذا لا تحاولين ؟ الليلة على العشاء مناسب ؟ فى منزلك ؟ هل

تجيدين الطهى ؟ "

قامت كاثرين ، وقد احمرت وجنتاها غضباً : " لا تأت إلينا غداً ، لأننى سأقول للسيد أوبراين أن يرسل لك باقى حسابك لعملك اليوم ، ولا نريدك بعد الآن ! "

ثم تاهبت للذهاب ، ثم بدا وكأنها تذكرت شيئاً ، فسألته : " ما اسمك ؟ "

" لارى دوجلاس . "

اتصل فريزر بـ " كاثرين " من لندن فى الليلة التالية ، لمعرفة آخر الأخبار فى سير الأمور ، فذكرت له كل وقائع اليوم عدا ما حدث من لارى دوجلاس . عندما يعود فريزر إلى واشنطن ستخبره بذلك ، لكى يضحكاً معاً .

فى الصباح أثناء ارتداء كاثرين لملابسها للذهاب إلى الاستوديو ، دق جرس الباب ففتحت باب الشاليه ، ووجدت عامل التسليم معه باقة ورد كبيرة ، وقال لها : " الآتية كاثرين ألكساندر ؟ "

" نعم . "

" وقعى هنا من فضلك . "

وقعت على الإيصال ، وأعطته للعامل وأخذت الزهور ، وقالت :
" إنها باقة جميلة . "

" السعر هو ١٥ دولاراً "

" أفندم ؟ "

" ١٥ دولاراً ، والدفع عند الاستلام "

" لا أفهم ... " ثم لم تنيس ببنت شفة وأخذت البطاقة المرفقة
بالأزهار ، وفتحت المظروف ، وقرأت : " كنت سأدفع ثمنها بنفسى ،
لولا أننى بلا وظيفة . مع حبيبى : لارى . "

حدقت فى البطاقة وهى لا تصدق ما قرأته .

قال عامل التسليم : " حسناً ستأخذين الزهور أم لا ؟ "

قالت يحددة : " لا " ثم ألقى الزهور له . قال لها وهو يشعر

بالحيرة : " قال إنك سوف تضحكين من هذه النكتة الطريفة . "

قالت : " لن أضحك " ، ثم أغلقت الباب بغضب فى وجهه .

ظلت طوال اليوم تتذكر هذا الموقف . لقد قابلت رجلاً مغرورين
كثيراً ؛ لكن ليس هناك من يضاهى غرور وتفاحر وأناىة لارى
دوجلاس . كانت متأكدة من أن له مغامرات مع الشقراوات الفارغات
العقل ، والسمراوات السمينات اللاتي لم يقاومن الذهاب معه إلى مكان
خال . كونه قد وضعها فى تلك الفئة يشعرها بالإهانة . وكأنها فتاة
رخيصة . مجرد التفكير فيه يجعلها تغلى من الغضب . قررت طرده من
ذهنها نهائياً .

فى السابعة مساءً بدأت تتأهب لمغادرة الاستوديو ، فجاء إليها أحد
المساعدين وفى يده مظروف لها .

" هلا دفعت ثمن تلك الأدوات يا آنسة ؟ "

قرأت الإيصال ، وكان من إدارة اختيار الممثلين :

عدد واحد زى عسكرى (برتبة كابتن)

عدد ٦ شارات (متنوعة)

عدد ٦ ميداليات (متنوعة)

اسم الممثل : لارى دوجلاس .. (أدوات تابعة للآنسة كاثرين
ألكساندر من استوديوهات مترو جولدن ماير) .

نظرت إلى العامل وقد احمر وجهها من الغضب

" كلا ! "

" ماذا سأقول لهم فى الإدارة ؟ "

" أخبرهم أننى لن أدفع ثمن كل ذلك . "

انتهى تصوير الفيلم بعد ثلاثة أيام ، وشاهدت كاثرين النسخة
الأولى للفيلم بعد ذلك ووافقت عليها . لن يفوز الفيلم بأى جوائز .
لكنه كان بسيطاً وفعالاً . لقد قام توم أوبراين بعمل جيد .

فى صباح يوم السبت حجزت كاثرين على الطائرة المتجهة إلى
واشنطن ، لم تسعد من قيل عندما كانت تغادر أى مدينة يمثل السعادة
التي تشعر بها الآن . كانت فى صباح الاثنين التالى فى مكتبها تحاول
ملاحقة ومتابعة العمل المتراكم طوال مدة غيابها .

قبل الغداء قالت لها سكرتيرتها آنى عبر الاتصال الداخلى :
" الأستاذ لارى دوجلاس على الهاتف من هوليوود فى كاليفورنيا ، هل
تودين استقبال المكالمة ؟ "

قالت سريعاً : " لا " ، ثم أردفت قائلة : " أخبريه أننى .. لا
عليك ، سأخبره بنفسى . ثم سحبت نفساً عميقاً ، وضغطت على زر
تحويل المكالمات ، وقالت : " الأستاذ دوجلاس ؟ "

قال بصوت مثير : " صباح الخير ، عثرت عليك بصعوبة ، ألا
تحبين الأزهار ؟ "

قالت كاثرين بصوت متهدج من الغضب : " يا سيد دوجلاس ! " ثم سحبت نفساً عميقاً ، وقالت : " أنا أحب الأزهار ؛ ولكنك لا تعجبني ، ولا أحب أى شيء متعلق بك ، فهل هذا واضح ؟ " " أنت لا تعلمين عنى أى شيء . "

" بل أعرف بأكثر مما ينبغي ، وأعتقد أنك جبان وحقير ، ولا أريدك أن تتصل هنا مرة أخرى " . وضعت السماعة مكانها بعنف ، وهى ترتمش وبكت من الغضب . كيف يجروء ! ستكون سعيدة جداً عندما يعود بيل .

بعد ثلاثة أيام تلقت كاثرين صورة كبيرة لهذا الذى يدعى لارى دوجلاس عبر البريد ، وكان مدوناً خلفها : " إلى الرئيسة ، مع حبى ، لارى "

حدقت آنى إلى الصورة فى انبهار ، وقالت : " يا إلهى ! هل هو حقيقى ؟ "

ردت كاثرين بحدة : " بل مزيف ، الشيء الوحيد الحقيقى هو الورق المطبوع عليه الصورة . " ثم مزقتها شرممق . شاهدتها آنى وهى حزينة : " يا لها من خسارة ! يا ليتنى قابلت هذا الرجل ! " .

قالت كاثرين بكآبة : " فى هوليوود توجد ديكورات وواجهات بلا أساس - ولقد رأيت إحداها للتو . "

خلال الأسبوعين ظل لارى يحاول أن يتحدث معها عبر الهاتف عشرات المرات ، وأمرت كاثرين آنى ألا تزججها بمكالماته ، وألا تخبرها أنه حاول الاتصال . وفى أحد الأيام أثناء إملاء كاثرين لـ " آنى " بعض الخطابات قالت آنى بلهجة اعتذار : " أعلم أنك أخبرتنى بالأزعجك بشأن مكالمات دوجلاس ؛ ولكنه فى آخر مكالمه كان يبدو عليه اليأس و .. والحيرة والحزن . "

قالت ببرود : " فليذهب إلى الجحيم ، وإذا كنت ذكية فلن يحاول الوصول إليك . "

" يبدو جذاباً جداً . "

" بل هو ثقيل الظل . "

" لقد سألت عنك بكثير من الأسئلة ، لكنى بالطبع لم أجبه . " ثم نظرت إلى وجهها تتفحصه .

" هذا تصرف جيد منك يا آنى . "

واصلت كاثرين الإملاء ؛ ولكن لم تكن تفكر فيما تمليه ، بل كانت تفكر فى أن العالم مليء بأمثال لارى دوجلاس ؛ مما جعلها تكن كل الاحترام لـ " ويليام فريزر " .

عاد فريزر فى صباح يوم الأحد التالى ، وذهبت كاثرين إلى المطار لاستقباله ، وراقبته وهو ينتهى من الإجراءات الجمركية ، وتوجه إلى باب الخروج ، حيث وقفت فى انتظاره ، وقد أشرق وجهه عندما رآها .

قال لها : " كاثرين ، يا لها من مفاجأة سارة ! لم أتوقع انتظارك فى المطار . "

قالت له : " لم أعد أطيق الانتظار " ثم ابتسمت واحتضنته بدفء مما جعله ينظر إليها باستغراب .

قال لها : " هل افتقدتنى ؟ "

" بأكثر مما تتصور . "

" هل استمتعت بالإقامة فى هوليوود ؟ "

قالت بعد تردد : " لا بأس ، ولقد نال الفيلم كل الاستحسان والرضا . "

" لقد سمعت عن ذلك . "

" عندما تسافر المرة القادمة خذنى معك . "

نظر إليها ، وقد بدا عليها السرور والتأثر

ثم قال : " اتفقنا ، لقد افتقدتك ، وفكرت فيك كثيراً . "
" حقاً ؟ "

" هل تحبينني ؟ "

" نعم ، جداً . "

" أنا أيضاً أحبك ، لماذا لا نسهر ، ونحتفل الليلة ؟ "

قالت مبتسمة : " رائع ! "

" لنتناول العشاء في نادى جيفرسون . "

ثم أوصلته إلى المنزل ، فقال لها : " لدى العديد من المكالمات الهاتفية التي يجب أن أجريها ، هلا تقابلنا في النادى فى الساعة الثامنة ؟ "

" حسناً . "

عادت كاثرين لمنزلها ، وقامت بأعمال الغسيل والكي ، وفى كل مرة تمر على الهاتف وتتوقع أن يرن ؛ لكنه يظل صامتاً . فكرت فى دو جلاس وهو يحاول خداع أنى لكى يطلب منها معلومات عنها فضغطت على أسنانها من الغيظ . ربما تطلب من فريزر إعادته للكومبارس " كلا ، لن أهتم ، فربما يخذل من حوله ويظل مخادعاً ، ثم اغتسلت ، وعندما كانت تجفف جسدها رن جرس الهاتف ، فشعرت بتوتر ورفعت السماعة وقالت ببرود : " مرحباً . "

كان المتحدث هو فريزر : " أهلاً ، هل ثمة سوء ؟ "

قال سريعاً : " كلا بالطبع يا بيل ، فأنا كنت أغتسل . "

قال لها مازحاً : " أنا أسف لأننى لست متواجداً معك الآن ! "

" وأنا أيضاً . "

" لقد اتصلت لكى أقول لك إننى أفتقدك فلا تتأخرى . "

ابتسمت قائلة : " لن أتأخر . "

أغلقت السماعة ببطء وهى تفكر فيه . لأول مرة تشعر أنه على وشك طلب يدها للزواج ، وتصبح مدام فريزر . قالت هذا الاسم بصوت عال :

" مدام ويليام فريزر " ، إنه اسم يوحى بالاحترام والكرامة . " ياه لقد أصبحت غير مكترثة ، منذ ٦ شهور كنت سأقفز فرحاً إذا تقدم لى ، والآن كل ما أقوله هو أن الاسم يوحى بالاحترام . " هل تغيرت حقاً لى هذا الحد ؟ لم تترج لهذه الفكرة ، ثم نظرت إلى الساعة ، وبدأت ترتدى ملابسها سريعاً .

كان نادى جيفرسون فى شارع فخم ، وكان نادياً عريقاً فى مبنى قديم محاط بسور حديدى وكان نادياً للصفوة فقط ، ولا يقبل أعضاء جدد إلا بصعوبة مثل غيره من نوادى الصفوة . كان أسهل طريقة للانضمام كعضو فى هذا النادى أن يكون والدك مشتركاً فيه ، وإذا لم يتوافر هذا الشرط ، فمن الضروري أن يذكبك ثلاثة أعضاء للنادى . كانت عروض الالتحاق تقدم مرة واحدة سنوياً ، ومجرد نقطة سوداء واحدة فى ملفك فإن ذلك معناه عدم قبول عضويتك مدى الحياة ؛ لأنه كانت هناك قاعدة أساسية تنص على أن المرشح المرفوض لا يمكنه التقدم مرة أخرى .

كان والد فريزر من مؤسسى النادى ، وبالتالى كان فريزر وكاثرين يتناولان العشاء هناك مرة أسبوعياً ، وكان الطاهى فرنسياً ، والطعام رائعاً وممتازاً ، وقد صمم ديكورات النادى أشهر مصممي الديكور فى العالم ، حيث وجهوا اهتمامهم لتناسق الألوان والإضاءة ، لكى تصير النساء فى ضوء الشموع أجمل بكثير . فى أى ليلة قد يتصادف وجود نائب رئيس الجمهورية ، أو أعضاء هيئة القضاء ، أو الوزارة ، أو سيناتور من مجلس الشيوخ ، ورجال الصناعة ذوى النفوذ الذين يتحكمون فى الإمبراطوريات الصناعية عبر أنحاء العالم .

كان فريزر فى قاعة الاستقبال ينتظر كاثرين إلى أن حضرت .

قالت كاثرين : " هل تأخرت ؟ "

قال لها وهو ينظر إليها فى إعجاب : " لا بأس ، هل تعلمين أنك رائعة جداً الليلة ؟ "

" بالطبع فالجميع يعلمون أنني الرائعة جداً كاثرين ألكساندر "

قال بصوت جاد جداً : " بل أعني ما قلته يا كاثي " ، وشعرت هي بالإحراج .

قالت بإحراج : " شكراً لك يا بيل ، ولا تحددني إلى هكذا "

" لا أستطيع المقاومة " ثم تأبط ذراعها

قادهما النادل لويس لمكانهما في قاعة الطعام : " هنا يا سيد فريزر ويا آنسة كاثرين ألكساندر ، استمتعا بالعشاء "

فرحت عندما ناداها كبير النادل باسمها ، فهو كبير النادل في أعرق وأفخم ناد . كانت تشعر أنها طفلة ساذجة عندما فرحت ؛ لكنها أحسست أن لها كياناً وشهرة ، وأنها تنتمي للمكان .

جلست وهي تشعر بالرضا والاسترخاء ، وظلت تفحص القاعة ثم قال فريزر : " هلا احتسيت شراباً ؟ "

" كلا ، شكراً "

هز رأسه بالنفي ، وقال : " يجب أن أعلمك بعض العادات السيئة "

همست قائلة : " لقد فعلت ذلك بالفعل "

ابتسم لها ، وطلب لنفسه شراباً .

ظلت تنفوس في وجهه ، وهي تفكر كم هو رجل رقيق وعزيز لديها . وهي متأكدة أنها ستسعده عندما تصبح زوجته ، وستصبح سعيدة جداً . قالت لنفسها بإصرار " سأكون سعيدة جداً وسيشهد بذلك الجميع بمجلة " التايم " . كانت تكره كل ما تفكر فيه الآن ، ولا تدري ما الذي دهاها ؟

بدأت تقول له : " بيل " .. ثم تصلبت كالتمثال فجأة .

كان لاري دوجلاس يسير في اتجاههما ، وتعلو وجهه ابتسامة تدل على أنه تعرف على كاثرين . كان يرتدي الزي العسكري لسلاح الطيران . راقبته كاثرين وهي غير مصدقة ما يحدث إلى أن جاء إلى

مائدتهما وهو يبتسم في سعادة . قال لهما : " أهلاً بكما " لكنه لم يوجه الحديث لـ " كاثرين " ، بل لـ " فريزر " الذي قام وصافحه بحرارة .

" رائع أن أراك هنا يا لاري "

" وأنا أيضاً يا بيل "

حدقت كاثرين إليهما ، وشعرت بتصلب عقلها ، وكأنه خارج نطاق الخدمة .

قال فريزر : " كاثي ، هذا هو الكابتن لورانس دوجلاس . لاري ، هذه هي آنسة كاثرين ألكساندر "

نظر دوجلاس إليها ، وكان يسخر منها بعينيه الداكنتين ؛ لكنه قال بجدية : " سررت بلقائك يا آنسة كاثرين "

هممت بقول أى شيء ؛ لكنها أدركت فجأة أن ليس لديها ما تقوله . كان فريزر ينظر إليها في انتظار أن تتحدث ؛ لكن كل ما فعلته أنها أومات برأسها ، فلم تثق في صوتها الآن ، وإلا سيفضح مكنون نفسها . قال فريزر : " هلا جلست معنا يا لاري ؟ "

نظر لاري إلى كاثرين ، وقال بتواضع : " إذا كنت متأكداً من أنني لا أتطفل عليكما ... "

" بالطبع لا . اجلس "

جلس لاري بجوار كاثرين

قال فريزر : " هلا احتسيت شراباً "

قال لاري : " نعم ، من فضلك "

قالت كاثرين بدون تفكير : " وأنا أيضاً "

نظر إليها فريزر في دهشة : " لا أصدق ذلك "

قالت له : " لقد قلت إنك تريد تعليمي بعض العادات السيئة ؛ فلماذا لا نبدأ الآن " .

عندما أمر فريزر بإحضار الشراب قال لارى : " سمعت عن مغامراتك العسكرية من الجنرال تيرى - فى البر وفى الجو " .

حدقت كاثرين إلى لارى ، وكان رأسها يدور ، وحاولت المحافظة على اتزانها ، وقالت : " بشأن الميداليات .. " .

نظر إليها فى براءة ، وقال : " نعم ؟ " .

ابتلعت ريقها ، وقالت : " أعنى - من أين حصلت عليها ؟ " .

قال بجدية : " من المهرجانات كجائزة " .

ضحك فريزر : " من المهرجانات ؟ بل إن لارى طيار فى سلاح الطيران ، وهو قائد سرب الطيران الأمريكى ، وكان يرأس قاعدة حربية هنا فى واشنطن لتجنيده وتدريب الشباب للجيش " .

استدارت كاثرين وحدقت إلى لارى الذى كان يبتسم بدون أى مقصد سخرية أو خبث ، وكانت عيناه ترقصان فرحاً . مثل إعادة فيلم قديم ، تذكرت كاثرين كل كلمة دارت بينها وبين لارى فى أول لقاء ، لقد أمرته حينئذ بخلع كل ميدالياته وشاراته وأطاعها بمرح ، وظننت أنها ذكية وماهرة ومتسلطة - ولقد قالت له إنه جبان ! ودت لو اختبأت تحت المائدة من فرط الخجل .

قال فريزر : " ليك أخبرتنى أنك ستأتى إلى هنا ، وكنت أسألك إليك بأقصى سرعة ، يجب أن نقيم حفلاً احتفالاً بعودتك " .

قال لارى : " بل أفضل أن أظهر فجأة " . ثم نظر إلى كاثرين فأبعدت نظرها عنه ؛ لأنها غير قادرة على النظر إلى عينيه . أردف قائلاً وبراءة الأطفال فى عينيهِ : " فى الحقيقة بحثت عنك عندما كنت فى هوليوود يا بيل ، وسمعت أنك تنتج فيلماً عن تدريب سلاح الطيران " .

توقف وقال بعد أن أشعل السيجارة ، وأطفاً عود الثقاب بحرص : " ذهبت إلى هناك . ولم أجدك يا بيل " .

قال فريزر : " اضطررت للسفر إلى لندن ، وكاثرين كانت فى هوليوود للإشراف العام . أنا مدهش لأنكما لم تتقابلا " .

نظرت كاثرين إلى لارى ، وكان يراقبها وتطل السعادة من عينيه . والآن قررت كاثرين أن هذا هو الوقت المناسب لسرد كل ما حدث بينه وبينها لـ " فريزر " ، ويضحكون وينتهى الأمر كذكرى لطيفة مرحة . لكن الكلمات وقفت فى حلقها ، ولم تنبس ببنت شفة .

انتظر لارى دقيقة ، ثم قال : " الاستوديو كان مزدحماً ، ولم نتقابل ولو مرة واحدة " .

كانت تكرهه لأنه أنقذها من مأزق الإحراج أمام فريزر ، وكأنهما يتآمران عليه .

عندما جاء المشروب ، احتست كاثرين الكأس دفعة واحدة ، وطلبت غيرها . تلك هى أسوأ ليلة فى حياتها ، لا تطيق الانتظار حتى ترحل من هنا ، للهرب من لارى دوجلاس .

سأله فريزر عن مغامراته فى الحرب ، وكان لارى يقصها عليهما بطريقة مرحة ومسلية ، ولم يكن يأخذ أى شيء بما أخذ الجد . كان يبدو تافهاً ؛ لكن كاثرين اعترفت لنفسها أن التافهين لا يتطوعون فى سلاح الطيران ، ويصبحون أبطالاً ، ويحاربون ضد الألمان . بشكل مناف للعقلانية كرهته أكثر ؛ لأنه كان بطلاً فى الحرب . كان اتجاهها لا معنى له لديها عندما فكرت فيه وهى تحتسى الكأس الثالثة . ما الفرق لديها سواء كان بطلاً أو عاطلاً بلا عمل ؛ ثم أدركت أنه عندما كان رجلاً عادياً بالنسبة لها كان يمكنها التعامل معه كما يجب ، أما الآن مع تأثير الشراب فقد جلست فى استرخاء وسمعتهم يتحدثان ، وكان لارى يتحدث بحماس وحيوية ملموسة أثرت على نفسيتهما ، وكأنه أكثر الرجال المفعمين بالحيوية الذين قابلتهم فى حياتها . أحست كاثرين أن حياته كتاب مفتوح ، ولا يخفى لديه أى أسرار ، وأنه يطلع

الآخرين بحب وحماس على كل شيء في حياته ، وكان يسخر ممن يخافون البوح بمكنون أنفسهم مثلها . كانت خائفة جداً .

بالكاد تناولت طعامها ، ولم تكن تعلم ما الصنف الذى تتناوله . كان محور تفكيرها هو لارى ، ولقد نظرت إلى عينيه خلسة ، وشعرت وكأنها كانت تعرفه منذ زمن طويل وأنهما يحبان بعضهما البعض . بدأت تشك في قواها العقلية . كان مثل الدوامة القوية الطبيعية يجذب أى امرأة وهى تعلم أنه سيدمرها .

ابتسم لها لارى ، وقال : " لماذا لا تشترك كاثارين معنا فى الحوار ؟ فمن المؤكد أن حياتها أكثر إثارة منا " .

قالت كاثارين بغلظة : " أنت مخطئ ، فأنا حياتي مملة جداً ، فأنا أعمل مع بيل . " فجأة انتبهت أنها قالت تعليقاً وقحاً ، واحمر وجهها وقالت : " أنا لا أقصد ذلك بل أعنى .. " .

قال لارى ليساعدها : " أفهم مقصدك " . فشعرت بكراهية شديدة نحوه ، فأتجه إلى بيل وقال : " كيف عثرت على مساعدتك الحسنة ؟ " .

قال فريزر بدفء : " كنت محظوظاً جداً . ألم يحن الوقت لك لكى تتزوج يا لارى ؟ " .

هز كتفيه دون اكتراث وقال : " من الذى ستقبلنى زوجاً لها ؟ " . فكرت كاثارين : " يا لك من وغد " ونظرت حول القاعة ، ووجدت ست سيدات على الأقل يحملن إلى لارى ، بعضهن خلسة والبعض الآخر بشكل ظاهر . كان وكأنه مغناطيس يجذب النساء إليه . قالت كاثارين باندفاع : " ما رأيك فى فتيات إنجلترا ؟ " .

قال بأدب : " إنهن رائعات بالطبع ، ولكن لم يكن لدى وقت لهن ، حيث انشغلت بالطيران " .

فكرت كاثارين : " أيها الكذاب ! أراهن أنك لم تدع فتاة تفوتك على مساحة مائة ميل ! " لكنها قالت بصوت عال . " يا للأسى "

للفتيات المسكينات ! لقد فاتهن الكثير . " كانت هناك مسحة سخرية فى كلامها لم تكن تريد إظهارها .

اندهش فريزر من وقاحتها ، وقال : " كاثي "

قال لارى سريعاً : " لتتناول مشروباً "

قال فريزر : " أعتقد أنها احتست بما فيه الكفاية " .

بدأت تقول : " لا ليس صحيحاً ، " ثم أدركت أنها فاقدة لاتزانها ، ولا تنطق الكلمات بشكل صحيح . ثم أردفت قائلة : " أريد العودة للمنزل " .

قال فريزر لـ " لارى " بنبرة اعتذار : " حسناً ، كاثارين يبدو عليها الإرهاق " .

قال لارى : " لا بد أنها تشعر بالإثارة ؛ لأنك عدت لها " .

أرادت كاثارين سكب كوب الماء فى وجهه ، كانت تحركه بدرجة أقل عندما اعتقدت أنها عاطل ، والآن تكرهه أكثر ولا تعرف السبب فى ذلك .

فى الصباح استيقظت كاثارين وهى تشعر بصداع شديد لدرجة أنها ظنت أن حالتها هى الأولى من نوعها فى تاريخ الطب الحديث ؛ وكأنها لديها ثلاثة رؤوس على كتفها ، وكل رأس به صداع مختلف ؛ وكان الاستلقاء فى الفراش مؤلماً ، ومحاولة الحركة أسوأ وأكثر إيلاًماً . بينما جلست تقاوم الغثيان والرغبة فى التقيؤ ظلت تتذكر أحداث الليلة الماضية ، وبالتالى زاد الألم . ألقت باللوم على لارى بدون تعقل ، وقالت إنه سبب الصداع الذى انتابها . أدارت رأسها بألم لكى ترى الساعة بجوار الفراش ، ووجدت أنها نامت أكثر من اللازم ، وأخذت تفكر هل تظل فى الفراش أم تستدعى آلة رافعة لنقلها للعمل . قامت بحرص وببطء من على الفراش ، وسارت بخطى متثاقلة إلى الحمام ، وكادت تقع وهى عند البانيو ، وفتحت الماء البارد على جسدها ،

وصرخت بصوت عال من جراء ذلك ، ولكنها شعرت بتحسن بعد الانتهاء من الاستحمام ، ولكنها لم تكن على ما يرام .

بعد خمس وأربعين دقيقة كانت على مكتبها ، ودخلت عليها آنى السكرتيرة يملؤها الحماس ، وقالت لها : " خمنى ما حدث " قالت لها كاثرين هامسة : " لست على ما يرام هذا الصباح ، أخبرينى بما حدث بهدوء "

أعطتها آنى الصحيفة وقالت : " انظرى ! إنه هو فى الصفحة الأولى . كانت صورة لارى دوجلاس يزيه العسكرى ويبتسم ابتسامته الوقحة ، وكان التعليق على الصور : " عودة بطل سلاح الطيران إلى واشنطن ليبرأس وحدة جديدة من الجنود . " وكان هناك مقال من عمودين .

صاحت آنى : " أليس خيراً كثيراً ؟ "

قالت كاثرين : " نعم للغاية ثم أَلقت بالجريدة فى القمامة . "

" هلا عدنا للعمل ؟ "

نظرت إليها آنى فى دهشة ، وقالت : " أعتذر ! اعتقدت أنك ستهتمين بالأمر ، فهو صديقك . "

قالت لها كاثرين : " ليس صديقى بل عدوى . "

ثم نظرت لوجه آنى ، وأردفت قائلة : " هلا نسيت أمره تماماً ؟ "

قالت آنى فى حيرة : " بالطبع ، لكنى قلت له إنك قد تسعين للخبر . "

حدقت إليها كاثرين وقالت : " متى قلت له ذلك ؟ "

" عندما اتصل هاتفياً هذا الصباح ، حيث اتصل ثلاث مرات . "

ضغطت كاثرين على نفسها ، لكى يبدو صوتها طبيعياً :

" لماذا لم تخبرينى ؟ "

" لقد طلب منى ألا أخبرك بمكالماته . " ثم نظرت إلى كاثرين فى

حيرة ، ثم سألتها كاثرين : " هل ترك رقم هاتفه ؟ "

" كلا . "

" رائع . " فكرت كاثرين فى وجهه ، وعينييه الداكنتين الساحرتين ، وقالت : " رائع . " بصوت حازم وأنهت إملاء الخطابات لـ " آنى " . وعندما تركتها آنى ، استعادت كاثرين الجريدة من سلة المهملات ، وقرأت المقال الذى يتناول لارى كلمة كلمة . كان قد أسقط ثمانى طائرات ألمانية ، وتحطمت طائرته مرتين . اتصلت بـ " آنى " عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وقالت : " إذا اتصل السيد دوجلاس مرة أخرى فستحدث معه ، فقومى بتحويل المكالمات . "

توقفت آنى لبرهة من الوقت عن الكلام ، ثم قالت : " حسناً يا آنسة " ، فعلى الرغم من كل شيء لا داعى لأن تكون وقحة مع هذا الرجل ، وسوف تعتذر له لسلوكها فى الاستوديو معه ، وتطلب منه التوقف عن محاولة الحديث معها هاتفياً . سوف تتزوج ويليام فريزر . لقد انتظرت مكالمته منه ، لكنه لم يتصل وحبان موعد الانصراف . قالت لنفسها : " لماذا لم يتحدث ؟ لا بد أنه يصاحب الكثير من الفتيات . إننى محظوظة حيث لم أتورط معه ، لأنه مثل البائع فى محل الجزارة ، سيسلم كل فتاة رقماً مسلسلاً ، لكى تنتظر دورها معه . "

فى طريقها للخروج قالت لـ " آنى " : " إذا اتصل السيد دوجلاس غداً قولى له إننى غير موجودة . "

لم تهتم آنى أو تتعجب هذه المرة ، وقالت : " حسناً ، إلى اللقاء . " إلى اللقاء . "

نزلت عبر المصعد ، وكانت مستغرقة فى التفكير . وكانت متأكدة من أن فريزر يعتزم الزواج منها ، أفضل شيء هو أن تقول له إنه يجب الإسراع فى الزواج ، وستقول له ذلك الليلة ، ويذهبان لمكان بعيد لقضاء شهر العسل ، وعند عودتها سيغادر دوجلاس المدينة أو يختفى من حياتها بطريقة ما ، فتح باب المصعد فوجدت لارى دوجلاس أمامها

مستنداً على الحادث ، ولم يكن يرتدى ميدالياته أو شاراته بل مجرد علامة تدل على أنه ملازم فى سلاح الطيران . ابتسم عندما رآها وسار إليها .

قال بمرح : " هل مظهرى الآن أفضل ! " حدقت إليه وكان قلبها يدق بعنف ، وقالت : " أليس ادعاء أنك نو رتبة مختلفة ضد اللوائح العسكرية ؟ "

قال بجدية : " لا أعرف ، ولكنك المسئولة عن ذلك : " ظل يحدق إليها ، قالت له بصوت منخفض : " لا تفعل هذا بى ، دعنى وشأنى ، فأنا أحب بيل " .

" وأين خاتم الزواج ؟ " تخطته كاثرين وسارت إلى مدخل البناية ومنه إلى الشارع ، لكنه سبقها وفتح لها باب المدخل .

وعندما خرجا أمسك ذراعها ، وشعرت برجفة تسرى فى كل جسدها .

قال لها : " كاثي "

قالت بياس : " ماذا تريد منى بالله عليك ؟ "

قال بهدوء : " كل شيء . أريدك أنت "

قالت له : " أن تتمكن منى ؟ اذهب وانتق لك فتاة أخرى . " ثم

سارت مبتعدة ، لكنه أوقفها وقال : " ماذا تقصدين بالضبط ؟ "

قالت كاثرين وكانت على وشك البكاء : " لا أعرف ، لكننى مصابة بصدا ، وأتمنى أن أموت الآن " .

ابتسم متعاطفاً معها ، وقال : " لدى علاج رائع للصدا . " ثم قادها

للمرآب ففزعت ، وقالت : " إلى أين نحن ذاهبان ؟ "

" سنذهب لإحضار سيارتى " .

نظرت إلى وجهه ، لكنها لم تجد أية علامة من علامات الانتصار ،

بل وجدت وجهاً قوياً ووسيماً مليئاً بالدفء والرحمة والعطف .

أحضر عامل المرآب السيارة الرياضية السوداء ، التى لها سقف متحرك وكان مفتوحاً ، وساعدها لارى على ركوب السيارة وجلست بجواره ، بينما جلس هو فى مقعد القيادة . جلست هى تحمق إلى الأمام وهى تعلم أنها تدمر حياتها لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها . وكأن كل ما يحدث كان يحدث لشخص آخر ، وأرادت أن تهرب وأخذت توبخ نفسها كفتاة لاهية عابثة .

قال برقة : " أنذهب لمنزلى أم لمنزلك ؟ "

قالت دون اكتراث : " لا يهم " .

" سنذهب إلى منزلى "

لم يكن عديم الإحساس بها ، بل كان متعاطفاً ورحيماً معها ، ربما يخاف من أن تقارن بينه وبين فريزر .

شاهدته يقود بمهارة وسط زحام الليل ، فقالت لنفسها : " إنه لا يخاف من أى شيء " ، وكان هذا جزءاً من انجذابها له .

حاولت أن تقول لنفسها إنها حرة ، ويمكنها رفض ما يحدث ، والهرب منه ، لكن كيف تقول إنها تحب فريزر ، وفى نفس الوقت هى منجذبة إلى لارى ؟

قال لارى بهدوء : " إذا كان هذا سيساعدك ، فاعلمى أننى متوتر مثلك تماماً " .

نظرت إليه وشكرته ، فهى تعلم أنه كان يكذب ، وربما قال ذلك لكل ضحاياه اللاتى قام بإغوائهن ومراودتهن عن أنفسهن ، لكن على الأقل لم

يتفاخر ، ولكن كان يضيقها سؤال : لماذا تخون فريزر ؟ فهو رجل مهذب وعزيز لديها ولا تريد جرحه ، وما ستفعله سيجرحه . كانت تعلم ذلك ،

وتعلم أنها مخطئة وبلا إحساس ، ولكن بدا وكأنها مسلووبة الإرادة .

وصلا لمنطقة راقية تحيط شوارعها الأشجار ، ثم أوقف السيارة أمام

مدخل العمارة السكنية ، وقال لها بهدوء : " لقد وصلنا " .

كانت تعلم أن تلك هى فرصتها الأخيرة للرفض والابتعاد عنه .

ولكنها خرجت من السيارة ، وذهبت لشقته .

بحشرجة فى حلقه ثم تأمل جمالها الصارخ ، وقال : " مساء الخير يا آنستى ، تفضلى بالدخول " .

دخلت مكتبه بخطوة رشيقة تليق بعارضة أزياء . كان من المفيد أن تكون نويل الممثلة الشهيرة من عملائه ، وكان يتباهى بذلك كثيراً لجذب المزيد من الزبائن ، ولم يكن ضميره يؤنبه ، ولم يكثرث للأخلاقيات . قال لها : " تفضلى بالجلوس " . وأشار إلى المقعد ، وقال : " هلا أحضرت لك شراباً ؟ " .

كان جزءاً من خيالاته أن يجعلها تسكر ويقوم بإغوائها . قالت له : " كلا ، لقد حضرت من أجل التقرير " .

اللعينة لم تكن تريد تناول الشراب معه فى لقائها الأخير ! قال لها : " فى الحقيقة توجد عدة أخبار " ، ثم تظاهر بدراسة الملف الذى لتقطه على المكتب ، لكنه فى الحقيقة كان يحفظه عن ظهر قلب .

قال لها : " أولاً ترقى لارى دوجلاس لرتبه كابتن ، وأصبح قائد كتيبة ، وانتقل لعدة مدن وكان يقود طائرات طراز " - كان يتحدث ببطء شديد عن قصد ، ويعلم أنها ليست مهتمة بالجزء الخاص بالجيش - " هاريكين وسبيتفاير .. " .

قالت له مقاطعة ، وقد نفذ صبرها : " لا يهمنى ذلك ، أين هو اليوم ؟ " .

كان باربيه فى انتظار هذا السؤال : " فى الولايات المتحدة " . ثم شاهد رد فعلها قبل أن تتمكن من إخفاؤه ، واستمتع بضراوة عندما شاهدها ، وقال لها : " إنه فى مدينة واشنطن " .

" فى إجازة ؟ " .

هز رأسه بالنفى ، وقال : " كلا . لقد ترك الخدمة فى الجيش البريطانى ، وأصبح قائداً فى جيش الطيران الأمريكى " .

شاهدها وهى تستوعب المعلومات ، ولم يكن تعبير وجهها ينبئ بمكنون نفسها ، لكن باربيه لم ينته من التقرير بعد . تناول قاصة من

نويل

باريس ١٩٤١

٨

شعر كريستيان باربيه بالتعاسة ؛ كان المخبر السرى الضئيل الأصغر جالساً على مكتبه ، ويمسك بين أسنانه القذرة المكسورة سيجارة رفيعة ، ويتأمل بحزن الملف الموضوع أمامه . كان يعلم أن المعلومات بداخله ستجعله يخسر عميلته نويل . كان يأخذ منها مبالغ كبيرة لقاء خدماته ، لكن فقدان المال لا يهيمه ، بل ما أحزنه أنه سرف يقتد نويل . كان يكرهها ، ولكنها كانت أكثر النساء إثارة قد قابلها فى حياته . كان يحلم بنزوات عاطفية معها ، وكانت ترضخ لقوته فى هذه الخيالات . والآن مهامه معها سوف تنتهى ، ولن يراها ثانية . جعلها تنتظره فى صالة الاستقبال . بينما يحاول أن يفكر فى طريقة للتناول الأمر لكى يحصل منها على أموال إضافية ؛ ولكى تطول مدة احتياجها لخدماته ، لكن استنتج على مضض أنه لا سبيل إلى ذلك . تنهد باربيه ، وأطفاً سيجارته وسار إلى الباب وفتحه . كانت نويل جالسة على أريكة من الجلد الصناعى ، وبينما يتفرس فى وجهها أحس

جريدة بين أصابعه القذرة ، وأعطاهها لها قائلاً : " اعتقدت أن هذا الخبر سيهلك " .

رأها وهي تقرأ الخبر ، وكأنها كانت تعلم فحواء ومضمونه . كانت القصاصة من الجريدة اليومية " نيويورك ديلر نيوز " والخبر هو : " زواج قائد الحرب " وكانت هناك صورة لـ " لارى دوجلاس " وزوجته . تأملت نويل الصورة لوقت طويل ، ثم مدت يدها لكي تأخذ باقي الملف ، فhez بارييه كتفيه دون اكتراث ، ووضع الورق في مطروف كبير وأعطاه لها . كان على وشك فتح فمه لتوديعها ، لكنها قالت له : " إذا لم يكن هناك رجال لك في واشنطن فحاول الحصول على مراسلين لك هناك ، فأنا أنتظر تقريراً أسبوعياً . " ثم ذهبت وتركته في حالة من الحيرة التامة .

عندما عادت لشقتها ذهبت إلى حجرة النوم ، وأغلقت الباب خلفها وأخذت قصاصات الورق والجرائد من المطروف ، ووضعتها على الفراش وأخذت تدرسها . كانت صورة لارى كما تتذكره بالضبط . حيث كانت صورته في ذهنها أوضح من صورة الجريدة ؛ لأنه يحيا في ذهنها بأكثر من الحقيقة .

لم يمض أى يوم بدون أن تفكر في ماضيها معه . وكأنهما تقاسما البطولة في مسرحية معاً منذ زمن بعيد . وكانت تتمكن من تذكر المشاهد بمحض إرادتها ، وتعيدها في ذهنها في أيام محدودة ، وتدخر الذكريات الأخرى لأيام أخرى لكي تظل كل ذكرى حية في ذاكرتها .

ثم حولت انتباهها لعروس لارى . كانت جميلة شابة ؛ ذات وجه ينم عن الذكاء ومبتسم . كان بالنسبة لها وجه غزيمتها التي يجب أن تموت مثل لارى تماماً .

ظلت حبيسة الحجرة مع الصورة طوال النهار .

بعد عدة ساعات طرق أرمان جوتيه على الباب بشدة ، وأخبرته نويل بأن يبتعد ، فظل بالخارج في حجرة المعيشة ، وهو يتوجس

خيفة من حالتها المزاجية ، لكنها عندما ظهرت له في النهاية بدت مرحة مبتهجة وكأنها تلقت أخباراً سارة ، ولكنها لم تشرح له أى شيء ، وكان يعرفها الآن جيداً فلم يسألها .

ليلاً ، وبينما هي نائمة ، راودها حلم مزعج به كولونيل مولر التابع للمخابرات الألمانية ، يعذبها بالحديد الساخن ، ويحرق جلدها بأشكال الصليب المعقوف رمز النازية . ظل يستجوبها ، وكان صوته ناعماً لدرجة أنها لم تسمعه ، وظل يحرقها بالحديد الساخن ، ثم شاهدت لارى على المائدة يصرخ في ألم . استيقظت نويل في فزع ، وكان قلبها يدق بعنف ، وكانت غارقة في عرق بارد ، ثم أضاعت الأباжورة ، وأشعلت سيجارة ، ويدها ترتعشان ، وحاولت تهدئة أعصابها . فكرت في كاتس وساقه المبتورة بالفأس ، وأنها لم تره منذ أن قابلته في المخبر ، ولكن أخبرها بواب العمارة أنه بخير ؛ لكنه ضعيف ، وأصبح من الصعب عليه الاختباء ، وأنه لا حول له ولا قوة ، وأخبرها أيضاً بأنه قد تم تكثيف البحث عنه ، فإذا كان سيتم نقله خارج باريس فلا بد أن يتم ذلك سريعاً . رغم مخاوف نويل بما قد يجلبه عليها ذلك من غضب المخابرات الألمانية . هل كان الحلم مجرد إنذار لما قد يحدث ؟ أم تحذير لكيلا تساعد كاتس ؟ جلست على الفراش تتذكر كيف أنه ساعدها على الإجهاض ، وقتل ابن لارى . كما أنه قد أعطاها المال ، وساعدها على إيجاد عمل . لطالما خدمها رجال كثيرون أكثر منه ؛ لكنها لم تشعر أنها مدينة لهم ؛ لأنهم ؛ وهذا يشمل والدها ، كانوا يريدونها لغرض ما ، ولقد دفعت الثمن لكل هؤلاء الرجال . لكن كاتس لم يطلب منها أى شيء ، وشعرت أنها يجب أن تساعد .

لم تهون نويل من حجم الخطر ؛ لأن مولر كان يشك فيها بالفعل وتذكرت حلمها المزعج وارتعدت . يجب أن تتأكد من أن مولر لن يتمكن من إثبات شيء عليها . يجب عليها تهريب كاتس خارج باريس ؛ ولكن كيف ؟ كانت متأكدة أن مخارج ومداخل باريس يراقبها الألمان ،

وكذلك كل الطرق ونهر السين . لابد أن الألمان أوغاد ، لكنهم كانوا خبراء عسكريين ، وكان هذا الأمر يمثل تحدياً كبيراً ومهلكاً لها ، لكنها مصرة على المحاولة .

المشكلة تتمثل في أنها لن تعتمد على مساعدة أحد ، والنازيون أخافوا جوتيبه وهو جبان ورعديد أساساً ، ولذلك ستقوم بالمهمة وحدها . فكرت في كولونيل مولر والجنرال شايدر ، وفكرت في الإيقاع بينهما ؛ لكي تخرج من خلفهما منتصرة .

في الليلة التالية لكابوس نويل حضرت مع جوتيبه حفل عشاء لإحدى راعيات الفن الثريات . كان المدعوون خليطاً من الضيوف ؛ أصحاب بنوك ، وفنانين ، وقادة سياسيين ، وقتيات فانتات . لاحظ جوتيبه انشغال نويل ، ولكن عندما سألتها قالت إن كل شيء على ما يرام .

بعد بدء العشاء برع ساعة حضر مدعو جديد عبر الزحام ورائته نويل ، وقررت أنها قد وجدت الحل للمشكلة . ذهبت للمضيغة وقالت لها : " كوني لطيفة ، وأجلسيني بجوار ألبير هيلر " .

كان ألبير هيلر من رواد كتاب المسرح في فرنسا . وكان رجلاً ضخماً الجثة في الستينيات من عمره ، وله شعر أبيض كثيف ، وكثفان عريضان ، ومنخفضان ، وكان طويلاً جداً بالنسبة لمتوسط طول أى رجل فرنسي . لكنه كان ظاهراً في الزحام على أية حال ؛ لأن وجهه كان قبيحاً ، وله عينان خضراوان تخترقان أى شيء تحدقان إليه ، ولم يكن يفوتها أى شيء . كان لديه أيضاً خيال خصب ، فقد كتب أكثر من ٢٠ مسرحية وفيلمًا ناجحاً . كان يسعى وراء نويل لتلعب دور البطولة في إحدى مسرحياته الجديدة ، ولقد أرسل لها نسخة من النص . والآن هي جالسة بجواره على العشاء ، وقالت : انتهيت للتو من قراءة مسرحيتك الجديدة يا ألبير ، ولقد أعجبتني جداً .

قال بابتهاج : " هل ستقومين ببطولتها ؟ " وضعت يدها على يديه ، وقالت : " أتمنى لو استطعت يا عزيزى ، فلقد ألزمتى جوتيبه بمسرحية أخرى " . عيس بوجهه ، فتنهد باستسلام : " اللعنة ! حسناً يوماً ما سنعمل معاً " .

" سأستمتع بذلك ؛ فأنا أحب كتاباتك المسرحية ، حيث تدهشنى كيف تكتب الحبكة الدرامية ؟ لا أعرف كيف تفعلها " . هز كتفيه دون اكتراث ، وقال : " مثلما تتقنين التمثيل ، فهذه هي حرفةنا لنكسب منها قوتنا " .

" كلا ، فقد تركت على استخدام خيالك معجزة بالنسبة لى " ثم ضحكت مصطنعة الخجل ، وقالت : " أنا أعرف ذلك ؛ لأننى حاولت الكتابة " .

قال بأدب : " حقاً ؟ " .

قالت : " نعم ، لكنى فى موقف درامى بلا حل " . ثم سحبت نفساً عميقاً ، ونظرت حولها ، فوجدت كل الضيوف مشغولين فى حواراتهم فمالت ناحية ألبير هيلر ، وقالت بصوت منخفض : " لدى موقف درامى تحاول فيه البطلة تهريب حبيبها خارج باريس ، والنازيون يبحثون عنه " .

قال لها : " آه ! " ثم أخذ يطرق بالمعلقة على الطبق ، ثم قال : " من السهل أن تجعله يرتدى الزي العسكرى الألماني ويسير وسطهم " .

تنهدت قائلة : " هنا تكمن المشكلة ، فلقد جُرح ، ولا يمكنه المشى ، فلقد بترت ساقه " .

توقف عن طرق المعلقة عن الطبق وبعد فترة صمت طويلة قال : " ما رأيك فى قارب عبر نهر السين ؟ " .

" التهر تحت المراقبة " .

" وكل وسائل النقل إلى خارج باريس يتم تفتيشها "

" نعم "

" إذن اجعلى النازيين يقومون بالعمل بدلاً من البطلة "

" كيف ؟ "

" هل بطلتك جميلة ؟ " قال ذلك دون النظر إليها .

" نعم "

" اجعلليها تصاحب ضابطاً ألمانياً ذا رتبة عالية . هل هذا ممكن ؟ "

قالت دون أن تنظر إليه : " نعم "

" حسناً اجعلليها تحدد معه موعداً غرامياً خارج باريس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، ويرتب الأصدقاء لإخفاء البطل فى شنطة السيارة . يجب أن يكون الضابط ذا رتبة عالية ؛ لكيلا يُسمح بتفتيش سيارته . "

" إذا تم إغلاق حقيبة السيارة هل سيختنق ؟ "

قال بعد تفكير : " ليس بالضرورة . " ثم تحدث معها بصوت منخفض لمدة خمس دقائق ، وقال لها بعد انتهائه : " حظاً سعيداً " .

ولم ينظر إليها طوال حديثه معها .

فى صباح اليوم التالى مبكراً اتصلت نويل هاتفياً بالجنرال شايدر ، وحولها عامل السويتش للمساعدة ، ثم حولتها المساعدة إلى السكرتيرة .

" من يريد الجنرال شايدر ؟ "

" نويل باج " .

" أعتذر ، لديه اجتماع ، ولا يمكن إزعاجه حالياً " .

قالت بتردد : " هل يمكننى الاتصال به لاحقاً ؟ "

" سيظل فى اجتماع مغلق طوال اليوم ، وأقترح أن تتركى له رسالة بما تريدينه منه " .

جلست تفكر ، وقالت مبتسمة فى سخرية : " لا عليك ، فقط أخبره أننى اتصلت به " .

بعد ساعة رن جرس الهاتف ، وكان الجنرال شايدر : " آسف . سامحينى لم تخبرنى السكرتيرة الحمقاء بمكانتك إلا الآن فقط ، كان يجب أن أعطى الأوامر بأن يوصلوك بى ، ولكن لم يجل بخاطرى أنك ستصلين " .

قالت نويل : " أنا التى مدينة لك بالاعتذار ، أعرف كم أنت مشغول " .

" كيف أقدم لك أى خدمة يا آنستى ؟ "

ترددت وقالت وهى تنتقى ألفاظها : " هل تذكر ما قلته عند عشائنا معاً ؟ "

بعد فترة صمت قال : " نعم " .

" ظلت أفكر فى كلامك لفترة طويلة يا هانس ، وأود كثيراً أن أراك " .

قال بلهفة : " هل يمكن الليلة ؟ "

قالت نويل : " ليس فى باريس ، بل يجب أن نكون معاً بعيداً عن هنا " .

" أين ؟ "

" مكان خاص لنا ، ما رأيك فى قرية إتراتا " ؟ "

" لا أعرفها " .

" إنها قرية صغيرة على بعد ١٥٠ كم من باريس ، بالقرب من مدينة لوهافر ، ويوجد فندق هادئ وقديم هناك " .

" يبدو ذلك رائعاً يا نويل ؛ ولكن ليس من السهل لى أن أسافر الآن فى تلك الآونة و " .

قالت ببرود : " حسناً ، أفهمك ، لنفعلها لاحقاً " .

قال لها : " انتظرى ! " ثم بعد فترة صمت طويلة : " متى تريدين السفر معى ؟ "

" ليلة السبت بعد العرض المسرحى " .

قال لها : " سأقوم بتجهيز كل شيء ، سنسافر بالطائرة " .

" كلا ، لماذا لا نذهب بالسيارة فهي أجمل ؟ ! " .

" كما ترغيبين ، سأوافيك لدى المسرح " .

قالت بسرعة : " لكن يجب الذهاب إلى المنزل لإعداد بعض

الأغراض ، لماذا لا توافيني لدى منزلي ؟ " .

" كما تريدين يا عزيزتي ، إلى اللقاء يوم السبت " .

بعد ١٥ دقيقة أخبرت نويل البواب بالأمر ، وأنصت إليها ، ولكنه ولكنه اعترض بشدة : " كلا إن الأمر شديد الخطورة ولكنني سأخبر صديقنا ؛ ولكنه بالتأكيد سيعترض ، وإلا صار أحمق ! وكأنك تطلبين مني العمل لدى المخابرات الألمانية " .

قالت له : " بل لن تخفق الخطة ، فلقد دبرها أعظم عقل في فرنسا " .

عندما سارت خارج المبنى هذا اليوم رأت رجلاً يقف في الشارع يتظاهر بقراءة الجريدة وعندما سارت إلى الجو البارد المنعش بدأ يتبعها بمسافة مأمونة ، فسارت عبر الشوارع ببطء ويتمهل واستمتع بينهما تتأمل كل الفترينات .

بعد خمس دقائق من مغادرة نويل للمبنى خرج البواب ، ونظر حوله للتأكد من أنه لا يتبعه أحد ، ثم استدعى " تاكسي " ، وأعطاه عنواناً لمتجر بيع الأدوات الرياضية . بعد ساعتين قال البواب لـ " نويل " : " سيأتي حسب الخطة ليلة السبت " .

بعد انتهاء العرض ليلة السبت كان الكولونيل كيرت مولر في انتظار نويل في الكواليس . شعرت بالترقب والتوجس يسرى في جسدها ؛ لأنها تعلم أن خطة الهروب تعتمد على التوقيت بالثانية ؛ ولا توجد مساحة لإضاعة الوقت .

قال لها : " رأيت أدائك من هنا ، ولقد تقدمت كثيراً في التمثيل " .

كان صوته ناعماً ونسائياً ، وجعلها تتذكر حلمها المزعج .

" شكراً يا كولونيل ، اسمح لي ، فيجب أن أغير ملابسى " .

سارت إلى حجرتها ؛ لكنه سار معها ، وقال : " سأدخل معك الحجرة " .

دخلت الحجرة ودخل وراءها ، وجلس على كرسي وثير .

ثم قال لها : " قالت لي العصفورة إنه سيحاول الهرب الليلة " .

دق قلبها في عنف لكيلا تظهر في وجهها أى تعبير ، وبدأت تزيل المكياج . وقالت لإضاعة الوقت :

" من الذى يحاول الهرب ؟ " .

" صديقك كاتس " .

التفتت إليه : " لا أعرف من يدعى ... " ، ثم لاحظت ابتسامة نصر على شفتيه الحمراوين ، وقالت بعد أن أدركت الفخ : " انتظر ، إننى أعرف هذا الاسم . إنه لطبيب شاب " .

" هل تذكرينه إذن ؟ " .

" بالكاد . لقد عالجنى من الالتهاب الرئوى منذ سنوات ومن الإجهاض أيضاً " . عاودها الشعور بالخوف ، فهو لن يعرف كل هذه المعلومات إلا إذا كان متأكداً من تورطها . كانت غيبة إذ تورطت إلى هذا الحد ، ولكنها تعرف أنه فات أوان التراجع . لقد سبق السيف العذل ، ففي غضون ساعات إما سيهرب كاتس أو يقتل . ولكن ، ماذا عنها ؟

قال لها : " هل ذكرت أن آخر مرة رأيت كاتس كان في المقهى منذ أسابيع ؟ " .

هزت رأسها بالنفي : " لم أقل ذلك " .

نظر إلى عينيها مباشرة ، ثم نظر بوقاحة لباقي جسدها ، ثم تنهد قائلاً : " أنا أحب الجمال ، ولن أحب أن أشوه جمالك بسبب رجل لا يعنى لك شيئاً ، هل يعتزم صديقك الهرب ؟ " هدوء صوته جعلها ترتعد خوفاً ، فلعبت دور " أنيت " الشخصية البريئة في المسرحية :

" لا أعلم عما تتحدث يا كولونيل ، أود مساعدتك ؛ لكنى لا أعلم شيئاً " .

نظر إليها لفترة طويلة ، وقال ببرود : سأعلمك كيف تساعديني ، وسأستمتع بذلك " .

ثم أغلق الباب خلفه ، وقال قبل رحيله : " لقد نصحت الجنرال شايدر بعدم الخروج معك لعطلة نهاية الأسبوع " .

شعرت بقلبها يسقط إلى أسفل ، لقد فات الأوان بالنسبة لـ " كاتس " : " هل الكولونيل يتدخل في الحياة الشخصية للجنرال ؟ "

قال بأسى : " فى هذه الحالة لا ، فهو يريد الذهاب معك " . ثم استدار وغادر الحجرة .

حدقت نويل وراءه ، وكان قلبها يدق بعنف ، ونظرت للساعة الذهبية ، وبدأت ترتدى ملابسها سريعاً .

فى الحادية عشرة ، وخمس وأربعين دقيقة ليلاً اتصل البواب هاتفاً بـ " نويل " ؛ لكى يقول لها إن الجنرال شايدر فى طريقه لشقتها ، وكان صوته يرتجف خوفاً .

" هل لديه سائق فى السيارة ؟ "

" نعم يا آنسة ، ولكنه سيصعد مع الجنرال إليك "

" شكراً " .

وضعت الساعة بسرعة ، وفحصت الحجرة لكى تتأكد من الأغراض فى الحقائق ، فلا يجب أن يكون هناك أى خطأ . دق جرس الباب وذهبت للصالة وفتحت الباب .

كان الجنرال شايدر فى الممر ، ومعه السائق برتبة كابتن واقفاً خلفه ، وكان الجنرال لا يرتدى الزى العسكرى ، بل يرتدى حلة رمادية جميلة ، وقميصاً أزرق ، ورباطة عنق سوداء ، وقال لها بطريقة رسمية : " مساء الخير " ودخل إلى الشقة ، وأوماً للسائق لكى يدخل . قالت نويل : " حقائقى فى الحجرة " وأشارت للباب .

قال الكابتن : " شكراً يا آنسة " ودخل لحجرة النوم ، جاء الجنرال إلى نويل ، وأمسك يديها قائلاً : " هل تعرفين أننى ظلمت أفكر فيك طوال اليوم ؟ ظننت أنك غيرت رأيك ، وفى كل مرة يرن جرس الهاتف كنت أخاف من اعتذارك " .

قالت : " أنا أفى بوعودى دائماً " . ثم رأت السائق يخرج من الحجرة ومعه الحقائق الخاصة بالماكياج والملابس التى تكفى ليلة واحدة . قال السائق : " هل هذه كل الحقائق ؟ "

" نعم لا شئ آخر " .

خرج السائق بالحقائق خارج الشقة

قال الجنرال : " هل أنت جاهزة " .

قالت سريعاً : " لنتناول مشروباً قبل رحيلنا " ثم ذهبت لإحضار المشروب .

قال لها : " دعينى أخدمك ، اسمحى لى " .

نظرت خلسة إلى الساعة ، وكان الجنرال يتحدث إليها ؛ لكنها لم تسمعه لأن عقلها كان يتخيل ما يحدث فى الشارع ، فيجب أن تكون حريصة ؛ لأنها إذا تحركت أسرع من اللازم أو أبطأ من اللازم قد تدمر نفسها والجميع .

قال لها الجنرال : " ما الذى تفكرين فيه ؟ "

قالت بسرعة : " لا شيء ، "

" إنك لم تصغ لي . "

" اعتذر ، كنت أفكر فينا ، وما سنفعله " ، ثم ابتسمت له

" أنت تثيرين حيرتي . "

" أليس كل النساء لغزاً كبيراً ؟ "

" ليس مثلك ، فأنت متقلبة المزاج ، تارة لا تريدين رؤيتي ، والآن

سنقضى معاً عطلة نهاية الأسبوع في الريف . "

" هل أنت نادم يا هانز ؟ "

" بالطبع لا ، ولكنني أسأل نفسي ، لماذا الريف ؟ "

" أخبرتك السبب . "

" نعم لأنه شيء رومانسي ، وهذا ما يحيرني ، فأنا أعتقد أنك

واقعية ، ولست رومانسية . "

" ماذا تحاول قوله ؟ "

" لا شيء ، بل أنا أفكر بصوت عال ، وأستمع بحل الألغاز ،

وسأحل لغزك يا نويل مع الوقت . "

قالت دون اكتراث : " بمجرد العثور على الحل ستنتهي الإثارة . "

وقال : " سترى ، ألا نذهب الآن ؟ "

" سأضع الأكواب على حوض المطبخ . "

راقبها وهي تسير للمطبخ ، وكانت من أجمل وأكثر النساء إثارة من

قابلهن من النساء ، وأراد أن يمتلكها . لم يعن ذلك أنه غبي أو أعمى ،

فهو يعلم أنها تريد شيئاً منه ، وكان عليه معرفة هذا الشيء . حذره

مولر من أنها ستساعد على تهريب عدو لدود للرايخ الثالث ، ونادراً ما

يخطئ مولر . ربما تريد منه حمايتها بطريقة ما ، لكنها لا تعلم إلا

القليل عنه وعن الجيش الألماني ، وإذا كانت مذنبة فسيسلمها

للمخابرات دون غضاظة ؛ لكنه سيستمع بها أولاً ، فلقد كان يتطلع

لهذه العطلة .

خرجت من المطبخ وكان يبدو القلق على وجهها : " كم حقيبة
أخذها السائق ؟ "

قال : " اثنتان ، واحدة للماكياج والأخرى للملابس "

قالت فزعاً : " ياه أنا آسفة يا هانز ! لقد نسي السائق أهم

حقيبة ، هل تمنع ؟ "

ثم رآها تلتقط سماعة الهاتف وتحدث : " اطلب من السائق الصعود

مرة أخرى ؛ لأنه توجد حقيبة أخرى سيأخذها " ثم وضعت السماعة

وقالت : " أعلم أننا سنقضى هناك ليلتين ؛ لكنني أريد إيساعدك . "

ابتسمت .

قال لها : " إن أردت إيساعدي فلن تحتاجي لأي ملابس " ثم نظر

لصورة جوتيه ، وقال : " هل يعلم جوتيه بذهابك معي ؟ "

قالت كاذبة : " نعم " ، كان جوتيه في مدينة نيس في اجتماع

مع منتج سينمائي ، ولم ترد أن تقلقه بخطتها . دق جرس الباب ،

ففتحت نويل للسائق فقال : " هل توجد حقيبة أخرى ؟ "

قالت له بلهجة اعتذار : " نعم ، في حجرة النوم . "

أوما الكابتن وذهب للحجرة .

قال شايدر لها : " متى تريدين العودة ؟ "

قالت له : " أود البقاء معك لأطول مدة ممكنة ؛ لكنني يجب أن

أعود في مساء الاثنين من أجل العرض المسرحي ، وهذا سيجعلنا نقضى

ليلتين معاً . "

جاء السائق من الحجرة ، وقال : " أنا آسف يا آنسة . لكن ما

شكل هذه الحقيبة ؟ "

" إنها حقيبة كبيرة وزرقاء ومستديرة . "

وقالت للجنرال : " بها رداء لم ألبسه بعد ، ولن أرتديه إلا لك

أنت وحدك . "

كانت تثرثر لإطالة الوقت وإخفاء توترها . ذهب السائق لحجرة النوم ، وقال : " أنا آسف لا أجدها " .

قالت نويل : " دعنى أحضرها لك " ثم ذهبت للدوايب ، وففتشتها كلها ، وقالت : " لا بد أن الخادمة الحمقاء أخفتها فى مكان ما " ثم شرع ثلاثتهم فى البحث عنها فى كل دولاى فى الشقة ، ووجدوها الجنرال فى دولاى فى الصالة ، وقال لها : " إنها تبدو فارغة ؟ " !

فتحتها سريعاً ، ونظرت داخلها ، ولم يكن بها شىء ، فقالت له بغضب : " لا بد أن الخادمة الحمقاء وضعت الرداء فى الحقيبة الأخرى مع باقى الملابس . أتمنى ألا تكون قد دمرتة تماماً ، هل لديكم مشاكل مع الخدم فى ألمانيا ؟ "

" الخدم هم الخدم فى كل مكان . " ثم تفرس فى وجهها ، وكانت بالنسبة له تتصرف فى غرابة ، وتحدث كثيراً على غير العادة ، ولقد لاحظت نظرة الشك البادية على وجهه .

قالت له : " لا تجعلنى أشعر كتلميذة صغيرة ، فأنا أشعر بالتوتر الآن " .

ابتسم لها قائلاً لنفسه : " هل هى تلاعبه أم ماذا ؟ " إذا كانت تخدعه فسرعان ما سيعرف ، ثم نظر لساعته وقال : " يجب أن تغادر الآن ، وإلا تأخرنا " .

" أنا جاهزة " .

تمنت أن يكون الآخرون قد انتهوا من مهمتهم . وصلوا مدخل البناية ، وكان البواب واقفاً ، ولونه شاحب من القلق ، وتساءلت نويل هل حدث خطأ أم لا ، فنظرت إليه لكى يشير لها بأى إشارة ؛ لكنه لم يتمكن من الرد عندما ظهر الجنرال ، وتأبط ذراعها وقادها خارج الباب .

كانت سيارته الليموزين أمام الباب مباشرة ، وكانت شنطة السيارة مغلقة ، والشارع خالياً من المارة . قفز السائق لفتح باب السيارة له ،

والتفتت نويل لكى ترى المدخل الخاص بالعمارة لترى البواب ، لكن الجنرال حال دونها وبين مجال الرؤية . هل فعل ذلك عن قصد ؟ ثم نظرت لشنطة السيارة المغلقة ، ولم تتأكد من أى شىء ، لن تعرف أن خطتها نجحت إلا بعد ساعات . كانت الإثارة فوق الاحتمال .

قال الجنرال : " هل أنت بخير ؟ " ثم حدق إليها ، وشعرت أن شمة شيئاً فظيماً قد حدث . أرادت اختلاق أى عذر للعودة للبواب وسؤاله ؛ لكنها أجبرت نفسها على الابتسام .

قالت له : " تذكرت أن صديقة لى ستتصل بى هاتفياً ، وسأترك لها رسالة مع البواب " .

جذبها من ذراعها ، وقال : " فات الأوان . لا تفكرى فى سوى الآن " . ثم ركبت السيارة معه وانطلقا .

بعد خمس دقائق سارت سيارة شايدر الليموزين ، وابتعدت عن المبنى السكنى . وصلت سيارة مرسيدس سوداء وقفت بصوت عال أمام العمارة ، وخرج الكولونيل مولر ومعه رجلان من السيارة ، ثم نظر مولر عبر الشارع وقال : " لقد ذهبنا " ثم أسرع إلى مدخل العمارة ودق جرس البواب ، فتح الباب ووقف البواب مرتسماً على وجهه نظرة فزع ، وقال : " ما الذى يحدث من ؟ " لكن مولر دفعه داخل حجرته وقال بحدة :

" أين نويل ؟ ! "

حدق إليه البواب فى فزع ، ثم قال : " لقد غادرت المكان " .

" أعرف أيها الأحمق ! بل أسألك إلى أين ذهبت ! "

هز رأسه بصورة تنم عن قلة الحيلة . وقال : " ليس لدى أدنى فكرة يا سيدى ، كل ما أعرفه أنها غادرت مع ضابط من الجيش " .

" ألم تخبرك بمكان وصولها ؟ "

" كلا يا سيدى ، فهى لا تثق فى " .

حدق مولر فى البواب العجوز للحظة ، ثم ولى الأدبار مسرعاً .

وقال رجاله : " لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيداً " .

اتصلوا بكل نقاط التفتيش على الطرق ، وأمر بأنه عندما تأتي سيارة الجنرال شايدر يجب إيقافها والاتصال به فوراً !

لم يكن هناك سيارات كثيرة عبر الطريق لأن الوقت كان موعد حظر التجوال وبالتالي أسرع سيارة شايدر خارج باريس من الطريق الغربى وعبرت قصر فرساي ، وفي غضون خمس دقائق وصلت لمفتري الطرق الذى يؤدى إلى ثلاثة أماكن : فيش ولوهافر وكوت دازور .

بدا لنويل أن المعجزة تحققت ، لأنهم غادروا باريس دون أن يوقفهم أحد . كان يجب أن تعلم أن الألمان أكفاء ، ولكن ليس لدرجة تفتيش كل الطرق المؤدية لخارج المدينة ، ولكن بينما تفكر فى ذلك بدت نقطة التفتيش أمامهم بشكل مفرغ . أضيئت أنوار حمراء من منتصف الطريق وكانت هناك شاحنة تسد الطريق ، وجنود الجيش الألماني وسيارتان تابعتان للبوليس الفرنسى . عندما أوقفوا السيارة قال أحد الجنود للسائق : " اخرج ، وأظهر بطاقتك الشخصية ! "

فتح الجنرال شايدر النافذة الخلفية ، وأخرج رأسه وقال بصوت أجش : " أنا الجنرال شايدر ، ماذا يحدث هنا بحق الجحيم ؟ " .

انتبه الملازم الذى طلب منهم إبراز هوياتهم ، وقال : " اعدرنى يا سيدى الجنرال ، لكننى لم أدرك أنها سيارتك " .

نظر الجنرال عبر نقطة التفتيش ، وقال : " علام هذه الجلبة ؟ " " لدينا أوامر بتفتيش كل سيارة تغادر باريس ، لأن كل مخارج المدينة مغلقة " .

قال الجنرال لـ " نويل " : " اللعنة على المخابرات الألمانية . أنا آسف يا عزيزتى " .

شعرت بلون وجهها يشحب ، وكانت ممتنة ، لأن الظلام يخفى تعابير وجهها . لكن عندما تتحدث كان صوتها ثابتاً .

قالت له : " لا يهم " .

ثم فكرت فى حمولة حقيبة السيارة ، فإذا نجحت الخطة فإن كاتس بالداخل ، وقد يقبض عليه فى أى لحظة ، وكذلك عليها .

قال الملازم للسائق : " افتح حقيبة السيارة من فضلك " .

قال السائق : " لا يوجد سوى الحقائب ، لقد وضعتها بنفسى " .

" آسف يا كابتن ، الأوامر واضحة ، ويجب تفتيش كل سيارة تغادر باريس " .

ظل السائق يرغى ويزيد ثم فتح باب السيارة وبدأ يخرج ، وكان عقل نويل يفكر بسرعة صاروخية ، فعليها إيقافهم بدون إثارة شكوكهم . خرج السائق وكان الوقت يجرى ، فاختلست نويل نظرة سريعة لوجه الجنرال شايدر ، وكان وجهه ممتعاً من الغضب فقالت بهدوء وبراءة الأطفال فى عينيها : " هل نخرج من السيارة يا هانز ، هل سيفتشوننا تفتيشاً ذاتياً ؟ " ثم شعرت بجسده ينتفض غضباً .

قال بصوت أجش وحاد : " انتظر أيها السائق . عد إلى السيارة ! " ثم قال بغضب عارم للملازم : " أخبر من يخبرك بالأوامر أنها لا تنطبق على الجنرالات فى الجيش الألماني ، وأنا لا أتلقى الأوامر ممن هو فى رتبة ملازم . أبعد الحاجز عن طريقي ! "

حدق الملازم فى وجه الجنرال الغاضب ، ووجه له التحية الرسمية ، وقال : " سمعاً وطاعة يا سيدى الجنرال . " ثم أشار إلى تابعه الذى يقود الشاحنة بإفساح الطريق .

قال الجنرال شايدر بلهجة الأمر : " واصل القيادة " ، فهرعت السيارة ، واختفت وسط الظلام .

استرخت نويل على مقعدها ، وشعرت بالتوتر يقل من جسدها ؛ لأن الكارثة مرت بسلام ، وتمنت لو كانت تعلم هل كاتس فى حقيبة السيارة ، وهل هو على قيد الحياة أم لا .

نظر الجنرال لـ " نويل " ، ورأت أنه مازال يغلى من الغضب . قال لها : " أنا أعتذر عما حدث ، فهي حرب غريبة ، هل من الضروري أن نُعلم المخابرات أن الحروب تدار بواسطة الجيش ؟ " قالت نويل : " والجيش يديره الجنرالات " . قال لها : " بالضبط ، فالجنرالات يقودون الجيوش ، أنا سألقن كولونيل مولر درساً لن ينساه " .

بعد مغادرة السيارة للنقطة التفتيش بعشر دقائق جاءتهم مكالمة من المخابرات ، للبحث عن السيارة ، فقال الملازم : " لقد عبرت السيارة بالفعل . " وشعر أن الأمر لن يمر بسلام . لاحقاً تحدث إليه كولونيل مولر بنفسه .

قال له بنعمية : " منذ متى غادروا الطريق ؟ " " منذ عشر دقائق " .

" هل فتشت سيارته ؟ "

شعر الملازم بألم ورعب ، وقال : " كلا فلم يسمح لي . " " اللعنة ! إلى أى طريق سارت السيارة ؟ "

ازدرد الملازم لعابه ، وقال بلهجة من يعرف أن مستقبله العسكري انتهى : " لست متأكداً فهناك تقاطع طرق كبيرة ، وربما ذهب إلى روان أو للبحر أو لوهافر " .

" سلم نفسك في مكتبي في المخابرات في التاسعة صباحاً " .

قال الملازم : " نعم يا سيدى " .

وضع مولر السماعة بعنف ، وقال لرجاله : " لنذهب إلى لوهافر في سيارتي ؛ لأننى سأقبض على الصرصار ! "

الطريق إلى لوهافر يسير مع مجرى نهر السين بواديه الغنى بالمزارع الخصبة والتلال . كانت ليلة رائعة ، والسماء مرصعة بالنجوم ، وكان

الجو جميلاً ، وكانت المزارع القريبة تبدو من بعيد كجزر ضوئية جميلة مثل الواحات فى الصحراء .

ظلت تتحدث نويل مع الجنرال ، وهما جالسان على المقعد الخلفى الوثير للسيارة . أخبرها عن زوجته وأطفاله ، وصعوبة الزواج للضباط فى الجيش ، وأنصتت له نويل بتعاطف ، وأخبرته بصعوبة الحياة العاطفية للممثلة . كان كلاهما يعلم أن الحوار ما هو إلا مناورة لإخفاء ما هو بداخل كل منهما .

لم تقلل نويل ولو للحظة من قدر ذكاء الرجل الجالس بجانبها ، فهى تفهم خطورة المغامرة التى تقوم بها ، وتعلم أن الجنرال لن يصدق أنها فجأة وجدته لا يقاوم ، فلا بد أنه يشك أنها ستطلب منه شيئاً ما . كانت تأمل نويل فى أن تتغلب على مناوئته فى تلك اللعبة اللفظية . لم يذكر الجنرال الحرب إلا قليلاً ، ولكن ظلت تذكره لفترة طويلة بما قاله الآن .

قال لها : " فى بريطانيا شعب غريب ، فمن الصعب إدارتهم فى وقت السلام ، ولكن فى وقت الكوارث يصبحون راعين ، فالبحار الإنجليزى لا يكون سعيداً إلا عندما تغرق سفينته " .

وصلا إلى لوهافر فى أولى ساعات الصباح فى طريقهما لقرية ايتراتا . قالت نويل : " هلا توقفنا لتناول الطعام ، فانا أتضور جوعاً " قال لها : " بالطبع كما تريد " ، وقال للسائق : " ابحث لنا عن مطعم مفتوح " .

قالت نويل : " أنا متأكدة من وجود مطعم بجوار الميناء " فأنحرف السائق بمحاذاة النهر ، وتوقفت السيارة على شاطئ النهر ، وكانت هناك عدة سفن شحن رأسية على الميناء فى المرفأ ، وهناك لافتة من بعيد مكتوب عليها : " مطعم " .

فتح الكابتن الباب وخرجت نويل يتبعها الجنرال .

قالت نويل : " ربما هو مفتوح طوال الليل للبحارة والعمال " ثم سمعت صوت موتور ، ووجدت آلة رفع الشحنات ذات الشوكة الكبيرة تقترب من السيارة الليموزين ، وكان هناك رجلان يرتديان معاطف طويلة وغطاء للرأس الخاص بقائدي الدراجات البخارية لإخفاء الوجه ، وقد خرجا من آلة الرفع ، ونظر أحدهما بعمق إلى نويل ، وبدأ يضيق شوكة الآلة . شعرت نويل أن بطنها يتقلص من القلق والخوف ، لكنها أمسكت ذراع الجنرال وسارا للمطعم ، ونظرت نويل للسائق الذى ظل جالساً على المقعد خلف عجلة القيادة فى السيارة .

" ألن يأتى معنا لتناول بعض القهوة ؟ "

" بل سيظل فى السيارة "

حدقت نويل إليه ، فالسائق لا ينبغى أن يظل فى السيارة ، وإلا ستفشل الخطة ؛ لكنها لم تلح فى طلبها ، لكيلا يشك فيها .

عندما سارا نحو المطعم كانت هناك ممرات تؤدى له ، مغطاة بالحصى الكبير الخشن فتظاهرت بالتواء كاحلها ، ووقعت على الأرض ، وصرخت فى ألم ، فحاول الجنرال الوصول إليها وإنقاذها من الوقوع ؛ لكنها وقعت بالفعل .

" هل أنت بخير ؟ "

عندما رأى السائق ما حدث هرع مسرعاً إليهما ، وقالت نويل : " أنا آسفة ، لقد التوى كاحلى ، وأظن أنه قد كسر " .

تحسس بيده على كاحلها كالخبير ، وقال : " لا يوجد تورم ، مجرد التواء فى المفاصل فقط ، هل يمكنك الوقوف ؟ "

" لا أعلم " .

أمسك الرجلان بها من ذراعيها ، ورفعاهما ، وحاولت السير ؛ لكنها صرخت فى ألم : " آسفة ، لو أننى فقط أستطيع الجلوس ! " .

" ساعدنى أيها السائق على الدخول بها للمطعم " .

بمساندتهما لها من كلا الجانبين ، ساروا للمطعم ، وعندما اقتربوا من الباب اختلست نظرة إلى السيارة ، فوجدت العمال الملثمين يقتربون من شئطة السيارة .

قال لها : " هل أنت متأكدة أنك ستتمكنين من الذهاب مباشرة لقرية ايتراتا ؟ "

" نعم . لا تقلق . سأكون بخير " .

قادهم صاحب المطعم لمائدة فى ركن هادئ ، وساعدها فى الجلوس على مقعد مريح " .

قال لها الجنرال : " هل لازلت تشعرين بألم ؟ "

" قليلاً " . ثم وضعت يدها على يده قائلة : " لا تقلق يا هانز . لن أفسد رحلتنا معاً " .

فى تلك اللحظة أثناء وجودهما فى المطعم كان كولونيل مولر يسير بسرعة رهيبية للحاق بهما على حدود لوهافر . كان ضابط الشرطة قد تم إيقاظه ، وكان بانتظار رجال المخابرات أمام قسم الشرطة ، وقال : " لاحظ أحد عساكر المرور أن السيارة الخاصة بالجنرال واقفة على ضفاف نهر السين بالقرب من هنا " .

ابتسم مولر عندما شعر بالرضا ، وقال له بلهجة الأمر :

" خذنى إلى هناك حالاً " .

بعد خمس دقائق لحقت سيارة المخابرات التى بها مولر ورجاله بسيارة الجنرال شايدر على المرفأ ، وخرجوا وحاصروا السيارة ، وفى تلك اللحظة كان وقت خروج الجنرال ونويل والسائق من المطعم ، ولاحظ السائق وجود رجال المخابرات ، وأسرع بالذهاب إليهم .

قالت نويل : " ماذا حدث ؟ " ثم رأت نويل الكولونيل مولر عن بعد ، وشعرت ببرودة تسرى فى جسدها .

قال الجنرال : " لا أعرف " ، ثم أسرع الخطو نحو سيارته ، وسارت نويل خلفه ، وهي تمثل أنها عرجاء .

قال شايدر لـ " مولر " : " ما الذى تفعله هنا ؟ ! "

قال مولر بجفاء : " آسف لمقاطعة إجازتك . لكنى أريد تفتيش حقيبته سيارتك يا جنرال " .
" لا يوجد سوى الحقائق " .

وصلت نويل ولاحظت اختفاء الأداة الرافعة ، وكان الجنرال ومولر ينظران شزراً لبعضهما البعض .

" أنا مصر على طلبى يا جنرال ، لدى سبب مقنع بأن عدو الرايخ الثالث يختبئ فى شنطة السيارة " .

قال مولر ذلك بعد أن نظر إليه طويلاً ، ثم التفت إلى نويل وفحصها جيداً ، لكنها قالت بحزم :

" لا أعلم عما يتحدث عنه " .

نظر الجنرال لكاحلها ، ثم قرر وأمر السائق : " فتش حقيبته السيارة " .

" حاضر يا سيدى الجنرال " .

ثم توجهت كل العيون ، وشخصت الأبصار لحقيبة السيارة ، وشعرت نويل وكأنها على وشك الإغماء . لكن بعد أن فتحها وجدوها فارغة .

قال السائق : " لقد سرق أحدهم أمتعتنا ! "

تلون وجه مولر من الغضب ، وقال : " لقد هرب ! " .

قال الجنرال " من تقصد ؟ " .

" الصرصار ! يهودى يدعى كاتس تم تهريبه فى حقيبته هذه السيارة ! " .

قال الجنرال : " مستحيل ، إذا كان هناك أحد هنا لمات مخنقاً ، فهى مغلقة بإحكام " .

تفحص مولر حقيبة السيارة ، وقال لأحد رجاله : " ادخل إليها " .

" أمرك سيدى الكولونيل " .

وأطاع الرجل الأمر ، وأغلق مولر حقيبة السيارة بإحكام وظل ينتظر وهو يحرق إلى ساعته ، ولمدة ٤ دقائق ساد الصمت ، وكل من الحضور غارق فى أفكاره ، وفى النهاية بعد أن مرت اللحظات ببطء شديد فتح مولر الغطاء ، فوجدوا أن الرجل قد تعرض للإغماء . قال شايدر لـ " مولر " الذى رmqه بنظرة احتقار : " إذا كان هناك من يختبئ فلا بد أنهم احتضنوا جثته " .

قال شايدر للسائق : " هيا دعنا نمضى " . ثم ساعد نويل على ركوب السيارة ، وابتعدا عن رجال المخابرات .

أمر مولر بتفتيش كل المنطقة ، ولم يجدوا أى شىء حتى وقت العصر .

أبحرت السفينة إلى أفريقيا ليلاً من ميناء لوهافر ، وبها كاتس ، وظهرت الأمتعة المفقودة لدى قسم المفقودات فى محطة القطر الشمالية لباريس .

أما بالنسبة لنويل والجنرال فلقد قضيا عطلة رائعة فى قرية أتراتا ، وعادا لباريس فى عصر يوم الاثنين ، لكى تلحق نويل بالعرض المسرحى .

قال فريزر بتردد : " كاثرين ، أنت لا تعرفين عنه إلا القليل .
أليس كذلك ؟ "

تصلب جسدها ، وقالت : " أعرف أنثى أحبه يا بيل وأنه
يحبني ، وتلك بداية جيدة أليس كذلك ؟ "

عبس وجهه وصمت ، وكأنه يحاور ذاته ، ثم قال :
" كاثرين "

" نعم ؟ "

" احترسي "

" مم ؟ "

تحدث إليها ببطء وحذر شديد : " لارى مختلف "
قالت له : " كيف ؟! "

" أعنى أنه ليس مثل معظم الرجال " . ثم رأى نظرة امتعاض على
وجهها ، فقال : " لا تنظري إلىّ على هذا النحو " ثم ابتسم ابتسامة
باهتة ، وقال : " هل قرأت قصة إيسوب الحكيم : الثعلب والعنب
الحصرم ؟ "

أمسكت يده بحب ، وقالت : " لن أنساك يا بيل ، وأرجو أن نظل
أصدقاء " .

" آمل ذلك . هل أنت متأكدة من عدم استمرارك في العمل ؟ "
" يريدني زوجي أن أترك العمل ، فهو ذو عقلية قديمة ، ويقول :
إن الزوج يعول زوجته ، ولا يجب أن يدعها تعمل " .

قال لها فريزر : " إذا غيرت رأيك فلا تترددي في إخباري " .
خلال الوقت المتبقي لتناول غداتهما تناقشا في أمور العمل ، ومن يحل
محلها في الوظيفة . كانت تعلم أنها ستفتقده جداً ، فهي تعلم أن
الحب الأول لأى فتاة له مكانة خاصة في قلبها ، لكنه كان يعنى لها
أكثر من ذلك ، كان عزيزاً لديها ، وصديقاً رائعاً . لكنها تضايقت من
آرائه إزاء لارى .

كاثرين

واشنطن ١٩٤١ . ١٩٤٤

٩

تركت كاثرين عملها مع ويليام فريزر يوم زواجها من لارى ، وطلب
منها فريزر تناول الغداء معه عند عودتها لواشنطن ، وكان يبدو شاحباً
ونحيفاً ، وأكبر من عمره الحقيقي ، شعرت كاثرين فقط بالتعاطف
معه . كانت جالسة أمام رجل طويل ووسيم ، لكنه بدا غريباً عنها ،
وإن كانت تكن له كل التقدير والمحبة ، لكنها لم تصدق كيف كانت
تتخيله زوجاً لها . ابتسم فريزر في ضعف ، وقال :
" أصبحت امرأة متزوجة " .

" وسعيدة جداً في زواجي " .
" حدث الأمر فجأة ، ليتنى تقدمت لك قبله " .
قالت بصدق : " حدث ما حدث ، ولا أعرف كيف ، لكنه
الحب " .

" لارى فتى محظوظ " .
" نعم " .

بدا وكأنه أراد تحذيرها من شيء، ثم توقف لكيلا يفسد سعادتها . هل الحالة كما قال ، العنب الحصرم ؟ بيل فريزر ليس من نوع الرجال الذين يشعرون بالغيرة أو الضعف ، بل هو يريد لها كل السعادة ، لكنها متأكدة من أنه يحاول أن يقول لها شيئاً . شعرت ذهنيًا بأن ذلك نذير شؤم لما قد يحدث لاحقاً ؛ لكنها نسيت هذا الشعور الباهت عندما جاء لارى إليها ، وابتسم لها لاحقاً بعد ساعة ، ونسيت كل شيء سوى أنها متزوجة من هذا الرجل الرائع الممتع .

كان من الممتع البقاء مع لارى بأكثر مما تعرف كاثارين ، كان كل يوم مغامرة أو إجازة ، كانا يذهبان للريف كل عطلة نهاية الأسبوع ، وزارا أجمل الأماكن السياحية ، وتنزها في القوارب ، ومارسا صيد السمك . كانت كاثارين تخاف من الماء ؛ لأنها لم تتعلم السباحة أبداً ؛ لكنه أخبرها ألا تقلق ؛ لأنها في أمان معه .

كان لارى يغمرها بالحب وكان جذاباً ويبدو أنه لا يأبه لاهتمام النساء به . كان يمثل بالنسبة لها منتهى ما تريده في الحياة . مرا بمحل تحف في شهر العسل ، وأعجبته قلادة على شكل طائر مصنوعة من الفضة لكن لارى اشترى لها قلادة مماثلة مصنوعة من الكريستال ، وكان ذلك بداية مجموعتها من المجوهرات . احتفلا بمرور ثلاثة أشهر على زواجهما ، وتناولوا العشاء في مطعم صغير في ميرى لاند .

في اليوم التالي ، السابع من ديسمبر ، هجمت القوات اليابانية على ميناء " بيرل هاربور "

أعلنت أمريكا الحرب على اليابان في اليوم التالي في تمام الساعة الواحدة والنصف ظهراً ، بعد مرور أقل من ٢٤ ساعة على الهجوم الياباني . كان لارى في القاعدة الجوية ، ولم تطلق كاثارين البقاء وحيدة

في الشقة ، فاستقلت تاكسى لمبنى الكابيتول لتعرف ما حدث في البلاد . مئات الناس كانوا يلتفون حول أجهزة المذياع بالقرب من ميدان الكابيتول ، وشاهدت كاثارين موكب الرئيس الأمريكي روزفلت ، وشاهدته عن قرب وهو ينزل من سيارته الليموزين مع مساعديه ، وعشرات من رجال الشرطة يؤمنون الطريق له في قمة التيقظ لمنع أية مشكلة . كان اتجاه الجماهير هو الغضب الشديد كجمهور الماضي الذي كان ينتظر أن يشهد حكماً بالإعدام على الملائ .

دخل الرئيس مبنى الكابيتول ، وجاء صوته عبر الأثير وهو يخاطب الكونجرس ، وكان صوته حازماً وقوياً ومفعماً بالإصرار .

" لن تنسى أمريكا هذه الهجمة ... القوة الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية ... سنفوز لا محالة . ساعدنا يارب " .

بعد ربع ساعة من خطاب الرئيس أعلنت الحكومة الحرب على اليابان ، وحصلت على أغلبية ساحقة عند التصويت في الكونجرس بنسبة ٣٨٨ صوتاً مقابل صوت واحد معارض ، وكان للعضوة جانين وانكين المعارضة للحرب . كان خطاب روزفلت قد استغرق عشر دقائق ، وكان أقصر خطاب في تاريخ الكونجرس الأمريكي .

صاحت الجماهير بالموافقة على قرار الحرب والغضب والانتقام ، وأخيراً تحركت أمريكا .

ظلت كاثارين تنفّس في وجوه من حولها نساءً ورجالاً . كانت تعابير وجوه الرجال المتحمسين مثل لارى بالأمس ، وكانهم جميعاً رواد ناد سرى واحد تمارس فيه لعبة مثيرة . حتى النساء تأثرن بالحماس الزائد الطاغى على الجماهير . لكن تساءلت كاثارين كيف سيكون حالهن عندما ينتظرن بلهفة أخبار أزواجهن وأبنائهن الغائبين في الحرب ويشعرن بالوحدة ؟ عادت كاثارين للمنزل سيرا على الأقدام ، وشاهدت الجنود في كل مكان ، ومعهم بنادق بها سونكى متأهبة لأن يتم استخدامها .

سرعان ما امتلأت المدينة بالجنود بأسرع مما تتخيل كاثرين ، ما بين يوم وليلة تحولت واشنطن لكثنة عسكرية ، وامتلأت الشوارع بالجنود .

امتلاً الجو بإثارة سرت بين كل الناس ، وكأن السلام مجرد تكاسل وشيء مقرز يدعو للضييق . وكأن الحرب هي ما سيعيد للحياة رونقها وبهاءها وبهجتها .

كان لارى يقضى ست عشرة إلى ثماني عشرة ساعة فى القاعدة الجوية ، وأحياناً يبيت بها ، ويقضى ليلته هناك ، وقال لـ " كاثرين " : " إن الاحوال فى " بيرل هاربور " و " هيكام فيلد " أسوأ مما يعتقد الناس ، فلقد كانت الهجمات السرية ناجحة ومدمرة ، وتم تدمير جزء كبير من البحرية الأمريكية والقوات الجوية " .

قالت كاثرين بصدمة : " هل تعنى أننا سنخسر الحرب ؟ " نظر إليها وهو يفكر ملياً : " هذا يعتمد على سرعة استعدادنا ، فالكل يعتقد أن الياباني رجل قصير بعينين ضيقتين ، وهذا كلام فارغ ، فهم أقوىاء ، ولا يهابون الموت ، ونحن الضعفاء " .

فى الشهور التالية بدا وكأنه لن يوقف اليابانيين شىء ، وكانت عناوين الصحف الرئيسية تعلن عن نجاحاتهم : " هجوم على مدينة ويك " .. استعدادات لغزو الفلبين .. غزو " جوام " .. " بورنجو " .. " هونج كونج " أعلنت مانيلا أنها مدينة مفتوحة ، والقوات الأمريكية المحاصرة فى الفلبين استسلمت .

فى أحد أيام شهر إبريل اتصل لارى بـ " كاثرين " من القاعدة الجوية ، وطلب منها انتظاره فى مطعم فندق ويلارد فى وسط المدينة للاحتفال .

قالت كاثرين : " سنحتفل بماذا ؟ "

قال لها : " سأخبرك الليلة ! " وكانت هناك نبرة إثارة فى صوته .

عندما أغلقت السماعة باغتها هاجس شؤم ، وحاولت أن تفكر فى الأسباب الممكنة للاحتفال ، ولكنها كانت تصل دائماً لنفس الفكرة المرعبة التى لا تريد مواجهتها .

فى الخامسة كانت كاثرين فى قمة زينتها ، وتجلس على الفراش ، وتحلق إلى المرأة على التسريحة .

قالت لنفسها : " لا بد أننى مخطئة ، ربما حصل على ترقية ويود الاحتفال بها ، أو ربما هناك أخبار سارة عن الحرب . " لكنها لم تصدق نفسها ، وتفحصت تعبيرات وجهها فى المرأة ، وحاولت أن تكون موضوعية : على الرغم من أنها ليست فى جمال نجومات السينما ، ولكنها كانت جذابة ، وكان قرارها بلا تحيز ، وكان قوامها رشيقاً . وكانت تقول لنفسها : " أنت ذكية ومرحة ومهذبة وعطوف ومثيرة ، فلماذا يتركك لارى ويذهب للحرب ويقتل ؟ "

فى السابعة مساءً توجهت لطعم ويلارد ، ولم يكن لارى قد وصل بعد فاصطحبها النادل للمنضدة المحجوزة لهما ، ثم قالت إنها لن تتناول شيئاً ، ثم غيرت رأيها بعصبية ، وطلبت مشروباً مثلجاً .

عندما التقطت الكأس كانت يداها ترتجفان ، ثم رأت لارى قادماً إليها ، وهو يشق طريقه عبر الموائد ويرد التحيات التى يقدمها له الناس . كان مفعماً بالحياة ، وكانت تحيط به حالة جعلت كل العيون تتجه إليه . تذكرت عندما رآته فى مطعم استديوهات مترو جولدن ماير فى هوليوود . أدركت أنها ساعتها لم تكن تعرفه حق المعرفة ، وتساءلت هل تعرفه الآن جيداً .

قال لها معتزلاً : " أنا آسف على التأخير يا كاثي ، لكن القاعدة الجوية كانت فى حالة من الفوضى اليوم ، وكان هناك هرج ومرج " ، ثم جلس ، وطلب مشروباً مثلجاً .

كانت كاثرين تصرخ داخلها : " أخبرنى بمفاجأتك ، وبماذا ستحتفل " ، لكنها لم تقل شيئاً . كان هناك مثل مجرى قديم يقول :

" الحمقى فقط يستعجلون الأخبار السيئة . " ربما لم يكن المثل مجرباً بل كان مثلاً خاصاً بـ " كاثرين دوجلاس " ليمهد لها الكارثة ويحميها من الصدمة . ربما شعرت بأن حدسها سيصدق ، وأحسّت أن الهواجس صحيحة . لكن وجه لارى كان مفعماً بالحب . شعرت أنها على خطأ فيما تفكر فيه من هواجس ، فـ " لارى " لن يطبق السفر والبعد عنها ، مثلما لا يطبق البعد عنه . من تعبيرات وجهه المبتهجة أحسّت أنه سيقول لها أخباراً سارة .

مال إليها وهو يبتسم للأطفال ، وتناول يدها بين يديه ، وقال : " لن تخمّنى ما حدث يا كاثرين ، فلقد تمّ صدور قرار بسفري " .
بدا الأمر وكأنه تمّ إسدال ستارة شفافة كالغلالة الرقيقة على عينيها ، وبدأت كل الدنيا من حولها غير حقيقية . كان لارى جالساً أمامها ، وتتحرك شفاهه لكنها لا تسمعه ، وبدا لها كل شيء مشوشاً ، شعرت بالدوار ، وكأن حوائط المطعم تتحرك وتبتعد ، فانبهرت بذلك المشهد الخيالي .

هز لارى ذراعها وقال : " كاثرين " . عاد إليها تركيزها ببطء ، وعادت كل الأشياء حولها لطبيعتها " هل أنت بخير ؟ " .
أومأت وازدردت لعابها ، وقالت باضطراب : " نعم ، الأخبار السارة تفعل بى هكذا دوماً " .

" أنت تتفهمين أننى مضطرب للسفر . أليس كذلك ؟ " " نعم " قالت لنفسها : " الحقيقة إننى لم أفهم حتى لو كان عمرى ألف عام ، لكنى إذا قلت لك ذلك يا عزيزى فستكرهنى ، لا أحد يحب الزوجة اللحوحة النكدية ، فيجب على زوجات الأبطال توديعهم بابتسامة " .

كان يراقبها وشعر بالقلق ، وقال : " أتبكين ؟ " .
قالت بحرقة مشوبة بالغضب : " كلا " . لكنها اندهشت ؛ لأنها وجدت نفسها تبكى حقاً : " إننى فقط أعتاد على فكرة سفرك " .
قال لارى : " سأكون قائد فرقة بأكملها " .

قالت مفتعلة الإحساس بالفخر : " أحقاً " . قالت لنفسها : " سيكون له فرقة خاصة به . كان لديه - عندما كان صغيراً - مجموعة قطارات للعب بها ، ثم طائرات لعبة ، لكنها لم تكن كالفرق الحربية التى ستؤدى به للموت " . قالت له : أود احتساء شراب آخر " .
" بكل تأكيد يا عزيزتى " .

" متى سوف تسافر ؟ "

" بداية الشهر القادم " .

قالها بحماس وكأنه متلهف على الرحيل . كان شعوراً مرعباً لها ، وكأن نسيج زواجها يتمزق كالحرير الخفيف . تذكرت الأغنية الرومانسية لـ " كول بورتر " التى يقول فيها : " رحلة إلى القصر على غلالة من الحرير " . وشعرت بالسخرية المزوجة بالألم .

قال لها : " سيتاح لنا وقت كاف قبل رحيلى " .

قالت لنفسها : " وقت كاف لأى شيء " . ثم أحسّت بمرارة وهى تتساءل : " وقت كاف لتربية وتكوين أسرة ، والعيش معاً حتى نكبر ونصير عجائز ؟ " .

" ماذا تقترحين لقضاء الليلة ؟ " .

قالت لنفسها : " أتمنى أن نذهب للمستشفى لكى نقطع أحد أصابع قدمك أو نثقب طيلة أذنك لكيلا تذهب للحرب " . لكنها قالت له : " لنذهب للمنزل " وكان فى صوتها نبرة حادة تدل على الإلحاح والرغبة اليائسة .

مضى الشهر سريعاً ، وكان الوقت يمضى مهولاً ، وكأنه حلم مزعج فى روايات كافكا المفزعة ، وكانت الساعات تمر كالدقائق ، وفجأة جاء يوم لارى الأخير معها . أوصلته كاثرين للمطار وكان مرحاً ويثرثر كثيراً بينما كانت تخيم عليها سحابة حزن وبؤس . الدقائق القليلة الأخيرة كانت إجراءات المطار ، ودخل لارى الطائرة التى ستأخذه بعيداً عنها . ودعته بتحريك يدها ، ووقفت تشاهد الطائرة تتضاءل فى

السماء إلى أن اختفت . وقفت ساعة في مكانها ثم أدركت أن الليل خيم على المدينة ، فعادت لمنزلها الخاوي الآن .

شنت أمريكا على اليابان عشر معارك جوية وبحرية خلال العام الذي تلا موقعة بيرل هاربور . فاز الحلفاء بثلاث معارك ولكن كانت هناك معركة حاسمتان : ميدواي وجوارد الكنال .

كانت كاثرين تتابع الأخبار في شغف ولهفة ، وتتابع الحرب والمعارك ، وكانت تطلب المزيد من التفاصيل من ويليام فريزر . كانت تكتب خطاباً إلى لاري يومياً ، لكن مرت ثمانية أسابيع ثم تلقت أول خطاب منه . كان خطابه مفعماً بالحماس والتفاؤل ؛ لكنه كان مختصراً ، ولم يكن لديها فكرة عما يفعله ، لكنه كان من الواضح أنه يستمتع بحياته . ظلت كاثرين ليالى وساعات طويلة مستلقية على الفراش في حيرة تفكر في سر استمعاة ، وتجاربه مع تحديات الحرب والموت . لم يكن بالطبع يتمنى الموت ، لأنه كان مفعماً بالحياة أكثر من أى شخص عرفته في حياتها ، ربما هذا هو الوجه الآخر للعملة مما يجعل إحساسه بالحياة رائعاً ، وحاد عن طريقها اقترابه المستمر من الموت .

تناولت الغداء ذات يوم مع ويليام فريزر ، وعرفت كاثرين أنه حاول الالتحاق بالجيش ؛ لكن الحكومة فضلت بقاءه في منصبه للصالح العام للبلاد ، وكان محبطاً ويشعر بالمرارة ؛ لكنه لم يخبر كاثرين بهذا . أثناء جلوسهما للغداء معاً قال لها :

" أليدك أخبار عن لاري ؟ "

" جاءنى خطاب منه الأسبوع الماضى "

" ماذا يقول فيه ؟ "

" وفقاً للخطاب ، فالحرب بالنسبة له كاللعبة ، وقد خسرنا أولى المناورات ؛ لكننا نفوز بالأرض وبثبات سوف نتصر "

أوماً برأسه وقال : " هذا هو لارى " .

قالت بهدوء : " لكن الحرب ليست كما قال . فهي ليست لعبة ، بل إن ملايين الناس ستموت قبل نهاية الحرب " .

قال لها بركة : " إذا كنت فى غمار الحرب سيكون من الأسهل اعتبارها لعبة يا كاثرين " .

قررت كاثرين العودة للعمل ، كانت تريد التطوع للخدمات النسائية للجيش ، لكنها فضلت القيام بشئ مفيد ، بدلا من قيادة السيارات والرد على الهاتف .

قالت لـ " فريزر " : " أريد العودة للعمل يا بيل ؛ لكى أساعد المجتمع فى حالة الحرب " .

تقرس فى وجهها للحظة ، وقال : " لدى شئ مناسب لك ، فالحكومة تريد بيع السندات لصالح الحرب . هلا ساعدت فى تنسيق هذا الأمر ؟ "

بعد أسبوعين نظمت كاثرين بيع السندات من خلال المشاهير . كان الأمر يبدو سخيلاً ، لكن تنفيذه مثير ؛ لأن النجوم كانوا كالأطفال المتحمسين للمساعدة فى المجهود الحربى ؛ ولكن كان من الصعب تحديد موعد مع كل منهم ، حيث كانت أجنده عمل كل منهم مختلفة ، وتتضارب مواعيد تصوير الأفلام ، ولم يكن ذلك خطأ من جانبهم . ظلت كاثرين تنتقل ما بين هوليوود وواشنطن ، واعتادت على السفر المفاجئ بإعداد حقيبة تكفى لقضاء الليلة فى كل رحلة ، وقابلت عشرات المشاهير .

ذات مرة قالت لها السكرتيرة عندما عادت من هوليوود : " هل قابلت الممثل كارى جرانت حقاً ؟ "

" تناولنا الغداء معاً " .

" هل كان ساحراً ووسيماً حقاً كما يقولون ؟ "

" يمكنه أن يصبح أغنى رجل فى العالم إن أراد ذلك " .

حدث كل شيء بالتدريج ، ولم تدرك كاثرين أنه قد مر ستة أشهر ، وكان فريزر قد طلب منها حل مشكلة حسابات شركة الإعلان المملوكة لـ " والاس تيرنر " ، فقادت حملة إعلانية بطريقة مرحة وجذابة أسعدت العميل ، بالتالي طلب فريزر منها المساعدة فى مشكلة مشابهة ، لكنها أدركت أنها تضيق أكثر من نصف وقتها فى وكالات الإعلان ، وكانت مسئولة عن حسابات ست شركات كلها ذات أحوال جيدة ، وكان فريزر يعطيها راتباً كبيراً ، ونسبة من الأرباح . فى أحد الأيام قبل أعياد الميلاد جاء فريزر إلى مكتبها ، وكان كل الموظفين قد انصرفوا ، وكانت كاثرين تنهى عملها .

قال لها : " هل تستمتعين بوقتك ؟ "

قالت مبتسمة : " إنه كسب القوت ، وخاصة مع الراتب الضخم ، شكراً لك يا بيل . "

" لا تشكرينى ، فلقد عملت بجهد واجتهاد مقابل كل تلك الأموال - وأكثر ، وأريد أن أعرض عليك أن تكونى شريكى فى الشركة " .
" تعرض على الشراكة ؟ " وكان على وجهها نظرات الدهشة
" نعم ، لقد ربحتنا كثيراً بسببك خلال الشهور الستة السابقة . " ثم نظر إليها وهو يفكر ملياً ، ولم يقل كلمة أخرى ، وفهمت مكانتها لديه .

قالت له : " أوافق على الشراكة " .

هدأ وجهه ، وقال لها : " ليس لديك فكرة كم أنا سعيد الآن " .
" وأنا كذلك " .

" لكنك تعلمين أننى أحبك " .

" وأنا أيضاً أحبك " . قالت لنفسها : " يؤكد علم الدلالة أن الفرق كبير جداً بين أحبك وأنا واقعة فى غرامك " .

ابتسم فريزر وقال : " أعدك بألا أضايقك ، فأنا أحترم ما بينك وبين لارى " .

قالت له بتردد : " شكراً لك يا بيل ، لا أعرف إذا كان هذا سيساعدك على رفع معنوياتك ، أم لا ؛ لكن لو لم يكن هناك أحد فى حياتى لصرت أنت حبيبى " .

قال مبتسماً : " هذا يكفينى ، وسيجعلنى مستيقظاً طوال الليل " .

كانت تكافئه بابتسامة أو لقاء دون أن يطلب . كلما نظرت نويل لرجل آخر كان يشعر بغيرة شديدة ؛ لكنه كان أذكى من أن يتحدث معها فى الأمر . لكن فى إحدى الليالى بعد أن قضت وقت الحفل كله فى التحدث مع طبيب شهير كان غاضباً منها ، واستمعت للومه وتقريعه ، ثم قالت بهدوء : " إذا كان حديثى مع الرجال الآخرين يضايقك يا أرمان فسأجمع أشياء الليلة ، وأختفى من حياتك " . منذ ذلك الحين لم يفتح هذا الموضوع مرة أخرى .

فى بداية شهر فبراير افتتحت نويل صالوناً خاصاً بها لاستقبال المشاهير فى مختلف المجالات . بدأ الأمر بغداء بسيط مع بعض الأصدقاء من المسرح ، لكن خبر إقامة الصالون انتشر وازداد عدد الضيوف ليشمل رجال السياسة والعلماء والأدباء - وأى شخص تعتقد الجماعة أنه مثير أو مسل . كانت نويل هى سيدة الصالون ، ومن أهم ما يجذب الناس له . كان الجميع متحمساً للتحدث معها ؛ لأنها تطرح أسئلة ذكية وتنتظر الإجابات . تعلمت السياسة على أيدى السياسيين ، وعرفت كذلك عن عالم الأموال من أصحاب البنوك ، وعلمها خبير فنى كل شيء عن الفن ، وبالتالي تعرفت سريعاً على كل فنانى فرنسا المعاصرين ، وكذلك تعلمت فنون المعمار . كان لديها بذلك أفضل معلمين فى العالم ، وكان لديهم بدورهم أجمل طالبة ، وكان عقلها سريع الاستيعاب ، وكانت مستمعة ذكية ولبقة .

كان جوتيبه يشعر وكأنها أميرة متوجة تتحدث مع وزرائها ، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذى توصل إليه عن شخصيتها الحقيقية ؛ لكنه لم يعلم ذلك .

نويل

باريس ١٩٤٤

١٠

كف جوتيبه عن التلميح ، بموضوع الزواج بـ " نويل " ، فى البداية شعر أنه أفضل منها اجتماعياً ولكن الوضع معكوس الآن . عندما كانا يتحدثان فى المؤتمرات الصحفية كانت معظم الأسئلة توجه لـ " نويل " ، وعندما كانا معاً فى أى مكان كانت هى ما ينجذب إليه الناس ، وكان يأتى بعدها فى بؤرة الاهتمام .

كانت رفيقة رائعة لـ " جوتيبه " ، وكانت تعمل على إرضائه ، خاصة أمام ضيوفه ، وتجعله أكثر الرجال المحسودين فى فرنسا ، ولكنه فى الواقع لم ينعم بالراحة قط ؛ لأنه لم يمتلكها أبداً ، ولن يحدث ذلك أبداً ، وسيأتى اليوم الذى ستختفى فيه نويل من حياته لتتبع أى نزوة ، وتذكر الأسبوع الذى اختفت فيه عنه وشعر بالحزن . على الرغم من غريزته وذكائه وخبراته مع النساء ؛ لكنه وقع فى حبها بجنون وكانت أهم شيء فى حياته ، وكان يسهر الليالى يخطط لمفاجآت ضخمة لكى يسعدها ، وعندما كانت تنجح خططه

بمرور الشهور شعر جوتييه بالأمان أكثر ، لأنه أحس أنها تقابل من يهملها ، لكنها فى الحقيقة لم تهتم بأحد .
هذا كان صحيحاً إلى أن قابلت نويل ديميريس .

* * *

كان كونستانتين ديميريس صاحب امبراطورية ضخمة ، ذات قوة وثغور أقوى من عدة دول . لم يكن لديه لقب أو منصب رسمى ، لكنه كان باستمرار يبيع ويشترى رؤساء الوزارات ورجال الدين فى الكنائس والسفراء والملوك . كان من أغنى ثلاثة رجال فى العالم . وكانت قوته أسطورية . كان يملك أكبر أسطول فى العالم لنقل البضائع وخطاً جويّاً خاصاً ، وجرائد وبنوكاً ومصانع ، ومناجم ذهب . كان كالأخطبوط الذى تمتد أذرعه فى كل مكان ، كما كان جزءاً لا يتجزأ من نسيج اقتصاد عدة دول .

كانت لديه أكبر مجموعة لوحات فنية فى العالم ، ولديه سرب من الطائرات الخاصة ، وعشرات الشقق والفيلات فى جميع أنحاء العالم . كان طوله أعلى من المتوسط ، وله صدر رشيق أسطوانى وكان عريض المنكبين ، أسمر البشرة ، ولديه أنف كبير وعينان بلون الزيتون اليونانى الأسود ، وكانتا تشعان ذكاءً . لم يهتم أبداً بالملابس ، ومع ذلك كان دائماً فى قائمة أفضل الرجال أناقة ، وكانت هناك شائعة تقول إنه يمتلك أكثر من ٥٠٠ بدلة . كان يجعل الملابس تفصل له أينما كان على يد أشهر مصممي الأزياء فى لندن وروما وباريس وغيرها من الدول .

كان حضوره جذاباً ، وكانت كل الجرائد والمجلات عبر أنحاء العالم تكتب دون توقف عنه وعن أنشطته فى مجال الأعمال والناحية الاجتماعية .

اكتشف رجال الصحافة أن أقواله ساخرة وتستحق نشرها فى الصحف . عندما سأله صحفى : هل الأصدقاء يساعدونه على النجاح

قال : " لكى تنجح فأنت بحاجة إلى الأصدقاء ، لكن لكى تنجح نجاحاً ساحقاً فأنت تحتاج لأعداء " .

عندما سأله أحد الصحفيين عن عدد موظفيه قال : " ليس لدى موظفون بل أتباع مخلصون ، فعندما يتعلق الأمر بكل هذا النفوذ والمال يتحول العمل لعبادة ، والمكاتب تصبح دور عبادة " .

كان كل الناس يعلمون أنه متزوج من ابنة عائلة يونانية عريقة تعمل فى مجال الصرافة ، وهى سيدة جميلة وأصيلة ، وأن ديميريس عندما يذهب فى اليخت الخاص به ، أو إلى جزيرته الخاصة نادراً ما يذهب إلى هناك بصحبة زوجته . بل كان يذهب بصحبة ممثلة جميلة أو راقصة باليه ، أو ما طاب له من نساء حسب حالته المزاجية . كانت مغامراته العاطفية أسطورية وبها تفاصيل مثيرة مثل مغامراته التجارية . لقد رافق عشرات من ممثلات السينما وزوجات أعز أصدقائه . وروائية تبلغ من العمر ١٥ عاماً ، والأرامل اللاتي فقدن أزواجهن حديثاً .

تم تأليف عشرة كتب عن ديميريس ، ولكن لم يتوصل أى كتاب منها لأصله وروحه أو سر نجاحه . كان ديميريس من أهم الشخصيات العامة فى العالم ، لكنه كان يحب الخصوصية ، وكان يستغل صورته الذهنية لدى الناس كستار ليخفى شخصيته الحقيقية ، وكان لديه عشرات الأصدقاء من كل مجال فى الحياة ، لكن لم يعرف شخصيته الحقيقية أحد . مجرد حقائق عن حياته السابقة هى المعروفة للتاريخ والزمن . كان قد بدأ حياته فى مدينة بيرايوس ، وكان ابناً لحمال فى الميناء فى أسرة بها أربعة عشر أخاً وأختاً ، ولم يكن هناك طعام يكفى كل هذا العدد ، ومن أراد المزيد فعليه النضال من أجله . كان ديميريس لا يشبع أبداً وطوال الوقت يطلب المزيد من كل شيء ، ويسعى ويقاتل من أجل ذلك .

حتى فى طفولته كان عقله يحول أى شيء تلقائياً إلى رياضيات . كان يعرف عدد السلال فى مبنى البارثينون الأثرى ، وعدد الدقائق

التي يتطلبها السير إلى المدرسة ، وعدد المراكب والقوارب في الميناء في اليوم وكان الوقت بالنسبة له عبارة عن عدد مجزأ إلى قطع ، ولقد تعلم عدم إهدار الوقت . بالتالي تعلم تحقيق أكبر كم في أقل وقت . كان حسه التنظيمي غريزياً بالفطرة ، وكان لديه موهبة تعمل بشكل تلقائي حتى في أقل شيء يفعلُه وكان كل شيء بالنسبة له لعبة يقوم فيها بمقارنة ذكائه بما لدى الآخرين من حوله .

كان ديميريس يدرك أنه أذكى ممن حوله من الرجال ، لكنه لم يكن مغروراً . عندما ترغب فيه امرأة لم يكن يمدح نفسه ويقول إن ذلك بسبب شكله أو شخصيته ، لكنه لم يكن يسمح لذلك بأن يزعجه . فالعالم بالنسبة له عبارة عن سوق كبيرة ، والناس به إما يشترون أو بائعون ، وكان يعلم أن بعض النساء يردن ماله ، والأخريات يردن قوته ، وقليل جداً منهن يردن عقله وخياله .

كان كل من يقابله يطلب منه خدمة : تبرعاً لعمل خيري ، أو تمويلاً لمشروع أو بسط نفوذ وقوة عن طريق الأصدقاء والعارف . كان يستمتع بالتحدى ، كما كان يعرف غرض كل من حوله من الناس ، لأنه نادراً ما يكون الغرض الحقيقي معلناً عنه في الظاهر . كان عقله التحليلي يشك في الحقيقة السطحية ، وبالتالي لم يكن يصدق ما يسمعه ، ولا يثق في أحد .

الصحفيون الذين أرقوا حياته سُمح لهم فقط برؤية لطفه وكرمه وشخصيته كرجل مهذب ومحنك وخبير في أحوال الدنيا . لم يشك أحدهم للحظة أن هذا الستار يخفي شخصية قاتل ومحارب من محاربي الشوارع الذي يضرب ويصيب في مقتل دائماً .

في اللغة اليونانية كلمة " العدل " تترادف مع كلمة " الانتقام " ، وكان مقتوناً بهاتين الكلمتين . كان يتذكر كل إهانة تعرض لها ، وكان يعاقب الذين أساءوا إليه واستجلبوا عداوته بما يوازي مساوئهم بمئات المرات . ولكنهم لم يعلموا أبداً مَنْ كان وراء ذلك ، لأن عقله الرياضي

كان يخطط للانتقام كلعبية ، ويضع خططاً كبيرة ، وأفخاخاً للإيقاع بالضحايا وتدميرهم .

عندما كان يبلغ من العمر ١٦ عاماً بدأ أول عمل له مع رجل يكبره سنّاً يسمى " سبيروس نيكولاس " ، وكان ذلك في متجر صغير لبيع الوجبات الساخنة للبحارة والعمال في الميناء في نوبة العمل الليلية ، وكانا قد اتفقا على اقتسام الأرباح بالتساوي ، لكن عندما نجح المشروع أجبر نيكولاس ديميريس على الانسحاب من المشروع ، وسرق حقه في الأرباح . تقبل ديميريس نصيبه وقدره دونما اعتراض ، وخاض مشروعات أخرى .

مرت عشرون عاماً ، ونجح نيكولاس ، وصار غنياً ، وعمل في مجال تعبئة اللحوم ، وتزوج وأنجب ثلاثة أطفال ، وصار من أشهر رجال اليونان ، انتظر ديميريس بصبر حتى يبنى نيكولاس مملكته التجارية الصغيرة ، وعندما وصل نيكولاس لقمة النجاح والسعادة انتقم منه ديميريس .

كان نيكولاس يفكر في شراء مزارع حيوانات لتوفير اللحم ، وفتح سلسلة محلات للبيع بالتجزئة ، وذلك لأن عمله صار مزدهراً وناجحاً ، ولكن ذلك كان يلزمه الكثير من المال . كان ديميريس يمتلك البنك الذي يتعامل معه نيكولاس ، والبنك شجعه على الاقتراض مع خفض نسبة الفائدة ، وقدم له عرضاً مغرياً لا يمكن رفضه . ثم طلب البنك فجأة قيمة القرض فاعترض الرجل لأنه ليس معه سيولة ، فبدأ البنك في إجراءات الحجز على ممتلكاته . نشرت الصحف التي يملكها ديميريس الخبر بشكل لافت للأنظار ، وبالتالي طالب المقرضون الآخرون نيكولاس بأموالهم . فحاول الاقتراض من البنوك الأخرى لكن لأسباب مجهولة رفض الجميع مساعدته ، فانتحر يوم إشهار إفلاسه .

كان إحساس ديميريس بالعدل سلاحاً ذا حدين : فمثلما لا ينسى أو يغفر الإساءة ، لم يكن أيضاً ينسى المعروف . عندما كان شاباً عظفت

حدد ديميريس موعداً للانتقام من هذا المصرفى السويسرى ، ووجد نقطة ضعفه فى طمعه وجشعه . وقام ديميريس بإجراء مفاوضات لشراء آبار بترول اكتشفت حديثاً ، وكان يريد شراء سندات تلك الآبار التى ستدر أرباحاً تقدر بمئات الملايين من الدولارات لشركة ديميريس .

كلف أحد عملائه لتسريب الخبر للمصرفى السويسرى عن الصفقة التى كانت على وشك أن تتم ، فتلقى الرجل عرضاً للمشاركة بنسبة ٢٥٪ فى الشركة الجديدة إذا اشترى أسهماً بحوالى خمسة ملايين دولار . كان يعلم أنه سيربح ٥٠ مليون دولار من تلك الصفقة . وتحقق الرجل من صحة العرض وجديته ، ثم وافق ، لكنه لم يملك المال اللازم ، فاختلس من أموال البنك دون أن يخبر أحداً ، لأنه لا يريد أن يشاركه أحد حظه السريع من المكسب . واعتقد أنه إذا قام بشراء الأسهم ، ففى خلال أسبوع سيجنى المكسب السريع ، ويعيد المال الذى اختلسه .

عندما حصل ديميريس على الشيك الموقع عليه المصرفى السويسرى أعلن فى جرائده أن الصفقة مع الأمير السعودى قد أقيمت ، فانهارت البورصة ولم يتمكن المصرفى من تعويض خسارته ، فتم اكتشاف الاختلاس ، واشترى ديميريس الأسهم من الرجل بسعر بخس ، ثم استمر فى المفاوضات حول آبار البترول فارتفعت الأسعار فى أسهم البورصة التى انتعشت . وتم إثبات تهمة الاختلاس على الرجل ، وحكم عليه بالسجن ٢٠ عاماً .

لا يزال هناك رجال لم يصف ديميريس حسابهم معهم بعد ، لكنه لم يكن متعجباً ، فقد كان يستمتع بالترقب والتخطيط ثم التنفيذ . كان الأمر بالنسبة له يشبه لعبة الشطرنج ، وكان ماهراً فيها للغاية . لكنه حالياً لم يعد يكون العداءات ، لأنه لا يوجد من يجرؤ على استجلاب عدواته ، ولذلك كان انتقامه يحل بمن آذوه فى شبابه فى الماضى .

عليه سيدة وأطعمته ، وكسته عندما كان لا يملك المال ، وفجأة وجدت نفسها تملك عقاراً سكنياً دون أن تعرف من هو المحسن الكبير الذى منحها إياه . ومنح فيلاً ومرتباً سنوياً مدى الحياة لفتاة أقام معها علاقة حميمة عندما كان ممدماً ، ومن تعامل معه طوال الأربعين عاماً الماضية عندما كان شاباً لم يعرف أن مجرد العلاقة الجيدة العابرة معه ستؤثر على حياته ، وقد طلب المساعدة وهو شاب من أصحاب البنوك والمحامين وقائدى السفن والنقابات والساسة ورجال المال ، فساعده وشجعه البعض ، وغشه وتخلى عنه البعض الآخر ، وظل يحفظ فى ذاكرته سجلاً لا يمضى لكل تعامل قام به مع الناس حتى اتهمته زوجته بالانتقم .

قال لها : " الكل ينتقم ولكن البعض يروق له ذلك ، والبعض الآخر لا " .

" لكن من الخطأ أن تدمر حياة الناس يا كوستا " .

" ليس خطأ ، إنه العدل " .

" بل الانتقام " .

" كلاهما نفس الشيء ، معظم الناس يقلتون من العقاب على ما اقترفوه من آثام ، وأنا فى وضع يسمح لى بعقابهم ، وهذا هو العدل " .

كان يستمتع بالساعات التى يقضيها فى التخطيط للأفخاخ التى يعدها لأعدائه . كان يدرس كل ضحاياه بحرص ، ويحلل شخصياتهم ونقاط قوتهم وضعفهم .

عندما كان يمتلك ثلاث سفن شحن ، وأراد توسيع أسطوله ، ذهب إلى صاحب بنك سويسرى فى مدينة " بازل " ، لكنه رفض مساعدته وحرص أصدقاؤه من أصحاب البنوك على رفض طلبه بالاقتراض . فى النهاية تمكن ديميريس من الاقتراض من تركيا .

هذا إذن هو الرجل الذى ظهر فى صالون نويل حيث كان يقضى بضع ساعات فى باريس فى طريقه إلى القاهرة ، واقترحت رفيقته الحالية والتي كانت تعمل فى مجال النحت أن يذهبا لصالون نويل الأدبي . ومنذ أن رأى ديميريس نويل رغب فيها بشدة .

لم تكن الملكية متاحة لابنة الصياد التي جاءت من مارسيليا ، لكن ديميريس كان أقرب لكونه ملكاً متوجاً ، وبعد أن قابلته فى الصالون مرت ثلاثة أيام ، ثم تركت المسرحية التي تمثلها دون سابق إنذار ، وأعدت حقائبها لكي تلحق بـ " ديميريس " فى اليونان .

بسبب شهرة كل منهما ومكانته فى المجتمع ، لم يكن هناك مفر من أن أخبار العلاقة بينهما ستصبح أهم قضايا المشاهير فى الصحف العالمية ، وكان الصحفيون والمصورون يحاولون طوال الوقت إجراء حوار مع زوجة ديميريس ، لكنها لم تظهر لهم أبداً أنها فقدت رباطة جأشها . كان تعليقها الوحيد أن زوجها لديه أصدقاء كثيرون حول العالم ، ولا ترى غضاضة فى ذلك . لكن فى حياتها الخاصة ما كانت تقوله لأبويها الغاضبين أن كوستا كانت له علاقات متعددة بالنساء من قبل ، وسرعان ما سيميل من عشيقته الجديدة مثل سابقتها . كان زوجها يخرج فى مهام عمل تستغرق أياماً طويلة ، وكانت ترى فى الجرائد صوراً له مع نويل فى القسطنطينية أو طوكيو أو روما . كانت ميلينا امرأة ذات كبرياء ، لكنها قررت أن تتحمل هذه الإهانة ، لأنها تحبه حقاً . وتقبلت حقيقة أنه لسبب لا تفهمه يحتاج بعض الرجال لأكثر من امرأة ، فهناك رجال يحبون زوجاتهم ، لكنهم قد يعرفون سيدات أخريات أيضاً . كانت تفضل الموت على أن تخونه مع رجل آخر . لم تلق اللوم على زوجها أو تعاتبه ، لأنها تعرف أن هذا لن يفيد بشيء ، بل سيجعله يهجرها ، وبذلك كان زواجها مستقراً ، لكنها لو علمت كم يستمتع زوجها مع نويل لأصبحت تعدة .

كان أهم ما يجذب ديميريس لـ " نويل " - وهو الخبير فى النساء ولا يفاجئه شيء فيهن - هو أنها تحمل له مفاجآت كثيرة طوال الوقت ، فهو مولع بالألغاز ، وكانت بالنسبة له لغزاً كبيراً يحاول حله ، لكنه لم يتمكن بعد ، كان الأمر بالنسبة له بمثابة تحد . ولم يقابل أحداً مثلها من قبل ، كانت تقبل هداياه الجميلة ، لكنها كانت تصبح سعيدة بالضبط مثل مقدار سعادتها عندما لا يعطيها شيئاً . اشترى لها فيلا على البحر فى خليج " حدوة الحصان " فى اليونان ، لكنه وجد أنها لا تكثر ، وكانت سعادتها ستساوى حتى إذا أوجد لها شقة فى الحى القديم فى أثينا .

قابل ديميريس العديد من النساء فى حياته ، ممن قمن باستغلال العلاقة لغرض ما ، لكن نويل لم تطلب منه أى شيء . كان النساء يردن منه الشهرة والمال ، لكن نويل كانت هى من يهرع إليها الصحفيون والمصورون فلقد كانت نجمة لامعة . ثم أخذ ديميريس يفكر فى احتمال أنها قد وقعت فى حبه ، لكنه كان أميناً مع نفسه ، ولم يصدق الوهم . فى البداية كان التحدى هو الوصول لعق شخصية نويل لكي يقمعها ويخضعها لإرادته ، فحاول ديميريس إخضاعها عاطفياً أولاً ، لكنها كانت تعامله معاملة الدد بالند ، وكأنها كفاء له ، وكانت تجيد الطهى مثل أحسن طاه لديه يقبض راتباً ضخماً ، وتعرف الكثير جداً عن الفن مثل رعاية الفن الذين يستأجر خدماتهم لشراء اللوحات وأعمال النحت له . كان يستمتع بمناقشة نويل معهم فى أمور الفن ، وكانت تدهشهم بعمق معرفتها فى مجال الفن .

كان ديميريس قد اشترى مؤخراً لوحة للفنان رامبرانت ، وكانت نويل متواجدة فى جزيرة ديميريس الصيفية عند وصول اللوحة ، وكان أحد رعاية الفن المجاورين هو من اشترى له اللوحة ، وقال وهو يمزح عنها الستار : " إنها من أروع إبداعات الفنان العظيم " .

كانت لوحة رائعة لأم وابنتها . كانت نويل جالسة على مقعد تحتسى المشروب ، وتشاهد في صمت ما يحدث .

قال ديميريس موافقاً : " إنها جميلة " ثم التفت لـ " نويل " قائلاً : " ما رأيك ؟ "

قالت : " إنها جميلة حقاً " ثم قالت للرجل : " من أين أحضرتها ؟ "

قال بفخر : " تفاوضت مع تاجر تحف في بروكسل ، وأقنعته ببيعها لي . "

قالت نويل : " كم دفعت فيها ؟ "

" مائتين وخمسين ألف جنيه إسترليني "

قال ديميريس : " إنها صفقة رابحة . "

التقطت نويل سيجاراً ، فهرع الرجل لكي يشعله لها ، فشكرته نويل ونظرت إلى ديميريس قائلة : " ستكون صفقة رابحة حقاً يا كوستا إذا اشتريتها ممن يملكها حقاً . "

قال ديميريس : " لا أفهم مقصدك . "

نظر إليها الرجل باستغراب .

قالت موضحة : " إذا كانت اللوحة أصلية ، فلقد جاءت من منطقة توليد في أسبانيا " ، ثم التفتت للرجل قائلة : " أليس كذلك ؟ "

تحول وجهه للون الأبيض من الخوف والارتباك ، وقال : " ليس لدى فكرة ، فالتاجر لم يخبرني . "

قالت له بلوم : " لا تكذب ، هل تعنى أنك اشتريتها دون التحقق من مصدرها وموطنها ؟ من الصعب تصديق ذلك . لقد تحدد سعرها في بلدنا . وهو ١٧٥ ألف جنيه إسترليني ، وأردت خداع ديميريس بقارق

٧٥ ألفاً ! "

اتضح أنها محقة ، وتم القبض على الرجل ومعه تاجر التحف بتهمة النصب ، ودخلا السجن ، وأعاد ديميريس اللوحة . لاحقاً تأمل ديميريس ما حدث ، فلم تدهشه معلومات نويل عن الفن ، بل دهشته أمانتها . فلو أرادت لاقتز الرجل ، وهددته مقابل الحصول على ٥٠٪ من المبلغ ، ولكن بدلاً من ذلك كشفت أمر الرجل أمامه بدون أن يكون لديها دافع أو غرض داخلي . اشترى لها عقداً من الزمرد تقديراً لها ، ولكنها تقبلته ، وكأنها تقبل ولاعة هدية . كان يصر على أن تصطحبه في كل مكان . لم يكن يثق في أحد في العمل . لذلك كان يتخذ قراراته بنفسه ، لكنه وجد أنه من المفيد مناقشة نويل في الصفقات التجارية . كان يجد في معلوماتها في مجال الأعمال والتحدث معها ، مساعدة على اتخاذ القرارات بسهولة . لاحقاً أصبحت نويل تعرف عن أعماله الكثير ، أكثر من أى شخص باستثناء محاميه ومحاسبه . فيما مضى كان لدى ديميريس عدة رفيقات في آن واحد ، ولكن الآن تشبع نويل كل رغباته ، ولذلك هجرهن واحدة تلو الأخرى ولكنهن تقبلن ذلك دون أن يشعرن بمرارة ، لأنه كان كريماً معهن ، ومازال يصرف عليهن ، ويغطي نفقاتهن .

كان لدى ديميريس يخت فخم طوله ١٣٥ قدماً ، وله أربعة محركات ديزل ، وكان يحمل طائرة وطاقماً به ٢٤ يচারاً وقاربين سريعين وحمام سياحة به ماء منعش ، واثنى عشر جناحاً للضيوف ذات أثاث فخم وجناح كبير خاص به مليء بالتحف واللوحات . عندما كان يذهب لليخت كانت نويل هي التي تقوم باستقبال ضيوفه ، وكان يصطحبها في جزيرته الخاصة عند السفر لها بحراً أو جواً ، بينما تظل ميلينا في المنزل . كان حريصاً على عدم تواجد زوجته ونويل في مكان واحد ، لكنه كان يعلم أن زوجته على علم بهذه العلاقة .

كانت نويل تتلقى معاملة كالملوك أينما ذهبت ، لكنها اعتبرت هذا من حقها ، فمغذ نعمة أظافرها وهي تعاون أباه في مرسيليا ، والآن

أصبحت الأساطيل الكبرى فى العالم طوع أمherا . لم تكن نويل منبهرة بثروة أو سمعة ديميريس ، بل بذكائه وقوته . كان له عقل وإرادة عملاقة ، وكانت المقارنة بينه وبين الرجال الآخرين ظالمة لهم ؛ لأنها تجعلهم يبدوون جيئاء . شعرت بالقسوة يداخله التى لا تخطئها العين ، وهذا ما جعله مثيراً بالنسبة لها ؛ لأنها أيضاً قاسية القلب .

لم تكثر نويل للعروض التى تلقتها للتمثيل فى المسرح والسينما ؛ كانت تلعب أهم دور بطولة فى قصة حياتها ، وكان هذا أكثر إثارة من أى قصة لأى مؤلف بارع . كانت تتناول العشاء مع رؤساء وزارات وملوك وسفراء ، وكانوا يخاطبون ودها لكى تتوسط لهم عند ديميريس الذى كان يطيعها ويلبى طلباتها . كانوا يلمحون بحاجاتهم ، ثم يعدونها بالعالم كله لقاء مساعدتها لهم .

لكنها كانت تملك العالم بالفعل . كانت تجلس مع ديميريس ، وتخبره بكل ما يحتاجه كل واحد منهم ، وكان ديميريس يعرف من تلك المعلومات نقاط قوتهم وضعفهم ، مما يمكنه من الضغط عليهم لمصلحه ولأرباحه التى تتدفق لخزائنه المثلثة .

كانت من أهم مصادر سعادة ديميريس جزيرته الخاصة ، والتى قد اشتراها وهى أرض جدها فحولها لجنة على الأرض . أنشأ فيها فيلا على قمة تل تأثير دهشة من يراها ، وكان يقيم بها كلما نزل إلى الجزيرة ، وكان بالجزيرة أيضاً اثنا عشر جناحاً للضيوف ، ومحمية طبيعية للصيد ، وبحيرة صناعية بها ماء صاف ومنعش ، وحديقة حيوان وميناء لرسو اليخت وممر لطائراته . كان بالجزيرة ثمانون خادماً وخادمة ، وحراس مسلحون لإبعاد الدخلاء . أعجبت نويل بعزلة الجزيرة ، وكانت تستمتع أكثر فى حالة عدم وجود الضيوف ، وكان ديميريس سعيداً ؛ لأنها تفضل أن تكون بمفردها معه . كان سيندهش لو علم أن ذهنها مشغول برجل واحد لا يعلم عن وجوده شيئاً .

كان لارى دوجلاس فى النصف الآخر من الكرة الأرضية يحارب فى المارك السرية فى الجزر السرية ، ولكنها كانت تعلم عنه أكثر مما تعرف عنه زوجته التى يرسلها بانتظام . كانت نويل تسافر إلى باريس بانتظام - كل شهر على الأقل - لتقابل كريستيان باربيه ، المخبر القصير الضعيف النظر الأصلح والذى كان لديه دائماً تقارير حديثة جاهزة لها . فى إحدى المرات عندما كانت فى باريس ، وأرادت العودة لليونان حدثت لها مشاكل فى جمارك المطار ، ولم يسمح لها بتجديد الفيزا ، وانتظرت خمس ساعات ، وفى النهاية سمحوا لها باستخدام الهاتف فأتصلت بـ " ديميريس " . بعد عشر دقائق من المكالمات هرع الضابط إليها معتذراً بشدة نيابة عن حكومته ، وأصدروا لها فيزا خاصة ، ولم يوقفها أحد بعد الآن كلما زارت باريس .

كان المخبر باربيه يتوق لزيارات نويل الشهرية ؛ لأنه يجنى منها أتعاباً ضخمة ، لكنه بأفنه المدرب شم رائحة أرباح أخرى أكبر فى الطريق . كان سعيداً بعلاقتها بـ " ديميريس " ، حيث شعر أنه سيستفيد منه مادياً . لكنه كان يجب أن يتأكد أن ديميريس لا يعلم شيئاً عن اهتمام نويل بـ " لارى دوجلاس " ، ثم عرف قيمة هذه المعلومة لدى ديميريس ، حيث إن ذلك يعنى أن نويل سوف تخرسه بالمزيد من النقود . كان على وشك أن يجنى أرباحاً طائلة إذا مارس لعبته بحرص . كانت المعلومات حول لارى مهمة جداً ودقيقة ؛ لأن باربيه كان يدفع جيداً لمصادره الخاصة لجمع المعلومات .

بينما كانت زوجة لارى تقرأ خطاب زوجها وهى لا تعرف مكانه ، كان باربيه يقول لـ " نويل " على مكانه بالضبط أثناء الحرب :
" إنه يطير مع المجموعة القتالية ١٤ وبها ٤٨ طائرة . " بينما كاثرين تقرأ فى الخطاب : " .. لا يمكننى تحديد مكانى فى المحيط الهادئ لسرية المعلومات يا حبيبتي ... " .

كما يقول بارييه لـ "نويل" : " إنه في منطقة تاراوا ، ومتجه إلى جوام ". وبينما تقرأ زوجته :

" أفقدك كثيراً يا كاثي ، الأمور معقدة هنا ، ولا يمكنني البسوح بالتفاصيل ؛ لكن لدينا طائرات رائعة للغاية ... "

" صديقك يقود طائرات من طراز ... "

" أنا سعيد لعملك في واشنطن لكي تشغلي وقتك . كوني مخلصاً لي وحدي يا حبيبتي ، كل شيء على ما يرام هنا ، ولديّ خبر سار سأخبرك به عند عودتي ... "

" تم منحه وسام آخر لشجاعته ، وتم ترقيته إلى رتبة كولونيل . "

عندما كانت تفكر كاثرين في زوجها كانت تدعو الله من أجل عودته سالماً لأرض الوطن . وكانت نويل تتابع خطوات لاري ، وتدعو الله أيضاً لعودته سالماً . وسرعان ما ستنتهي الحرب ويعود لاري دوجلاس للوطن ، ولكلنا المرأتين : كاثرين ونويل .

كاثرين

واشنطن : ١٩٤٥-١٩٤٦

١١

استسلمت ألمانيا أمام قوات الحلفاء دون شروط في مدينة الرايمز في فرنسا في السابع من مايو ١٩٤٥ ، وانتهى عهد الرايخ الثالث الذي كان من المعتقد أنه سيستمر ألف عام . إن من شهدوا الدمار الشامل في بيرل هاربور ومعركة دانكيرك لم يدخلوا التاريخ مثل من شهدوا معركة ووترلو في إنجلترا ، ومن كان في سلاح الطيران عرف أن دفاع لندن كان ضعيفاً أمام هجمات طيران الألمان . لكن كل هؤلاء الناس كانوا على علم بسلسلة المعجزات التي جلبت النصر للحلفاء - لقد انتصروا بصعوبة ويشق الأنفس . حيث كانت قوى الشر تبدو منتصرة في البداية ، وكانت الفكرة سخيفة ، وعلى عكس المعتقد السائد بأن الشر سينهزم أمام الخير والحق ، لكنهم أمام الناس شكروا الله ، وأخفوا كل جرائم الحرب من أمام عيون الأجيال القادمة في تلال من الملفات السرية للغاية .

تحول انتباه العالم إلى الشرق الأقصى وإلى اليابانيين قصار القامة ذوى النظر الضعيف والأجسام المضحكة ، حيث كانوا يستمتيتون فى الدفاع عن كل شبر من الأرض ، وكانت تبدو أنها حرب طويلة وعصيبة ومكلفة فى الأموال والأرواح .

لكن فى السادس من أغسطس تم إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وكان الدمار يفوق كل التوقعات . فى غضون دقائق مات معظم سكان المدينة . فقد تجاوز عدد الموتى عدد ضحايا الوباء والحروب فى العصور الوسطى .

فى التاسع من أغسطس وبعد ثلاثة أيام ألقى القنبلة الذرية الثانية على نجازاكي . كانت النتائج دماراً أكثر ، وقد وصلت المأساة لقمتهما عندما أبعد شعب بأكمله حيث مات ملايين من الناس فى ثوان معدودة . كان هذا أكبر مما تتحمله اليابان ، فاستسلمت بدون شروط فى الثانى من سبتمبر ١٩٤٥ ، وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية .

لمدة زمنية طويلة كانت الأخبار تتوالى تباعاً ، وحبس العالم أنفاسه ، ثم عم الهتاف من القلب بانتهاء الحرب وحل السلام . وامتألت شوارع القرى والمدن حول العالم بمسيرات للاحتفال بالسلام ، ونهاية الحروب إلى الأبد ...

فى اليوم التالى حدث ما لم تستطع كاترين تفسيره ، حيث تمكن بيل فريزر من الاتصال هاتفياً بـ " لارى " فى جزيرة ما فى جنوب المحيط الهادى ، وأراد تحضير هذه المفاجأة لـ " كاترين " . طلب منها الانتظار فى مكتبه لى يتناولوا الغداء معاً . فى الساعة الثانية والنصف ظهراً اتصلت كاترين عبر الهاتف الداخلى بـ " فريزر " .

قالت له : " متى سنناول طعامنا ؟ سرعان ما سيحين وقت العشاء . "

" ابق مكانك ، وسوف أحضر بعد دقيقة واحدة . "

بعد خمس دقائق قال لها عبر الجهاز : " يوجد مكالمة لك " .

التقطت كاترين السماعة وقالت : " نعم ؟ " وسمعت صوتاً كالأموج ، وكأن الصوت قادم من المحيط البعيد . كررت قائلة : " نعم ؟ " فسمعت رجلاً يقول : " هل أنت مدام دوجلاس ؟ " قالت : " نعم من معى ؟ " وشعرت بالفضول .

" لحظة واحدة من فضلك ؟ "

ثم سمعت صوتاً عالياً كالصيحة ، ثم صوت الأمواج ، ثم صوتاً يقول : " كاتى ؟ "

دق قلبها بعنف ، وقالت : " لارى ؟ لارى ؟ "

" نعم يا حبيبتي . "

بدأت تبكى من الذهول والمفاجأة ، وسرت رعشة فى جسدها : " آه لارى ! "

" كيف حالك يا حبيبتي ؟ "

قرصت ذراعها لى تشعر بالألم ، فتنوقف الهستيريا التى أصابتها فجأة ، ثم قالت : " إننى بخير ، أين أنت ؟ " إذا أخبرتك فسينقطع الخط ، أنا فى مكان ما فى المحيط الهادى . "

بدأت تتحكم فى صوتها ، وقالت :

" أنت قريب جداً ! هل أنت بخير يا حبيبى ؟ "

" نعم يا عزيزتى . "

" متى ستعود لأرض الوطن ؟ "

" فى أية لحظة غير متوقعة . "

اغرورقت عيناها بالدموع ، وقالت : " حسناً لنضبط ساعتنا على توقيت واحد . "

" أتبكين ؟ "

" بالطبع يا لارى ! "

" أفقدك يا محبيبتي . "

فكرت فى الليالى الطويلة الوحيدة التى قضتها عبر الأسابيع والشهور والأعوام الأربعة بدون حبه وبدون حضنه الدافئ وحمايته وحبه ، ثم قالت :
" وأنا أيضاً يا حبيبى . "

جاء صوت الرجل مرة أخرى على الخط قائلاً : " آسف يا سيدى الكولونيل . إننى مضطر لقطع الاتصال . "

" كولونيل ! "

" لم تخبرنى أنك ترقيت . "

" خفت عليك من الصدمة يا عزيزتى ... "

جاء صوت هدير موج المحيط ، ثم ساد الصمت وانقطع الاتصال . جلست كاثرين على مكتبها تحقق إلى الهاتف ، ثم أجهشت بالبكاء بعد أن أخفت وجهها بين ذراعيها .

جاء صوت فريزر بعد عشر دقائق على آلة الاتصال الداخلى :
" إننى جاهز للغداء يا كاثرين عندما تكونين جاهزة . "

قالت بمرح : " إننى جاهزة لأى شئ الآن ، بعد خمس دقائق . " ابتسمت لأن فريزر كلف نفسه العناء لإسعادها على هذا النحو . كان أحب الرجال إليها بعد لارى بالطبع .

تخيلت لحظات وصول لارى كثيراً لدرجة أن وصوله الفعلى بدا بلا إثارة . شرح لها فريزر أن لارى سيحضر فى طائرة عسكرية ، لكنها ليس لها مواعيد كالتطارات السياحية التى لا يمكن التكهّن بموعد وصولها ، فالتطارات العسكرية ليس لها مواعيد وأماكن أو اتجاهات ثابتة .

ظلت كاثرين فى المنزل طوال اليوم فى انتظار لارى ، وحاولت شغل وقتها بالقراءة ، لكنها كانت متوترة ، ولم تتمكن من القراءة ، فاستمعت للأخبار فى المذياع وفكرت فى عودته للوطن ، هذه المرة إلى الأبد . بحلول منتصف الليل لم يصل بعد ، فقالت إنه غالباً سوف

يصل غداً . وفى الثانية بعد منتصف الليل لم تتمكن من مواصلة الاستيقاظ طوال هذا الوقت ، فنامت على الفراش .

استيقظت عندما أحسّت بيد على ذراعها ، ففتحت عينيها ، ووجدت لارى واقفاً أمامها وينظر إليها ، ويبتسم بوجهه النحيل الذى لفحته الشمس ، وفى أقل من ثانية ارتثت فى أحضانها ، واختفى ألم ووحدة وعذاب وقلق الأعوام الأربعة الماضية فى تيار السعادة الذى ملأ كل ذرة فى كيانها . احتضنته بقوة لدرجة أنها خافت من أنها ستكسر عظامه . أرادت أن تظل فى حضنه إلى الأبد ولا تتركه أبداً .

قال لارى فى النهاية : " احترسى يا عزيزتى . " ثم تركها مبتسماً وقال : " سيكون خيراً مضحكاً فى الصحف : " احتضان طيار حتى الموت على يد زوجته فور عودته من الحرب . "

أنارت كاثرين كل أنوار الحجره لكى تتمكن من رؤيته وإشباع رغبتها الملحة فيه . صارت فى وجهه علامات النضج ، وكانت هناك تجاعيد بسيطة حول عينه وفمه لم تكن موجودة من قبل ، لكنه كان أوسم من ذى قبل .

قالت بلهفة : " أردت مقابلتك فى المطار ، لكن لم أعرف أين أو متى أنتظرك ، واتصلت بسلح الطيران فلم يعطونى أية معلومات ، فانتظرت هنا و ... "

قاطعها بابتسامة لطيفة قائلاً : " دعينا يا عزيزتى لا نطيل الحديث الآن " واستغرقا فى لحظات الشوق الدافئة .

بمباركة فريزر أخذت كاثرين إجازة لمدة شهر ، وقضت كل لحظة مع لارى . قامت بطهى الأصناف التى يفضلها ، وتحديثاً كثيراً ، واستمعا للأغاني ، وحاولا تعويض الفجوة الزمنية والأعوام الأربعة الضائعة . ليلاً كانا يذهبان للحفلات أو للمسرح ، وعند العودة للمنزل كانا يقضيان الليلة بين مشاعر الحب الدافئة .

لم ترغب حتى فى الاعتراف لنفسها بأن هناك تغييراً لا يمكن تحديده فى لارى . كان يطالب بالكثير ولا يعطى إلا القليل . كان عنيفاً جسدياً معها ؛ كأنه يحاول الانتقام من شيء ما ، أو يوقع العقاب على أحد . وكانت كاثرين تشعر أنها قد تلقت ضرباً مبرحاً ، وتشعر بالآلام وكأنها مجروحة . قالت لنفسها مدافعة عنه ، إنه ظل لمدة أربع سنوات بدون نساء .

بمرور الأيام ظلت تلاحظ التغييرات الأخرى التى لحقت بلارى . حاولت تقييمه دون عواطف مع نسيان أنه زوجها الذى تعشقه ، فرأت أمامها رجلاً طويلاً رشيماً شعره أسود ، وله عينان داكنتان ، ووجه جميل . كانت هناك تجاعيد حول فمه مما أضاف صرامة للملامحه . وكانت تشعر أنه غريب عنها . وأنه رجل أنانى بلا رحمة . لكنها أخبرت نفسها أنها تهول الأمور ، فهذا هو زوجها الحبيب العطوف الذى يراعى الآخرين .

كانت تقدمه بفخر لصديقاتها ولزميلاتهما فى العمل ؛ لكنه شعر بالملل منهن ، ففى الحفلات كان ينسحب لركن ويقضى ليلته فى الشراب . وكان يبدو لـ " كاثرين " أنه لم يعد اجتماعياً ، عندما ناقشته فى الأمر قال عن الحاضرين : " أين كان هؤلاء الرعاع ، وأنا أعرض نفسى للموت وللخطر فى الحرب ؟ "

تطرقست كاثرين عدة مرات بشكل غير مباشر لخطط لارى للمستقبل ، فاعتقدت أنه يريد أن يظل فى الجيش ؛ لكنه قام بتقديم استقالته بمجرد وصوله لأرض الوطن .

قال لها : " الجيش والعسكرية للحمقى فقط ، حيث لا نهاية للمرء سوى الموت . "

كانت تلك محاكاة هزلية لأول حوار دار بينها وبينه فى هوليوود ، لكنه كان يمزج حينها عندما قال نفس العبارة .

قررت كاثرين مناقشة الأمر مع بيل فريزر ، وأخبرته بكل ما يساورها من قلق ؛ لكنها لم تخبره بالتفاصيل الشخصية فى العلاقة الحميمة بينهما .

قال لها متعاطفاً : " إذا كان هذا سيعزبك قليلاً ، فهناك ملايين النساء يحدث لهن ما يحدث لك عند عودة أزواجهن من الحرب . الأمر بسيط يا كاثرين ، اعتبرى نفسك متزوجة من رجل غريب . "

نظرت إليه كاثرين ، ولم تقل له شيئاً . توقف فريزر لماء الغليون وإشعاله ، ثم أردف قائلاً : " لا تتوقعى استكمال ما كان عليه لارى فى الماضى . انتهى الماضى الآن ، ولم يعد له وجود . ما يجعل الزواج قوياً هو الخبرات المشتركة بين الزوج والزوجة ، حيث يكبران معاً وينمو زواجهما ، لكن لا تقلقى ، فسوف تجددين معه أموراً مشتركة لاحقاً . "

" أشعر أنني أخونه عندما أناقش الأمر يا بيل . "

ابتسم وقال : " عرفتك قبله ، ألا تذكرين ؟ "

" بل أذكر ذلك . "

" أنا متأكد من أن لارى يشعر بالتغيير أيضاً ، فلقد عاش مع ألف رجل لمدة ٤ سنوات ، والآن سيعتاد أن يعيش مع امرأة . "

ابتسمت وقالت : " أنت محق دائماً يا بيل . ربما كنت بحاجة لمن يقول لى ذلك بالفعل . "

قال لها : " لدينا جميعاً نصائح لعلاج الأوجاع والجروح ، لكن بعض الجروح لا تظهر لأنها عميقة " ثم نظر إلى وجهها ، وقال : " لا أعنى شيئاً خطيراً ؛ لكن أتحدث عن الأمور المروعة التى كان الجنود يشاهدونها فى القتال . لابد أن لها تأثيراً عميقاً على الإنسان إلا إذا كان أحمق ، هل تفهمين ذلك ؟ "

أومأت برأسها ، وقالت : " نعم لكن التساؤل هو : " ما تأثير الحرب على لارى ؟ "

عادت كاثرين لعملها ، وكان الموظفون سعداء بعودتها . لمدة ثلاثة أيام لم تفعل سوى مراجعة الحملات الإعلانية ، وتصميماتها للعملاء الجدد ومتابعة العملاء القدامى . كانت تعمل من أول النهار إلى آخر الليل ، وتحاول تعويض ما مضى من وقت ، وتضغط وتلج على العاملين والفنانين ، وتهديئ من توتر العملاء . لقد كانت بالفعل ماهرة فى عملها وتحبه .

كان لارى ينتظر عودتها ليلاً ، وكانت تسأله عما يفعله فى غيابها ، لكن كانت إجاباته مبهمه ، فكفت عن سؤاله . كان بينه وبينها حاجز لم تتمكن من أن تتخطاه . كان يأخذ كل ما تقوله له على محمل الإهانة ، وكان يقتعل الشجار على أمور تافهة . بين الحين والآخر كان يدعوها فريزر للعشاء ، وكانت تحاول أن تظل أمامه مرحة ، لكيلا يشعر أنها تعسة مع لارى ، لكن كان عليها مواجهة حقيقة أن ثمة شيئاً خطأ قد حدث . شعرت أن الفشل يصيبها جزئياً ، لكنها لا تزال تحبه ، وتحب مظهره وملمسه وذكره ، ولكن أحست أنه لو استمر الحال على هذا المنوال فسيكون ذلك طريق الدمار لهما معاً .

تناولت العشاء مع فريزر ذات ليلة

قال لها : " كيف حال لارى ؟ "

كان الرد الآلى " بخير " على طرف لسانها ، لكنها قالت بجرأة : " إنه بحاجة إلى وظيفة " .

رجع فريزر للخلف فى مقعده ، وأومأ برأسه ، وقال : " بدأ يمل من مكوثه بلا عمل ؟ "

ترددت ولم ترغب فى الكذب : " لا يريد العمل ، لكن يجب أن يعمل فى مجال مناسب له . "

حاول فريزر فهم مرماها ومقصد كلامها ، ففترس فى وجهها لمعرفة مغزى كلماتها ، ثم قال :

" هل يريد أن يصبح طياراً كما كان ؟ "

" إنه لا يريد العودة للعمل فى الجيش "

" إننى أفكر فى الخطوط الجوية المدنية ، فلدى صديق مدير فى شركة طيران بان أمريكان ، وسيكونون محظوظين لو عينوا طياراً فى خبرة وكفاءة لارى " .

جلست كاثرين تفكر فى الأمر ، ووضعت نفسها مكان لارى . فهو يحب الطيران للغاية أكثر من أى شئ ، وسيحب هذا العمل لأنه سيعمل فى مجال اهتمامه . قالت : " يبدو هذا رائعاً ، لكن هل تظن أن بإمكانه الحصول على الوظيفة ؟ "

" سأحاول لكن لماذا لا تحاولين معرفة رأيه أولاً ؟ "

" سأفعل ، شكراً لك . " ثم صافحته وهى تشعر بالامتنان .

قال لها بركة : " علام تشكريننى ؟ "

" لأنك دائماً بجانبى كلما احتجت إليك . "

وضع يده على يدها ، وقال : " أنا تحت أمرك "

عندما قالت كاثرين لـ " لارى " على اقتراح فريزر قال لها : " تلك أحسن فكرة سمعتها منذ أن عدت للوطن . " بعد يومين تحدد له موعد لمقابلة كارل ايستمان فى مقر شركة بان أمريكان فى مانهاتن . قامت كاثرين بالعمل على أناقة لارى ، واختارت له القميص وربطة العنق ، وقامت بتلميع حذائه ، حتى صارت ترى انعكاس وجهها على الحذاء من فرط اللعان . قال لارى : " سأتصل بك هاتفياً لأطلعك على ما حدث . " ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة ، ثم غادر المنزل . شعرت كاثرين أن لارى كالطفل الصغير ، وكان ذلك واضحاً من عدة نواح ، فهو كان سريع الغضب ، وسئى الخلق ، ووقحاً كالطفل الشقى ، لكنه كان أيضاً محبوباً وكريماً .

قالت كاثرين وهى تتنهد : " يا لحظى التعس ! لابد أن أكون الزوجة المثالية الوحيدة فى العالم . "

كان أمامها يوم مزدحم فى العمل ؛ ولكنها لم تفكر سوى فى لارى . كانت أكثر من مجرد وظيفة ؛ كان لديها إحساس أن زواجها معلق على ما سيحدث . سيكون أطول يوم فى حياتها .

كان مقر شركة بان أمريكان فى مبنى حديث فى الشارع رقم (٥) ، وكان مكتب كارل ايستمان كبيراً وفخماً ومؤثلاً بأفخر الأثاث ، وكان منصبه مهماً فى الشركة . ألقى التحية على لارى عندما دخل إلى مكتبه ، وقال له : " اجلس يا سيد دوغلاس " .

كان ايستمان فى الخامسة والثلاثين من العمر وكان رجلاً نحيلًا ذا ذقن مربع وعينين بنيتين لا تخطئان أى شىء . أشار لـ " لارى " بالجلوس على الأريكة ، ثم جلس على المقعد المقابل له . " هلا تناولت القهوة ؟ "

" كلا ، شكرًا . "

" أتفهم أنك تريد العمل معنا . "

" إذا كانت هناك وظيفة شاغرة . "

" يوجد بالفعل . وتقدم لها ألف شخص لا يستحقونها " ثم أضاف بمسحة ندم : " شىء مذل ، سلاح الطيران يدرب آلاف الشباب لقيادة أعقد الطائرات ، ثم يسرحونهم من الخدمة بعد أن يقوموا بعملهم على أكمل وجه " ثم تنهد وأردف قائلاً : " لن تصدق عدد المتقدمين للعمل ، يوجد آلاف المتقدمين لكل وظيفة شاغرة - كل شركات الطيران تعاني من نفس الوضع . "

شعر لارى بالإحباط ، فقال للرجل : " إذن لماذا طلبت رؤيتى ؟ "

" لسببين : أولاً لأن من هو أعلى منى فى الهيكل الوظيفى طلب منى ذلك " .

شعر لارى بالغضب ، وقال : " لا أريد ... "

مال ايستمان عليه ، وقال : " السبب الثانى هو أن لديك ملفاً مدهشاً لخبرتك كطيار . "

قال لارى ببرود : " شكرًا . "

تفرس ايستمان فى وجهه ، وقال : " ستتبع برنامجاً تدريبياً هنا كما تعلم ، وسيبدو الأمر كأنك تعود لتعلم مبادئ الطيران . "

تردد لارى ، ولم يعرف إلى ماذا سيؤدى هذا الحوار .

فقال بحرص : " يبدو ذلك جيداً . "

" ستتلقى تدريبك فى نيويورك . "

أوما لارى برأسه موافقاً فى انتظار لما يلى .

" ستقضى أربعة أسابيع فى التدريب النظرى ثم شهراً فى التدريب

العملى " .

" أنتم تستخدمون طائرات من طراز " دى . سى . فورز " . "

" نعم . وعند انتهاء تدريبك ستصبح مساعد طيار ، وسيكون أجرك

أثناء التدريب ٣٥٠ دولاراً شهرياً . "

حصل على العمل فى النهاية ! كان الرجل اللعين يضايقه ويتلاعب

بأعصابه عندما ذكر أن آلاف الطيارين يسعون لنفس الوظيفة . لكنه

حصل عليها فى النهاية ! لماذا شعر بالقلق ؟ لا أحد يملك ملفاً مشرفاً

مثله .

ابتسم لارى ، وقال : " ليس لدى مانع من أن أبدأ كمساعد طيار ،

لكنى طيار بالفعل ، فمتى أكون كذلك حقاً ؟ "

تنهد ايستمان ، وقال : " تم توحيد شركات خطوط الطيران ،

والترقى يكون فقط عن طريق طول الخبرة فى المجال ، ويوجد رجال

سبقوك فى سنوات الخبرة ، هل تريد أن تجرب ؟ "

قال لارى : " لم لا ؟ ليس لدى ما أخسره . "

قال ايستمان : " سأرتب الإجراءات ، وبالطبع سيتم توقيع الكشف الطبي عليك ، هل هناك مشكلة ؟ "

ابتسم لارى ، وقال : " لم يجد اليابانيون مشكلة معى . "

" متى ستستعد للعمل ؟ "

" منذ ظهر اليوم إن أردت . "

" لنبدأ يوم الاثنين القادم " ثم دَوّن اسماً على بطاقة ، وأعطاهما لـ " لارى " وقال : " خذ ، سنتوقع وصولك فى التاسعة صباح يوم الاثنين . "

عندما اتصل لارى بـ " كاثرين " لإطلاعها على الخبر كان فى صوته إحساس بالإثارة لم تسمعه منذ فترة طويلة . كانت تعلم أن كل شيء سيكون على ما يرام .

نويل

أثينا : ١٩٤٦

١٢

كان ديميريس يمتلك سرباً من الطائرات لاستخدامه الشخصى ، لكنه كان يفتخر بطائرة ماركه هوكر سيدلى ، التى كانت تنقل ستة عشر راكباً فى قمة الرفاهية والراحة ، وتصل سرعتها إلى ٣٠٠ ميل فى الساعة ، وطاقمها مكون من أربعة طيارين ، كانت كالقصر حيث إن بداخلها ديكوراً وحوائط صممها أشهر مصممى الديكور فى العالم ، وبدلاً من المقاعد المعتادة للطائرات ، كانت توجد أرائك ومقاعد وثيرة حول أرجاء الكابينة . وقد تحولت المقصورة الخلفية لحجرة نوم فاخرة ، وكان خلف كابينة القيادة مطبخ حديث . كلما سافر على متنها نويل وديميريس كانا يُحضران معهما طاهياً محترفاً .

اختار ديميريس طيارين شخصيين له : الأول طيار يونانى يدعى بول متكساس ، والآخر إنجليزى كان طياراً فى الجيش الإنجليزى سابق يسمى أيان وايتستون . كان متكساس رجلاً ممتلئاً ومحبوفاً ، ودائماً الابتسام ، كثير الضحك . كان يعمل ميكانيكياً ، وتعلم الطيران .

وخدم في جيش الطيران في إنجلترا حيث تقابل مع وايتستون . كان وايتستون رجلاً نحيفاً وطويلاً ، ذا شعر أحمر ، وكان سلوكه خجولاً كعميل في مدرسة متواضعة في أول أيام الدراسة في مدرسة بها أطفال أشقياء . لكن في الجو كان شخصاً آخر تماماً ، حيث كانت لديه مهارة طبيعية لقيادة الطائرات بشكل فطري لا يمكن تعلمه . كان قد قاد مع بول متكساس الطائرات ضد الطائرات الألمانية ، وكانا يحترمان بعضهما البعض .

كانت تستقل نويل الطائرة كثيراً مع ديميريس في رحلات عمله ، وأحياناً لمجرد المتعة ، وتعرفت على الطيارين ، لكنها لم تأبه لهما . في إحدى المرات سمعتهما بالصدفة يتذكران أيامهما في الجيش الإنجليزي .

منذ تلك اللحظة كانت نويل إما تقضى وقتاً كبيراً في كابينة القيادة تتحدث إليهما ، أو تدعو أحدهما للجلوس معها في المقصورة الخاصة بها في الطائرة . كانت تشجعهما على التحدث عن خبراتهما في الحرب ، وبدون طرح الأسئلة المباشرة علمت أن وايتستون كان يعمل في فيلق لارى ، وأن ميتكساس التحق بالفيلق بعد أن تركه لارى . بدأت نويل تركيز مع الطيار الإنجليزي وايتستون الذى تشجع بسبب اهتمام رئيسه به ، فتحدث بحرية عن حياته الماضية ، وتطلعاته في المستقبل . أخبر نويل أنه مهتم بالإلكترونيات ، وزوج أخته في أستراليا قد أنشأ شركة إلكترونيات وعرض عليه الشراكة ؛ لكن كان ينقصه رأس المال .

قال مبتسماً لـ " نويل " : " بأسلوب حياتي ، لن أوفر المال اللازم " .

استمرت نويل في زيارة باريس مرة كل شهر لمقابلة كريستيان باربيه الذى وثق علاقته بوكالة استعلامات في واشنطن ، وبالتالي كان هناك تيار متدفق من التقارير عن لارى دوجلاس ، قام باربيه باختبار نويل بحرص ، حيث عرض عليها إرسال التقارير إلى أثينا ؛ لكنها فضلت

الحضور لاستلامها بنفسها . أوماً باربيه ، وقال بخيبت : " حسناً يا آنسة " ، لقد فهم أنها لا تريد أن يعرف ديميريس بالأمر ، وباهتمامها بـ " لارى دوجلاس " ، مما جعله يريد ابتزازها .

قالت نويل : " لقد كنت مقيداً جداً يا مسيو باربيه ، وكنت تحافظ على السرية والخصوصية دائماً " .

ابتسم بدهاء وخبث ، وقال : " شكراً لك يا آنسة ، فعملي يعتمد على السرية والخصوصية " .

قالت نويل : " أعرف أنك تحافظ على السرية ؛ لأن ديميريس لم يذكر اسمك لي من قبل ؛ لكن إذا ذكر لي اسمك يوماً ما فسأطلب منه قتلك " . قالت ذلك بلهجة الحوار العادى المرح ، لكن تأثيرها كان كالقنبلة .

حقد باربيه إليها في ذهول لفترة طويلة ، وهو يلحق شفتيه ، ثم قال بتلعثم : " أؤكد لك يا آنسة أنني لن ... " .

" أعرف أنك لن تفعل ذلك . " ثم رحلت وتركته .

في الطائرة السياحية التى استقلتها للعودة إلى اليونان فتحت نويل المظروف لكى تقرأ التقرير السرى .

وكاله "أكم" للأمن
١٤٠٢ شارع "دى"
واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢

٢ فبراير ١٩٤٦

عزيزى السيد بارييه :

أحد عملائنا تحدث مع موظف فى شركة بان أمريكان ، الهدف : طيار ماهر اعترفوا بمهارته ، لكنهم يتساءلون هل هو مهذب بالقدر الكافى ، لكى يعمل بما يرضى الإدارة فى المنظمة الكبرى ؟

حياته الشخصية لها نفس النمط كما فى التقارير السابقة ، لقد أقام علاقات متعددة مع نساء كثيرات ، وكان يقضى فى منازلهن من ساعة إلى خمس ساعات ، وغالباً كلها علاقات عابرة (الأسماء والعناوين فى الملف فى حالة الرغبة فى الاطلاع عليها) .

قد يتغير نمط سلوكه نظراً لحالته الآن فى عمله الجديد . سنتابع الهدف بناء على طلبك .

ستجد الفاتورة مع الخطاب

الوداع

آر . راتنبرج
المدير العام

أعادت نويل التقرير للملف ، واسترخت فى مقعدها ، وأغمضت عينيها ، وتخيلت لارى التمس المعذب المتزوج من امرأة لا يحبها ، ووقع فى فخ ضعفه وشهواته .

كان عمله فى شركة الخطوط الجوية يؤجل خططها ؛ لكنها كانت صبورة ، وفى الوقت المناسب ستجذبه لها ، وفى غضون ذلك ستخذل بضع خطوات مهمة .

ابتهج وايتستون عندما دعت نويل للعشاء ، فى البداية ظن أنها منجذبة نحوه ، لكن كل مقابلاتهما كانت رسمية ، وكانت تعامله كموظف ، ولم تسمح له بتجاوز حدوده إطلاقاً . احتار فيما تريده منه ؛ لأنه رجل ذكى ، وشعر أن الحوارات العشوائية وراءها غرض معين لها لا يفهمه .

فى يوم الدعوة ذهبت نويل ووايتستون إلى مطعم على شاطئ البحر ، وكانت ترتدى زياً أبيض مكشوفاً وصندلاً ، وتركت شعرها الأصفر يتطاير فى الهواء ، فكانت بحق فاتنة . كان وايتستون قد خطب فتاة تعمل كعارضة أزياء فى لندن ؛ لكن جمالها لا يقارن بـ " نويل " الفاتنة . لم يقابل وايتستون من هى مثلها ، وحسد ديميريس على ذلك ، فلقد افتتن حقاً بها أكثر ؛ لكنه كان فى نفس الوقت يخاف منها قليلاً . تحدثت نويل معه عن خطته للمستقبل ، فتساءل هل هى تتبع أوامر ديميريس لتفقد موظفيه وإخلاصهم له ؟

قال لـ " نويل " بلهجة جادة : " أحب عملى هنا ، لن أغادره حتى سن التقاعد . "

تقرست نويل فى وجهه ، وأدركت شكوكه ، فقالت بأسى : " خسارة ، كنت أتمنى أن يكون لديك طموح أكبر من هذا . "

حذق إليها وقال : " لا أفهم . "

" ألم تخبرنى برغبتك فى امتلاك مصنع إلكترونيات ؟ "

تذكر أنه قال ذلك بطريقة عفوية لها سابقاً ، واندesh لأنها تذكرت

ذلك .

قال لها : " كان ذلك حلم الشباب ، ولكن الأمر يحتاج لأموال كثيرة . "

قالت له : " رجل يمثل قدراتك لا يوقفه نقص الأموال . " جلس وايتستون وهو يشعر بالقلق ، ولم يحرج جواباً . كان يحب عمله ، ويربح منه بأكثر مما كان يحلم به ، وأوقات العمل رائعة وممتعة ، من ناحية أخرى كان طوع بليونير غريب الأطوار ، يتوقع أنه متاح له في أى ساعة من ليل أو نهار ، لكي يقلع بالطائرة له . فلقد كان ذلك على حساب حياته الشخصية ، ولم ترض خطيبته عن أسلوب حياته سواء كان يربح أموالاً طائلة أم لا .

قالت نويل : " تحدثت مع صديق لى عنك ، وهو يحب تمويل المشروعات الجديدة . "

كبحت حماسها ، وكأنها تشعر بالإثارة ، لكنها حرصت على عدم دفعه أكثر من اللازم ، ونظر وايتستون فى عينيها مباشرة ، ولم يحرج جواباً .

قالت له نويل : " صديقى مهتم بك كثيراً . "

ازدرد لعابه ، وقال : " لا أعرف ماذا أقول لك يا آنسة . "

" لا ترد الآن ، أريدك أن تفكر فى الأمر . "

جلس مطرقاً يفكر ، ثم قال : " هل السيد ديميريس يعلم ذلك ؟ " ابتسمت نويل بخبث : " كلا ، فهو لن يوافق أبداً ، فهو لا يحب أن يخسر موظفيه الممتازين ، لكن ... " ثم توقفت لبرهة ، ثم أردفت قائلة : " لكن شخصاً مثلك يستحق الحصول على كل ما يريد فى الحياة إلا إذا أردت العمل تحت إمرته طوال عمرك . "

قال بسرعة : " كلا " . وأدرك أنه تسرع فى الإعلان عن رغبته ، ثم تفرس فى وجهها لى يعلم إذا كان هذا فخاً ، لكنه رأى فى وجهها أنها متفهمة ومتعاطفة معه . لكنه قال مدافعاً : " أى رجل يحب أن يستقل بذاته فى العمل . "

قالت نويل : " بالطبع ، فكر فى الأمر ، وسنتحدث لاحقاً ، وسيكون الأمر سراً بيننا . "

" اتفقنا ، شكراً لك ، إذا نجح الأمر فسيكون رائعاً "

أومأت وقالت : " أعرف أنه سينجح . "

أشار إليه ساكوفيتش بالجلوس ، وقال له : " اجلس ، فإننى أريد التعرف عليكم أيها المتقدمون لوظيفتى . "

ضحك لارى وقال : " على الرحب والسعة . "

" إننى لا ألقى باللوم عليكم ، فإنكم جميعاً طيارون متميزون ، ولكم تاريخ مشرف فى الحروب ، وقد حضرتم إلى هنا معتقدين أن ساكوفيتش هذا رجل أحمق ليكون كبير الطيارين ، وكان من الأحرى أن أكون رئيساً لهيئة الطيران . لا أحد منكم يريد أن يظل مساعد طيار لفترة طويلة ، فتلك مجرد خطوة لى تكون طياراً ، حسناً لا بأس فى ذلك ؛ فهذا هو ما سيكون . "

" أنا سعيد لأنك تشعر بذلك "

" لكن هناك ما يجب أن تعرفه بوضوح ؛ كلنا نعمل فى هذه المؤسسة يا دوجلاس ، والترقية مقصورة على الأكبر سناً ، والأكثر خبرة . "

" أفهم ذلك . "

" ما قد لا تفهمه أنه يتوافد الكثيرون للحصول على عمل لدينا ؛ لأن العمل هنا جيد للغاية ، وهذا يبطئ عملية الترقية . "

" سأنال ما يتيحه حظى لى . "

أدخلت سكرتيرة ساكوفيتش القهوة والحلوى ، وقضى الرجلان حوالى ساعة فى التعارف والثرثرة . كان ساكوفيتش ودوداً ومحبواً ، وأسئلته بدت بسيطة ، ولا علاقة لها بالعمل ؛ وقبل مغادرة لارى للتدريب كان ساكوفيتش قد عرف عنه الكثير . بعد دقائق من مغادرة لارى للمكتب جاء كارل إيستمان لمكتب ساكوفيتش .

قال إيستمان : " كيف تم الأمر ؟ "

" على ما يرام . "

نظر إليه إيستمان ملياً وقال : " ما رأيك يا سام ؟ "

" سنجره . "

كاثرين

واشنطن . باريس ١٩٤٦

١٣

وصل لارى لمكتب كبير الطيارين فى التاسعة صباح يوم الاثنين التالى فى مبنى شركة طيران بان أمريكان فى نيويورك ، وكان يدعى هال ساكوفيتش ، وعندما دلف لارى للمكتب أدخل ساكوفيتش الملف فى درج مكتبه .

كان ساكوفيتش رجلاً صارم الملامح ، وله وجه قاس حاد ، وله أكبر يدين شاهدهما لارى فى حياته . وكان ساكوفيتش من الطيارين المخضرمين ؛ بدأ بقيادة الطائرات للسيرك والطائرات ذات المحرك الواحد لنقل البريد للحكومة ، ثم انتقل للعمل كطيار لشركة طيران بان أمريكان منذ عشرين عاماً ، وكان طيارها الرئيسى منذ ٥ سنوات .

قال لـ " لارى " : " أنا سعيد بانضمامك لنا يا دوجلاس . "

" وأنا سعيد بذلك أيضاً . "

" هل أنت متحمس لقيادة الطائرات مرة أخرى ؟ "

" بالطبع ، إننى مستعد للإقلاع على الفور . "

"سألتك عن رأيك أنت ."

هز كتفيه دون اكتراث ، وقال : " حسناً ، إن حدسى يخبرنى أنه طيار ممتاز ، والدليل هو خدمته السابقة ، فهو أفضل طيار مقاتل " .
قال إيستمان : " وماذا أيضاً ؟ "

ما أود قوله إنه يوجد الكثيرون من أمثاله فى مانهاتن ، وعرفت العديد ممن هم على شاكلته ، لسبب مجهول لى فإن حياتهم تتوق للخطر وتسعى إليه ، فمثلاً قد يتسلقون الجبال الخطرة ، أو يغطسون لقاع المحيط ، أو يسعون لأى خطر يجدونه . عند اندلاع الحرب يبرزون بكل حماسة لديهم . " ثم استدار بمقعده ونظر عبر النافذة ، فوقف إيستمان بلا حركة ، وانتظر ولم يقل شيئاً .

قال ساكوفيتش : " لدى حدس بشأن دوجلاس يا كارل ، ثمة شيء خطأ فى شخصيته ، لا أظن أنه مستعد نفسياً لتلقى الأوامر من مهندسى الطيران أو الملازم أول طيار ، خاصة إذا كان يعتقد أنه أفضل منهم ، والمضحك أنه ربما يكون أفضل منهم بالفعل " .
" لقد أصبنتى بالتوتر . "

" إنه أيضاً أصابنى التوتر . لا أظن أنه ... " .
ثم توقف لكى يبحث عن صفة مناسبة ، ثم أردف قائلاً : " ... سئى ، فهو عندما كان يتحدث معى ، كان على وشك الانفجار " .
" ماذا أنت فاعل ؟ "

" سندخله التدريب ونراقبه جيداً . "

" ربما سيأخذ حذره . "

" أنت لا تعرف هذا النوع من الرجال ، فهو سيتفوق على كل الطيارين فى التدريب . "

كان تنبؤ ساكوفيتش دقيقاً وصحيحاً .

كان التدريب قد استغرق أربعة أسابيع للتطبيق النظرى ، ثم شهراً للتطبيق العملى ، وبما أن المتدربين طيارون لديهم خبرة سنوات ، فكان

هدف التدريب : أولاً مراجعة مبادئ الملاحة الجوية ، والراديو والاتصال ، وقراءة الخرائط وأدوات القيادة ، لإنعاش ذاكرة الرجال ، وتحديد نقاط ضعفهم ، ثانياً لكى يعتادوا الأدوات الجديدة التى سوف يستخدمونها .

كان التدريب يتم فى كابينة طيران غير حقيقية متحركة للتدريب ، وكانت الحوائط والسقف فى الكابينة سوداء لكى لا يرى المتدرب ما حوله ، ويعتمد على الأجهزة فقط . كان المدرب يلقن المتدرب من خارج الكابينة ، ويعطيه الأوامر للإقلاع أو الهبوط ، وغير ذلك فى مختلف السرعات والأجواء والعواصف والجبال وأى أخطار محتملة . من لم تكن لديهم خبرة وجدوا صعوبة فى التعامل مع التدريب ، وأيضاً بسبب الإحساس الرعب بأن يكونوا داخل كابينة لا يكون فيها كل حواسك متصلة بالعالم الخارجى .

كان لارى تلميذاً نجيباً وموهوباً ، وكان متنبهاً فى التدريب ، واستوعب كل ما كان يجب أن يتعلمه ، وكان يقوم بالواجب على أكمل وجه ، ولم يظهر أى توتر أو ضيق أو سأم ، بل على العكس كان متحمساً ومتفوقاً بشكل ملحوظ . كانت المجالات الجديدة له هى أجهزة الطائرات الحديثة التى لم يألفها فى زمن الحرب . درس كل بوصة فى الطائرات الحديثة لساعات وساعات ، وكيف تعمل كل أجهزتها ، وكان ليلاً يعكف على قراءة كتيبات الإرشادات لكل طائرة .

ليلاً وجد ساكوفيتش لارى يقوم بفحص أسلاك الطائرة ودراساتها ، وذلك فى حظيرة الطائرة بعد أن غادر كل المتدربين المكان .

قال ساكوفيتش فى صباح اليوم التالى لـ " إيستمان " : " قلت لك إنه يسعى للعمل بكل جدية " .
ابتسم إيستمان قائلاً : " إذا استمر على هذا المنوال فسيحصل عليها بكل تأكيد " .

أقيم حفل تخرج بسيط بعد نهاية مدة التدريب الذي استغرق ثمانية أسابيع . سافرت كاثرين بالطائرة إلى نيويورك لتشهد منح لارى شارة مساعد الطيار . كان لارى يسخر من الأمر : " إنها قطعة ملابس غريبة لكى أتذكر مهمتى عندما أدخل كابينة القيادة يا كاثرين . "

قالت له : " لا تقل ذلك ، تحدثت مع الكابتن ساكوفيتش ، وأخبرنى بمدى مهارتك . "

" وما الذى يعرفه أحقق مثله ؟ لنحتفل الآن . "

ذهب لارى هذه الليلة مع كاثرين وأربعة من زملائه مع أزواجهم لمطعم فخم لتناول العشاء ، وكانت قاعة الانتظار مزدحمة ، وأخبرهم النادل بعدم وجود مكان شاغر بدون حجز مسبق .

قال لارى : " اللعنة على هذا المطعم ! لنذهب للمطعم المجاور . "

قالت كاثرين : " انتظر لحظة " ، وسألت عن شخص يدعى جيرى بيرنز .

بعد لحظات جاء رجل قصير نحيل بعينين جاحظتين قائلاً :
" إننى جيرى بيرنز ، هل من الممكن أن أقدم أى خدمة ؟ "

" أنا وزوجى وأصدقاؤنا عدنا عشرة ، ونريد مائدة لنا . "

قال لها : " بدون حجز لا يمكن أن ... "

بادرته قائلة : " إننى شريكة ويليام فريزر "

قال لها بلوم : " لماذا لم تقولى هذا من قبل ؟ انتظروا فقط ربع ساعة ، وستكون المائدة جاهزة . "

قالت كاثرين : " شكراً لك . " ثم قالت للأصدقاء : " مفاجأة وجدت مائدة لنا . "

قال لارى : " كيف فعلت ذلك ؟ "

" كان ذلك سهلاً ، ذكرت اسم ويليام فريزر ، فهو يرتاد هذا المطعم كثيراً ، وقال لى إذا أردت مكاناً هنا يوماً ما ، فما عليك سوى ذكر اسمى . "

قال لارى للآخرين : " لنخرج من هنا ، فهو مكان مقزز . "

سارت المجموعة باتجاه الباب ، وقال لارى لـ " كاثرين " : " هل أنت قادمة ؟ "

قالت : " بالطبع ، لكننى طلبت مائدة هنا أولاً و ... "

" عليهم اللعنة ، هل أنت قادمة أم لا ؟ "

التفت الناس إليهم ، فاحمر وجه كاثرين خجلاً ، وقالت :
" نعم " ثم تبعته خارج الباب .

ذهبوا لمطعم إيطالى مجاور ، وكان الطعام سيئاً . تظاهرت كاثرين وكأن شيئاً لم يكن ، لكنها كانت تغلى فى داخلها من الغضب بسبب السلوك الطفولى ، ولأنه أهانها أمام الناس .

عندما عادا للمنزل هرعت كاثرين لحجرة النوم دون أن تنيس ببنت شفة ، وخلعت ملابسها ، وأطفاأت الأنوار ، وتأهبت للنوم . سمعت لارى وهو جالس فى غرفة المعيشة يعد مشروباً لنفسه .

بعد عشر دقائق عاد لحجرة النوم ، وأضاء النور ، وسار باتجاه الفراش وقال : " هل تلعبين دور الشاهدة المغلوبة على أمرها ؟ "

وقفت وكان يملؤها الغضب : " لا تحاول أن تضعنى فى موقف دفاع عن نفسى ، سلوكك اليوم لا يمكن تبريره ، فماذا حدث لك ؟ "

" ما حدث لك من صديقنا المشترك . "

حدقت إليه وقالت : " ماذا تعنى ؟ "

" عن الإنسان الكامل ومثلك الأعلى ويليام فريزر . "

نظرت إليه ولم تفهم ، قالت : " لم يفعل شيئاً سوى أنه ساعدنا . "

" نحن مدينان له بالكثير فى عملك وعملى ، حتى إننا لا نستطيع الجلوس فى مطعم بدون ذكر اسمه . مللت من تدخله فى حياتنا . "

صدمت كاثرين من نبرة صوته أكثر من كلامه ، لأن نبرة صوته مليئة بالعجز والإحباط ، وأدركت لأول مرة كم هو يتعذب . فقد جاء بعد

أربع سنوات من الحرب ، ليرى زوجته تشارك عشيقها القديم العمل ومما زاد الأمر سوءاً أنه لم يتمكن من العمل إلا بواسطة فريزر .

نظرت كاثرين إلى لارى ، وعرفت أن تلك هى نقطة التحول فى زواجها . إذا ظلت معه فيجب أن يحتل المرتبة الأولى فى حياتها قبل عملها . وقبل كل شئ ، ولأول مرة أحست أنها تفهم شخصية لارى . وكأن لارى قرأ ما يدور فى عقلها ، فقال بحزن : " آسف إذا كنت قد تصرفت بحماقة الليلة ، لكننى امتلأت غيظاً لدخول فريزر فى حياتنا ، لدرجة أننا لن نتمكن من الحصول على مائدة فى مطعم دون ذكر اسمه ، لقد نلت كفايتى ، وطفح الكيل " .

قالت كاثرين : " أنا آسفة يا لارى . لن أفعل هذا مرة أخرى " . ثم ارتمت فى أحضانه ، وقال لها : " لا تتركينى أبداً يا كاثى " . فاحتضنته بشدة ، ولم تشعر بقرية منها إلا فى هذه اللحظة ، وقالت له : " لن أتركك يا حبيبى أبداً " .

كانت أول رحلة لـ " لارى " كمساعد طيار هى الرحلة رقم ١٤٧ المتجهة من واشنطن لباريس ، وكان يظل فى باريس ٤٨ ساعة بعد كل رحلة ، ثم يعود للوطن لمدة ثلاثة أيام قبل أن يبدأ الرحلة التالية . ذات صباح اتصل لارى بـ " كاثرين " فى المكتب ، وكان صوته ممتلئاً بالإثارة : " وجدت مطعماً رائعاً لتناول فيه الغداء معاً ، هلا حضرت وتركت العمل الآن ؟ " .

نظرت كاثرين إلى كومة الأوراق فى انتظار الانتهاء منها وتوقيعها قبل الظهيرة ، لكنها قالت دون تفكير : " بالتأكيد " . قال لها : " سأوافيك بعد خمس عشرة دقيقة " .

قالت لوسيا السكرتيرة المساعدة : " لن تتركي كل العمل لى ، إذا لم تنتهى من هذه الحملة الإعلانية اليوم فستحدث مشاكل كثيرة " .

" بل ستنظر الحملة الإعلانية ، لأننى سأتناول الغداء مع زوجى " .

هزت لوسيا كتفها دون اكتراث ، وقالت : " لا ألومك ، لكن إذا مللت زوجك أخبريننى " .

ابتسمت كاثرين قائلة : " عندما أمل منه فستكونين أنت عجوزاً ! " جاء لارى لتوصيلها من المكتب ، وقال لها بخبث ومرح : " هل أفسدت عليك يوم العمل ؟ " .

" بالطبع لا . " ضحك قائلاً : " سيصاب كل المديرين التنفيذيين بصدمة عنيفة . " قاد لارى السيارة إلى المطار ، وقالت كاثرين : " هل المطعم بعيد ؟ " فقد كان لديها خمسة لقاءات عمل . أولها فى الثانية ظهراً .

" كلا ... هل لديك يوم مشحون بالعمل ؟ " .

" كلا ، ليس لدى مواعيد مهمة " وكانت تكذب بالطبع .

" جيد . "

دخل لارى من مدخل المطار ، قالت له :

" هل المطعم فى المطار ؟ " .

" بل فى مكان آخر " ، ثم أوقفت السيارة ، وقادها من ذراعها إلى بوابة شركة الطيران بان أمريكان . وألقت موظفة الاستقبال التحية على لارى باسمه .

قال لها بفخر : " هذه زوجتى ، وهذه يا كاثرين آنى وينستون . " تبادلتا التحيات .

قال لـ " كاثرين " : " هيا بنا " ، ثم قادها من ذراعها لمكان مغادرة الطائرات ، فقالت : " لارى ، إلى أين .. ؟ " .

" أنت أكثر الفتيات اللائى اصطحيتهن للغداء فضولاً " وصلا للبوابة ٣٧ ، وكان هناك موظفان يفحصان تذاكر الركاب ، وكان مدوناً على اللافتة بالأعلى : الرحلة ١٤٧ المتجهة إلى باريس ، موعد الإقلاع الواحدة ظهراً .

قال لارى لأحد الموظفين : " هذه هى زوجتى كاثرين يا تونى ، كاثى ، هذا هو تونى لومباردى . "

قال لها الرجل مبتسماً : " سمعت عنك الكثير ، والتذاكر جاهزة " وأعطاهما تذكرتين .

اندهشت وقالت : " لماذا هاتان التذكرتان ؟ "

قال لارى مبتسماً : " كنت أكذب عليك ، فأنا سأصطحبك لمطعم ماكسيم فى باريس . "

قالت بصوت متهدج : " ماكسيم ؟ باريس ؟ الآن ؟ "

" هذا صحيح . "

قالت بأسى : " لا يمكننى الذهاب لباريس الآن . "

قال مبتسماً : " بل يمكنك ، فما هو جواز سفرى فى جيبى . "

قالت له : " هل أصابك الجنون يا لارى ! ليست معى ملابسى ، ولدى مقابلات عمل و ... "

" سأشتري لك ملابس من باريس ، وقومى بإلغاء مواعيدك ، وفريزر يمكنه الاستغناء عنك لبضعة أيام . "

حدقت كاثرين إليه ، ولم تحر جواباً . تذكرت القرارات التى اتخذتها بأنه زوجها ، ويحتل المقام الأول فى حياتها ، وأدركت أنه لا يهتم بالسفر معها لباريس ، بل يريد التفاحز بالطائرة التى يقودها ، وهى كانت على وشك إفساد سعادته . وضعت يديها فى يديه ، وقالت مبتسمة : " علام الانتظار ؟ فإننى أتصور جوعاً ! "

كانت باريس مليئة بمتع شتى ، وحصل لارى على أسبوع إجازة ، وبدا لكاثرين أن كل ساعة ليلاً ونهاراً مشحونة بمهام ممتعة . كانا قد نزلا فى فندق رخيص وجميل على ضفاف نهر السين .

اصطحبها لارى فى أول يوم إلى شارع الشانزليزيه لشراء الملابس ، فاشترت أهم ما يلزمها ، وذهلت من غلاء الأسعار .

قال لها لارى : " هل تعرفين مشكلتك ؟ أنت تقلقين أكثر من اللازم بشأن المال ، يجب أن تعتبرى الأمر كأنك فى شهر عسل جديد . "

قالت له : " حسناً يا سيدى " ، لكنها رفضت شراء زى سهرة هى ليست فى حاجة إليه ، وحاولت معرفة مصدر كل هذه الأموال ، لكنه لم يرغب فى مناقشة الأمر ، لكنها أصرت فقال :

" حصلت على سلفة من راتبى القادم ، فعلام إثارة مشكلة ؟ "

لم تجرؤ على أن تخبره بأنه يتصرف كالأطفال ، وكان مبذراً أكثر من اللازم ، لكن كان ذلك جزءاً من سحره وجاذبيته .

مثلما كان جزءاً من سحر وجاذبية والدها .

قاما بجولة لمشاهدة كل معالم باريس السياحية مثل متحف اللوفر ، وقبر نابليون ، وأسواق ومزارع باريس ، وقصر الفرساي ، وتناولوا الغداء والعشاء فى أفخم المطاعم . كان بالفعل شهر عسل جديداً مثالياً .

جلس هال ساكوفيتش فى مكتبه يقرأ التقارير الأسبوعية ، وكان أمامه تقرير عن لارى دوجلاس ، فأخذ يدرسه ويفكر ملياً فيما جاء فيه بتركيز شديد ، فى النهاية قال للسكرتيرة عبر الاتصال الداخلى : " أدخله حالاً . "

لاحقاً دخل لارى مرتدياً زى شركة بان أمريكان ، ويحمل حقيبة السفر الخفيفة وقال مبتسماً لساكوفيتش : " صباح الخير يا سيدى . "

" اجلس . "

جلس لارى بتراخ وكسل على المقعد ، وأشعل سيجارة .

قال ساكوفيتش : " لدى تقرير يقول إنك تأخرت على موعد إقلاع الطائرة بـ ٤٥ دقيقة الاثنى الماضى فى رحلة باريس المتجهة إلى واشنطن . "

تغيرت تعابير وجه لارى وقال : " لقد تأخرت فى زحام احتفالات كانت مقامة فى شارع الشانزليزيه ، وأنا فى طريقي للمطار ، لكن

الطائرة أقلعت في موعدها ، لم أكن أعلم أن الدقة في المواعيد مطلوبة إلى هذه الدرجة .

قال بهدوء : " نحن ندير شركة طيران ، والمواعيد الدقيقة مهمة جداً " .

قال لارى بغضب : " حسناً ، سأبتعد عن الشانزليزيه بعد الآن ، هل هناك شيء آخر " .

" نعم ، يقول قائد الطائرة إنك احتسيت الخمر قبل الإقلاع في آخر رحلتين " .

" إنه كاذب ؟ ! "

" ولماذا يكذب ؟ ! "

" لأنه خائف من أن أحل محله فيفقد وظيفته . " ثم أردف بغضب قائلاً : " إنه عجوز وكان يجب أن يتقاعد منذ عشرة أعوام . "

" لقد سافرت مع أربعة طيارين ، فأى منهم أعجبك ؟ "

" لا أحد " ، ثم أدرك أنه وقع في فخ ، فقال مستدركاً : " أعنى لست في خلاف مع أحد ، وكلهم رائعون " .

" لم يرضوا عن مستوى عملك معهم ، لأنك أنبتهم بتوتر " .

" ماذا تعنى بالله عليك ؟ "

" أعنى أنه في حالة الطوارئ يجب أن يطمئن ويثق الطيار في مساعده تماماً ، وهذا لا ينطبق عليك " .

قال له لارى بغضب : " قضيت أربع سنوات في حالة طوارئ أثناء الحرب في ألمانيا والمحيط الهادى ، وكنت أجازف بحياتى يومياً بينما كنتم فى بيوتكم آمنين تحصلون على رواتب ضخمة ، فكيف لا تثقون فى ؛ لا بد أنك تمزح ! "

" لا أحد ينكر أنك مقاتل بارع ؛ لكننا هنا نقود طائرات مدنية أو لنقل ركاب ، وهذا شيء مختلف تماماً . "

جلس لارى وهو يغلى من الغضب ؛ لكنه حاول السيطرة على غضبه وقال راضحاً : " حسناً ، هل انتهى الأمر ؟ لدى طائرة على وشك الإقلاع بعد دقائق . "

" سيتولى أحدهم مكانك ، فأنت مفصول . "

حذق إليه لارى غير مصدق لما سمعه : " أنا ماذا ؟ "

" إنه خطئى يا دوجلاس . ما كان يجب أن أعينك فى بادئ الأمر . "

قال وهو يستشيط غضباً : " لماذا عينتنى إذن بالله عليك ؟ "

قال ساكوفيتش : " لأن زوجتك وويليام فريزر ... "

لكمه لارى بكل قوته فى وجهه ، فاندفع إلى الوراء فى الحائط ، ثم قام برد فعل الضربة ، وهجم على لارى وصفعه مرتين على وجهه ، ثم تراجع إلى الخلف وحاول السيطرة على انفعالاته وقال : " اخرج فى الحال ! "

حذق لارى إليه ، ووجهه يمتنع غضباً ويتقلص ازدياء له ، وقال : " عليك اللعنة ، لن أقترب من شركتكم حتى لو ترجيتمونى لكى أعود ! " ثم استدار وخرج مسرعاً من المكتب .

نظر إليه ساكوفيتش وهرعت إليه السكرتيرة ، فوجدت المقعد المقلوب والدماء على شفاه ساكوفيتش ، فقالت : " هل أنت بخير ؟ " " إننى فى أحسن حال ، استدعى لى إيستمان . "

سرد ساكوفيتش ما حدث لـ " إيستمان " فى خلال عشر دقائق . فقال له إيستمان : " هل تظن أن دوجلاس مضطرب ؟ " " بل إنه فى الواقع مريض نفسياً . "

نظر إليه إيستمان بعينيه الحادتين فاستطرد ساكوفيتش : " ليس لهذه الدرجة ، فهو لم يكن مخموراً أثناء الإقلاع ، ولم يثبت لدينا أنه احتسى الخمر ، وقد يتأخر مساعد طيار كل فترة بلا مشاكل . " " إذا كان هذا كل شيء فلماذا طردته . "

" في الواقع إنه سريع الانفعال والغضب ، ولقد قمت صراحة باستفرازه لأقصى درجة ، ولم يكن هذا صعباً وإذا كان قد تحمل الاستفزاز لمنحته فرصة أخرى ، لكن هناك ما يقلقني ؟ "

" ماذا ؟ "

" سمعت قصة بشعة من صديق قديم كان مع دوجلاس في الجيش أثناء الحرب . حيث كان دوجلاس يريد الاستحواذ على فتاة إنجليزية كانت مخطوبة لفتى يدعى كلارك في فيلق طائرات دوجلاس ، ولقد حاول دوجلاس إغواء الفتاة فامتنعت عنه ، وقبل أسبوع من زواجها انطلق خطيبها في غارة جوية على معقل حصينة للألمان ، وألقوا القنابل وعادوا . لكن أشيع أن الألمان ضربوا طائرة كلارك وأسقطوها . ثم صمت ساكوفيتش ، وكأنه يرى حلم يقظة داخله ، ثم أردف قائلاً : " وفقاً لزميلي ، لم يكن هناك طائرات ألمانية بجوار كلارك . "

قال إيستمان : " يا إلهي ! هل تقول إن لاري دوجلاس هو الذي ... "

قال له : " أنا لا أقول لك حقيقة بل مجرد تخمين " ثم مسح الدماء بمنديله من على شفتيه ، ثم قال : " لا أحد يعرف ما يحدث أثناء المعركة ، ربما نفذ وقود طائرة كلارك ، أو حدث شيء آخر لا نعرفه ، لكنه كان سيئ الحظ . "

" وماذا حدث للفتاة ؟ "

" غرر بها دوجلاس حتى نال غرضه ، ثم تركها عندما عاد للوطن . لكنني متأكد من أن زوجة دوجلاس في وضع سيئ ، وأنا أسف من أجلها . "

كانت كاثرين في اجتماع مجلس إدارة ، وفجأة فتح لاري الباب ودخل .

كانت عيناه منتفختين ومتورمتين ، وهناك جرح في خده ، فهرعت إليه كاثرين ، وقالت له :

" لاري ، ماذا حدث ؟ "

قال بصوت منخفض : " استقلت من العمل . "

أخذته كاثرين إلى مكتبها بعيداً عن عيون المتطفلين ، ووضعت قماشة مبللة وباردة على عينيه وخده ، وقالت له : " قص علي ما حدث " وكانت تكتم غضبها لما حدث له .

" كانوا يخدعونني طوال الوقت يا كاثي . كانوا يغارون مني لأنني شاركت في الحرب وهم لم يشاركوا فيها . اليوم نلت كفايتي وطفح الكيل ، استدعاني ساكوفيتش ، وقال إن السبب الوحيد الذي جعله يقوم بتعييني هو من أجل ويليام فريزر . "

نظرت إليه كاثرين ولم تحر جواباً .

قال لاري : " فضربت ، ولم أتمكن من منع نفسي . "

قالت له كاثرين : " يا حبيبي ! إنني آسفة من أجلك . "

قال لاري : " لا بد أن ساكوفيتش نادم أكثر فلقد طرحته أرضاً ، سواء هناك عمل أم لا ، فلن أسمح بأحد أن يتحدث عنك بهذه الطريقة . "

احتضنته وقالت : " لا تقلق ، ستجد عملاً لدى أية شركة طيران في البلاد . "

لم تتحقق نبوءة كاثرين له ، تقدم لاري بطلب عمل لدى عدة شركات طيران ، وبعد أن أجرى حوارات ولقاءات مع المسؤولين بها لم يتلق أي رد . أثناء تناول كاثرين الغداء مع فريزر كانت على وشك إخباره بشيء لكن في كل مرة تتوقف . لكنه قال في النهاية : " لدى معارف كثيرون يا كاثي . هل تريدين مني أن أجد عملاً لـ " لاري " . "

قالت له بامتنان : " كلا ، شكراً . لا أظن أنه سيقبل ، لكنه سيعمل على حل مشكلته بنفسه . "

نظر إليها لبرهة ، وقال : " إذا غيرت رأيك فأخبريني . "

قالت له بامتنان : " سأفعل ، يبدو أنني أعتمد عليك في المشاكل دائماً . "

وكالة " آكم " للأمن

١٤٠٢ شارع " دي "

واشنطن دي سي

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢

١ أبريل ١٩٤٦

عزيزي السيد بارييه :

شكراً لك على الخطاب بتاريخ ١٥ مارس ١٩٤٦ وعلى الشيك .

منذ آخر تقرير ، حصل الهدف على عمل كطيار لشركة نقل تسمى
فلاينج ويلز تستخدم طائرات من طراز DC-٣ ، و B-٢ ، ورأس مالها ٧٥٠
ألف دولار ، ومدينة للبنوك بأكثر من ٤٠٠ ألف دولار . يخبرني رئيس بنك
فرنسا أنهم أقروضهم الكثير ، لكن العمل مزدجر ولديهم مستقبل ممتاز . البنك
يدرس مشروع إقراضهم المزيد لشراء طائرات إضافية بناءً على أن دخلهم ٨٠
ألف دولار سنوياً يزيد ٣٠٪ كل عام على مدار الأعوام الخمسة السابقة .

إذا أردت المزيد من التفاصيل عن الحالة المالية للشركة فأخبرني من
فضلك .

بدأ الهدف العمل من ١٩ مارس ١٩٤٦ والمدير (وأحد أصحاب الشركة
أيضاً) يقول إنه محظوظ بتعيينه . سأوافيك بالتفاصيل لاحقاً .

المخلص

آر . راتنبرج

المدير العام

بنك باريس

فرع نيويورك

فيليب شاردون

مدير البنك

عزيزي نيل :

لقد أصبحت سيئاً حقاً ! لا أعرف ماذا فعل هذا الرجل ، لكن أياً كان فلقد
دفع الثمن ، لقد تم طرده من شركة فلاينج ويلز ، وأخبرني صديقي بها أن ذلك
نتيجة كارثة حدثت بسببه .
أنا أفكر في السفر إلى أثينا ، وأنا أعتمد على رؤيتك أولاً . تحياتي إلى كوستا
- ولا تنس إهداء معروف صغير لي ؛ لكي يظل ما فعلنا معاً سرا بيننا .

محبتتي وتحياتي إليك

فيليب

وكالة " آكم " للأمن

١٤٠٢ شارع " دى "

واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢

٢٢ مايو ١٩٤٦

عزى السيد باربيه :

هذا متابعة لتقريرى بتاريخ ١ مايو ١٩٤٦

فى يوم ١٤ مايو ١٩٤٦ فصل الهدف من شركة فلاينج ويلز للنقل
الجوى ، وحاولت الاستفسار عن السبب بحرص وفى سرية ؛ لكننى أخفقت
فى معرفة السبب ، ولم يتحدث أحد عن السبب ؛ لكن يبدو أن الهدف قد
جلب لنفسه العار ، ولا يريد أحد فى الشركة التحدث عما حدث .

الهدف يبحث عن عمل آخر فى الطيران ، وليس لديه هدف محدد فى الوقت الراهن .

سأحاول معرفة سبب الفصل

المخلص

آر . راتنبرج

المدير العام

تلغراف

١٩ مايو ١٩٤٦

إلى كريستيان باربيه

مكتب بريد كريسبار

باريس ، فرنسا

سنوقف عن البحث عن سبب فصل الهدف من عمله ؛ لكن سنستمر فى إعطاء التقارير .

مع تحياتى

آر . راتنبرج

وكالة " آكم " للأمن

وكالة " آكم " للأمن

١٤٠٢ شارع " دى "

واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢

١٦ يونيو ١٩٤٦

عزى السيد باربيه

شكراً على خطاب ١٠ يونيو والشيك . فى يوم ١٥ يونيو حصل الهدف
على عمل كمساعد طيار فى شركة طيران جلويال للنقل الجوى بين واشنطن
وبوسطن وفيلادلفيا .

شركة جلويال للنقل الجوى شركة صغيرة بها ثلاث طائرات فقط ،
وهى شركة عليها ديون كثيرة ، ولقد أخبرنى مديرها أنه سيقترض من
بنك دالاس لتوسيع الشركة وسد الديون

الهدف محل الاحترام فى عمله الجديد ، ومتوقع له مستقبل باهر . من
فضلك أخبرنى إن أردت معلومات أخرى عن الشركة .

المخلص

آر . راتنبرج

المدير العام

وكالة " آكم " للأمن

١٤٠٢ شارع " دى "

واشنطن دى سى

المرجع # ٢١٠ - ١٧٩ - ٢

عزيزى السيد بارييه

أفلسست شركة جلوبال للنقل الجوى ، مما دفع بنك دالاس لرفض القرض . فقد الهدف عمله ، وعاد لأنماطه السلوكية السابقة كما ذكرتها سابقاً .

لن أحاول معرفة أسباب رفض البنك القرض ، أو سبب المشاكل المالية للشركة إلا إذا طلبت معرفة ذلك .

المخلص

آر . راتنبرج

المدير العام

كانت نويل تحتفظ بكل التقارير وقصاصات الجرائد فى حقيبة جلدية خاصة ، وتحتفظ بمفتاحها الوحيد ، وكانت تحتفظ بالحقيبة فى حقيبة رقمية مغلقة خلف دولاب حجرة النوم ، ليس لأنها تظن أن ديميريس سيعيث بأشياءها ، لكن لأنها تعلم مدى حبه للمكائد وللغموض ، كان هذا الأمر يخصها وحدها ، وأرادت التأكد من أنه لا يعرف شيئاً عنه .

سيلعب ديميريس دوراً مهماً فى انتقامها دون أن يعرف . نظرت للمرة الأخيرة للأوراق ، ثم أخفتها وشعرت بالرضا . الآن يمكنها البدء فى الانتقام .

بدأ الأمر كله بمكالمة هاتفية حيث كان لارى وكاثرين يتناولان عشاءهما فى صمت فى المنزل ، والوجوم يخيم على وجهيهما ، حيث يجلس لارى فى المنزل لفترات قصيرة ، ويظل وقحاً ، لكن كاثرين فهمت شعوره باليأس والقهر .

قال لها عندما أفلسست شركة جلوبال : " لا بد أن حظى تعيس للغاية ، وكأن هناك شيطاناً مارداً يتربص بى " . كان ما يقوله هو الصواب . فلقد حدثت له سلسلة من الأمور السيئة المتعلقة بسوء الحظ . حاولت كاثرين أن تطمئنه وتذكره كم هو طيار ماهر ، وأن الشركة التى ستحصل على خدماته ستكون محظوظة . لكنها كانت تبدو وكأنها تعيش مع أسد جريح ، ولم تعرف متى يهاجمها ، ولأنها كانت خائفة من إغضابه وخذلانه ، فحاولت فهم نوبات غضبه والتغاضى عنها . رن جرس الهاتف وهى تقدم له الحلوى ، فرفعت السماعة وقالت : " نعم ؟ "

كان هناك صوت رجل إنجليزى على الخط يقول : " هل لارى دوجلاس موجود من فضلك ؟ أنا أيان وايتستون . " قالت كاثرين : " لحظة من فضلك . " ثم مدت يدها بالسماعة لـ " لارى " وقالت : " مكالمة لك من أيان وايتستون . " عبس وجه لارى وشعر بالحيرة : " من ؟ " فأمسك بالسماعة وقال ضاحكاً : " أيان ؟ ، لم أرك منذ سبعة أعوام ، كيف تتبعننى بالله عليك ؟ "

شاهدته كاثرين وهو يبتسم ويومئ برأسه ، وبعد خمس دقائق قال : " هذا يبدو مثيراً يا صديقى القديم ، بالطبع ، أين ؟ ، حسناً سأوافيك خلال نصف ساعة ، أراك لاحقاً . " ثم وضع السماعة وهو يفكر ملياً . قالت كاثرين : " هل هو أحد أصدقائك ؟ "

قال لها : " كلا ، ولذلك فإن الأمر يبدو غريباً ، كان زميلاً في الجيش في سلاح الطيران ، ولم تكن على وفاق أبداً ، لكن يقول إنه لديه عرض عمل لي . "

قالت له : " أى عمل ؟ " .

قال لها : " عندما أعرف سأخبرك . "

عاد لارى في الثالثة بعد منتصف الليل للمنزل ، وكانت كاثرين مستلقية على الفراش تقرأ عندما وقف لارى عند باب حجرة النوم .
" هاى ، كاثرين ! "

طراً عليه تغير من نوع ما ، فهو يشع إثارة لم ترها كاثرين منذ فترة طويلة . سار نحوها إلى الفراش ، فقالت له :
" كيف سارت المقابلة ؟ "

" كانت رائعة ، ولم أصدق نفسى من فرط السعادة ، فعرض العمل مغر وسأقبله . "

" هل ستعمل لدى أيان وايتستون ؟ "

" كلا ، فهو طيار مثلى ، وسنعمل معاً . "

" حقاً ؟ "

" حسناً ، بعد الحرب عرفه صديقه اليونانى بـ " ديميريس " ،

وأصبح يعمل كطيار خاص له . "

" إنه رجل أعمال شهير في مجال الشحن ؟ "

" الشحن والبترول والذهب ، فهو يمتلك نصف العالم ،

ولـ " وايتستون " عمل رائع معه ، لكن حدث ما حدث . "

" ماذا حدث ؟ "

نظر إليها وايتسم : " سيترك وايتستون عمله ، ويذهب إلى أستراليا للعمل في مجال يحبه . "

" لكنى لا أفهم ، ما علاقة هذا بك ؟ "

" لقد رشحنى لدى ديميريس لكى أحل محله ، وديميريس ليس لديه وقت للبحث عن بديل عندما يترك وايتستون العمل . ويقول صديقى إن الحصول على العمل سهل " ثم أردف متردداً : " هل تعرفين معنى ذلك يا كاثرين ؟ "

فكرت كاثرين في أعماله السابقة ، وتذكرت والدها وأحلامه الفارغة ، فجعلت نبرة صوتها هادئة ، ولا تدل على أية انفعال ، لكيلا تشجع لدى لارى أحلاماً وآمالاً كاذبة ، وفي نفس الوقت لا تريد تثبيط عزمه : " ألم تقل إنك لم تكن على وفاق مع وايتستون ؟ "

قال لها : " بلى " ثم عبس بوجهه ، لأن الحقيقة أنهما كانا يكرهان بعضهما البعض ، وكانت المكالمات مفاجأة كبيرة . وفي لقائهما كان يبدو وايتستون متوتراً وعصبياً ، وعندما شرح الموقف قال له لارى : " إننى متدهش لأنك فكرت في " فساد الصمت المحرج لبرهة ، ثم قال وايتستون : " يريد ديميريس طياراً ممتازاً مثلك " . بدا الأمر وكأن وايتستون يضغط على لارى لقبول العمل كنوع من إساءة المعروف ، وبدا عليه الارتياح لحماس لارى ، وبدا متعجلاً على الرحيل . كان اجتماعاً غريباً جداً .

قال لـ " كاثرين " : " قد تكون تلك فرصة العمر ، فـ " ديميريس " يدفع لـ " وايتستون " ١٥ ألف دراهمة شهرياً ، وهذا يعنى ٥٠٠ دولار ، كما أنه يعيش كالمملك هناك . "

" هل معنى ذلك أنك ستعيش في اليونان ؟ "

" بل سنعيش معاً هناك ، بكل هذا المال سندخر ، لكى نستقل بحياتنا خلال عام ، يجب أن أستغل الفرصة . "

ترددت كاثرين ، وكانت تنتقى كلماتها بحرص : " لارى ، المكان بعيد ، ونحن لا نعرف شخصية ديميريس ، لابد أن هناك عملاً مناسباً لك هنا و... " .

قال لها بنبرة وحشية : " كلا ! لا يهتم هنا أحد بكوني طياراً ممتازاً ، كل ما يهتمون به هو دفع مستحقات النقابة ، وهناك سأكون مستقلاً ، وهذا ما كنت أحلم به يا كاثي ، ديميريس لديه سرب طائرات مذهل ، وسأطير ثانية يا عزيزتي ، الشخص الوحيد الذي سأسعى لإرضائه هو ديميريس ، ويقول وايتستون إنه سيعجب بي " .

فكرت كاثرين في تجربة لاري مع شركة بان أمريكان ، وإخفاقه في كل الشركات الأخرى . قالت كاثرين لنفسها : " ما الذي جلبته على نفسي ؟ سأخسر شراكتي مع فريزر ، وسأعيش في مكان غريب مع الغرباء ، ومع زوج كالغريب بالنسبة لي تقريباً " .

كان يراقبها وقال : " هل أنت معي ؟ "

نظرت لوجهه المتحمس ، هذا هو زوجها ، وهي تريد المحافظة على زواجها ، وستعيش معه في أي مكان . سيكون الأمر مدهشاً إذا حصل على العمل ، سيعود لاري لشخصيته المحبوبة الساحرة الرائعة تماماً مثلما كان في أول أيام الزواج . يجب عليها منحه الفرصة لكي يعود كما كان ، فقالت :

" بالطبع سأسافر معك ، لماذا لا تسافر وحدك لمقابلة ديميريس ، إذا حصلت على العمل سأتابعك إلى هناك . "

ابتسم ابتسامته المعهودة الطفولية ، وقال : " كنت أعلم أنه يمكنني الاعتماد عليك يا عزيزتي " .

فكرت في مدى صعوبة أن تقول لفريزر إنها ستسحب من الشراكة .

في صباح اليوم التالي سافر لاري إلى أثينا لمقابلة ديميريس . في الأيام التالية لم تسمع كاثرين عن زوجها ، وبعد أن مر أسبوع كانت تتمنى لو فشل الأمر في اليونان ، وأنه سيعود ، لأنه حتي لو حصل على العمل فلن يستمر فيه طويلاً ، وبالتأكيد سيجد عملاً في الوطن .

بعد أسبوع تلقت كاثرين مكالمته .

" كاثرين ؟ "

" نعم يا عزيزي . "

" احزمت حقائبك ، فقد حصلت على العمل كطيار شخصي

لـ " ديميريس " .

بعد عشرة أيام سافرت كاثرين إلى اليونان .

الكتاب الثاني

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٤

بعض الرجال يشكلون المدن ، وبعض المدن تشكل الرجال . كانت أثينا كسندان الحداد ، فتحملت ضربات الزمن القاسية على مر العصور وتم احتلالها من جانب العرب والإنجليز والأتراك ، وفي كل مرة نجحت وبقيت ورحلوا هم عنها . تقع أثينا في الناحية الجنوبية لسهل أتيكا العظيم الهائل لخليج سارون من الجهة الجنوبية الغربية ، وتطل على جبال هايمتوس الساحرة الخلابة . تحت الطبقة اللامعة للمدينة يجد المرء آثار المدينة القديمة ، ذات التقاليد القديمة ، والمجد التليد في العصور الغابرة ، حيث سيحيا المواطنون كما عاش أسلافهم عبر القرون الماضية . وكانت أثينا مدينة مليئة بالمفاجآت والاستكشافات ، وفي النهاية لا يمكنك سبر أغوارها .

وصل لارى لمطار هيلينيكون لمقابلة كاثرين ، وفي المطار وهي تنزل من الطائرة شاهده يسرع إليها نحو المر ، وكان وجهه مليئاً بالحماس

والإثارة ، وهو يجرى ناحيتها . بدا لها أكثر نحافة وسمة منذ آخر مرة رآته . وبدا هو بلا أى قلق أو هموم .

" إننى افتقدتك كثيراً يا كاث " " أنا أيضاً افتقدتك " وأدركت كم كانت تعنى هذه الكلمة حقاً ، ظلت تنسى تأثيره عليها حتى قابلته الآن ، وعاد إليها هذا التأثير من جديد . قال لارى لها وهما فى صالة الجمارك : " كيف استقبل فريز خبر سفرك ؟ "

" بروح رياضية ، وكان سعيداً لسعادتي . "

قال لارى باستهجان : " لم يكن لديه خيار آخر ، أليس كذلك ؟ "

تذكرت كاثرين مقابلتها له ، فقد نظر إليها فى ذهول من هول الصدمة وقال : " ستسافرين للعيش فى اليونان ! لماذا ؟ "

قالت له : " لمرافقة زوجي . "

" أعنى ، لماذا لم يحصل لارى على عمل هنا يا كاثرين ؟ "

" لا أعرف يا بيل ، كلما حصل على عمل كان ثمة ما يسوء ، ولكن عمله فى اليونان يسعده ، ويبدو أنه ناجح به . "

بعد رفضه العقوى فى بادئ الأمر ، كان فريز لطيفاً معها ، حيث سهل كل شيء ، وأقنعها بإبقاء نصيبها فى الشركة ، وقال لها عدة مرات : " فلن تغضى بعيدة عن الوطن للأبد . "

ظلت كاثرين تفكر فى كلماته ، وهى تشاهد لارى وهو يأمر الحمال بحمل حقائبها للسيارة الليموزين .

كان يتحدث معه باللغة اليونانية ، وتعجبت كاثرين من طلاقته وفصاحته اللغوية .

قال لها : " ستقابلين ديميريس ، إنه يحيا كالملوك ، وكل رجال الأعمال الكبار يحاولون إرضاءه طوال الوقت . "

" إننى سعيدة لأنك معجب به . "

" وهو أيضاً معجب بى . "

لم تسمعه من قبل سعيداً ومتحمساً لهذه الدرجة ، واعتبرت ذلك قليلاً حسناً .

فى الطريق للفندق حكى لها لقاءه الأول مع ديميريس حيث استقبل لارى فى المطار. سائق ديميريس الذى كان يرتدى الزى الرسمى ، وطلب منه لارى إلقاء نظرة على سرب طائرات ديميريس ، فقاده السائق لحظيرة الطائرات فى نهاية المطار ، وكانت هناك ثلاث طائرات فحسها لارى بعين ناقدة فاحصة . كانت الطائرات على أحدث طراز ، وكانت مبهرة لـ " لارى " ، وبعد أن انتهى من فحصه لكل طائرة عاد للسائق الذى كان يراقبه .

" إنها طائرة رائعة ، هيا بنا . "

قاده السائق إلى فيلا فى فاركيذا ، وهو حى الصفوة الذى سيبعد ٢٥ كيلو متراً من أثينا .

قال لارى لـ " كاثرين " : " لن تصدقنى مدى روعة وفخامة مقر ديميريس " .

قالت كاثرين بحماس : " كيف كان شكله ؟ "

" من المستحيل وصفه ، فهو مقام على مساحة عشرة أفدنة ، وبه بوابات كهربائية ، وحرس أمنى ، وكلاب للحراسة وما إلى ذلك . ومن الخارج تبدو الفيلا كالمقصر ، ومن الداخل كالمتحف ، وبها حمام سباحة داخلي ، ومسرح متكامل وقاعة للعرض السينمائي ، وستشاهدين كل ذلك يوماً ما " .

" هل هو لطيف معك ؟ "

" بكل تأكيد ، فهو يعاملنى بكل احترام ، ولا بد أن سمعتى كطيار وصلت له قبل مجيئى " .

فى الحقيقة جلس لارى فى قاعة الانتظار ثلاث ساعات فى انتظار ديميريس ، وفى الظروف العادية كان سيغضب من هذه الإهانة ، لكنه كان يعلم مدى أهمية الاجتماع بـ " ديميريس " ، واعتماد مستقبله على

العمل ، ولذلك ظل متوتراً ، ولم يغضب من فرط التوتر . لقد أخبر كاثرين بمدى أهمية العمل له ؛ لكنه لم يخبرها أنه في حاجة ماسة إليه ؛ لأنه يشعر بالضياع بدون استغلال مهاراته الفائقة في الطيران . وكان حياته سقطت في عمق انفعالي مجهول ، والضغط أكبر من أن يتحملها . كل شيء الآن يعتمد على حصوله على العمل مع ديميريس في نهاية الساعات الثلاث جاء الخادم ، وأعلن أن السيد ديميريس مستعد لرؤيته ، وقاد لارى عبر قاعة استقبال كبيرة بدت كأنها جزء من قصر الفرساي ، كانت هناك درجات الألوان الذهبى والأخضر والأزرق ، وهناك تحف فنية ، وسجاد فاخر ، ولوحات فنية وتمائيل ، ونجف فاخر ، وأثاث فخم يملأ المكان .

في نهاية المكتبة الفخمة كان هناك مكتب فاخر ، وكان ديميريس واقفاً بجواره يدرس خريطة كبيرة بها دبابيس كثيرة ملونة ، واتجه إلى لارى ، ويده ممتدة للمصافحة قائلاً : " أنا كوستانتين ديميريس " ولم يبد على لحنه أثر لغته الإنجليزية إلا قليلاً ، كان لارى قد رأى صورته في الجرائد والمجلات عبر السنوات الماضية ؛ لكن لم يكن مستعداً لمواجهة قواه الحيوية .

صافحه لارى ، وقال : " أعرفك بالطبع ، وأنا لارى دوجلاس " رأى ديميريس أن لارى ينظر للخريطة على الحائط ، فقال له : " هذه إمبراطوريتي الاقتصادية ، تفضل بالجلوس " جلس لارى على المقعد المواجه للمكتب . قال ديميريس : " علمت أنك كنت زميل أيان وايتستون في الجيش في سلاح الطيران " " نعم . "

استرخى ديميريس في مقعده ، وتفرس في وجه لارى ، وقال : " أيان يزكيك بشدة . " " أنا أيضاً أعلم أنه طيار ممتاز . "

" هو أيضاً يقول عنك نفس الشيء ، ويقول إنك رائع . " شعر لارى بالدهشة مرة أخرى عندما تذكر عرض وايتستون له ، ويبدو أنه مدح فيه أمام ديميريس بصورة مبالغ فيها ، مقارنة بعلاقتهم في الجيش ، حيث لم يكونا أبداً على وفاق . قال لارى : " إننى ماهر فى عملى " .

أوماً ديميريس برأسه وقال : " أحب الماهرين فى أعمالهم ؛ ولكن هل تعلم أن معظم سكان العالم ليسوا كذلك ؟ " " لم أفكر فى هذا الأمر . "

" لكن أنا فكرت فيه . " ثم ابتسم فى برود ، وأردف قائلاً : " فهذا عملى : دراسة الناس ، والغالبية العظمى منهم يكرهون مجال عملهم يا سيد دوجلاس . بدلاً من التخطيط لعمل ما يحبون ، يظلون فى ضجر وضيق طوال العمر مثل الحشرات بلا عقل . من النادر أن تجد من يحب عمله ، وعندما تجد من يحب عمله ، فهو إنسان ناجح . " قال لارى بتواضع : " إنك على حق . " " لكنك لست ناجحاً . "

نظر إليه لارى فى حيرة وقال : " هذا يعتمد على تعريفك للنجاح يا سيد ديميريس . "

قال ديميريس بجفاء : " ما أعنيه أنك صاحب أداء ممتاز فى الحرب ؛ لكنك فشلت كطيار مدنى . "

شعر لارى بانقباض عضلات فكه ، وأحس أنه يلقي له الطعن لكى يغضب ، فحاول أن يكظم غيظه ، وكان يعد عقله سريعاً بشكل محمووم لإنقاذ فرصة العمل التى يحتاج إليها بشدة . كان ديميريس يراقبه ، ولأحظ عليه كل هذا .

" ماذا حدث لعملك فى بان أمريكان يا سيد دوجلاس ؟ " ابتسم لارى رغماً عنه وقال : " لم أحب فكرة الانتظار ١٥ سنة لأصبح مساعد طيار . "

" لذلك ضربت المدير ؟ "

اندھش لارى وقال : " من أخبرك بذلك ؟ "

قال ديميريس وقد نفذ صبره : " إذا أردت العمل معى يا سيد دوجلاس ، فأنا أضع حياتى بين يديك فى كل رحلة طيران ، وحياتى غالية . فهل سأدعك تعمل عندى بدون معرفة كل شيء عنك ؟ "

" بالطبع لا . "

قال ديميريس : " لقد فصلت من عملك من قبل بعد شركة بان أمريكان ، وهذا ليس فى صالحك . "

رد لارى : " لم يتعلق الأمر بقدراتى . " وبدأ الغضب يتصاعد بداخله ، وأردف قائلاً : " كان العمل سيئاً فى إحدهما ، والأخرى أفلست ، ولكنى طيار ممتاز " .

تغرس ديميريس فى وجهه للحظة ، ثم ابتسم قائلاً : " أعرف أنك كذلك ، لكنك لا تلتزم بالنظام ، أليس كذلك ؟ "

" لا أحب تلقى الأوامر من الحمقى ، الذين لا يعرفون شيئاً ، أو يعرفون أقل منى . "

قال ديميريس بجفاء : " أتمنى ألا أتمنى لتلك الفئة . "

" إلا إذا كنت ستخبرنى كيف سأقود طائرك يا سيد ديميريس . "

" كلا ، فهذا عملك ، ومن صميم عملك أن تصل بى إلى حيث أريد بكفاءة ، وبشكل مريح وآمن . "

" سأبذل أفضل ما لدى يا سيد ديميريس . "

قال له ديميريس : " أصدقك فلقد فحصت طائراتى قبل مجيئك . "

حاول لارى إخفاء دهشته فقال : " إنها تحفة فنية . "

قال ديميريس : " هل قدت هذا الطراز من الطائرات من قبل ؟ "

تردد لارى للحظة ، وكان يريد أن يكذب ؛ لكنه قال : " كلا يا سيدى "

قال ديميريس : " هل تظن أنه يمكنك التعلم ؟ "

" إذا أتيتحت لى الفرصة لمدة ١٠ دقائق فسأتعلم كل شيء . "

مال ديميريس إلى الأمام فى مقعده وضغط كلتا يديه بأصابعه النحيلة الطويلة معاً ، وقال : " يمكننى اختيار طيار على دراية بطراز طائرتى . "

قال لارى : " لكنك لن تفعل لأنك تشتترى طائرات جديدة باستمرار ، وتريد طياراً يعتاد على كل ما تشتتريه سريعاً . "

أوما ديميريس برأسه ، وقال : " أنت محق ، فأنا أبحث عن طيار ممتاز يكون فى أسعد حالاته عندما يطير . "

منذ تلك اللحظة علم لارى أنه سيحصل على الوظيفة .

لم يدر لارى أنه كان على وشك فقدان عمله حيث كان يعتمد قدر كبير من نجاح ديميريس على حاسته القوية للشعور بالمشاكل قبل حدوثها ، ونادراً ما كان يتجاهل شعوره عندما يحس باقتراب المشاكل .

عندما جاء وایتستون لكى يخبره بأنه سيستقيل ، دق جرس الإنذار فى ذهن ديميريس ، بسبب سلوك وایتستون غير الطبيعى ، والذى يدعوا للريبة ، ولم يكن الأمر متعلقاً بالمال كما أكد وایتستون لـ " ديميريس " ، بل حصل على فرصة الدخول فى معاملات تجارية لنفسه مع زوج أخته فى سيدنى ، ولقد خاض هذه الفرصة كتجربة ، وبعدها قام بترشيح طيار آخر .

قال لـ " ديميريس " : " إنه طيار أمريكى كان معى فى سلاح الطيران ، وهو ليس رائعاً فقط ، بل ممتاز ، ولا أعرف من هو أفضل منه . "

أنصت ديميريس له بهدوء وهو يعدد فى محاسن صديقه ، وحاول التقاط نبذة المبالغ والكذب التى شوهدت كلامه حتى أدركها ، فلقد كان وایتستون يبالغ ، لكن ربما كان ذلك بسبب إحراجة من ترك العمل بهذه الصورة المفاجئة .

ولأن ديميريس كان لا يدع أقل شيء للمصادفة ، فلقد أجرى مكالمات هاتفية عديدة مع عدة دول بعد أن غادر وايتستون ، وتأكد من أن هناك من قام بتمويل شركة إلكترونيات في أستراليا لحسابه . ثم تحدث مع وزارة الدفاع الجوي البريطانية ، وبعد ساعتين حصل على تقرير لفظي عن دوجلاس : " إنه غريب الأطوار على الأرض ؛ لكنه طيار ممتاز " . ثم أجرى اتصالاته في واشنطن ونيويورك ، وعرف حالة لارى دوجلاس في الوقت الراهن .

كان كل شيء يبدو على ما يرام ظاهرياً ، لكن كان ديميريس يشعر بإحساس مبهم بعدم الراحة ، وكأن هناك مشاكل على وشك الوقوع ، ولم يتركه هذا الهاجس ، ولقد ناقش الأمر مع نويل ، وقال إنه سيمنح وايتستون مالاً أكثر لكي يبقى ، فأنتصت له نويل ، وقالت : " كلا . دعه يرحل يا كوستا ، وإذا كان يزكي لك الطيار الأمريكى فجربه أولاً . " وفي النهاية قرر ديميريس أن يجرب لارى دوجلاس .

لم تتمكن نويل من التفكير في أى شيء سوى لارى مبتذ أن سمعت أنه فى طريقه إلى أثينا . فكرت فى كل السنوات الماضية وتخطيطها الدقيق بصبر ، والإحكام التام للشباك حول ضحيتها ، وقالت لنفسها إنه إذا عرف ديميريس بالأمر فسوف يفتخر بها . لو لم تكن قد قابلت لارى لصارت سعيدة مع ديميريس ، فهما يكملان بعضهما البعض للغاية ؛ كلاهما يحبان القوة ، ويعرفان كيفية استخدامها ، فى النهاية لن يخسرا بسبب صبرهما الذى ليس له مثل فى عمقه ، وكأنهما يستطيعان الانتظار للأبد ، ولكن لن يطول انتظار نويل بعد الآن .

قضت نويل اليوم فى الحديقة مستلقية على الفراش المعلق وهى تراجع خطة انتقامها من لارى ، وبدأت الشمس تغيب ، وشعرت

بالرضا ، لكنها فكرت فى الأعوام الستة السابقة ، وكم كانت مليئة بالرغبة فى الانتقام ، تلك الرغبة التى كانت الدافع الوحيد لكل حركاتها ، وتبث فيها قدراً من النشاط والحيوية والإثارة ، لكن بعد أسابيع سيختفى كل هذا . فى تلك اللحظة لم تدرك نويل أن تلك هى البداية للنهاية ، وذلك عندما كانت مستلقية تحت الشمس التى مالت للغروب ، وعندما بدأ النسيم البارد يهب على الحديقة الهادئة .

فى ليلة وضول لارى لم تتمكن نويل من النوم ، وظلت مستيقظة طوال الليل ، وتذكرت باريس ، والرجل الذى منحها القدرة على الضحك ، ثم سلبها منها مرة أخرى ... تذكرت ابن لارى فى أحشائها وهو يمتلك جسداً مثلما امتلك أبوه عقلها ، تذكرت يوم أن أجهضت نفسها بمشجب المعاطف الذى كلما كان يغرز فى اللحم ويمزق طفلها كانت تشعر بالمتع لكنه لا يحتمل ، وفى نفس الوقت بالهستيريا والجنون مع تدفق الدم فى جسدها . تذكرت كل تلك اللحظات فى ذهنها ... الألم والكراهية .

قامت نويل من على الفراش فى الخامسة فجراً ، وارتدت ملابسها وراقبت شروق الشمس من حجرتها المطلة على بحر أيجيان ، وتذكرت أحد الأيام فى باريس عندما استيقظت مبكرة ، وارتدت ملابسها وانتظرت لارى - لكنه اليوم سيأتى لأنها أحكمت تدبيرها لذلك . لقد كانت فى حاجة له فى الماضى ، والآن هو من يحتاج لها ، حتى إن لم يكن على وعى بذلك .

أرسل ديميريس فى طلب نويل لتتناول الإفطار معه ، لكنها كانت تشعر بالإثارة البالغة ، وخافت أن يثير ذلك شكوكه ، لقد تعلمت منذ فترة طويلة أن ديميريس له حساسية كالقط ، ولا تفوته أقل الأشياء . ذكرت نفسها بأنها يجب أن تحتاط ، وتأخذ حذرهما ، لأنها تريد إنزال

العقاب بـ " لارى " بمفردها وعلى طريققتها . وكانت تعلم أن ديميريس لن يعجبه أن تستخدمه كأداة .

احتست القهوة اليونانية ونصف ساندويتش ، فلم تكن شهيتها مفتوحة ، وكان عقلها يركز بشكل محموم على مقابلة لارى بعد بضع ساعات . اهتمت بزيبتها بشكل أكثر من المعتاد واهتمت باختيارها لفستانها ، وعلمت أنها الآن أجمل من ذى قبل .

بعد الساعة الحادية عشرة سمعت نويل صوت توقف السيارة الليموزين أمام المنزل . سحبت نفساً عميقاً لكى تسيطر على توترها ، وسارت ببطء نحو النافذة ، وخرج لارى من السيارة ، وشاهدته نويل وهو يسير إلى الباب الأمامى . عاد بها الزمن للوراء عندما كانا معاً فى باريس . لقد نضج لارى ، ولقد جعلت الحرب والحياة اليومية التراجعيد تتسلل لوجهه ، لكنه بدا أكثر وسامة من ذى قبل . شعرت نويل بالانجذاب إليه كانجذاب الحيوان المفترس لفريسته . وهو على بعد ١٠ ياردات منها وهى فى النافذة ، شعرت بالرغبة القديمة تملؤها ممزوجة بالكراهية والمقت ، ثم غمرها شعور بالإثارة ، ثم قامت بإلقاء نظرة أخيرة وسريعة على نفسها فى المرآة ، ثم نزلت لمقابلة الرجل الذى كانت على وشك تدميره .

بينما كانت تنزل عبر السلم تساءلت ماذا سيكون رد فعل لارى عندما يراها ، هل سوف يتفاخر أمام أصدقائه ، وربما لزوجته أن نويل باج المثلة الشهيرة كانت تحبه فى يوم من الأيام ؟ هل كان يتخيل ذهنياً سحر أيام باريس معها ، ويندم على فعلته معها ؟ هل اغتاظ لأنها أصبحت شهيرة على مستوى العالم ، وكانت حياته البائسة عبارة عن سلسلة من الإخفاقات ! أرادت رؤية كل هذا فى عينيه فى تلك المقابلة بعد مرور سبع سنوات تقريباً .

وصلت نويل لقاعة الاستقبال ، وأوصلها رئيس الخدم للقاعة عبر الباب ، وكان لارى جالساً فى القاعة الفسيحة وهو مبهور ، ثم استدار

ورأى نويل ، ونظر إليها للحظة طويلة ، ثم استنار وجهه كمادته عندما يرى امرأة جميلة ، وقال بأدب : " أهلاً أنا لارى دوجلاس ، ولدى موعد مع السيد ديميريس . "

لم يتعرف عليها وكان ذلك ظاهراً على وجهه .

لم يتعرف عليها على الإطلاق

أثناء القيادة عبر شوارع أثينا حتى الفندق ذهلت كاثرين من كثرة الدمار والأطلال من حولها .

ولكن ما أثار إعجابها هو مبنى البارثينون فى الأكروبوليس ، وكانت الفنادق والمباني فى كل مكان ، لكنها كانت تبدو لـ " كاثرين " مؤقتة وزائلة ، على العكس من البارثينون الذى يبدو خالداً عبر الزمن فى وضوح وصفاء الجو .

قال لارى مبتسماً : " الأمر مذهل ، أليس كذلك ؟ كل ما فى هذه المدينة الأثرية جميل . "

مرت السيارة بحديقة كبرى فى وسط المدينة ، بها نافورات مذهشة فى المنتصف ، وبها مئات المناضد والأسوار ، ذات الأعمدة الخضراء والبرتقالية والمظلات الزرقاء الجميلة .

قال لارى : " هذا هو ميدان الدستور ويجلس فيه الناس طوال اليوم لاحتساء القهوة اليونانية ، ومشاهدة العالم من حولهم . "

كان يوجد فى كل مبنى تقريباً مقهى ، وفى الأركان والزوايا يوجد باعة الإسفنج وباعة الزهور ، وكانت أكشاكهم ذات ألوان مبهرة .

قالت كاثرين : " المدينة بيضاء جداً ومبهرة . كان جناح الفندق كبيراً وساحراً ويطل على ميدان " سينتاجما " فى مركز المدينة . كانت بالحجرة زهور جميلة وسلّة كبيرة من الفواكه الطازجة .

قالت كاثرين وهي تشاهد أرجاء الجناح : " إنه رائع يا حبيبى . " ثم جاء الساعى بالحقائب ، وأعطاه لارى البقشيش ، وكان يخاطبه باليونانية ، ثم رحل الساعى ، وأغلق الباب خلفه .

عانتها لارى وقال : " مرحباً بك فى اليونان "

كانت هناك علبة صغيرة على منضدة ، فقال لها : " افتحيها " وعندما فتحتها وجدت قلادة صغيرة من العقيق على شكل طائر . رغم انشغاله لكنه تذكر أن يحضر لها هدية ، فتأثرت كاثرين ، وأحسنت أن ذلك فال حسن ، لانتها كل مشاكلها .

دعت كاثرين فى صلاتها أن تبدأ حياة جديدة سعيدة مع زوجها الذى تحبه حباً جماً . لقد عاد لارى القديم والمشاكل القديمة جعلت زوجها أكثر صلابة .

لن يؤذيها شيء بعد الآن .

فى صباح اليوم التالى قام لارى باصطحاب كاثرين للسماير للبحث عن شقة لهما . كان السماير يدعى ديميتروبولوس ، وكان قصيراً وأسمر ، وله شارب كثيف ، ويتحدث سريعاً بخليط من اليونانية والإنجليزية ، ولم تفهم منه كاثرين شيئاً .

ترجته كاثرين بعطف شديد - حيلة تعلمتها وستستخدمها كثيراً فى الشهور التالية - أن يتحدث ببطء ، لكى تفهم ما يقوله بالإنجليزية .

المكان الرابع الذى أظهره لها كان شقة مريحة مشمسة مكونة من أربع حجرات فى أرقى حى فى ضواحي أثينا الذى يدعى كولوناكى وهو مليء بالمباني السكنية والمتاجر الفخمة .

عندما عاد لارى للفندق فى تلك الليلة أخبرته كاثرين عن الشقة ، وبعد يومين انتقلا للإقامة بها .

كان لارى يعمل طوال اليوم ، لكنه كان يحاول اللحاق بموعد العشاء يومياً فى المنزل مع كاثرين . كان العشاء فى أثينا ما بين الساعة التاسعة والثانية عشرة مساءً وبين الساعة الثانية ، أما فى الخامسة مساءً فينام الجميع نوم القيلولة ، ثم تفتح المتاجر حتى الليل المتأخر ، ووجدت كاثرين نفسها مستمتعة بالمدينة ، وفى ليلتها الثالثة فى أثينا عرفها لارى على صديق له يدعى الكونت جورج باباس ، وهو رجل طويل ونحيل فى الخامسة والأربعين من العمر ، وله شعر أسود بدأ المشيب يخط فيه حول الصدغين ، وكان شكله مثيلاً يدعوا للاحترام ، كأنه قادم من الماضى ، وأعجبت به كاثرين . اصطحبها هذا الصديق للعشاء فى مطعم فخم فى أقدم حى فى أثينا ، ويدعى بلاكا وهو حى صغير فى قلب المدينة وبه مبان قديمة متهاكة منذ أيام الحكم العثمانى للمدينة عندما كانت مجرد قرية صغيرة ، وكانت كل المباني مدهونة باللون الأبيض ، والمكان مليئاً بباعة الفاكهة والزهور ، ورائحة القهوة المحمصة تملأ المكان ، والمشاجرات فى كل مكان حتى بين القطط والكلاب ، وكان تأثير كل هذا ساحراً لـ " كاثرين " ، فهذا حى فقير بمقاييس أى مدينة أخرى ، لكن كان فى أثينا يبدو أثراً تاريخياً . كان المطعم له مناوئد بالخارج فوق سقف مفتوح يطل على كل المدينة ، والنوادل يرتدون ملابس مزركشة .

قال الكونت لـ " كاثرين " : " ماذا تفضلين تناوله الآن ؟ نظرت للقائمة ولم تفهم أى شيء ، فقالت : " اطلب لى ما تشاء ، أخشى أن أشير لأى اسم هنا . يتضح أنه اسم صاحب المطعم ! "

أمر الكونت لهما بوليمة عظيمة من أشهر المأكولات اليونانية من لحوم وسلطات وفتائر ، وشعرت كاثرين بالتقزز من بعض الأصناف . قال الكونت : " هذا هو الطعام القومى لدينا " ، ثم شاهد كاثرين ، وهى تتناول الطعام فى نهم "

تناولا الطعام علي أنغام موسيقى البوزوكيا اليونانية الشهيرة المبهجة ، وشاهدا عرضاً مبهرًا ، واستمتعت به كاثرين كثيرًا .

لم يغادروا المطعم إلا الساعة الثالثة فجراً ، وأوصلهما الكونت إلى شقتها الجديدة ، وقال لـ " كاثرين " : " هل شاهدت المعالم السياحية ؟ "

قالت : " كلا ، لكنى منتظرة أن يحصل لارى على إجازة لهذا الغرض " .

قال الكونت لـ " لارى " : " ربما ستسمح لى باصطحابها لرؤية المعالم السياحية إلى أن تتفرغ وتتضمن لنا لاحقاً . "

قال لارى : " سيكون ذلك رائعاً إذا لم يمثل لك عبئاً . "

قال الكونت : " بل سأستمتع بذلك . " ثم توجه إلى كاثرين قائلاً :

" هل تمانعين فى أن أكون مرشدك السياحي ؟ "

نظرت إليه وفكرت فى أنها لا تعرف اليونانية ، وأرادت من يتفاهم معها بلغتها ، فقالت : " بل سأحب ذلك جداً . "

كانت الأسابيع التالية رائعة لـ " كاثرين " فهى تقضى النهار فى تنظيف الشقة ، وتشاهد الآثار والمعالم السياحية فى حالة عدم وجود لارى مع الكونت .

ذهبوا إلى منطقة أوليمبيا ، وقال لها : " هذا مكان أولى دورات الألعاب الأولمبية التى كانت تقام سنوياً لآلاف السنين على الرغم من الحروب والمجاعات والأوبئة . "

شاهدت كاثرين ذلك فى رهبة وإعجاب ، وشاهدت ساحات الألعاب الأولمبية ، وفكرت فى روعة وبهاء المسابقات التى كانت تقام هنا عبر القرون الماضية ، والانتصارات والهزائم .

قالت كاثرين : " حدثنى عن ملاعب إيتون ، ألم تبدأ الروح الرياضية هنا حقاً منذ فجر التاريخ ؟ "

ضحك الكونت ، وقال : " أخشى أن هذا ليس صحيحاً ، فالحقيقة مخجلة بعض الشيء . "

نظرت إليه كاثرين باهتمام وقالت : " لماذا ؟ "

" أول سباق بالعجلات التى تجرها الخيل حدث به غش . "

" غش ؟ "

" أخشى أنه كذلك ، كان هناك أمير غنى يدعى بيلوجس فى نزاع مع غريمه ، وأقيم سباق لتحديد من الأفضل ، لكن فى ليلة ما قبل السباق عبث بيلوجس بعجلات غريمه ، وعندما بدأ السباق انقلبت عجلات غريمه ، وجرت الخيل حتى لقي حتفه . حيث علق فى سيور التحكم فى الخيل ، وكان الناس يشجعون بيلوجس الذى انتصر فى النهاية " .

قالت كاثرين : " هذا شيء بشع ، وماذا فعل الناس به ؟ "

" هذا هو الجزء المخزى فى القصة ، عرف الناس فعلته ، وجعلوه بطلاً كبيراً . وخلدوا ذكره فى نصب تذكارى لا يزال قائماً حتى اليوم فى معهد زيوس فى جبل أوليمبيا ، وللأسف عاش الشرير حياة سعيدة ، ويوجد حتى باسمه فى مدينة كورينث يدعى بيلوبونسوس " .

قالت كاثرين متعجبة : " من قال إن الجريمة لا تفيد ؟ "

كلما وجد لارى وقت فراغ كان يكتشف المدينة مع كاثرين ، ووجد متاجر رائعة للتسوق ، وقضاء الساعات فى الفصال مع الباعة بسبب الأسعار ، وأصبحت المطاعم الصغيرة جزءاً من حياتهما وذكرياتهما . كانت أياماً رائعة ، ورفيقهما كان ساحراً . وفرحت كاثرين لأنها ضحت بعملها فى أمريكا ، لكى تظل مع زوجها .

لم يكن لارى دوجلاس سعيداً من قبل فى حياته مثلما هو سعيد هذه الأيام . كان العمل مع ديميريس قد حقق له حلم حياته .

كانت الأموال التي يتقاضاها جيدة ؛ لكنه لم يأبه لها ، بل كان مهتما بقيادة الطائرات المدهشة الحديثة الرائعة ، وقد تعلم قيادة طائرة ديميريس المفضلة في ساعة واحدة ، وأتقن قيادتها بعد خمس رحلات بها ، وكان يعمل مع مساعد الطيار بول متكساس اليوناني المرح السعيد معظم الوقت . اندهش متكساس من الرحيل المفاجئ لـ " وايتستون " ، وكان يتربص حدوث المشاكل عندما جاء البديل . وكان قد سمع الأقاويل حول لارى دوجلاس ، ولم تعجبه الإشاعات ، لكن بدا دوجلاس متحمساً جداً لعمله الجديد ، وعندما انطلق معه في أول رحلة طيران علم أنه طيار ممتاز .

بالتدريج هدأ متكساس من ناحية لارى ، وصارا صديقين .

عندما لم ينطلق لارى في رحلات طيران كان يقضى الوقت في فحص سرب طائرات ديميريس ؛ لمعرفة كل شيء عنها ، وبالتالي كان يتمكن من قيادتها بشكل أفضل من أى طيار سبقه للعمل عند ديميريس .

كان التنوع في العمل هو ما يدهش لارى . فهو يصطحب ديميريس والعاملين معه في رحلات عمل عبر مدن مختلفة في العالم ، أو يوصل ضيوفه إلى جزيرة أو لحفل في منزله في سويسرا للتزلج على الجليد ، وسرعان ما اعتاد توصيل كبار المشاهير ممن كان يرى صورهم على الصفحات الأولى للجرائد والمجلات ؛ ثم يحكى لـ " كاثرين " ما رآه وسمعه . لقد قاد الطائرة وهي تحمل على متنها رئيس جمهورية دولة من دول البلقان ، ورئيس وزراء بريطانيا ، وأحد رجال النفط الأثرياء مع زوجته ، ومغنيات الأوبرا ، وراقصات الباليه ، وفرقة مسرحية لأداء عرض مسرحي ليلية واحدة في عيد ميلاد ديميريس في لندن ، وقضاة من المحكمة العليا ، ونواب الكونجرس ، ورئيساً أمريكياً سابقاً . أثناء تلك الرحلات كان لارى يقضى معظم وقته في كابينة القيادة ، ومن وقت لآخر كان يتفقد أحوال الركاب ، ويتأكد من راحتهم . أحياناً كان

يسمع جزءاً من حوار الركاب ، مثل كبار رجال الأعمال الذين يتحدثون عن دمج الشركات الكبرى ، وكان يمكنه أن يجمع ثروة من بيع هذه المعلومات للمنافسين ؛ لكنه لم يكن مهتماً ، كل ما كان يهيمه هو الطائرة التي يقودها . وأن يشعر بالقوة والحيوية والتحكم .

بعد مرور شهرين قاد لارى الطائرة ، وعلى متنها ديميريس لأول مرة . كان يوماً مليداً بالغيوم ، وكانت هناك عواصف وشيكة على طول الطريق ، وخطط لارى جيداً لكي يطير في أقل الطرق خطراً ، لكن الجو كان مضطرباً بشكل يصعب معه تجنب المطبات الهوائية .

بعد ساعة من مغادرة مطار أثينا طلب من الركاب ربط أحزمة الأمان ، وقال لزميله متكساس : " تماسك يا بول . فهذه الرحلة قد تجعلنا نفقد العمل " .

اندهش لارى عندما جاء ديميريس إلى الكابينة ، وقال : " سأنضم إليكما . "

قال له لارى : " تفضل ولكننا سنواجه صعوبات الآن . " جلس ديميريس في مقعد متكساس وربط الأحزمة . كان لارى يفضل بقاء مساعد الطيار بجواره للتصرف السريع في حالة الطوارئ ؛ ولكنها كانت طائرة ديميريس ، وهو الأمر الناهي بها .

استمرت العاصفة ساعتين . أخذ لارى يمر حول السحب الكثيفة كالجبال ، متفادياً الاصطدام بها في لونها الأبيض القاتل .

قال ديميريس : " إنها سحب بديعة . "

قال لارى : " لكنها قاتلة ، وسبب انتفاخها هو وجود الهواء الشديد بداخلها ، وسرعته الشديدة قد تفقدنا التحكم في الطائرة . "

قال ديميريس بهدوء : " أنا متأكد من أنك لن تدع ذلك يحدث " .

قاوم لارى السحب التي تحاول جذب الطائرة إليها ، وحافظ على سيطرته عليها ، ونسى أن ديميريس بجواره ، وركز كامل انتباهه مع الطائرة ، واستغل كل مهارته التي تعلمها ، وفي النهاية خرج بالطائرة

من العاصفة ، والتفت لارى وهو منهك القوى إلى ديميريس ، فوجد متكاس جالساً بجواره ، فقال له : " إنها أول رحلة له معى ، وقد كانت سيئة ، وقد كان هناك احتمال أن أواجه مشكلة . "

بعد قليل أوشك لارى على الهبوط فى المطار فقال له ديميريس : " كنت محقاً ، فأنت ماهر فى القيادة ، وأنا مسرور منك " ثم غادر الكابينة .

ذات صباح كان لارى يستعد للسفر للمغرب ، فاتصل الكونت باباس مقترحاً اصطحاب كاثرين لنزهة فى الريف ، ووافق لارى .

حضر الكونت ميكراً لاصطحابها ، وقاد سيارته نحو سهول ثيسالى وكان على طول الطريق توجد نساء متشحات بالسواد ، ومنحنيات الظهر من حمل الأخشاب الثقيلة .

تساءلت كاثرين : " لماذا لا يقوم الرجال بهذا العمل ؟ " ابتسم الكونت ، وقال : " لن تدعهم النساء يعملون ، فهم بحاجة إلى قوتهم من أجل ممارسة الحب ليلاً معهن . " قالت كاثرين لنفسها : " هذا يجب أن يعلمنا جميعاً درساً فى الحياة " .

وصلا لاحقاً لجيلال بيندوس المنبعة ذات الصخور الشاهقة فى عنان السماء ، وكان الطريق مسدوداً بقطيع أغنام ومعه الراعى وكلب للحراسة خاص بالقطيع ، فتوقف باباس لكى يمر القطيع ويخلى الطريق ، وشاهدت كاثرين الكلب ، وهو يعض أرجل الأغنام الشاردة ، ويضمها فى صف واحد ، ويجبرها على السير فى الاتجاه الذى يريده .

قالت كاثرين معربة عن دهشتها : " إن هذا الكلب يتصرف كالإنسان تماماً " .

نظر إليها الكونت دون أن ينبس ببنت شفة ، فلم تفهم كاثرين مغزى نظرته فقالت : " ما الأمر ؟ "

قال لها بتردد : " إنها قصة سيئة قد تؤلك ! "

قالت له : " لكنى فتاة ناضجة الآن . "

قال لها : " تلك منطقة برية متوحشة ، والأرض صخرية لا تصلح للعيش الرغد ، والمحصول ضئيل ، أو قد تسوء الحالة الجوية ، ولا يكون هناك محصول فتحدث مجاعة . "

" ثم ؟ "

" منذ سنوات هبت العواصف ودمر المحصول وكانت هناك مجاعة وئارت الكلاب الخاصة بالرعاة وهجرت الحقول ، وتجمعت فى مجموعة كبيرة وهجمت على كل المزارع " . كان يتحدث بصوت خفيض ، ويحاول نزع الخوف من صوته .

قالت كاثرين : " وقتلت الأغنام ؟ "

صمت قليلاً ، وقال : " بل قتلت الرعاة ، وأكلتهم . "

حدقت كاثرين مذهولة تحت تأثير الصدمة .

أردف قائلاً : " وأرسلت الحكومة قوات فيدرالية للسيطرة على المنطقة ، واستغرق الأمر شهراً " .

" شئ بشع . "

قال لها بهدوء : " إنه الجوع . "

بعد أن عبرت الماشية والغنم نظرت كاثرين للكلب وارتعدت .

بمرور الأسابيع كان كل ما بدا غريباً لـ " كاثرين " أصبح مألوفاً لديها ، ووجدت الناس ودودين ومتفحّين ، وعلمت أين تتسوق لشراء الطعام والملابس ، وكانت الشوارع فى حالة فوضى ولكنها إلى حد ما منظمة ، لا يسع المرء إلا أن يستمتع بها . لا أحد فى عجلة من أمره ، وإذا سألت أحداً عن الطريق قد يعرض عليها أى شخص توصيلها بنفسه سيراً على الأقدام أو يقول لها : " المكان على مسافة تدخين سيجارة واحدة " . وكانت تتجول فى الشوارع لاستكشافها ، وتستمتع بصيف اليونان .

زارت كاثارين ولارى عدة أماكن ، ولكن كانت البقعة المفضلة لـ " كاثارين " هي جزيرة باروس المزروعة التى يوجد بها جبل مغطى بالزهور ، وعندما كانا يذهبان إليها بالقرب ، يقف لهما المرشد بعد رسو القارب ، ويعرض خدماته فى تقديم جولة على ظهر البغال إلى أعلى الجبل ، فيركبان للاستمتاع بالجولة .

كانت كاثارين ترتدى قبعة من القش ، ذات حافة كبيرة للوقاية من الشمس الحارقة ، وأعطت إحدى الفلاحات هدية لـ " كاثارين " عبارة عن مجموعة أعشاب لوضعها على القبعة كزينة . بعد الجولة التى استمرت ساعتين للصعود للجبل وصلا لهضبة بها سهل ملىء بالأشجار ، وملايين الأزهار فى شكل مبهر أخاذ . أوقف المرشد البغال ، وراقبا فى انبهار سيمفونية الألوان .

قال المرشد بإنجليزية بها أخطاء : " يسمونه وادى الفراشات . " لم تر كاثارين أية فراشات ، فقالت : " لماذا أطلقوا عليه هذا الاسم ، فلا يوجد أى فراشات ؟ "

قال لها بابتسامة ، وكأنه كان يتوقع السؤال : " سأشرح لك . " والتقط فرع شجرة غليظاً ، وضرب به شجرة بكل قوته ، فطارت مئات الفراشات ، والتى ظننها كاثارين أزهاراً على الشجرة ، وامتأل الهواء بآلاف الفراشات الملونة ، وسيمفونية ألوان راقصة فى ضوء الشمس .

انبهر كل من لارى وكاثارين ، وهدفاً إلى المشهد الخلاب الأخاذ ، وراقبهما المرشد بفخر واعتزاز ، وكأنه المسئول عن هذه المعجزة التى شاهداها ، كان ذلك من أجمل أيام حياة كاثارين ، وإذا خيرت أن تعيد يوماً من أيام حياتها لاختارت اليوم الذى قضته مع لارى فى جزيرة باروس .

قال بول متكاس مبتسماً لـ " لارى " : " لدينا راكبة مهمة جداً اليوم ، انتظر حتى تراها . "

" من هي ؟ "

" نويل باج صديقة ديميريس ، يمكنك أن تنظر إليها ، ولكن لا تلمسها . "

تذكر لارى عندما رآها فى منزل ديميريس عندما وصل صباح يوم الاثنين . كانت جميلة ، وكان وجهها مألوفاً لديه ، لكنه بالطبع كان قد رآها فى السينما فى فيلم فرنسى أصرت كاثارين على مشاهدته معه . لا يحتاج لارى لتوصيات بالأدب ، فحتى إن لم يكن العالم به نساء لإشباع رغباته فلن يجرؤ على إزعاج صديقه ديميريس ، فهو يحب عمله جداً ولن يخاطر به أمام أية نزوة ، ولكن ربما يحصل على توقيعها لـ " كاثارين " .

تعطلت السيارة الليموزين التى كانت تنقل نويل للمطار ، بسبب أعمال إصلاح الطرق لكنها رحبت بالتأخيرات . سترى لارى لأول مرة منذ أن قابلته عند ديميريس . لقد اهتزت بشدة لما حدث ، أو بالأحرى لما لم يحدث ، حيث لم يتعرف عليها .

عبر السنوات الست التالية كانت تتخيل مقابلتها معه بمئات الأشكال المختلفة ، وتتخيل المشاهد عدة مرات فى عقلها . لكن الشيء الوحيد الذى لم تتخيله أنه لن يتذكرها . أهم حدث فى حياتها لم يكن يعنى له أى شيء سوى نزوة خابرة من مئات العلاقات التى كان يقيمها مع النساء . حسناً ، بعد أن تنتقم منه سيتذكرها .

كان لارى يسير إلى الطائرة ، ومعه خطة الرحلة عندما وصلت السيارة الليموزين ، ووقفت عند الطائرة الكبيرة ، وخرجت منها نويل . سار لارى نحوها ، وقال بلطف : " صباح الخير يا سيدتى ، أنا لارى دوغلاس ، وسأطير بك إلى مدينة كان " .

التفتت نويل ، وسارت متجاهلة وجوده ، وكأنه لم يتحدث ، أو كأنه ليس موجوداً ، ووقف لارى ونظر إليها فى حيرة .

بعد نصف ساعة أقبل الضيوف ، وصعدوا على متن الطائرة وأقلع لارى ومتكساس . كان الاتجاه إلى كوت دازور فى فرنسا ، ثم سيذهبون ليخت ديميريس . كانت رحلة هادئة ، لكن كانت هناك مطبات الجو المعتادة فى الساحل الجنوبى الفرنسى فى الصيف ، ولارى هبط بالطائرة بسلاسة ، وذهب بالتاكسى لإحضار السيارات الليموزين لنقل الضيوف ، والتي كانت فى انتظارهم ، وعندما أوشك أن يغادر لارى ومساعدته الطائرة جاءت نويل إلى متكساس وهى تتجاهل لارى ، وقالت بصوت ممثلى بالاحتقار : " الطيار الجديد مجرد هاو يا بول ، فلتعطه بعض الدروس فى الطيران " وعندما ركبت نويل السيارة تركت لارى واقفاً فى حيرة شديدة ، وغضب مكتوم .

قال لنفسه : " إنها حمقاء " ، وربما كانت معتلة المزاج اليوم . لكن ما حدث بعد ذلك أقتنع أنه يواجه مشكلة خطيرة .

بناءً على أوامر ديميريس كان على لارى توصيل نويل من أوسك إلى لندن . وبسبب ما حدث قام لارى بمراجعة خطة الرحلة بدقة ، ووجد منطقة ضغط جوى مرتفع فى الشمال مع احتمال وجود برق ورعد فى الشرق ، فتحرك فى طريق آخر ، لكى يتجنب كل ما سبق ، وسارت الرحلة بسلاسة ، والهبوط تم بمهارة فائقة ، وعندما خرج مع متكساس من الكابينة كانت نويل تضع أحمر الشفاه عندما جاءها لارى قائلاً بكل أدب واحترام : " أتمنى أن تكونى قد استمتعت برحلتك " .

" نظرت إليه لبرهة ، ولم يظهر وجهها أى تعبير واضح ، وقالت لـ " متكساس " : " أنا أكون متوترة دائماً عندما يطير بى شخص غير كفء " .

احمر وجه لارى ، وكان على وشك التحدث معها ، لكن نويل قالت لـ " متكساس " : " أخبره ألا يتحدث معى مستقبلاً إلا إذا بدأت أنا بالحديث معه . "

قال متكساس متلعثماً بعد أن ازدرد لعابه : " حسناً يا سيدتى . " حذق لارى إليها ، وكانت عيناه مليئتين بالغضب ، بينما قامت وغادرت الطائرة . كان أول رد فعل حدثت به نفسه إليه هو أن يصفعها ، لكنه كان يعلم أنه إن فعل ذلك فسيفصل ، وهو يجب عمله أكثر من أى عمل آخر قام به ، ولا يريد تركه أبداً ، وإذا فصل فلن يطير أبداً بعد الآن ، وعليه أن يكون أكثر حرصاً فى المستقبل .

عندما جاء لارى للمنزل تحدث مع كاترين عما حدث ، وقال : " إنها تريد النيل منى . "

قالت له : " هذا شيء فظيع ، هل ضايقتك دون أن تدرك ذلك يا لارى ؟ "

" أنا لم أتحدث معها إلا قليلاً . " هزت يديه قائلة : " لا تقلق " وحاولت تهدئته ، وقالت : " قبل أن يمر وقت طويل ستدهشها . صدقنى ، وانتظر . "

فى اليوم التالى قام لارى بتوصيل ديميريس لرحلة عمل فى تركيا ، وجاء ديميريس لكابينة القيادة ، وجلس مكان متكساس بجوار لارى فى صمت يراقب الطائرة ، وهى تشق السحاب .

فى النهاية قال ديميريس : " السيدة نويل باج لا يعجبها سلوكك معها وهى لا تطيقك " .

شعر لارى بيده تضغط على أجهزة التحكم بشدة ، لكنه أجبر نفسه على الاسترخاء ، وقال بصوت هادئ :

" هل ذكرت السبب ؟ "

" قالت إنك كنت وقحاً معها . "

هم بالاعتراض لكنه عدل عن ذلك ، وقال : " إننى آسف ، وسأحاول أن أكون حريصاً فى المرات القادمة يا سيد ديميريس . "

قام ديميريس وقال : " بادر بذلك ، ولا تضايقها مرة أخرى " . ثم غادر كابينة القيادة .

مرة أخرى ! كان ذهنه يغلى من التفكير والغضب ، فهو لم يضايقها ألبتة . ربما لم تعجب هى بنوعه من الرجال ، أو تشعر بالغيرة لأن ديميريس يفضلها ويثق فيه ، لكن كل تلك المبررات لم تكن مقنعة له . لم يتوصل لمبرر مقنع ، ومع ذلك كانت نويل تحاول فصله من عمله .

فكر لارى فى احتمال فقدانه لعمله ، ومهانة البحث عن عمل ، ومقابلات العمل ، وكتابة أوراق التقديم كالحمقى ، وساعات الانتظار الطويلة ، ومحاولات قتل الوقت مع العاهرات وفى الخمارات . تذكر صبر وتحمل كاثرين له . كلا ، لن يجتاز كل هذه المراحل مرة أخرى ولن يتحمل فشله مرة أخرى .

فى فترة انتظاره فى بيروت بعد أيام من هذا الموقف شاهد لارى صورة نويل على أفيش فيلم فى دار عرض سينمائى ، فقرر مشاهدته وهو ممثلى بمقت شديد للفيلم والبطلة ، لكنه انبهر من تمثيلها الرائع .

وشعر مرة أخرى أنها مألوفة لديه ، وأنه رآها من قبل . فى يوم آخر طار لارى مع نويل وبعض رجال الأعمال من منزل ديميريس إلى زيورخ ، وانتظر لارى حتى أصبحت نويل بمفردها ، وأراد أن يقترب منها . تردد كثيراً قبل التحدث معها ، وتذكر تحذيرها له ، وقرر أن يرضى غرورها كنجمة لامعة ، فكل الممثلات مغرورات ، فجاءها وقال فى أدب : " يا سيدتى ، لقد شاهدت فيلمك " الوجه الثالث " ، وأعتقد أنك أعظم ممثلة رأيتهما " .

حدقت إليه لبرهة ، وقالت : " يبدو أنك ناقد أفضل من كونك طياراً ، لكنى أشك فى أن لديك الذوق أو الذكاء الكافى لذلك " ثم انصرفت عنه .

وقف مذهولاً ، وشعر كأنه تلقى طعنة ، وقال لنفسه : " إنها فتاة لعينة ! ، وشعر برغبة كبيرة فى اللحاق بها ، وإخبارها برأيه فيها ؛ لكنه علم أنه لو فعل هذا فستكون نهايته على يدها . كلا ، من الآن فصاعداً سيؤدى عمله ، ويعتمد عليها قدر الإمكان .

فى الأسابيع التالية سافرت نويل معه فى عدة رحلات لكنه لم يتحدث معها أبداً ، وكان يرتب ويحاطط للأمر لكيلا تراه ، وكان يرسل متكسار لنقل أى رسائل للركاب ، وكان لا يخرج من كابينة القيادة ، ولم يعد هناك تعليقات أخرى من نويل ، فهنا لارى نفسه على حل المشكلة .

لكن اتضح أنه هنا نفسه أسرع من اللازم . فى يوم ما أرسل ديميريس فى طلبه فى الفيل ، وقال له : " ستسافر نويل إلى باريس لعمل خاص بى ، وأريدك أن تبقى بجوارها طوال الرحلة " .

" حسناً يا سيد ديميريس " حذق إليه ديميريس ، وتفرس فى وجهه ، ثم هم بإضافة شىء ما ؛ لكنه قال بعد أن غير رأيه : " هذا هو كل شىء " .

كانت نويل الراكبة الوحيدة فى الرحلة إلى باريس ، وقال لارى لـ " متكسار " أن يهتم بشئون نويل ، وظل هو فى كابينة القيادة ، ولم يرها طوال الرحلة . عندما هبطت الطائرة ذهب إليها لارى ، وقال : " أرجو المعذرة يا سيدتى ، فلقد طلب منى السيد ديميريس مرافقتك إلى باريس . "

نظرت إليه باحتقار ، وقالت : " حسناً . لكن حاول ألا تشعرنى بوجودك . "

أوما لها فى صمته وبرود .

غادرا مطار أورلي في سيارة ليموزين خاصة ، وجلس لارى مع السائق ، وجلست نويل في الأريكة الخلفية ، ولم تتحدث إليه طوال الطريق إلى باريس ، وكانت محطتها الأولى البنك المركزى في باريس ، وظل مرافقاً لها حتى ذهبت لخزينة الودائع فى البنك . ظلت نويل بالداخل نصف ساعة ، وعندما عادت مرت بجوار لارى دون أن تنطق كلمة واحدة ، فحدق إليها ، ولم يسهه إلا أن يتبعها .

كانت محطتها التالية شارع فويرج سانت أونريه ، وأرسلت السائق إلى الفندق ، وأتبعها لارى إلى سوق تجارزى ، ووقف أثناء اختيارها لمشترياتها ، وأعطته الحقائق لكى يحملها . اشترت أحذية ، وأحزمة ، وحقائب وعطوراً من محلات فخمة ، وكان لارى يحمل بضائعها فى صمت . وكان مثقلاً بالحمولة الزائدة . لم تظهر نويل أنها تدرك معاناته ، وكأنه حيوان أليف تجره معها فى كل مكان .

عندما خرجا من المحل هطلت الأمطار ، وهرب المشاة بحثاً عن مأوى لهم ، لكن نويل قالت له بلهجة آمرة : " انتظرنى هنا " وشاهدها تذهب للمطعم المقابل للمحل ، ووقف هو فى المطر ساعتين محملاً بالعلب والحقائب ، ويلعبها ويلعن نفسه ، لأنه تحمل سلوكها . كان فى مأزق ، ولم يعرف مهرباً منه . وشعر بأن الأمر سيزداد سوءاً .

كانت أول مرة تقابل كاثرين ديميريس فى فيلته ، حيث حضر لارى إليها لتسليم طرد ذهب أحضره من كوبنهاجن ، وذهبت كاثرين معه للفيللا . كانت واقفة فى بهو استقبال فسيح ، وتتأمل لوحة فنية فى إعجاب ، وفجأة فتح الباب ودخل ديميريس وراقبها للحظات ، وقال : " هل تعجبك لوحة مانيه يا مدام دوغلاس ؟ " التفتت كاثرين سريعاً ، ووجدت نفسها فى مواجهة الرجل الأسطورة الذى سمعت عنه الكثير . كان لديها انطباعان : ديميريس

أطول مما تخيلت ، وكان هناك بداخله طاقة قوية تطفى على كل شيء بدرجة تخيفها . اندهشت لأنه عرفها وعرف اسمها ، وكأنه بذل جهداً لمعرفة كل شيء عنها وعن لارى . سألها إذا ما كانت تحب الإقامة فى اليونان ، وإذا ما كانت شقتها مريحة ، وأخبرها أن تلجأ له فى حالة طلب المساعدة فى أى شيء . وكان يعلم أيضاً أنها تحب تجميع القلادات التى تأخذ شكل طيور صغيرة ، وقال لها : " رأيت واحدة جميلة ، وسوف أرسلها لك " .

ثم جاء لارى ، وغادر الفيلا معها .

قال لها لارى : " هل أعجبك السيد ديميريس ؟ "

" إنه ساحر حقاً ، ولا عجب فى أنك تستمتع بالعمل معه . "

" وسأظل أعمل معه " وكانت هناك فى صوته كآبة لم تفهمها كاثرين .

فى اليوم الثانى وصل لـ " كاثرين " طرد به قلادة من البورسلين على شكل طائر وكانت جميلة جداً .

رأت كاثرين ديميريس مرتين بعد ذلك ، مرة عندما ذهبت لسباق الخيل مع لارى ، ومرة فى حفل الكريسماس عند ديميريس فى فيلته . كان فى كل مرة يتحدث إليها ، ويوليها اهتماماً خاصاً . فى المجلد ظنت كاثرين أنه شخصية متميزة .

فى أغسطس بدأ احتفال أئينا ، حيث تقدم فى المدينة عروض مسرحية وباليه وأوبرا وحفلات موسيقية لمدة شهرين - فى أقدم مسرح يونانى مفتوح ، ويدعى هيرودس أتيكوس على سفح مبنى الأكروبوليس . شاهدت كاثرين عدة مسرحيات مع لارى ، ومع الكونت باباس عندما يكون لارى مشغولاً . كان من المدهش رؤية المسرحيات فى المكان الذى تم تمثيلها فيه لأول مرة منذ قرون على يد اليونانيين الذين أبدعوا تلك المسرحيات .

فى إحدى الليالى بعد مشاهدة كاثرين والكونت لمسرحية " ميديا " كانا يتحدثان عن لارى .

قال الكونت : " إنه رجل يدعو للإعجاب ، ومثله نطلق عليه لقب بولى ميكائوس . "

" ماذا يعنى هذا اللقب ؟ "

" من الصعب ترجمته ؛ لكن معناه الحرفى " محنك " .

" تعنى أنه واسع الحيلة ؟ "

" نعم . بل وأكثر من هذا ، فهو يعنى أنه جاهز دائماً بالأفكار والخطط الجديدة " قالت كاثرين : " فعلاً هذا هو زوجى الحبيب . "

كانت ليلة مقمرة ، وكان الجو الليلي دافئاً ، وسارا معاً نحو الميدان ، وكانا على وشك عبور الشارع فاندفعت سيارة بسرعة كادت أن تصدم كاثرين لولا أن الكونت جذبها بسرعة لحمايتها .

صاح الكونت خلف السائق الذى اختفى : " أحقق ! "

قالت كاثرين : " الجميع هنا لا يحسنون القيادة . "

ابتسم الكونت فى أسى ، وقال :

" هل تعرفين السبب ؟ لم ينتقل اليونانيون حقاً إلى القدرة على قيادة السيارات ، وفى أذهانهم مازالوا يقودون البغال والحمير . "

" أنت تمزح بالتأكيد . "

" للأسف لا ، إذا أردت معرفة اليونانيين حق المعرفة فلا تقرئى كتب السياح بل الدراما الإغريقية ، ففى الواقع نحن ننتسب لقرون الماضى ، كما أننا بدائيون جداً ، وبداخلنا انفعالات حادة درامية مثل الحزن الشديد ، والفرحة الغامرة ، والحب الكبير ، ولم نتعلم أن نخفيها تحت قناع التحضر والتمدن "

قالت كاثرين : " لا أظن أن ذلك شئ سيئ للغاية "

" ربما لكنه يشوه الواقع ، وعندما يزاننا الآخرون من الجنسيات الأخرى لا يرون ما يظنون أنهم يرونه ، وكأنك تنظرين إلى نجم بعيد ،

وفى الواقع لا تنظرين إليه ، بل لضوئه الذى كان هناك منذ مليون سنة مثلاً ، وهكذا نحن اليونانيون ، عندما تنظرين إلينا فأنت تنظرين إلى انعكاس لصورة الماضى "

وصلا للميدان ، ومرا على محلات بها عرافون

قالت كاثرين : " يوجد الكثير من العرافين هنا ، أليس كذلك ؟ "

" نحن قوم نؤمن بالخرافات . "

" لكننى لا أؤمن بها . "

ثم وصلا لمطعم صغير ، وكانت هناك لافتة مكتوبة بخط اليد : " مدام بيريس ، العرافة "

قال لها الكونت : " هل تؤمنين بوجود الساحرات ؟ "

نظرت إليه كاثرين ، وظنت أنه يمزح ؛ لكنها وجدته يتكلم بجدية فقالت : " أحياناً "

" لا أعنى الساحرات ذوات المقشاة والقطط السوداء والقذور المغلية . "

" ماذا تعنى إذن ؟ "

أشار إلى اللافتة ، وقال : " مدام بيريس ساحرة يمكنها قراءة الماضى والمستقبل . "

وجد الشك ظاهراً فى وجهها ، فقال لها : " سأخبرك بقصة ، منذ

سنوات كان هناك رئيس شرطة يسمى فاسيلى وكان صديقاً لى ، واستخدمت نفوذى لكى أضعه فى هذا المنصب ، وكان رجلاً أميناً ، وهناك من أراد إفساده ليكون رجل شرطة فاسداً ؛ لكنه رفض فقررروا قتله ، فجاءنى ليخبرنى أن حياته فى خطر . وكان رجلاً شجاعاً ؛ لكن التهديد أزغجه ؛ لأنه جاء من أكبر وأقوى رئيس عصابة لا يرحم . وراوده شعور أنه سيموت قريباً ، وطلب مساعدتى . "

كانت كاثرين تنصت باهتمام شديد ، وقالت : " وماذا فعلت

له ؟ "

" نصحته بالذهاب لقراءة الطالع عند مدام بيريس " ثم صمت مفكراً .

قالت له كاثرين : " وهل ذهب ؟ "

" نعم ، وأخبرته أن موته سيأتي فجأة بدون توقع عن طريق أسد في عز الظهر ، لكن لا يوجد أسود في اليونان عدا الأسود العجوزة في حديقة الحيوان ، والأسود الحجرية في ميدان ديولوس . "

بدأت كاثرين تشعر بالتوتر في صوت الكونت ، " ثم ذهب فاسيلي للحديقة لتفقد أقفاص الأسود ، وسأل هل أحضرت الحديقة أسداً جديداً أم لا ، فكانت الإجابة بالنفي . ثم مر أسبوع ولم يحدث شيء ، وقال لي فاسيلي إن كلام الساحرة هراء وأنه أحمق لأنه آمن بالخرافات . مررت عليه ذات يوم في قسم البوليس لأصطحبه لحفل عيد ميلاد ابنه في قارب على البحر للذهاب في نزهة بحرية للاحتفال لكن .. دقت الساعة الثانية عشرة ظهراً ، وحدث انفجار في مكتب فاسيلي ومات . "

قالت كاثرين : " شيء بشع . "

بعد لحظة صمت قالت كاثرين : " لكن الساحرة كانت على خطأ ، فلم يكن هناك أسد . "

" لكن البوليس اكتشف ما حدث ؛ كما قلت لك لقد كان عيد ميلاد ابنه ، وكان مكتبه مليئاً بالهدايا ، ومن ضمنها لعبة من شخص مجهول كانت بها قنبلة على مكتب فاسيلي . "

شحب وجه كاثرين ، وقالت : " فهمت ، أسد لعبة . "

" نعم وانفجر في عز الظهر كما قالت نبوءة الساحرة . "

" شيء مرعب حقاً . "

" مدام بيريس ليست مجرد عرافة عادية . "

" ولكن المنجمين كاذبون وإن صدقوا . "

رجعت كاثرين لمنزلها في تاكسي مع الكونت الذى أوصلها . وعندما تأهبت للنوم قصت ما قاله لها على لارى ، فاحتضنها ومر وقت طويل حتى تمكنت من النوم .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٥

لولا نويل لما كان هناك ما يقلق لارى دوجلاس ، ويعكر صفو حياته . كان فى العمل الذى يحبه ، والمكان المناسب للحياة التى يريدتها ، واستمتع بعمله وبمن يقابلهم ، وبالرجل الذى يعمل لحسابه . وعلى الأرض كانت حياته مرضية ، ويقضى معظم وقته مع كاثرين فى حالة عدم وجود سفريات ، ولأن عمله يتطلب التنقل باستمرار لم تكن كاثرين تعلم أين هو فى معظم الأحوال ، وبالتالي كان لارى يجد فرصاً كثيرة للخروج بمفرده . كان يذهب فى حفلات مع الكونت باباس وبول متكساس ، وأقام علاقة مع هيلينا التى تعمل مضيقة معه فى طائرة ديميريس . نعم ، كان لارى يحيا الحياة الرائعة التى كان يحلم بها دائماً .

ما كان يعكر صفو حياته هى نويل عشيقة ديميريس . لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب احتقارها له ، لكنها كانت تمثل خطراً يهدد عمله وأسلوب حياته . حاول لارى أن يكون مهذباً تارة ، وتارة أخرى

حاول أن يكون ودوداً ، ثم ابتعد عنها ، لكن فى كل مرة كانت نويل تنجح فى أن تجعله يبدو أحمق . كان يعلم أنه يمكنه أن يشكو لـ " ديميريس " ، لكنه كان يخشى أن يقف ديميريس فى موقف اختيار ما بينه وبين نويل . حاول لارى مرتين أن يجعل بول متكساس هو من يقود طائرة نويل ، لكن قبل كل رحلة بقليل تتصل به سكرتيرة ديميريس ، وتخبره برغبة ديميريس بأن يقود لارى الطائرة بنفسه فى رحلات نويل .

فى أحد الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر تلقى لارى اتصالاً هاتفياً به أوامر للقيام بتوصيل نويل إلى أمستردام ظهراً ، وتفقد لارى الأمر مع المطار ، وتلقى تقريراً سيئاً عن الأحوال الجوية فى أمستردام ، حيث يسود الضباب ، وتحجب الرؤية فى المجال الجوى للطائرات . اتصل لارى بسكرتيرة ديميريس ليعلم استحالة السفر إلى أمستردام اليوم بسبب سوء الأحوال الجوية . قالت السكرتيرة إنها ستعاود الاتصال به لاحقاً ، وبعد ١٥ دقيقة . قالت له إن نويل ستكون فى المطار الساعة الثانية ظهراً ومستعدة للإقلاع . تفقد لارى حالة الجو مع المسؤولين فى المطار ، آملاً أن يتغير الجو لكن كانت الأحوال الجوية كما هى : قال متكساس : " لا بد أنها فى عجلة من أمرها للذهاب إلى أمستردام " .

شعر لارى أن أمستردام ليست هى لب الموضوع ، بل إنه تحدى الإرادة بينها وبينه ، وكأنها لا تهتم إذا اصطدمت الطائرة بالجبال ، لكنه لا يأبه لذلك ، فسوف يكون خلاصاً جيداً منها ، لكنه لن يغامر بحياته من أجل عاهرة مثلاً . حاول الاتصال بـ " ديميريس " للتفاهم معه ، لكنه كان غير متاح بسبب انشغاله فى اجتماع عمل ، فأغلق لارى سماعة الهاتف بعنف وهو يغلى من الغضب . لم يكن لديه خيار سوى التحدث معها لإثنائها عن عزمها للسفر إلى أمستردام . وصل

للمطار الساعة الواحدة والنصف ، ولم تظهر نويل بحلول الساعة الثالثة ، فقال له متكساس : " ربما غيرت رأيها " .

لكن لارى كان يعلم أنها ستأتى ، وبمرور الوقت استشاط غضبه أكثر حتى أدرك نواياها ؛ كانت تحاول أنت تجعله يغضب ، فيرتكب فعلاً أرعن فيفقد عمله . كان لارى فى مبنى المطار فى صالة الوصول يتحدث مع مدير المطار عندما وصلت سيارة ديميريس المألوفة لديه ، وخرجت منها نويل ، فخرج لارى لقابلتها .

قال بصوت مقتعل وهادئ : " أخشى أن الرحلة قد ألغيت يا سيدتى ، فمطار أمستردام مغطى بالضباب ولبد بالغيوم " .

تجاوزته وكأنه غير موجود ، وتحدثت إلى متكساس قائلة : " الطائرة بها معدات للهبوط الآلى . أليس كذلك ؟ " .

قال متكساس بإحراج : " بلى " .

" إننى مندهشة حقاً ؛ لأن ديميريس استأجر طياراً جباناً ، وسأخبره بذلك الأمر " .

ثم استدارت نويل وذهبت لتستقل الطائرة ، نظر إليها متكساس وقال : " لا أعرف ماذا دهاها ، فلم تتصرف هكذا من قبل ، إننى آسف يا لارى " .

شاهدها لارى وهى متجهة للطائرة ، ويتطاير شعرها الأصفر فى الهواء ، ولم يكره أحداً فى حياته مثلما كرهها فى هذه اللحظة .

كان متكساس يراقبه وقال : " أنذهب ؟ " .

" سنذهب " .

تنهّد مساعد الطيار يعمق ، وسارا ببطء نحو الطائرة .

جلست نويل فى كابينة الركاب تتصفح على مهل فى مجلة الأزياء والموضة عندما دخلا الطائرة ، وحدث إليها لارى فى لحظة طويلة ، وكان الغضب يملؤه وخاف من التحدث حتى لا ينفجر فيها ثم ذهب لكابينة القيادة لفحص ما قبل الإقلاع .

بعد دقيقتين سمعوا نداء برج القيادة بأنهم متجهون إلى أمستردام .

النصف الأول من الرحلة مر بسلام ، وكانت سويسرا تحتهم مغطاة بالثلج ، وعندما وصلوا إلى ألمانيا مالت الشمس للمغرب . فاتصل لارى باللاسكى بأمستردام ، وطلب فحصاً للحالة الجوية ، وجاءه تقرير أفاد بوجود ضباب وغيوم من بحر الشمال ، وأنه يزداد سمكاً . لكن حظ

لارى كان عثراً ، لأنه إذا تغيرت اتجاهات الرياح وانقشع الضباب لحلت المشكلة ، وكان عليه الآن تحديد ما إذا كان سيخاطر بالهبوط

اليدوى فى أمستردام أم يهبط فى مطار بديل . كان قد فكر فى مناقشة الأمر مع نويل ؛ لكنه تخيل نظرتها التى تدل على الاحتقار .

كان برج المراقبة فى ميونخ قد اتصل بـ " لارى " عبر اللاسكى :

" الرحلة الخاصة ١٠٩ . هلا أخبرتنا بخطة طيرانك من فضلك ؟ " كان عليه اختيار الهبوط فى بروكسل أو كولونيا أو لوكسمبورج ، وكان عليه

اتخاذ القرار سريعاً ، أو الذهاب لأمستردام مباشرة .

تردد نداء برج المراقبة عبر اللاسكى مرة أخرى ، فقال لارى وهو يضغط على زر نقل الصوت : " من الرحلة الخاصة رقم ١٠٩ إلى برج المراقبة فى ميونخ ، نحن فى طريقنا إلى أمستردام . " ثم لاحظ أن

متكساس ينظر إليه فى دهشة .

قال متكساس : " ليتنى ضاقت قيمة التأمين على حياتى ، هل تظن أننا سنهبط بسلام ؟ " .

قال لارى : " فى الحقيقة لم أعد أهتم . " .

صاح متكساس : " رائع ! إننى فى طائرة فى عنان السماء مع اثنين من المجانين ! " .

انهك لارى لمدة ساعة فى قيادة الطائرة ، وهو يستمع للنشرات الجوية ولا يعلق . كان يأمل أن يتحسن الجو ؛ لكنه لم يتحسن ، والضباب ظل كثيفاً ، وتم إغلاق المجال الجوى عدا لحالات الطوارئ .

اتصل لارى ببرج مراقبة مطار أمستردام ، وقال :

" من الرحلة رقم ١٠٩ الخاصة إلى برج المراقبة في أمستردام ، نحن على بعد ٧٥ ميلاً جويًا من كولونيا ، والساعة ١٩ بالتوقيت الدولي " .
بعد ثوان سمع الصوت عبر الأثير : " من برج مراقبة مطار أمستردام إلى الرحلة الخاصة ١٠٩ . لقد أغلقنا مجالنا الجوى ، ونقترح أن تهبط في كولونيا أو بروكسل " .

" من الرحلة ١٠٩ إلى برج المراقبة ، لا يمكننا ، فلدينا حالة طوارئ " .

التفت متكساس في دهشة إلى لارى .

جاء الصوت لرجل آخر عبر السماعة : " إلى الرحلة ١٠٩ ، إننى مدير مطار أمستردام ، ما حالة الطوارئ لديكم ؟ لقد أغلقنا مجالنا الجوى ومجال الرؤية صفر . أكرر مجال الرؤية صفر " .
" لقد أوشك وقودنا على النفاد ، ولدى بالكاد ما يكفى للوصول إليكم " .

نظر متكساس لمقياس الوقود ، ووجد أن خزان الوقود ممتلئ حتى منتصفه فقال : " يا إلهى ! يوجد ما يكفى لكى نصل إلى الصين ! " .
صمت الراديو ، ثم جاء الصوت فجأة : " من برج مراقبة مطار أمستردام إلى الرحلة الخاصة ١٠٩ ، اتضح حالة الطوارئ لنا ، ونحن جاهزون لاستقبالكم " .
" أفرغ بعض الوقود يا بول " .

ازدرد بول متكساس ريقه ، وقال بصوت محبوس : " هل تقول لى أن أفرغ بعض الوقود ؟ "

" سمعنى يا بول ، دع فقط ما يكفى لنصل إليهم " .

" لكن يا لارى ! "

" لا تعترض ! إذا وصلنا ووجدوا لدينا وقوداً فسيحبون تصاريح القيادة منا عقاباً لنا " .

أوما متكساس بأسى : وضغط على ذراع التخلص من الوقود ، وهو يضع عينيه على عداد الوقود ، وبعد خمس دقائق كانت الطائرة قد دخلت مجال الضباب الكثيف المظلم الذى يشبه القطن الأبيض ، وكان المكان المضى الوحيد هو كابينة القيادة . كان إحساساً رهيباً ومفزعاً ، لأن المرء فى هذه الحالة يتفصل عن الزمان والمكان وباقى العالم . آخر مرة تعرض لارى لموقف كهذا كان فى تدريب على الطيران بلا مخاطر ، ولكن هنا الآن الخطأ الواحد قد يكلفه حياته . تساءل ماذا حدث لـ " نويل " ، وتمنى أن تكون قد أصيبت بأزمة قلبية من الموقف . اتصل برج المراقبة مرة أخرى : " من برج مراقبة إلى الرحلة ١٠٩ ، أعدونا لكم ممر هبوط حالات الطوارئ ، ونراكم على الرادار ، اتجه ثلاث درجات غرباً فى نفس خط الطول إلى إشعار آخر ، وإلى حين صدور تعليمات أخرى . بسرعتكم الحالية ستصلون لأرض المطار فى خلال ١٨ دقيقة " .

كان الصوت القادم عبر الأثير يبدو متوتراً للغاية ، وكان لارى يعتقد أنهم على حق ، وشعر بالكآبة ، لأنه لو حدث خطأ واحد فستغرق الطائرة فى البحر ؛ لكن لارى اتبع التعليمات ، وحاول التركيز فقط فى الصوت القادم عبر الأثير ، لكى ينجو من هذا المأزق لأنه هو المخرج الوحيد . كان يقود الطائرة ، وكأنها جزء منه ، كان يقودها بعقله وروحه وقلبه . لم يكن على وعى بـ " متكساس " الجالس بجواره والعرق يتصبب منه وكان يأمر بالتحقق من آليات الطائرة بصوت منخفض يتم عن القلق البالغ ، لكن إن نجا من هذا الموقف فسيعود الفضل لـ " لارى دوجلاس " . لم ير لارى ضباباً كهذا فى حياته ؛ كان كالشيخ الخفى يحيط به من كل جانب ، ويعميه ويغويه لكى يرتكب خطأ واحداً ليلقى حتفه . فلقد كان ينطلق بسرعة ٢٥٠ ميلاً جويًا فى الساعة ، ولم يكن يرى أمامه سوى الضباب . الطيارون يكرهون الضباب ، ويعرفون القاعدة الأولى : اصعد بالطائرة فوق الضباب ، أو

أهبط تحته ، فالهم أن تخرج منه ! لكن لا مهرب منه الآن ، فهو محبوس في موقف لا فرار منه ، بسبب نزوات عشيقة مدللة . كان تحت رحمة الأجهزة التي قد تخطئ ، والرجال في المطار المعرضون للخطأ بدورهم . جاء الصوت عبر الأثير مرة أخرى ، وكان ينم عن توتر شديد هذه المرة :

" من برج المراقبة في أمستردام إلى الرحلة ١٠٩ . أنتم على وشك الهبوط ، أخفض جناح الطائرة ، لقد هبطتم وتقتربون الآن بمقدار ٢٠٠٠ قدم ١٥٠٠ قدم ألف قدم ... " .

لم يكن هناك أى أثر للمطار بالأسفل ، وكأنهم في منتصف العدم . شعر لارى بالأرض تقترب من الطائرة .

جاء الصوت عبر الأثير : " قلل سرعة الطائرة إلى ١٢٠ ميلاً .. أنزل عجلات الهبوط .. أنت على مسافة ٦٠٠ قدم ... السرعة ١٠٠ ميل .. أنت على مسافة ٤٠٠ قدم ... " ولا أثر للمطار تماماً ، وزادت كثافة الضباب الآن .

تصيب العرق الغزير من جبهة متكساس ، وقال في همس : " أين نحن بحق الجحيم ؟ "

ألقي لارى نظرة سريعة على مقياس خطوط الطول ودوائر العرض ، وكانت الإبرة تشير إلى ٣٠٠ قدم ، والأرض تقترب منهم بسرعة ١٠٠ ميل في الساعة ، ولكن العداد يشير إلى أنهم على مسافة ١٥٠ قدماً . ثمة شيء ما قد حدث خطأ ، كان يجب أن يرى أنوار المرفى المطار الآن . أخذ يحدق ليرى أمام الطائرة ، لكنه لم ير سوى الضباب الغادر عبر زجاج الطائرة يكاد يعمي الأبصار .

قال متكساس بصوت أجش : " لقد هبطنا بمقدار ٦٠ قدماً . " ولم يشاهد أى أثر للمطار .

" ٤٠ قدماً "

وكان تحت الطائرة ظلام دامس .
" ٢٠ قدماً . "

ليس هناك فائدة ، ففى غضون ثوان سيجتازون حاجز الأمان ، وتصطدم الطائرة وتتحطم ، وعلى لارى اتخاذ القرار فى التو .

قال لارى : " سأرفع الطائرة إلى أعلى وأطبق على عجلة القيادة ، ورفعها لأعلى ، وفى نفس اللحظة وجد أسهما مضاءة فى صف ، تشير للممر الخاص بالهبوط ، وبعد ١٠ ثوان كانوا يهبطون على ممر مطار أمستردام فى سلام .

عندما توقفت الطائرة تماماً أوقف لارى المحركات بأصابع متجمدة من فرط التوتر ، وجلس بلا حراك لفترة طويلة . وفى النهاية قام ، ووجد ركبتيه ترتعشان ، ثم نظر إلى متكساس الذى ابتسم ابتسامة واسعة .

أوماً لارى برأسه ، وقال : " لقد نجونا " ، ثم استدار وذهب إلى حيث تجلس نويل ، وكانت مازالت تقلب بهدوء فى صفحات المجلة . حدق لارى إليها وهو يتألم ، لأنه يكظم غيظه ، حيث أراد الصراخ فى وجهها ، وتمنى لو أنه يستطيع أن يغيظها . لا بد أن نويل أدركت أنهم اقتربوا من الموت فى اللحظات الماضية لكنها بدت هادئة وغير مضطربة وفى قمة الاتزان .

قال لارى : " لقد وصلنا أمستردام . "

سارت السيارة بـ " لارى " ونويل عبر شوارع أمستردام فى صمت رهيب . جلست نويل فى المقعد الخلفى ، ولارى بجوار السائق . ظل متكساس مع الطائرة فى المطار لفحصها وملئها بالوقود .

وصلت السيارة للفندق ، وقالت نويل لـ " لارى " عندما وصلا للبهو : " ستحضر إلى هنا لتوصيلى للمطار فى العاشرة مساء بالضبط " ثم استدارت وسارت باتجاه المصعد ، والمدير يسرع بالانحناء لها ،

ويعرض خدماته وهو يهرع خلفها . قاد حامل الحقائق لارى لحجرة غير مريحة خلف الفندق فى الدور الأرضى ، وكانت بجوار المطبخ وغير حائطها سمع لارى صوت قرع الأطباق ، وشم روائح الطهى والبخار . قال لارى وهو ينتظر لحال الحجرة الحقيرة الصغيرة : " إنها لا تصلح لمبيت حيوان أليف . "

" إننى آسف ، لقد أمرت السيدة نويل بحجز أرخص حجرة لدينا من أجلك . "

قال لارى لنفسه : " حسناً سأجد طريقة لإنزال العقاب بها . ديميريس ليس الوحيد فى العالم الذى يمتلك طائرات خاصة وطيّاراً خاصاً . سأبحث عن عمل لدى شخص آخر غداً ، فلقد قابلت العديد من أصدقائه الأثرياء " . لكنه فكر لبرهة ، وقال لنفسه : " لكن إذا فصلنى ديميريس فلن يعيننى أحد أو يثق فى ، لا بد أن أستمّر معه " . هم بالاستحمام ، لكنه قال : " ولماذا العناء ؟ أتمنى أن تصبح رائحتى كالحيوان القذر لكى تشعر هى بالتقزز . " ثم ذهب للبار واحتسى الخمر حتى ثمل . مر الوقت ولم ينتبه إلا الساعة العاشرة والربع . تذكر لارى أنها أمرته بانتظارها الساعة العاشرة تماماً . فزع لارى فجأة وترك الحساب الخاص بالمشروبات ، وهرع إلى المصعد . كانت نويل فى الجناح الإمبراطورى فى الطابق الخامس . جرى عبر الممر ، ولعن نفسه ، لأنه سمح لها بكل هذه التجاوزات معه . طرق باب جناحها ، وكان يخلّق فى ذهنه أعذاراً للتأخر . لم يجب أحد فاضطر لارى لإدارة مقبض الباب ، ووجدته مفتوحاً ، فدخل إلى غرفة المعيشة الفخمة ذات الأثاث الراقى ، ووقف للحظة وتردد . ثم قال صائحاً : " يا آنسة باج " لكنه لم يتلق أى رد . كانت تلك خطتها .

ظن لارى أنها ستقول لـ " ديميريس " :

" آسفة يا عزيزى كوستا ، لكنى حذرتك أنه لا يطاق فلقد طلبت منه أن يوافينى فى العاشرة تماماً ، لكنه جلس يسكر فى البار ، واضطرت للرحيل بدونه " .

لكنه سمع صوتاً من الحمام ، وكان الباب مفتوحاً فدخل ، ووجد نويل تخرج من البانيو عارية تماماً فهم بالاعتذار ، لكنها قالت دون اكتراث : " ناولنى القوطة " وكأنه كان خادمها . كان لارى سيتحمل غضبها أو ثورتها ، لكن عدم الاكتراث والغرور جعله على حافة الانفجار .

حملها كالمجنون ، وقرر الانتقام ، ولم يتمكن من أن يمنع نفسه حتى لو كلفه الأمر وظيفته ، فقد كان يكتّم الغضب منذ شهور ، ويتحمل إهاناتها له ، والآن هو مستعد للمغامرة بحياته لكى يقتص منها . إذا صرخت نويل كان سيفقدها الوعى بضربة واحدة ، لكنها رأت نظرة شرسة على وجهه ، ولم تنبس ببنت شفة عندما حملها إلى الفراش .

كان ضميمه يحاول صارخاً إيقافه ، لكى يعتذر لأنه ثمل وينقذ نفسه قبل فوات الأوان . لكن فات أوان التراجع بالفعل ، وألقاها على الفراش بعنف وخلع ملابسه ورفض الاستماع لصوت العقل الذى يقول إن عقاب ديميريس له لن يكون مجرد الفصل فقد يقتله ، فلقد عمل معه ، وعرف طباعه ، ومع ذلك لم يتوقف . احتضنته بشدة وقالت : " مرحباً بعودتك " . لم يفهم تلك العبارة ، وظن أنها مجنونة أو تخلط بينه وبين شخص آخر ، لكنه سرعان ما نسى كل شيء ، وركز على لحظة اللقاء الحميم ، وشعر أن كل شيء سيكون على ما يرام .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٦

أصبح الزمن عدواً لـ "كاثرين" بشكل يصعب تفسيره ، ولم تكن على وعى به فى البداية ، لكن عندما تأملت الماضى لم تتذكر اللحظة التى أصبح فيها الزمن ضدها . لم تدر متى اختفى حب لارى ، وما سبب وكيفية ذلك ، لكنه فجأة اختفى فى غياهب الزمن ، وما تبقى منه هو عبارة عن صدى أجوف بارد . جلست وحيدة فى الشقة يوماً بعد يوم تحاول التفكير فيما حدث ، وهل ثمة خطأ ما حدث أم لا ، لكنها لم تتوصل لشيء محدد ، ولم يجلب خاطرها أية لحظة تقول : " هنا متى توقف لارى عن حبى ؟ " ربما بدأ الأمر بعد عودته من رحلة سفارى فى أفريقيا مع ديميريس ، لقد افتقدت لارى بصورة لا توصف ، وقالت لنفسها : " إنه بعيد عنى لمعظم الوقت ، كما كان وقت الحرب ، ولكن هذه المرة لا يوجد عدو " .

لكنها كانت مخطئة ، فقد كان يوجد عدو .

قال لارى لها فى أحد الأيام : " لم أطلعك بعد على الأخبار السارة : لقد زاد مرتبى ، وصار ٧٠٠ دولار شهرياً ، ما رأيك ؟ "

قالت له : " هذا رائع ، سنعود للوطن أسرع " ثم وجدت وجهه يمتقع فى غضب ، فقالت : " ما الأمر ؟ "

فقال لها بوقاحة : " هنا الوطن ! "

حدقت إليه ولم تفهمه : " حسناً ، فهذا حقيقى فى الوقت الراهن . " ثم قالت بضعف : " لكنى أعنى أنك لن تعيش هنا للأبد . " قال لها بوقاحة : " الأمور هنا جيدة للغاية ، فكأننا نعيش فى منتجع سياحى . "

" لكنه ليس كالعيش فى أمريكا . أليس كذلك ؟ "

" اللعنة على أمريكا ! خاطرت بحياتى لأربع سنوات ، وما الذى حصلت عليه ؟ حفنة ميداليات حقيرة ، ولم يمنحونى وظيفة بعد الحرب . "

" ليس صحيحاً بل إنك "

" أنا ماذا ؟ ! "

لم تكن ترغب فى افتعال مشاجرة ، وخاصة فى أول ليلة له هنا بعد سفر لأسابيع طويلة فقالت : " لا شيء يا عزيزى ، فأنت متعب ، هيا بنا نأوى للفراش مبكراً . "

" لا داعى " . ثم أخذ يحتسى الشراب ، وقال لها : " سنذهب للملهى الليلى مع بول متكساس ، وبعض الأصدقاء " حدقت إليه كاثرين وقالت بصوت حاولت الحفاظ على ثباته : " لارى ، لم أرك منذ قرابة شهر ، ولم نحصل على فرصة لنجلس معاً ونحدث . "

" لا يمكننى ترك عملى ومتطلباته "

ثم أردف قائلاً : " أنظنين أننى لا أحب قضاء الوقت معك ؟ "

قالت وهى تهز رأسها بالنفى : " لا أعرف ، سأسأل العرافة ؟ " احتضنتها وابتمس ابتسامته الطفولية المعهودة ، وقال : " اللعنة على متكساس والآخرين ، سنبقى هنا معاً الليلة . "

نظرت إليه في وجهه ، وأحسبت أنها بالغت في شكواها ، فبالطبع متطلبات عمله تأخذه بعيداً عنها ، وبالتالي فمن الطبيعي أن يرغب في رؤية الآخرين والخروج معهم ، فقالت : " سنخرج إن أردت أنت ذلك يا عزيزي . "

قال لها : " بل سنظل معاً . "

ولم يغادرا المنزل لمدة يومين ، بل ظلت كاثرين تطهون أحياناً ، ثم يجلسان أمام نار المدفأة يتحدثان ويلعبان ويقرآن .

وفي إحدى الليالي الدافئة ظلت تتأمله وتقول لنفسها كم هي محظوظة بزواج مثله ! وابتسمت . لكنه قال : " حاولي شغل نفسك الأسبوع التالي بمواعيد كثيرة ، لكيلا نضطر للبقاء معاً لهذه المدة الطويلة معاً بلا شيء مهم نفعله " . ثم ذهب وترك كاثرين والابتسامة متجمدة على وجهها .

ربما بدأت المشاكل بسبب المضيغة الحساء اليونانية هيلينا ، ففي أحد أيام الصيف خرجت كاثرين للتسوق ، وكان لارى خارج المدينة ، وكانت تتوقع وصوله غداً ، فقررت أن تفاجئه بطهو أصنافه المفضلة ، وعندما كانت تغادر البقالة وذراعاها محملتان بالمشتريات مر بجوارها تاكسى ولمحت لارى ، وفي أحضانه فتاة ترتدى زي المضيفات في الطائرات ، وفي تلك اللحظة رأتهما يضحكان ، ثم اختفى التاكسى في الشارع المجاور .

وقفت كاثرين كالتمثال ، ولم تنتبه إلى أن المشتريات وقعت من يديها اللتين ارتعشتا إلا بعد أن نهبها فتى صغير مار بالشارع . ساعدها الناس على اللمة المشتريات ، ثم سارت بخطى متثاقلة على غير هدى إلى المنزل ، وقد شل عقلها عن التفكير . حاولت أن تقول لنفسها إن من رآته ليس لارى ، بل شخصاً يشبهه ، لكنه ليس له مثيل في العالم ، بل هو فريد من نوعه . وهذا الجمال ملك لها وحدها ، لكنها شاهدته مع امرأة سمراء في التاكسى ، فهل لديه عشيقات أخريات ؟!

ظلت ساهرة طوال الليل في انتظار لارى . وعندما لم يأت قررت عدم قبول أعذاره على الرغم من أن ذلك سيدمر زواجها ، ولن تقبل أعذار نفسها التي تحاول بها التحقير من الأمر ، فهو كاذب وغشاش ومخادع ، وستطلب منه الطلاق .

لم يعد لارى قبل عصر اليوم التالي .

ثم قال لها بمرح ، وهو يدخل للمنزل : " هاى ، كاثي ! " ثم وضع حقيبته على الأرض ، ونظر لوجهها وقال : " ما الخطب ؟ "

قالت له بجفاء : " متى نزلت للمدينة ؟ "

قال له ويبدو عليه الحيرة : " منذ ساعة ، لماذا ؟ "

" رأيتك أمس مع فتاة في التاكسى " ثم قالت لنفسها : " تلك الكلمات البسيطة ستنتهى زواجى السعيد ، وهو سينكر فعله ، وسأقول إنه كاذب ، وسأهجره ، ولن يرانى ثانية " .

كان لارى واقفاً يحدق إليها .

قالت له : " هيا ، أخبرني أنه لم يكن أنت من رأيت . "

قال لها وهو يومئ برأسه : " بالطبع كنت أنا من رأيته . "

شعرت كاثرين بألم حاد مفاجئ في معدتها ، وأدركت أنها كانت تريده أن ينقذ ما حدث .

قال لها : " ما الذى كنت تفكرين فيه ؟ "

بدأت تقول بصوت متهدج من الغضب : " إننى ... "

رفع يده وقال : " لا تقولى ما قد تندمين عليه . "

حملقت فيه بذهول : " أندم عليه ؟ ! "

" ذهبت لأتينا بالأمس لمدة ربع ساعة لتوصيل المضيغة هيلينا ميرليس إلى جزيرة كريست من أجل ديميريس ؛ لأنها تعمل لديه كمضيغة . "

قالت له : " لكن ... " ثم قالت لنفسها : " هل يقول الحقيقة أم أنه واسع الحيلة ، ويختلق الأعذار ببراءة " ، ثم قالت له : " لماذا لم تتصل بي ؟ "

قال لها بغضب : " فعلت ذلك ولم يرد أحد ، كنت بالخارج . أليس كذلك ؟ "

ازدردت ريقها وقالت : " كنت أتسوق لعشائك . "

قال لها : " لست جائعاً ، الشجار يفقدني شهيتي " ثم استدار ، وغادر الشقة وتركها واقفة ، وكانت رافعة يدها وكأنها تستعطفه في صمت لكي يعود .

* * *

توقعت كاثرين عودته على العشاء ، لكنه لم يأت أو يتصل هاتفياً ، كل ليلة كان يعود في وقت متأخر ، وينام بدون عشاء فتفتاظ قليلاً .

لم تعد تخفى على نفسها حقيقة أنه يخونها مع الكثير من العشيقات منذ أن تزوجها ، حيث كانت تكتشف آثار أحمر الشفاه على ملبسه ، وهي تتأهب لفسلها .

فكرت في لاري وهو في أحضان الأخريات ، وشعرت بالرغبة في قتله !

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

١٧

مثلما أصبح الزمن عدواً لـ " كاثرين " أصبح صديقاً لـ " لاري " . ما حدث في أمستردام معجزة بكل المقاييس ، فلقد كان يواجه كارثة انقلبت لصالحه ، وحلت جميع مشاكله . قال لنفسه : " إنه حظ كل من ينتمي لعائلة دوجلاس " وشعر بالرضا .

لكنه كان يعلم أن الأمر أكثر من مجرد حظ ، كانت بداخله غريزة غامضة متوحشة تجعله يتحدى الأقدار ، ويتعرض للموت والدمار ، ويواجه الحظ في لعبة خطيرة على رهان الحياة والموت .

تذكر لاري عندما كان في الحرب ، وهاجمته ثلاث طائرات يابانية ، وأخذ يناورها حتى دمر واحدة ، وجعل الأخريان تصطدمان ببعضهما بالحيلة والدهاء في المناورة الجوية . كانت من أسعد لحظات حياته حيث كان يسخر من الموت ، ويتلاعب بمسألة الحياة والموت . وظل يتذكر هذه الذكريات في ذهنه كثيراً ، وتذكرها بعد أن حدث ما حدث مع نويل في أمستردام .

لقد تبادلوا الحب بشكل عنيف وحميم وجامح ، ثم استلقت بين ذراعيه ، وتذكرت أيامها معه في باريس قبل الحرب ، ثم تذكر هو متى رآها لأول مرة ، حيث كان قد أقام علاقات في باريس ، ولم يكن بوسعه أن يتذكرها ، فهي كانت مجرد ذكرى عابرة لنزوة من نزوات الماضي .

قال لارى بعد أن تعرف عليها وتذكرها إنهما محظوظان ، لأنهما تقابلا مرة أخرى بعد مرور كل هذه السنوات .

قالت نويل : " أنت ملكي الآن . "

كانت نبرة صوتها بها شيء جعله لا يرتاح لها ، لكنه قال لنفسه : " ما الذي سأخسره من تلك العلاقة ؟ "

عندما تكون نويل تحت سيطرته سيظل مع ديميريس إلى الأبد إن أراد ذلك .

كانت تنفّس في وجهه ، وكانت هناك نظرة غريبة في عينيها لم يفهمها لارى .

لكن كل شيء كان يبدو له على ما يرام .

في رحلة العودة من المغرب قضى لارى الليلة عند منزل هيلينا بعد أن تناول معها العشاء ، وفي الصباح عاد للمطار لتفقد الطائرة ، وتناول الغداء مع متكساس الذي قال له : " يبدو كأنك تستحوذ على كل النساء بحظك الرائع ، لماذا لا تعيرني واحدة ؟ "

ابتسم لارى : " يا صغيري أنا خبير ، ولن تصبح مثلي أبداً . " وبعد تناول الغداء عاد للمدينة لاصطحاب هيلينا للمطار ، حيث ستكون المضيقة في طائرته .

طرق باب شقتها ، وبعد وقت طويل فتحت الباب ، وبالكاد تعرف عليها حيث كان جسمها ووجهه مليئين بالجروح ، وكانت عيناها غائرتين في ألم ، وبدت وكأنها تلقت ضرباً مبرحاً .

قال لارى : " يا إلهي ! ماذا حدث ؟ ! " فتحت فمها للتحدث بصعوبة ، ولاحظ لارى فقدان ثلاث أسنان من فمها : " جاءني رجلان منذ أن غادرت أنت . "

قال لها فزعاً : " هل أبلغت الشرطة ؟ "

" قالا سيقتلاني إذا أخبرت أي شخص ، وكانا جادين يا لارى " ثم اهتزت وشعرت بالدوار ، وسندت على الباب لحفظ توازنها . " هل سرقا ممتلكاتك ؟ "

" كلا بل اعتديا عليّ وضرباني . "

" ارتدى ملايسك . سأذهب بك للمستشفى . "

" لا يمكنني الخروج ، ووجهي بهذا الشكل المشوه . "

كانت بالطبع على حق ، فاتصل لارى بطبيب صديق له ، لكي يحضر حالاً .

وقال لـ " هيلينا " : " آسف لن أتمكن من البقاء معك ، فعلى توصيل ديميريس خلال نصف ساعة . أراك عند عودتي . "

لكنه لم يرها أبداً بعد ذلك ، فعندما عاد لشقتها بعد يومين وجدها رحلت وأخبرته صاحبة العقار أنها تركت المكان ، ولم تدع عنوانها . حتى الآن لم يشك لارى في أي شيء . لكن يعد بضع ليالٍ أثناء لقاءاته مع نويل توصل لسبب ما حدث . كان يقول لنويل :

" أنت رائعة ومبهرة ، لم أقابل من هي مثلك قط . "

قالت له : " هل أشبع كل رغباتك ، وأعطيك ما تريد ؟ "

قال : " نعم بالطبع . "

فقالت بعد برهة : " إذن لا تتبادل الحب مع نساء أخريات ، والمرأة القادمة سأقتلها إذا اقتربت منها . "

تذكر لارى كلماتها جيداً : " أنت ملكي . " وأصبح لتلك الكلمات معنى ينذر بالسوء ، لأول مرة يراوده هاجس بأن تلك العلاقة ليست عابرة ، ويمكنه إنهاؤها في أي وقت إن أراد ذلك . لقد لمس المركز

البارد الميت الأسود داخل نويل ، وارتعد خوفاً ، حاول أن يتحدث في موضوع هيلينا عدة مرات طوال الليل ، لكنه خاف من رد فعل نويل التي يبدو أنها تستطيع القتل بدون تردد ...

على الإفطار في صباح اليوم التالي تغرس لارى في وجه نويل دون أن تلاحظه ، بحثاً عن آثار القسوة أو السادية ، لكن كل ما رآه كان وجهاً جميلاً لامرأة جميلة تخبره بالنوادر والطرائف للترويح عنه ، وتلبى كل رغباته ، وتتوقعها قبل أن يتفوه بها . قال لارى لنفسه : " لا بد أنني مخطئ " . لكنه حرص على عدم مواعدة أية فتاة أخرى ، وبعد أسابيع فقد رغبته في كل النساء ، لأنه افتتن بـ " نويل " وشغفها حباً ، ولم يكن يرغب في سواها .

منذ البداية حذرته لكي يخفي العلاقة عن ديميريس وحذرتة قائلة : " لا يجب أن نثير شكه فيما أبداً " .

قال لها : " لماذا لا نؤجر شقة ، أعرف مكاناً مناسباً لـ ... " هزت رأسها بالنفي : " ليس في أثينا ، فقد يتعرف على أحد ، دعني أفكر في الأمر " .

بعد يومين أرسل ديميريس في طلب لارى الذى توجس خيفة في البداية وتسأل ما إذا كان قد علم بعلاقته مع نويل ، لكن ديميريس ألقى عليه التحية بمرح وناقشه في طائرة جديدة كان بصدد شرائها . قال ديميريس : " أريدك أن تفحصها ، فهى من طراز ميتشل يومر " .

استنار وجه لارى وقال : " إنها رائعة لحجمها ووزنها ، وستكون أكثر الطائرات راحة لك في السفر " .

" كم راكباً يمكنها أن تتحمل ؟ "

" تسعة ركاب بوسائل الترفيه و٣ طيارين : الطيار ومهندس الملاحة ومساعد الطيار " .

" يبدو الأمر مثيراً ، هلا فحصتها من أجلي ، وتقدم لى تقريراً عنها ؟ " .

قال لارى مبتسماً : " على الفور " .

قام ديميريس وقال : " بالمناسبة أريدك أن تطير بـ " نويل " إلى برلين اليوم " .

قال لارى : " حاضر يا سيدى . " ثم أضاف وبراءة الأطفال في عينيه : " هل رضيت عنى السيدة نويل باج ؟ " .

نظر إليه ديميريس : " كلا ، بل في الواقع اشتكت لى من وقاحتك صباح اليوم " .

حدق إليه لارى في دهشة ، ثم أدرك مقصد نويل فجأة ، وقال بنبرة جادة : " إننى أحاول إرضاءها ، وسأحاول أكثر " .

أوماً ديميريس : " افعل ذلك ، فأنت أفضل طيار لدى يا دوجلاس ومن العار أن ... " لم يكمل العبارة لكن الرسالة كانت واضحة .

في الطريق لمنزله لعن نفسه لأنه بطئ الفهم ، وتذكر أن نويل ذكية جداً ، وأدركت أن أى تغيير في اتجاهها نحوه أمام ديميريس سيثير الشك ، وتلك العلاقة التي تبدو فاترة تغطي وتموه علاقتهما الحميمة ، لأن ديميريس سيحاول أن يجعلهما معاً لكي يتصالحا ويكونا على وفاق . ضحك لارى عندما فكر في ذلك ، وشعر بمدى روعة أن يمتلك ما يمتلكه ديميريس أقوى رجل في العالم .

في الرحلة إلى برلين سلم لارى دفة القيادة لـ " متكساس " وأخبره أنه سيذهب للتحدث إلى نويل .

قال متكساس : " ألا تخاف من أن تغيظك وتثير حنقك ؟ " .

كان لارى على وشك التفاخر أمامه ، لكنه طرد تلك الرغبة بعيداً عن ذهنه ، وقال : " إنها حقيرة لكن يجب أن أستميلها ، وأحوز رضاها من أجل ديميريس ، لكيلا يفصلنى " .

قال له متكسّاس بلهجة جادة : " حظاً سعيداً . "
قال لارى : " شكراً لك . "

أغلق لارى باب كابينة القيادة جيداً ، وسار إلى مكان نويل فى نهاية الطائرة ، وكان يهيم بالجلوس بجوارها ، لكنها قالت بصوت هادئ : " احترس ، فكل من يعمل لدى ديميريس يقول له كل شيء فى التقارير . "

نظر لارى للمضيفات وتذكر هيلينا .

قالت نويل : " وجدت مكاناً لنا . " وكان صوتها مفعماً بالإثارة .
" شقة ؟ "

" بل فيلا ، هل تعرف أين قرية رافينا ؟ "
" كلا . "

" إنها قرية صغيرة تطل على البحر على مسافة ١٠٠ كم من أثينا ، وبها فيلا معزولة بعيداً عن العيون . "

" قمت باستئجارها باسم من ؟ "

" بل اشتريتها باسم شخص آخر . "

تعجب لارى لأنها اشترت فيلا خصيصاً لنزواتها معه كل فترة ، ثم قال : " رائع . لا أطيق الانتظار حتى أراها . "

حملت إلى وجهه ، وقالت : " هل ستكون مشكلة إذا هربت من كاثرين . "

نظر لارى إليها فى دهشة ، فهذه أول مرة تذكر فيها زوجته . بالطبع لم يخف زواجه ، لكن من الغريب أن تستخدم نويل اسم زوجته . لابد أنها تحررت عنه تحريات دقيقة . كانت منتظرة الرد فقال لها : " كلا فأنا أذهب إليها ، وأغيب عنها كما أريد . "

أومأت نويل برأسها ، وشعرت بالرضا ، وقالت : " رائع . ديميريس سيذهب فى رحلة عمل لمدة عشرة أيام ، وأخبرته أنني لن أذهب معه ، ولدينا كل هذه الأيام . اذهب الآن لكيلا تثير الشكوك . "

استدار عائداً إلى كابينة القيادة .

قال له متكسّاس : " كيف مر الأمر ؟ هل رضيت عنك قليلاً ؟ "
" ليس بعد ، سيستغرق الأمر وقتاً . "

على الرغم من أن لارى يمتلك سيارة ، إلا أن نويل أصرت على أن يقوم باستئجار سيارة من أثينا ، وذهبت هى للفيلا فى رافينا بمفردها ، وكان على لارى الذهاب فى أثرها لاحقاً . كانت الجولة ممتعة على طريق متعرج مليء بالأتربة فوق مستوى سطح البحر . كان المكان على بعد ساعة والنصف من أثينا ، ووجد لارى أن القرية ساحرة على شاطئ البحر . لقد أعطته نويل تعليمات واضحة حتى لا يتوقف ويسأل عن الطريق . وصل لضواحي القرية ، ومر بفيلات كثيرة محاطة بأسوار حجرية ، لكن فى نهاية الطريق ظهرت فيلا فخمة مبنية على صخرة تطل على البحر .

توقف لارى عند البوابة ، ودق الجرس ، وبعد لحظات فتحت البوابة الكهربائية وقاد السيارة إلى الداخل ، وأغلق الباب من ورائه . وجد نفسه فى حديقة كبيرة تتوسطها نافورة ، ومليئة بالزهور من كل لون . كانت الفيلا مألوفة مثل فيلات البحر المتوسط ، منيعة كالحصن . انفتح الباب الأمامى ، وظهرت نويل فى فستان قطنى أبيض ، ووقفوا وابتما لبعضهما البعض ، ثم احتضنها .

قالت له بحماس ، وهى تقوده للداخل : " هيا لكى تشاهد فيلتك الجديدة . "

كانت الفيلا واسعة جداً من الداخل ، وكانت غرفها الفسيحة بها أسقف كالقباب ، وبالأسفل قاعة ضخمة هى غرفة المعيشة ومكتبة ، وحجرة السفرة الرسمية ، ومطبخ فخم على الطراز القديم ، به طاولة مستديرة للطهى ، وكانت هناك غرف نوم كثيرة فى الطابق العلوى .

قال لارى : " وأين الخدم ؟ "

قالت له : " أنا . "

نظر إليها فى دهشة : " هل ستقومين بالطهى والتنظيف ؟ " قالت وهى تومئ برأسها : " سيأتى اثنان من الخدم للتنظيف بعد رحيلنا ، لكن لن يريانا أو يعرفانا ، فلقد أعددت الأمر مع الوكالة الخاصة بالخدم "

ابتسم لارى بسخرية

قالت نويل بلهجة تحذيرية : " لا تخطئ أبداً ، وتقلل من شأن ديميوريس : لأنه إذا عرف كل شئ سيقتلنا . " ابتسم وقال : " أنت تبالغين فى الأمر ، فهو لن يروق له الأمر ولكن ... "

نظرت إليه مباشرة ، وقالت : " سيقتلنا " وكان نبرة صوتها تخيفه .

" أنت جادة ولا تمزحين ، أليس كذلك ؟ "

" لم أكن جادة فى حياتى مثل هذه اللحظة ، فهو لا يرحم . "

قال لها معترضاً : " لكن عندما قلت إنه سيقتلنا .. "

قالت له بهدوء : " إنه لن يستخدم الرصاص ، بل سيجد طريقة معقدة عيقرية ؛ لكى يفعلها ويقتل دون عقاب . "

ثم قالت بلهجة مرحة : " لكنه لن يعرف يا حبيبى ، دعنى أريك حجرة النوم . " سحبته من يده إلى الطابق العلوى عبر السلم ، وقالت :

" لدينا حجرات نوم للضيوف . " ثم ابتسمت ، وأردفت قائلة : " يمكننا تجربة كل الحجرات . " ثم اصطحبته لكبرى حجرات النوم .

وهى عبارة عن جناح كامل يطل على البحر ، ورأى لارى من النافذة بلكونة كبيرة ، وممرًا صغيراً وقصيراً يؤدي من الحديقة للساحل ، وهناك رصيف مرسى على الساحل ، وقارب شراعى كبير ولانش مربوطان فى المرسى .

قال لها : " من يملك تلك القوارب ؟ "

قالت له : " أنت ، إنها هديتك بمناسبة وصولك للمنزل . "

استدار إليها ، فانبهر بجمالها ، وقرأ الكثير فى عينيها ، ثم قضيا الليلة بأكملها فى سعادة بالغة .

مرت الأيام العشرة سريعاً ، وكانت نويل نشيطة للغاية لا تكل ولا تمل ، وكأنها دسته من الخادومات ، وتلبى كل رغباته قبل أن يتقوه بها ، أو يعلم أنه يحتاجها . وجد فى المكتبة كما كبيراً من الكتب والشرائط المفضلة له ، وكانت نويل تطهو أطباقه المفضلة بشكل ممتاز ، وتبحر معه فى القوارب ، وتسبح معه فى البحر الدافئ ، وتقوم بعمل تدليك له ليلاً حتى ينام . كانا إلى حد ما مسجونين معاً ، ولم يجرؤا على رؤية أحد . كل يوم كان يكتشف أبعاداً جديدة فى نويل ، كانت تسليه وترفه عنه بحكايات مسلية ومدهشة عن المشاهير الذين تعاملت معهم . عندما حاولت مناقشته فى الاقتصاد والسياسة وجدت أنه لا يهتم بهما

كانا يلعبان ألعاب الورق والطاولة ، وكان لارى يغضب كثيراً ؛ لأنها كانت تهزمه دائماً ، كما أنها علمته لعبة الشطرنج ، ولم يهزمها فيها أبداً . ذهبوا فى نزهة خلوية ذات يوم ، واستمتعا بالغداء اللذيذ على الشاطئ تحت الشمس . أثناء تناولهما الطعام شاهدت نويل رجلين على مسافة بعيدة قادمين فى اتجاههما ، فقامت بسرعة وقالت له : " لندخل . " رأى لارى الرجلين وقال : " لا تتسرعى ، ربما كانا قرويين يتنزهان "

قالت له بلهجة الأمر : " تحرك الآن . "

قال على مضض : " حسناً " وانزعج من الموقف ومن نبرة صوتها .

" ساعدنى على جمع الأغراض . "

" لماذا لا نتركها ؟ "

" لأن هذا سلوك يثير الشك . "

وضعا كل شيء بسرعة فى السلة وأسرعاً إلى المنزل ، وظل لارى صامتا باقى النهار ، وجلس فى المكتبة ، وذهنه مشغول بالتفكير ، ونويل ظلت مشغولة فى المطبخ .

لاحقا قبيل الغروب جاءت عند المكتبة ، وجلست بجوار قدميه ، وبمقدرتها الخفية قرأت ما يدور فى خاطره ، وقالت : " كف عن التفكير فيما حدث اليوم . "

قال لها بحدة : " كانا مجرد فلاحين ، أنا أكره التسلل كاللصوص وكأننى مجرد ... " ثم قال لها بنبرة هادئة : " لا أريد إخفاء الأمر بعد الآن عن الناس ، إنتى أحبك . "

علمت نويل أنه يقولها بصدق هذه المرة ، وفكرت فى السنوات التى خططت فيها للتدمير ، والمتعة المتوحشة فى تخيل تدميره : لكن الآن فى اللحظة التى رأت فيها لارى شعرت بإحساس أعمق وأقوى من المقت والكراهية مازال ينبض بداخلها . عندما دفعته على حافة الموت فى الطائرة ، وأجبرته على المجازفة لإنقاذ حياته وحياتها فى الرحلة البشعة لأمستردام كانت كأنها تختبر حبه أمام تحدى قوى الأقدار . كانت بقلبها وعقلها مع لارى فى كابينة القيادة وتعانى معه ، وتعلم أنها لو لاقت حتقها فسيموتان معاً ، وإذا أنقذها فسوف ينقذهما معاً . فى أمستردام تحول كرهها إلى حب مزج بين جسديهما ، وأصبحا خارج نطاق الزمان والمكان . ثم عادت إلى ذكرياتها الأولى معه فى باريس عندما قال لها : " هيا بنا نتزوج ، سنجد رجل دين فى الريف يزوجنا " ، ثم تلاشى الماضى فى الحاضر ، وخرجا من نطاق الزمن ، وتطهرت من غياهب المقت والكراهية إلى أعالي قمم الحب والعشق . إذا دمرته الآن فكأنها تدمر نفسها ، فلقد سلمت روحها له منذ سنوات ، ولا شيء سيغير ذلك .

بدا لـ " نويل " أن كل ما حققته كان مبنيا على الكراهية . خيانة والدها لها شكلتها ، وجعلتها صعبة المراس وقاسية ، وملاؤها بشهوة

الانتقام التى لن يتم إشباعها سوى بمملكة تكون لها وحدها ، وأن تكون قوية جداً بحيث لا يخونها أحد ، أو يجرحها أحد بعد الآن . ولقد حققت ذلك بالفعل . والآن هى مستعدة للتنازل عن كل شيء من أجل الرجل الذى عشقته ، وهى الآن متأكدة من أنه سيحتاجها دائماً ، فذلك كان ما تريده ، أن يحتاج إليها ويحبها . والآن قد حدث ما تريده ، وفى النهاية تلك هى المملكة الحقيقية .

" رائع "

" كيف جال ديميريس ؟ "

ترددت للحظات ، ثم قالت : " إنه بخير . "

لاحظ لارى ترددها ، فقال : " ما الخطب ؟ "

" كنت أفكر فيما قلته لى من قبل ؟ "

" ماذا ؟ "

" لقد قلت لى إنك تكره أن نفعل أى شىء فى الخفاء كالمجرمين ، وأنا أيضاً أوافقك الراى . أخبرتك من قبل أن كل ما أريده فى الحياة هو أنت يا لارى ، وكنت أعنى ما أقول ، لن أقبل أن تشاركنى فىك امرأة أخرى ، يجب أن تتزوج . "

حدق فيها بذهول عندما باغتته على حين غرة ، وراقبته نويل وقالت : " هل تريد الزواج منى ؟ "

" أنت تعلمين أننى أريد ذلك ، لكن كيف ؟ أنت تذكرين لى دائماً ما سيلحقه بنا ديميريس من عقاب إذا اكتشف علاقتنا . "

هزت رأسها بالنفى وقالت : " لن يعرف إذا كنا ماهرين ، وخططنا لذلك جيداً . فهو لم يمتلكنى يا لارى وسأتركه ولن يتمكن من فعل أى شىء ، فهو مغرور جداً بدرجة تمنعه من إيقافى عندما أتركه . بعد شهرين على الأكثر سوف تستقيل أنت ، ويذهب كل منا على حدة إلى مكان بعيد ، أمريكا مثلاً ، وننزوج هناك . لدى من الأموال ما يكفى لنعيش سعادة مدى الحياة . سأشتري لك خطاً جويماً ، أو مدرسة للتدريب على الطيران ، أو أى شىء تريده . "

وقف ينصت لكل كلمة تقولها ، وهو يزن المقابل الذى سيضحي به وما سيحصل عليه . ما الذى سيضحي به ؟

عمل تافه كطيار . فكرة امتلاكه لسرب طائرات ملأته بالإثارة ، فسوف يمتلك أحدث طراز من الطائرات ، كما كان يرغب دائماً . كما أنه سيحظى بـ " نويل " إلى الأبد ، وهو حقاً يريدتها ، فلماذا التردد ؟

نويل وكاثارين

أثينا : ١٩٤٦

١٨

قضى لارى ونويل ثلاثة أشهر فى نعيم ، فى فترة نادرة أشبه بحلم مثالى وأثيرى ، بدا كل شىء على ما يرام ، والوقت الساحر يمضى من يوم لآخر فى منتهى الروعة بدون أن يعكر صفو الجو أى شىء فى الأفق كان لارى يحب ساعات عمله فى الطيران ، وكلما وجد وقتاً كان يذهب لفيلا نويل فى رافينا ، ويقضى عطلة نهاية الأسبوع ، أو الأسبوع بأكمله معها . فى البداية خاف لارى أن تكون تلك الحياة بداية الحياة الأسرية المنزلية التى كان يكرهها للغاية ، لكنه فى كل مرة يرى نويل كان يزداد فتنة بسحرها ، ويتطلع بشغف إلى الساعات التى يقضيها معها . عندما لم تتمكن من الحضور ذات مرة فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع ، فى رحلة غير متوقعة مع ديميريس ظل لارى وحيداً فى الفيلا ، وهو يشعر بالغضب والغيرة ، وهو يفكر فى نويل وديميريس معاً كعاشقين . عندما رآها فى الأسبوع القادم اندهشت وفرحت لحماسه وقالت : " هل افتقدتني ؟ "

قال لها : " جداً . "

قال لها : " ماذا عن زوجتي ؟ "

" أخبرها أنك تريد الطلاق . "

" لا أعرف عاقبة ذلك ، وهل رأيها سيكون موافقاً لرغبتى أم لا . "

" لن تأخذ رأيها ، بل ستخبرها بقرارك " . كان فى نبرة صوت

نويل حزم شديد .

قال لارى : " حسناً . "

" لن تندم يا عزيزى ، أعدك بذلك . "

* * *

فقدت كاثرين إحساسها بمرور إيقاع دورات الأيام من الليل والنهار ، وكأنها سقطت فى غياهب الزمن . وامتزج الليل والنهار . لم يعد لارى للمنزل أبداً ، وتوقفت منذ فترة عن رؤية الأصدقاء ، ولم يكن لديها طاقة لاختلاق الأعذار أو مواجهة الناس . حاول الكونت باباس رؤيتها عشرات المرات وفى النهاية استسلم . كانت تتعامل مع الآخرين بالطرق غير المباشرة : بالهاتف أو بالمراسلة أو بالبرقيات ، وأثناء المواجهات كانت تتصلب كالتمثال ، ولم تعد قادرة على إدارة أى حوار . لقد جعلها الناس والزمن تتألم كثيراً ، ولجأت للسلوى الوحيدة فى حياتها ، وهى الشراب لكى تنسى معاناتها ، وتهرب من الواقع المؤلم .

عندما ذهبت إلى أثينا لأول مرة كانت تراسل فريزر باستمرار ، ويتبادلان الأخبار عن حياة كل منهما . لكن منذ بدء مشاكلها مع لارى لم تجرؤ على الكتابة لـ " فريزر " ، ولم ترد على آخر ثلاثة خطابات ، بل إن خطابه الأخير لم تفتحه ، ولم يكن لديها الطاقة اللازمة للتعامل مع أى شئ خارج دائرة الرثاء لذاتها ، التى حبستها فى دائرة مفرغة .

جاءتها ذات يوم برقية ، لكنها ظلت على المائدة ، ولم تفتحها ، وبعد أسبوع دق جرس الباب ، وجاء فريزر ، ولم تصدق كاثرين نفسها . قالت بصوت أجش : " بيل فريزر "

هم بالحديث ، لكن نظرة الإشارة فى عينيه تحولت إلى دهشة وصدمة .

قالت : " عزيزى بيل ما الذى أتى بك هنا ؟ "

قال لها : " لى موعداً عمل فى أثينا ، ألم يصلك تلغراف بموعد وصولي ؟ "

نظرت إليه ، وحاولت أن تتذكر ، وقالت : " لا أعرف " . ثم قادته لجرة المعيشة المليئة بالجرائد القديمة ، والطاقيات المليئة بأعقاب السجائر ، وأطباق بها بواقي أطعمة وقالت له : " اعتذر لأن المكان متسخ ، فلقد كنت مشغولة جداً " .

تفرس فريزر فى وجهها ، وشعر بالقلق ، وقال لها : " هل أنت بخير يا كاثرين ؟ "

" من ؟ إننى رائعة ، لماذا لا نشرب معاً ؟ "

" إنها الحادية عشرة صباحاً . "

قالت له : " عندك حق تماماً ، لا داعى للشرب نهراً فى هذا الوقت المبكر ، فى الحقيقة لم أكن لأشرب إلا للاحتفال بمجيئك . أنت الوحيد فى العالم الذى يستحق أن أحتفل به . "

راقبها فى حزن وإحباط ، وهى تمشى بخطى متثاقلة ومتعرجة

وقال لها بهدوء : " أين لارى ؟ "

" لارى ؟ لا بد أنه مسافر فى مكان ما ، فهو يعمل لدى ديميريس

أغنى أغنياء العالم . فهو يملك كل شئ ، حتى زوجى "

تفرس فريزر فى وجهها للحظة ، ثم قال : " هل يعرف لارى أنك

تشربين ؟ "

وضعت كأسها ، وقالت بغضب : " ماذا تعنى بقولك هذا ؟ من قال إننى أشرب ؟ هل لمجرد أننى أريد الاحتفال برؤية صديق قديم ، فستبدأ فى مهاجمتى ! "

قال لها : " كاثرين إننى ... "

" هل تظن أنه بإمكانك المجيء إلى وتتهمنى بأننى سكير ؟ "

قال لها بالمر : " إننى آسف يا كاثرين . أعتقد أنك فى حاجة إلى المساعدة . "

قالت بغضب : " أنت مخطئ ، لا أحتاج للمساعدة من أحد ، هل تعلم لماذا ؟ لأننى ... " حاولت العثور على الكلمة المناسبة ، ثم استسلمت ، وأردفت قائلة : " لا أحتاج للمساعدة من أحد . " راقبها للحظة ، وقال : " لدى موعد عمل الآن ، لنتناول العشاء معاً الليلة . "

قالت له : " لا بأس . "

" رائع ، سأحضر فى الثامنة مساءً . "

شاهدته وهو يخرج من الباب ، ثم قامت بخطى متثاقلة وغير ثابتة ، وسارت إلى حجرة النوم ، وفتحت ببطء دولاب الملابس ، ونظرت للمرأة بداخله . وقفت متصلبة كالتمثال ولا تكاد تصدق ما تراه ، وكأن المرأة تخدعها بحيلة دنيئة وبشعة . كانت تعتقد داخلياً أنها فتاة جميلة صغيرة يحبها والدها ، وكأنها لا تزال فتاة جامعية أمام الفندق الحقيقى مع رون بيترسون وتسمعه يقول : " كاثي ! أنت أجمل من رأيت ! " وتسمع فريزر يقول له وهى بين ذراعيه : " أنت جميلة جداً يا كاثرين " ولارى يقول : " احتفظى بجمالك يا كاثي ، فأنت رائعة . " ثم نظرت لانعكاسها فى المرأة ، وقالت بصوت خشن : " من أنت ؟ " ثم بدأت تبكى بحزن على جسدها المترهل ، وانسابت الدموع على خديها فى وجهها المنفوخ . بعد ساعات دق جرس الباب ، وصاح فريزر : " كاثرين هل أنت هنا ؟ " ثم دق الجرس لفترة من الوقت ،

وبعد قليل كف عن دق الجرس ، وأصيحت كاثرين وحدها مع انعكاسها فى المرآة .

فى التاسعة من صباح غد ذهبت كاثرين لطبيب شهير يدعى نيكوديس ، وكان رجلاً ضخماً الجثة ، ذا لحية كثيفة بيضاء رثة ويبدو على وجهه الطبية والحكمة ، وسلوكه كان بسيطاً وغير رسمى . قادتها الممرضة لعيادته الخاصة ، وأشار لها الطبيب بالجلوس : " تفضلى بالجلوس يا مدام دوجلاس " ، جلست وهى تشعر بالتوتر البالغ ، وحاولت منع جسدها من الارتعاش . " ما مشكلتك ؟ "

همت بالإجابة ثم توقفت ، وقالت لنفسها فى يأس : " يا إلهى ! من أين أبدأ ؟ " وقالت للطبيب : " أحتاج للمساعدة " وكان صوتها أجش وجافاً .

كان الطبيب مسترخياً فى مقعده يراقبها ، وقال : " كم عمرك ؟ " " ٢٨ عاماً " ، كانت فى وجهه علامات الصدمة والدهشة . وحاول إخفاءها ، لكنها لاحظتها ، وشعرت بالرضا بشكل غريب .

" هل أنت أمريكية ؟ "

" نعم . "

" هل تعيشين فى أثينا ؟ "

أومأت برأسها للموافقة .

" منذ متى ؟ "

" منذ آلاف السنين ، منذ الحروب اليونانية القديمة . "

ابتسم لها الطبيب ، وقال : " أشعر أحياناً بنفس الشئ " ثم أعطاها سيجارة فأخذتها وهى تحاول التحكم فى ارتعاش يديها . لاحظ الطبيب رعشة يدها ، ولم يعلق وأشعلها لها ، وقال : " ما نوع المساعدة التى تريدينها ؟ "

نظرت إليه وهى فى حيرة وهمست : " لا أعرف ... لا أعرف . "

" هل تشعرين بالمرض ؟ "

" إنني مريضة ، لأبد أنني مريضة جداً . لقد صرت قبيحة " . لم تكن تبكي ؛ لكنها شعرت بالدموع تسيل على خديها .

قال لها الطبيب برقة : " هل تحتسين الخمر يا مدام دوجلاس ؟ "

حدقت إليه في فزع ، وشعرت أنه يهاجمها .

" أحياناً . "

" إلى أى مدى ؟ "

" ليس كثيراً - حسب الظروف . "

" هل شربت اليوم ؟ "

" كلا . "

جلس يتفرس في وجهها : " أنت لست قبيحة حقاً ؛ بل إنك زدت في الوزن ، وجسمك منتفخ ولم تعتن ببشرتك أو شعرك وخلف هذه الحجب تختفي فتاة جميلة وشابة . "

بكت وانتحبت ، وتركها تبكي لكي تستريح . سمعت كاثرين بالكاد أثناء نحيبها جرس الاتصال الداخلي عدة مرات ؛ لكن الطبيب تجاهله بعد أن هدأت كاثرين من نوبة البكاء ، مسحت عينيها بالمنديل وتمخضت ، ثم قالت : " آسفة ، هل يمكنك مساعدتي ؟ "

قال الطبيب : " هذا يعتمد عليك تماماً ، فنحن لم نعرف مشكلتك الحقيقية بعد " .

" افحصني جيداً . "

قال لها : " ليست تلك هي المشكلة ، فأنت تعانيين من أعراض المرض . سامحيني إذا كنت وقحاً ؛ لكن إذا أردت مساعدتي ، فيجب أن تكوني صريحة معي تماماً . عندما تترك امرأة جميلة نفسها لتلك الحالة ، فلا بد أنه يوجد سبب قوى جداً . هل زوجك على قيد الحياة ؟ "

" فقط في عطلات نهاية الأسبوع والإجازات الرسمية . "

تفرس في وجهها وقال : " هل تعيشين معه ؟ "

" عندما يكون بالمنزل . "

" ما عمله ؟ "

" إنه الطيار الخاص بـ " ديميريس كونستانتين " . رأت كاثرين رد فعل الطبيب على وجهه ، لكنها لم تعرف ما إذا كان رد فعله هذا بسبب اسم ديميريس ، أم أنه يغرف شيئاً عن لارى .

قالت له : " هل سمعت عن زوجي ؟ "

قال لها : " لا " . ربما كان يكذب . قال لها : " هل تحبين زوجك ؟ "

همت بالإجابة لكنها توقفت ، فقد كانت تعلم أن إجابتها مهمة لها وليس للطبيب فقط . نعم ، هي تحب زوجها ؛ لكنها في نفس الوقت تكرهه وأحياناً ، كانت تغضب منه لدرجة التفكير في قتله ، وفي نفس الوقت تمتلئ بالحنين إليه ، وتشعر أنها مستعدة للموت من أجله ، ما الكلمة التي قد تعبر عن ذلك ؟ ربما كلمة " الحب " : قالت للطبيب : " نعم . "

" هل يحبك ؟ "

فكرت كاثرين في النساء الأخريات في حياة لارى ، وفي خيانتته لها ، وفي انعكاسها البشع في المرآة بالأمس ، ولم تتمكن من إلقاء اللوم علي لارى لعدم رغبته فيها . لكن من يستطيع تحديد أيهما حدث أولاً ؟ هل شكلها البشع سببه خيانتته لها ، أم أن خيانتته لها هي ما جعلها قبيحة ؟ أدركت أن الدموع تنساب على خديها مرة أخرى .

هزت رأسها بالنفي ، وقالت بوهن : " لا أعرف . "

" هل أصبت بانهايار عصبي من قبل ؟ "

نظرت إليه ، وقالت : " كلا ، هل تظن أنني بحاجة إليه ؟ "

لم يبتسم لمزاحها ، وتحدث ببطء مع انتقاء كلماته بحرص ، وقال : " النفس البشرية شيء حساس ومعقد يا مدام دوجلاس ، عندما

تتعرض لألم بشع يختفى هذا الألم فى أعماق الذهن ، حيث نبدأ فى اكتشافه فقط بعد ذلك ، وتكون انفعالاتك ممتدة وأعصابك مشدودة " .
ثم صمت لبرهة ، وقال : " أعتقد أنها علامة جيدة أنك جئت إلى هنا للمساعدة " .

قالت مدافعة عن نفسها : " أعلم أنني عصبية قليلاً ، وهذا سبب الشراب ، لكى أهدأ " .

قال لها بحة : " كلا ، بل تشربين من أجل الهروب من الواقع " .
ثم قام من مجلسه وسار إليها ، وأردف قائلاً : " أعتقد أنه يمكننا أن نفعل الكثير من أجلك ، وأعنى بالنسبة لى أنا وأنت ، فالأمر ليس سهلاً " .

" أخبرنى بما يجب أن أفعله " .

" كبدية سأرسلك لعيادة لإجراء كشف طبي شامل ، ولكن فى رأى إن المشكلة ليست فى الناحية الجسدية ، ثم ستتوقفين عن الشراب تماماً ، وتتبعين نظاماً غذائياً ، هل كل شيء على ما يرام حتى الآن ؟ "

ترددت كاثرين ، لكنها أومات برأسها .

" ثم تسجلين اسمك فى صالة للألعاب الرياضية لتستعيدى رشافتك . وهناك إخصائى علاج بدنى ممتاز سيعطيك " مساج " وتدليكاً ، وستذهبين لمركز تجميل مرة أسبوعياً . كل هذا سيستغرق وقتاً يا مدام دوغلاس . لقد وصلت لما أنت عليه فى أيام طويلة وليس ما بين يوم وليلة وبالتالى لن يتغير حالك الآن ما بين يوم وليلة " . ثم ابتسم لها مطمئناً إياها ، ثم أردف قائلاً : " لكنى أعذك أنه فى غضون بضعة شهور - أو أسابيع - ستشعرين أن شكلك أصبح أفضل ، وأنت امرأة أخرى . وعندما تنتظرين للمرأة ستشعرين بالفخر ، وسيجدك زوجك مثيرة " .

حدقت إليه كاثرين ، وشعرت بثقل قد رفع من على كاهلها ، وأخست أنه منحها فرصة أخرى للحياة .

قال لها : " تفهمين جيداً أنني أقترح عليك هذا البرنامج العلاجى فقط ، وأنت من سينفذه " .

قالت له بحماس : " سأفعل ، أعذك بذلك " .

" أصعب جزء هو الإقلاع عن الشراب " .

قالت له : " كلا ، لن يكون كذلك " لكنها كانت تعلم أنه على حق . لقد كانت تشرب للهروب من الواقع كما قال لها . لديها الآن هدف ، وتعرف إلى أين تتجه ؛ ستستعيد لارى . قالت بحزم : " لن أشرب ولا قطرة واحدة " .

" أنا أصدقك يا مدام دوغلاس " .

نهضت كاثرين واقفة ، وشعرت بالدهشة لبطء حركتها وتكاسلها وترهل جسدها . لكن كل هذا سيتغير الآن . قالت له يابتسامة : " سأبدأ ب شراء ملابس ضيقة " .

دوّن الطبيب شيئاً على بطاقة ، وقال لها : " هذا هو عنوان العيادة وسيكونون فى انتظارك . سأراك بعد الكشف الطبي " .

فى الشارع حاولت إيجاد تاكسى ، لكنها غيرت رأيها ، وقالت لنفسها إنها يجب أن تستعد للتعود على المشى والرياضة وبدأت تسير . مرت كاثرين على فاترينة ، ورأت انعكاس صورتها .

لقد تسرعت فى الحكم على لارى عندما ألقت عليه اللوم لإفساده لزوجها بدون أن تدرك أن جزءاً كبيراً من اللوم يقع عليها . لماذا سيرغب فى العودة للمنزل ليراها بهذا الشكل ؟ لقد تحولت لبطء إلى امرأة غريبة بدون أن تشعر . تساءلت كم عدد الزيجات التى فشلت بسبب هذا الأمر وهى كثيرة جداً بالطبع .

تذكرت كاثرين قول الشاعر إليوت فى الزوج الذى يعودى من الحرب ليجد زوجته قبيحة ، فيذهب لامرأة أخرى .

حسناً كان هذا في الماضي ، من الآن فصاعداً لن تعود لما كانت عليه ، وستنظرين للمستقبل لا للماضي .

وصلت كاثرين لحى سالونيكيا الراقى ، ودخلت مركز تجميل مرت عليه مصادفة . كانت قاعة الاستقبال من الرخام الأبيض ، وكانت أنيقة ورحبة . نظرت إليها موظفة الاستقبال بجفاء وتعال ، وقالت : " هل يمكننى مساعدتك ؟ "

أريد تحديد موعد صباح غدٍ هنا ، أريد كل شيء يصلح لى .
ثم فكرت قليلاً ، وقفز لذهنها اسم أشهر مصفف شعر : " أريد مصفف الشعر اليكو " .

قالت لها : " يمكننى تحديد موعد لك لكن مع مصفف آخر " .
قالت كاثرين بحزم : " أخبريه أنه سيصف شعرى غداً ، وإلا فسأتجول عبر أثينا ، وأخبر الجميع أننى من زبائنه الدائمات . "
حدقت المرأة إليها فى دهشة وصدمة ، وقالت سريعاً : " سارى ما يمكن فعله ، تعالى فى العاشرة غداً صباحاً "
ابتسمت كاثرين وقالت : " شكراً لك . سأحضر فى الموعد المحدد " . ثم غادرت المكان .

رأت أمامها مطعماً صغيراً معلقاً عليه لافتة تقول : " مدام بيريس - قارئة الطالع " بدت لها اللافتة مألوفة ، ثم تذكرت فجأة اليوم الذى ذكر لها فيه الكونت باياس قصة الشرطى والأسد - لكنها لم تتذكر التفاصيل . لم تكن تؤمن بقراءة الطالع ، لكنها لم تستطع مقاومة إغراء الذهاب للعرافة ؛ لأنها كانت تحتاج للتأكيد والطمأنينة من أجل مستقبل رائع ومشرف ، وأن هناك من يخبرها أن الحياة ستكون جميلة مرة أخرى وتستحق أن تعيشها ، فتحت الباب ودلقت إلى الداخل .

وبعد أن سارت فى ضوء الشمس استغرقت وقتاً للاعتياد على ظلام القاعة الذى كان يشبه ظلام الكهوف ، رأت إعداد المشروبات فى أحد

الأركان وعشرات المناضد والمقاعد وسار إليها النادل بخطى متثاقلة ، وكان يبدو عليه التعب ، وتحدث معها باليونانية .

قالت له : " لا أريد شراباً " . استمتعت عندما قالت تلك العبارة ، ولأن لديها إرادة فكررتها لنفسها .

وقالت : " لا أريد شراباً ، بل مدام بيريس ، هل هى هنا ؟ "
أشار النادل لمنضدة خالية فى أحد الأركان ، فذهبت كاثرين إليها وجلست . بعد دقائق شعرت بمن يقف بجوارها فنظرت إليه .

كانت مدام بيريس رفيعة ونحيلة وعجوزاً ، وترتدى السواد ووجهها ممتلئ بالتجاعيد .

قالت بإنجليزية ركيكة : " هل طلبت رؤيتى ؟ "
" نعم أريدك أن تقرئى طالعى من فضلك . "

جلست السيدة وأشارت للنادل ، فجاء للمنضدة حاملاً قهوة ثقيلة على صينية ، ووضعها أمام كاثرين .

قالت كاثرين : " لم أطلب قهوة ، بل "
قالت مدام بيريس : " اشربى . "

نظرت إليها كاثرين فى دهشة ، ثم رفعت الكوب ، واحتست جرعة منه ، ووجدتها مرة وقوية ، وضعت الكوب مكانه .

قالت السيدة : " اشربى المزيد . "
همت كاثرين بالاعتراض ، وقالت لنفسها : " ما يفقدونه من مال

لقراءة الطالع يربحونه من القهوة . "

ثم تناولت جرعة أخرى ، وكانت سيئة للغاية .

قالت لها مدام بيريس : " أكملى الكوب . "
هزت كاثرين كتفيها دون اكتراث ، وشربت الكوب بأكمله . أومأت مدام بيريس برأسها ، وأخذت الكوب من كاثرين ، وحدقت فيه لوقت طويل ، ولم تقل شيئاً . شعرت كاثرين بالغباء ، لكنها قالت لنفسها :

" ما الذى تفعله فتاة ذكية مثلى فى مكان كهذا ، وأمامى امرأة يونانية مجنونة تحدق إلى كوب قهوة فارغ ؟ "

قالت المرأة فجأة : " لقد أتيت من مكان بعيد . "

قالت كاثرين بجدية مصطنعة للسخرية : " لقد أصبت الهدف بالضبط . "

نظرت إليها المرأة فى عينيها ، وشعرت كاثرين بالخوف من نظرتها وقالت : " عودى لوطنك . "

ازدردت لعابها ، وقالت : " لكنى فى وطنى . "

" عودى من حيث أتيت . "

" تمنى أمريكا ؟ "

" مهما كان المكان ، غادرى هذه البلاد - سريعاً ! "

قالت وهى تشعر بالرعب : " لماذا ؟ ما الخطب ؟ "

هزت المرأة رأسها فى خوف ، وكان صوتها خشناً ، وتحدثت بحسرة وبلهفة ، وكأنها حيوان يتألم . شعرت كاثرين بشعرها يقف ، وقالت : " أنت ، ما الأمر ؟ أخبرينى من فضلك ؟ "

هزت رأسها فى عنف ، وصارت عيناها جاحظتين ، وقالت : " اهربى من البلاد قبل أن يأتى إليك . "

شعرت كاثرين بالفزع وضيق التنفس ، وقالت : " من الذى سيأتى لى ؟ "

تقلص وجه المرأة المعجوز من الألم والرعب ، وقالت : " الموت آت إليك . " ثم قامت بسرعة ، وهرعت للحجرة الخلفية التى جاءت منها .

ظلت كاثرين جالسة ، وقلبها يدق فى عنف وكانت يداها ترتعشان ، فحاولت أن تهدئ نفسها للتوقف عن الارتعاش . لاحظت عيني النادل ، وهمت بطلب شراب ، لكنها منعت نفسها . لن تجعل تلك المرأة المجنونة تفسد مستقبلها الواعد المشرق . جلست تتنفس

بعمق ، حتى تحكمت فى نفسها وبعد وقت طويل قامت والتقطت حقيبتها ، وقفازها وخرجت من المطعم .

شعرت بتحسن تحت أشعة الشمس المبهرة . كانت حمقاء ، لأنها جعلت السيدة المعجوز تخيفها ، فأمثالها يجب حبسهن بدلاً من تركهن يخفن الناس . قالت لنفسها : " من الآن سألتزم فقط بتناول كعك ماركة " فورشن " (الحظ السعيد) . "

دخلت شقتها ، وألقت نظرة على حجرة المعيشة ، وكأنها تراها لأول مرة . كان منظرها بائساً ، فالتراب يملأ المكان وقطع الملابس ملقاة فى أرجاء الحجرة . تعجبت كيف أنها لم تدرك مدى قذارة المكان ؟ حسناً ، إن أول تمرين لها سيكون تنظيف المكان تماماً . همت بالذهاب للمطبخ ، لكنها سمعت صوتاً فى حجرة النوم ، فخافت ودق قلبها من الرعب ، ثم تحركت ببطء ناحية الحجرة .

كان لارى فى حجرة النوم ، وكانت حقيبة سفره ملقاة على فراشه ، وكان على وشك الانتهاء من إعداد حقيبته التالية . وقفت لبرهة تراقبه ، ثم قالت : " هل ستتبرع بملابسك القديمة ؟ لقد فعلت ذلك بالفعل . "

قال لها : " إننى راحل . "

" رحلة أخرى مع ديميريس ؟ "

قال دون توقف : " كلا بل من أجلي ، سأغادر هذه المدينة . "

" لارى "

" لا داعى لمناقشة أى شىء . "

دخلت لحجرة النوم ، وحاولت بالكاد السيطرة على نفسها ، وقالت : " لكن يوجد الكثير لكى أناقشه - ذهبت للطبيب ، وسأكون بخير ، وسأقلع عن الشراب و ... " . كانت تتحدث بسرعة كبيرة . قاطعها قائلاً : " انتهى الأمر يا كاثى . سنفصل بالطلاق . "

بدا وقع الكلمات عليها كضربات متلاحقة لمعدتها . وقفت وتصلبت شفتاها ؛ لكيلا تتقيأ ، وحاولت أن تزدرد ريقها لدفع الماء الحار الذى وصل لحنجرتها لكي تتقيأه . " لارى .. " ثم ضمت ، ثم تحدثت ببطة ، لكيلا يرتعش صوتها .

" لا ألومك على ما تشعر به ، ربما كان الخطأ منى - معظمه - لكنى سأغير - وأعنى ذلك حقاً . " ثم مدت له يدها فى تضرع وتوسل : " كل ما أطلبه منك فرصة واحدة "

قال لها وهو يواجهها بعينين باردتين ومليئتين بالاحتقار : " أنا أحب فتاة أخرى ، كل ما أريده هو الطلاق . "

وقفت لفترة طويلة كالتمثال ، ثم استدارت وسارت نحو حجرة المعيشة ، وجلست على الأريكة تتصفح المجلة ، حتى ينتهى هو من إعداد حقيقته . لاحقاً سمعته يقول : " المحامى الخاص بى سيتصل بك . " ثم أغلق الباب بعنف خلفه . عندما انتهت من تصفح المجلة ببطة ، ووصلت لنهايتها ذهبت للحمام ، وتناولت شفرة ، وقطعت سرايين يدها .

نويل وكاثارين

أثينا : ١٩٤٦

١٩

حامت حولها الأشباح البيضاء فى الفضاء المحيط ، وكانت تهمس بلغة تفهمها كاثارين . شعرت أنها فى جهنم ، لكي تكفر عن خطاياها وكان جسدها مربوطاً بأربطة على الفراش ، وكأن ذلك جزء من العقاب ، لكنها رضيت بالأربطة ، لأنها تشعر بالأرض تدور ، وخافت وكأنها على وشك السقوط . أكثر شئ مرعب ولا يحتمل وكأنه من الشيطان هو أن أعصابها خرجت من جسدها ، لكي تستشعر العذاب مضاعفاً ألف مرة ، وكان شيئاً لا يحتمل . كان جسدها ينبض بالحياة ويشعر بالضوضاء المرعبة غير المألوفة . كانت تسمع صوت سريان الدم فى العروق ، وكان نهراً أحمر ينطلق فى مجراه بسرعة وبصوت مخيف . يمكنها سماع دقات قلبها كدق الطبول بواسطة العمالقة . شعرت وكأنها بلا جفون ، وهناك ضوء أبيض يخترق مخها يذهلها ببريقه . كانت كل عضلات جسمها تنبض بالحياة فى حركة دائمة لا تهدأ ، مثل الثعابين تحت جلدها ، ومستعدة للهجوم .

بعد مرور خمسة أيام من دخول كاثارين للمستشفى فتحت عينيها ، ووجدت نفسها فى حجرة المستشفى البيضاء الصغيرة ، وكانت هناك

ممرضة ترتدى زياً أبيض تقوم بضبط وضع الفراش . وضع د. نيكوديس الساعة على صدر كاثرين .

قالت بضعف : " يا إلهي ! ، إنها باردة "

نظر إليها وقال : " حسناً ، لقد أفاقت "

انتقلت كاثرين ببصرها إلى أرجاء الحجرة . بدا الضوء طبيعياً ، ولم تعد تسمع صوت جريان الدماء أو دقات قلبها ، ولم تعد تشعر أنها تحتضر .

قالت هامسة : " أعتقد أنني في الجحيم "

" لقد كنت هناك بالفعل وعدت "

نظرت إلى معصمها الذي كان مربوطاً بالشاش ، وتساءلت : " كم يوماً ظلت هنا ؟ "

" خمسة أيام "

ثم تذكرت فجأة سبب الشاش ، وقالت : " كانت حماقة بنى أن أحاول الانتحار " .
" بالتأكيد "

ضغطت على عينيها ، وقالت : " إنني آسفة ، ثم نامت وعندما استيقظت ليلاً فتحت عينيها ، ووجدت بيل فريزر جالساً على مقعد بجوار فراشها يراقبها بحنان ، وقد أحضر معه زهوراً وحلوى . ووضعها على المنضدة بجوار الفراش .

قال بمنح : " أهلاً ، تبدين في حال أفضل "

قالت بضعف : " أفضل من ماذا ؟ "

وضع يده على يدها ، وقال : " لقد أفزعتنى يا كاثرين "

" إنني آسفة يا بيل " . ثم بدأت حشجة في صوتها ، وخافت أن تجهش بالبكاء .

" أحضرت إليك بعض الزهور والحلوى ، وعندما تشعرين بتحسّن وقوة أكثر فسأحضر لك بعض الكتب "

نظرت إلى وجهه القوي العطوف ، وقالت لنفسها : " لماذا لم أحبه ؟ لماذا أحببت من أمته الآن ؟ لماذا من تحبه ملاكاً يتضح أنه شيطان ؟ " . قالت له " فريزر " : " كيف جئت إلى هنا ؟ "

" في سيارة الإسعاف " .

" أعنى - من وجدنى فى تلك الحالة ؟ "

" أنا من وجدك . حاولت الاتصال بك هاتفياً عدة مرات ، وعندما لم أتلّق أى رد شعرت بالقلق واقتحمت الشقة " .

قالت له : " من المفترض أن أشكر لككنى ... "

" هل تريدان التحدث عن الأمر الآن ؟ "

هزت رأسها بالنفى ، وشعرت بالألم فى رأسها ، وقالت بصوت خفيض : " كلا " .

أوما برأسه ، وقال : " سأضطر للعودة للوطن صباح غداً ، سأبقى على اتصال بك "

شعرت بقبيلته الحانية على جبينها ، وأغمضت عينيها ، وكأنها تريد إبعاد العالم عنها ، وعندما استيقظت كانت وحيدة ، وكان الوقت منتصف الليل .

فى الصباح أتى لارى لزيارتها . شاهدته كاثرين وهو يدخل لحجرتها ، وجلس على المقعد المجاور لفراشها ، كانت تتوقع رؤيته شاحباً وغير سعيد لكن على العكس ، كان شكله رائعاً ورشيحاً وقد اكتسب وجهه سمرة محببة ، وكان هادئاً . تمنّت كاثرين بشدة أن تتاح لها فرصة تمشيط شعرها ، ووضع أحمر الشفاه .

" كيف حالك يا كاثرين ؟ "

" رائع ، فالانتحار يحفزنى دائماً "

" لم يتوقع الأطباء نجاتك "

" آسفة لأننى خذلتك "

" ليس من اللائق أن تقولى ذلك " .

" لكنه حقيقى يا لارى ، ألم ترد التخلص منى ؟ "

" لم أرد الخلاص بتلك الطريقة ، بل كل ما أريده هو الطلاق . "

نظرت إلى زوجها الوسيم الجامد كالتمثال ، وكان وجهه يبدو ضعيفاً وشاحباً ، وكان فمه متصلباً ، وقل سحره الطفولى . كم تتعلق ؟ بسبع سنوات من الأوهام ؟ قد منحته نفسها بحب كبير وآمال كبيرة ، ولم تطق فكرة الاعتماد عنه ، لم تطق الاعتراف بأن خطأها الفادح قد حوّل حياتها إلى أرض خربة جدباء . تذكرت بيل فريز وأصدقاءهما فى واشنطن والمتعة التى شعرا بها ولم تتمكن من تذكر آخر مرة ابتسمت ، أو ضحكت من قلبها . لكن لم يكن كل ذلك مهماً ، وكان السبب النهائى لعدم رغبتها فى تركه هو أنها مازالت تحبه . كان واقفاً فى انتظار الرد فقالت : " كلا ، لن أسعى للطلاق أبداً " .

قابل لارى نويل ليلاً فى منزل مهجور يطل على الجبل ، وذكر لها حوارهم مع كاثرين .

استمعت نويل باهتمام شديد ، وقالت : " هل تظن أنها ستغير رأيها ؟ "

قال لها : " إنها عنيدة للغاية " .

" تحدث معها فى الأمر مرة أخرى " .

فعل لارى ما قالته نويل ، ظل يناقشها فى الأمر لمدة ثلاثة أسابيع ، واستخدم كل الطرق المتاحة ، استعطفها وحاول إقناعها وهددها وغضب منها ، وغرض عليها المال ، لكن لم تتزحزح عن موقفها . كانت لا تزال تحبه ، وكانت متأكدة أنه إذا منحها فرصة أخرى فستتمكن من استعادة حبه لها .

قالت بعناد : " أنت زوجى حتى الموت " .

ذكر لارى كل ما قالته كاثرين لـ " نويل " .

أومأت نويل برأسها : " نعم " .

نظر إليها لارى فى حيرة ، وقال : " نعم ماذا ؟ " .

كانا مستلقيين على الشاطئ فى الفيلا ، ويغرشان الفوط البيضاء لحماية جسديهما من الرمال الساخنة . كانت السماء شديدة الزرقة ، وبها سحب قليلة .

قالت نويل : " يجب أن تتخلص منها " . ثم قامت وعادت للفيلا ، وهى تتحرك برشاقة عبر الرمال . ظل لارى مستلقياً وحائراً ، ويظن أنه أساء فهمها ، بالتأكيد لم تكن تعنى أن يقتل كاثرين . ثم فجأة تذكر ما فعلته نويل بـ " هيلينا " .

* * *

كانا يتناولان العشاء فى الشرفة ، وقالت له نويل : " ألا ترى ؟ إنها لا تستحق الحياة . فهى متمسكة بك ، لكى تنتقم منك ، وتدمر حياتك ، وحياتنا معاً يا حبيبى " .

استلقيا على الفراش ، وهما يدخان ، وكان انعكاس ضوء السجائر مبهراً بسبب المرايا التى تغطي السقف .

" أنت بذلك ستسدى إليها خدمة ، فلقد حاولت قتل نفسها بالفعل ، فهى تريد الموت " .

" لن يمكننى قتلها يا نويل " .

" بل يمكنك ذلك " .

أخذت تداعبه بأناملها ، وقالت : " سأساعدك " .

هم بمداعبتها هو الآخر ، وقد نسي كاثرين تماماً .

استيقظ لارى فزعاً فى منتصف الليل ، وكان يتصيب منه عرق بارد . لقد كان يحلم بأن نويل هربت منه . كانت مستلقية بجواره ،

فاحتضنها وظل مستيقظاً طوال الليل يفكر فيما عساه يفعل إذا فقدها .
لم يدرك أنه توصل لقرار ، لكن فى الصباح أثناء تناول الإفطار قال
لـ " نويل " : " ماذا لو أمسك بنا البوليس ؟ " .

لم تظهر رضاها عن استسلامه للفكرة ، وقالت : " إذا كنا ماهرين
فلن يقيض علينا " .

قال لها بجدية : " نويل ، الكل فى أثينا يعلم أننا لست فى وفاق
مع كاثرين ، إذا حدث لها أى شىء فسيشك فى رجال البوليس " .
قالت له بهدوء : " بالطبع هذا ما سيحدث ، لذلك سنخطط للأمر
جيداً " .

بعد أن قدمت له ولنفسها الطعام جلسا يتناولان الإفطار ، بينما
لارى لم يمض طبقه .

قالت نويل بقلق : " ألا يعجبك الطعام ؟ " .
حدق إليها ، وتعجب من هذه المخلوقة الجالسة أمامه ، فكيف
تستمتع بوجبتها ، وهى تخطط لقتل امرأة أخرى ؟
لاحقاً أبحرا فى القارب ، وناقشا الموضوع باستفاضة ، وكلما تناقشا
اقتنع لارى أكثر . بدأت الفكرة بكلام عابر ، ثم زادت وكبرت كلما زاد
الكلام ، حتى صارت حقيقة وشيكة الحدوث .

قالت نويل : " يجب أن يبدو الأمر كحادث ، حتى لا يكون هناك
تحقيق جنائى ، فالبوليس فى أثينا ماهر جداً " .

" ماذا لو أحييت القضية للتحقيق ؟ "

" لن يحدث ، فالحدث لن يتم هنا " .

" أين إذن ؟ "

مالت ناحيته وهمست قائلة : " أيونيا " وأنصت لارى لخطتها
البارعة المحكمة وهى تشرحها ، وترد كل اعتراضاته ، وهى ترتجل
ببراعة متناهية . عندما انتهت نويل اعترفت لارى بأن الخطة ليس بها
خطأ واحد ، ويمكنه القتل مع الإفلات من العقاب .

كان بول متكساس متوتراً ، وصار وجهه الندى كان عادة مرحاً
وبشوشاً ، شاحباً وبدت عليه أمارات التوتر ، وارتعش أحد جوانب
شفتيه بشكل لا إرادى من فرط القلق . لم يحدد سلفاً موعداً مع
ديميريس ، ولم يكن من السهل اقتحام خلوته وإزعاجه ، وهو رجل
مهم ، لكن متكساس أخبر الخادم أن الأمر عاجل ، وجلس فى انتظاره
فى ردهة الفيلا ، وحدق إلى ديميريس ، وقال وهو يتلعثم : " أنا
أسف على إزعاجك يا سيد ديميريس " . وكان يمسح يده التى تتصبب
عرقاً خلسة فى بنطال زى الطيران .

" هل حدث شىء لإحدى طائرتى ؟ "

" كلا يا سيدى ... بل إنه أمر شخصى " .

تفحصه ديميريس بدون اكتراث ، فمن سياسته عدم التعجل فى
شئون أتباعه والعاملين تحت إمرته ، فليده سكرتارية لتولى هذه
الشئون . انتظر لكى يكمل متكساس ما يود قوله .

زاد توتر متكساس بمرور الوقت ، فلقد قضى ليالى طويلة بلا نوم قبل
أن يتخذ القرار بالذهاب لـ " ديميريس " ، كان ما يفعله الآن منافياً
لطبيعة شخصيته . وبدأ له كريها ، لكنه رجل مخلص للغاية وولائه
التام لـ " ديميريس " .

قال فى النهاية : " الأمر يخص نويل باج " .

ساد الصمت لبرهة .

قال ديميريس : " ادخل إلى المكتبة " ، ودخل للمكتبة ، وأغلق
الباب . أخرج ديميريس سيجاراً ، وأشعله قائلاً بهدوء : " ماذا عن
نويل ؟ "

ازدرد متكساس ريقه ، وتساءل عما إذا كان قد أخطأ بمجيئه إلى
هنا إذا كان قدر الموقف جيداً وبشكل صحيح فسيتم تقدير معلوماته ؛
ولكنه إذا كان على خطأ

لعن نفسه على تسرعه فى المجرى ، إلى هنا ؛ لكنه لم يكن لديه خيار التراجع الآن ، وعليه استكمال ما جاء من أجله .

قال وهو ينظر لوجه ديميريس محاولاً معرفة رد فعله : " بتعلق الأمر بها وبـ " لارى دوجلاس " . لم يبد علي ديميريس أى رد فعل ، ولو إشارة إلى أنه مهتم . قال متكاس متلعثماً " إنهما يعيشان معاً فى منزل يطل على الشاطئ فى رافينا " .

أطفأ ديميريس سيجاره فى مطفأة ذهبية على شكل قبة . شعر متكاس أنه سيفصله ، لقد قام بمجازفة كبرى ستكلفه عمله . كان عليه إقناع ديميريس بأنه يقول الحقيقة ، فقال له متلعثماً : " أختى مديرة منزل فى إحدى الفيلات هناك ، ورأتها على الشاطئ معاً طوال الوقت ، وقد تعرفت على نويل من الصور فى الجرائد ، ولم تكثرث للأمر ، وأخبرتني به منذ يومين عندما جاءت للمطار لتناول الغداء معي " . وقد قدمتها إلى لارى ، فقالت لى : " إن هذا الرجل هو عشيق نويل " .

حذر ديميريس إليه بعينييه السوداوين بدون أن يظهر أى تعبير . قال متكاس بضعف منهيأ حديثه : " اعتقدت أنك تريد معرفة ذلك " .

تحدث ديميريس بصوت ليس به أى نبرة : " ما تفعله فى حياتها الخاصة من شأنها ، ولن تقدر أى شخص يتجنس عليها " .
تصنّب العرق على جبهته ، وقال لنفسه إنه أراد إظهار ولائه لـ " ديميريس " : " صدقنى يا سيد ديميريس ، كنت أحاول ... " .
" أنا متأكد من أنك ظننت أنك تسدى لى خدمة . أنت مخطئ . هل يوجد لديك المزيد ؟ " .

" كلا يا سيدى " ثم استدار ، وفر هارباً .
اتكأ ديميريس على ظهر المقعد ، وحذر فى السقف يفكر ملياً .

فى التاسعة من صباح اليوم التالى تلقى متكاس أوامر من ديميريس بتفقد شركات التعدين الخاصة به فى الكونغو . وقد تحطمت طائرة متكاس فى غابة كثيفة خضراء اصطدمت بها ، ولم يعثر على أى آثار لجسده أو لبقايا الطائرة .

بعد أسبوعين من خروج كاثرين من المستشفى جاء لارى لزيارتها . كانت كاثرين تعد بعض البيض للعشاء ، وصوت الطهى منعها من سماع صوت الباب عندما فتحه لارى ، ولم تدرك وجوده إلا عندما استدارت ووجدته واقفاً عند مدخل الباب ، قفزت من الفرع بشكل لا إرادى ، وقال لها : " آسف على إفزاعك ، فلقد مررت لأطمئن عليك " .
شعرت بقلبيها يدق بعنف ، واحتقرت نفسها لأنه لا يزال لديه تأثير عليها بهذا الشكل .

قالت له : " أنا بخير ، ووضعت البيض على طبق " .
قال لارى : " رائحته طيبة ، هلا أعددت لى طبقاً ؟ لم يتح لى الوقت لتناول العشاء " .

نظرت إليه لبرهة ، ثم هزت كتفيها دون اكتراث .
أعدت له العشاء ، وتوترت من وجوده ، فلم تأكل أى شىء . ظل لارى يتحدث معها ، ويذكر لها قصصاً مسلية عن أسفاره ، ورحلاته مع أصدقاء ديميريس . كان لارى كسابق عهده ، ساحراً ودافئاً ولا يقاوم ، كما لو كان شيئاً لم يحدث أبداً ، وكأنه لم يحطم حياتهما معاً .

بعد انتهاء العشاء ساعدها على غسيل الصحون وتجفيفها ، ووقف بجانبها على حوض المطبخ ، مما جعل جسدها يحن إلى لمسته الحانية ، فقد مر وقت طويل على آخر لقاء حميم بينهما .
قال لارى : " لقد استمتعت بالعشاء حقاً " ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة ، وقال : " شكراً لك يا كاثى " .

قالت كاثرين لنفسها إن تلك هي نهاية الأمر .

بعد ثلاثة أيام دق جرس الهاتف . كان لارى يتحدث مع كاثرين من مدريد ليقول لها إنه فى طريقه للمنزل ، وطلب منها الاستعداد للعشاء معه بالخارج الليلة . أمسكت كاثرين بالسماعة جيداً ، وهى تصغى لصوته الدافئ ، وقررت ألا تذهب . ولكنها قالت له : " أنا جاهزة للعشاء معك الليلة " .

ذهبا لمطعم فخم ، وبالكاد تناولت كاثرين أى شيء ، لأن الموقف ظل يذكرها بمطاعم أخرى تناولت فيها العشاء معه ، والليالى المثيرة لهما معاً فى الماضى السعيد البعيد ، عن الحب الذى كان مستمر مدى الحياة .

قال لارى بقلق : " أنت لا تأكلين يا كاثرين ؟ هل تريدين أن أطلب لك شيئاً آخر ؟ "

قالت له وهى تكذب : " تناولت الغداء متأخراً " .

قالت لنفسها : " لن يخرج معى بعد الآن ، وإذا طلب منى الخروج معه مرة أخرى فسأرفض " .

بعد بضعة أيام اتصل بها مجدداً ، وتناولوا الغداء فى مطعم فخم فى ميدان سيتاجماوى ، وكان يسمى مطعم " النخلة القديمة " ، وكان مدخله الطويل محفوفاً بالنخيل على جانبيه . تناولوا الطعام ، واستمتعا به ، وكان لارى مسلياً وممتعاً لها .

فى الأسبوع التالى طلب منها السفر إلى فيينا لمقابلته ، وتناولوا العشاء فى مطعم فخم ، وعادا فى نفس الليلة . كانت ليلة رائعة مليئة بالموسيقى ، وضوء مطعم الشموع الحاملة ، ولكن كان ينتاب كاثرين شعور رهيب بأن المكان لا ينتمى إليها ، بل إلى كاثرين دوجلاس التى ماتت منذ شهور . عندما عادا للشقة قالت له : " شكراً لك يا لارى ، كان يوماً رائعاً " .

احتضنها وهم بتقبيلها ، لكنها فرت منه ، وتصلب جسدها ، وامتلاً عقلها برعب وذعر مفاجئ وغير متوقع .

" كلا " .

" كاثرين " .

" كلا ! " .

أوما برأسه . وقال : " حسناً أنا أفهم الموقف " .

ارتعش جسدها ، وقالت له : " حقاً ! " .

قال لها بركة : " أعلم أننى أسأت التصرف يا كاثرين ، فأعطني الفرصة لإصلاح الحال " .

ضغطت على شفتيها ، وقاومت الرغبة فى البكاء وقالت وعيناها تلمعان من الدموع المحبوسة : " فأت الأوان " .

وراقبته حتى سار إلى الباب وخرج .

بعد أسبوع أرسل لها لارى زهوراً ومعها خطاب صغير ، ولاحقاً أرسل لها دبابيس على شكل طيور صغيرة من دول مختلفة . لقد

كلف نفسه عناء البحث عنها ، لأنها كانت مجموعة متنوعة ، إحداها من اليورسلين ، والأخرى من العقيق ، والثالثة من الخشب الهندى ،

ولقد تأثرت كثيراً ، لأنه تذكر حبها للدبابيس على شكل طيور .

اتصل بها ذات يوم ، وقال لها : " وجدت مطعمًا رائعًا للطعام الصينى " . قالت له ضاحكة : " لا يمكننى الانتظار " .

وهكذا بدأت الحياة تعود لمجراها الطبيعى . ببطء ، بتردد ، لكنها بداية على أية حال . لم يحاول لارى تقبيلها مرة أخرى ، ولم تكن

ستسمح له ، لأنها تعلم أنها إذا أطلقت العنان لاتفعالاتها ومشاعرها ، وسلمت نفسها بالكامل للرجل الذى تحبه ، فسيخونها ويدمرها نهائياً .

ولذلك تناولت معه العشاء ، وضحكت على مزاحه ، لكن طوال الوقت ظلت متحفظة داخلياً ، ولم ترض بأن يقترب منها .

خرجاً معاً كل ليلة تقريباً ، وفي بعض الليالى كانت تطهو كاثرين فى المنزل ، وأحياناً يتناولان الطعام بالخارج . ذكرت له ذات مرة أنها تريد أن تعرف ماذا حدث للمرأة التى قالت إنه يحبها ، فقال بغضب وضيق : " انتهى الأمر " ولذلك لم تناقش كاثرين الأمر مرة أخرى .

ظلت تتقرب دلائل تشير لوجود امرأة أخرى فى حياته ، لكنها لم تجد أى شيء . كان مهتماً بها للغاية ولا يطالب أو يضغط عليها لأى سبب ، وكأنه يكفر عن ذنوب الماضى .

لكنها اعترفت لنفسها أن الأمر أكبر من ذلك . فلقد كان مهتماً بها كامرأة . ليلاً تفحصت جسدها أمام المرأة ، وحاولت فحص كل جزء فيه . لم يكن وجهها سيئاً ، بل كان وجهاً جميلاً تعرض للألم لشهور طويلة ، وكان وجهها يكسوه الحزن كما بدا لعينيها الرماديتين وهى تحدد إلى انعكاسها فى المرأة . كان جلدها مقوراً ومنفقاً قليلاً خاصة ذقنها ، لكن باقى جسدها كان لا بأس به . تذكرت عندما فكرت فى ذلك ، وقطعت شرايينها فسرت رعشة فى جسدها . قالت لنفسها فى تحد : " اللعنة على لارى إذا أرادنى قليلاً خذنى كما أنا ، هكذا " .

ذهباً معاً لحفل ، وعادا الساعة الرابعة صباحاً ، وكانت أمسية رائعة ، وارتدت كاثرين فستاناً جديداً ، وبدت مثيرة ، وجعلت الناس يضحكون من براعة تعليقاتها الساخرة ، وكان لارى فخوراً بها . عندما دخلا للشقة حاولت كاثرين فتح الأنوار ، ولكن لارى منعها قائلاً : " أريد أن أقول شيئاً سيكون أسهل من الظلام " واقترب منها وشعرت بحرارة جسده : " أنا أحبك يا كاثى ، ولم أحب سواك ، وأريد فرصة أخرى " .

ثم أضاء النور لرؤية وجهها . كانت متصلبة وخائفة فقال : " أعرف أنك لست مستعدة بعد ، لكننا قد نبدأ ببطء " ، ثم ابتسم ابتسامته الطفولية المعهودة

ثم اقترب منها وتجاوبت معه ، وكانت تشعر بالحنين والاشتياق إليه . قال لها : " لم لا نذهب فى شهر عسل جديد فى مكان بعيد ؟ " " يا ليت يا عزيزى ، هل من الممكن ذلك ؟ " " بالطبع ، سأحصل على إجازتى السنوية . سنسافر الأسبوع القادم . أعرف قرية جميلة صغيرة تسمى أيونينا ، فلنذهب إليها " .

مرا بقري صغيرة ، كانت أسماؤها صعبة النطق على كاثرين .
لاحقاً مرا بقرية ريون وبنهر ريو ، واستقلا المعديّة إلى قرية أيونيّا
فى جزيرة إبيروس .

جلست كاثرين ولارى على مقعد خشبى على سطح المعديّة ، وراقبا
عبر الأفق ظهور الجزيرة بعد انقشاع الضباب . كانت تبدو مثيرة
لـ " كاثرين " لكنها كانت أيضاً نذير شؤم . بدت جزيرة بدائية ؛
وكأنها لآلهة الإغريق التى لا ترحب بالزوار من البشر . رأت كاثرين
الصخور تمتد حول شاطئ الجزيرة بشكل مخيف حتى قاع البحر .
وكان شكل الجبل مخيفاً كالوجه الممزق ؛ بسبب حفر الإنسان للطرق
عليه . بعد ٢٥ دقيقة وصلت المعديّة لجزيرة إبيروي ، ورسّت على
الميناء ، وبعد دقائق انطلقا بالسيارة إلى الجبل فى اتجاه أيونيّا " .
كانت كاثرين تقرأ لـ " لارى " من كتاب إرشادات سياحية .

تقع قرية أيونيّا فى أعالي جبال بيندوس ، ومحاطة بمرتفعات
شاهقة كجبال الألب ، ومن بعيد تبدو القرية كنسر له رأسان فى
جنوبها بحيرة تسمى بامفوتيس لا قاع لها ، حيث تنقل القوارب
الركاب عبر المياه ذات اللون الأخضر الداكن إلى جزيرة فى منتصف
البحيرة ، ثم إلى الشواطئ من الناحية الأخرى للبحيرة " .
قال لارى : " يبدو ذلك رائعاً " .

وصلا فى وقت العصر إلى الفندق ، وكان مكوناً من مبنى جميل قديم
ذى طابق واحد على قمة الجبل ، يطل على القرية ، وملحق به عدة
أكواخ خشبية للنزلاء عبر المنطقة المحيطة به . جاء رجل عجوز فى
الزى الرسمى الخاص بالفندق ، وألقى عليهما التحية ، ونظر لوجهيهما
السعيدين .

" هل أنتما فى شهر العسل ؟ " .
نظرت كاثرين إلى لارى ، وابتسمت ، وقالت : " كيف علمت
ذلك ؟ "

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢٠

استغرقت الرحلة إلى أيونيّا بالسيارة تسع ساعات . كانت المناظر
عبر الطريق تبدو مذهشة لـ " كاثرين " ، وكأنها من الزمن الماضى
الجميل . سارا بمحاذاة بحر إيجه ، وشاهدا الأكواخ البيضاء ومزارع
الليمون والفاكهة بمختلف أنواعها . كانت كل المباني جميلة ومبهجة
بمعمار رائع يتحدى الحياة الصعبة ، والأرض الصخرية فى المكان ،
وكان على جانب الجبل آلاف من أشجار الصنوبر .

قالت كاثرين لـ " لارى " : " انظر لتلك الأشجار ، إنها جميلة
جداً . أليس كذلك ؟ " .

قال لارى : " ليس بالنسبة لأهل اليونان " .

قالت له : " ماذا تعنى ؟ " .

" فهم يعتبرون الصنوبر رمز الموت ؛ لأنه يزين المدافن " .

شاهدت كاثرين حقولاً بها فراشات ، شكلها مضحك ، وقالت :

" لا بد أنها لن تخدع الغريبان " وضحكت .

قال لهما الرجل : " يبدو ذلك واضحاً جداً " .

ثم قادهما إلى قاعة الاستقبال ، حيث سجلا بياناتهما ، ثم قادهما للكوخ الخاص بهما . كان الكوخ مكوناً من حجرة معيشة ، وحجرة نوم ، وحمام ومطبخ ، وشرفة تطل على منظر مدهش للقرية ، والبحيرة تحتهما تبدو سوداء ومظلمة ، وتدعو للشؤم . كان للمشهد جمال زائف ، وكأنه صورة من بطاقة بريدية .

قال لها لارى مبتسماً : " لا يوجد هنا الكثير ، لكنه لك بأكمله " .

قالت كاثرين مازحة : " وأنا قبلته " .

" هل أنت سعيدة ؟ "

" لا أذكر متى كنت سعيدة بهذا القدر " .

ثم سارت إليه ، واحتضنته قائلة : " لا تتركنى أبداً " .

احتضنها بذراعيه القويتين وقال : " لن أفعل ذلك أبداً " .

عندما كانت تفرغ الحقائب ذهب لارى لقاعة الاستقبال للتحدث مع موظف الاستقبال .

قال لارى : " ما الذى يمكننا القيام به كسياح هنا ؟ "

قال الموظف بفخر : " كل شيء ، لدينا ناد صحى فى الفندق ، وفى القرية يوجد أنشطة مثل السير لمسافات طويلة ، والسباحة والصيد وركوب القوارب " .

قال لارى بشكل عفوى مصطنع : " ما عمق البحيرة ؟ "

قال الموظف : " لا أحد يعلم بالضبط ، فهى بحيرة بركانية ، ولا عمق لها " .

ذكر لارى وهو يومئ برأسه ، وقال : " ماذا عن الكهوف فى المنطقة ؟ "

" كهوف بيراما على بعد بضعة أميال من هنا " .

" هل تم استكشافها بالكامل ؟ "

" كلا ، بعضها قد تم استكشافه ، والبعض الآخر لا " .

قال لارى : " فهمت " .

أردف الموظف قائلاً : " إذا أردت تسلق الجبل فأقترح قمة تسوميركا إذا لم تخف مدام دوجلاس من الارتفاعات " .

ابتسم لارى : " كلا ، فهى خبيرة فى تسلق الجبال " .

" إذن ستستمتع بالأمر ، والجو مناسب ، كنا نتوقع عاصفة ، لكنها لم تأت ، وغالباً لن تحدث الآن " .

" ما نوع تلك العاصفة ؟ "

إنها رياح عاتية تهب من الشمال ، مثل الأعاصير لديكم فى أمريكا ، وعندما تهب نظل داخل المنازل . وفى أثينا نمنع عابرات المحيطات من مغادرة المرفأ " .

قال لارى : " أنا سعيد ، لأنها لن تهب هذه الأيام " .

عندما عاد لارى للكوخ اقترح على كاثرين النزول للقرية لتناول العشاء ، وسارا عبر طريق المشاة فى المنحدر الصخرى الذى يؤدى إلى حافة القرية ، حيث تتكون أيونينا من شارع رئيسى يسمى كينج جورج ، وعلى جانبيه ثلاثة شوارع متفرعة منه على الجانبين ، بخلاف تلك الشوارع كانت هناك طرق ضيقة قذرة تمتد للبيوت والعمارات . كانت المباني قديمة ، والعوامل الجوية زادت حالتها سوءاً وكانت مبنية من حجارة الجبل .

كانت هناك جبال تقسم شارع كينج جورج بالطول لتحديد أماكن المشاة والسيارات . قالت كاثرين : " وددت لو فعلوا نفس الشيء فى شارع بنسلفانيا فى أمريكا " .

كان ميدان القرية حديقة صغيرة ساحرة ، لها برج عال به ساعة كبيرة مضاة ، وكان يتفرع منها طريق مشجر يصل إلى البحيرة . بدا لـ " كاثرين " أن كل طرق القرية تؤدى للماء ، وكانت قد بدأت تشعر بالخوف من البحيرة ، فليدورها صفة غريبة ، وكأنها نذير شؤم ، وعلى

شاطئها أعواد البوص التي تشبه أصابع اليد ، وكأنها في انتظار أن تخطف أحداً .

سارت كاثرين مع لارى عبر مركز التسوق الصغير المليء بالألوان ، وكانت المحلات مزدحمة ومتجاورة على كلا الجانبين . كان هناك متجر للمجوهرات بجوار المخبز والجزار والحانة ومتجر الأحذية . وقف الأطفال خارج محل الحلاق في صمت لمشاهدة الرجال يحلقون . شعرت كاثرين أنهم أجمل أطفال رأتهم في حياتها .

في الماضي رغبت في أن تنجب طفلاً ، وكلما تحدثت مع لارى في الأمر كان يرفض الفكرة ، ويقول إنه غير مستعد للاستقرار بعد ، والآن قد يغير رأيه . نظرت إليه ، ولم يكن ملتفتاً لها أثناء السير . كان يبدو أطول من باقي الرجال ، لكنها قررت مناقشة الأمر معه قبل أن يغادر القرية ، فهما في شهر عسل .

مرا بدارى عرض سينمائيين ، وكانتا تعرضان فيلمين أمريكيين قديمين ، فتوقفا لمشاهدة البوسترات .

قالت كاثرين : " نحن محظوظان ، لنشاهد تلك الأفلام القديمة " قال لارى : " لم أسمع عن تلك الأفلام من قبل ، لا بد أنها سيّما أقدم مما تبدو " .

تناولا أكلة شعبية يونانية في المطعم ، وجلسا في الخارج تحت ضوء البدر المدهش ، ثم عادا للفندق وخلدا للراحة . كان يوماً مثالياً .

في الصباح تجولا بالسيارة حول الريف الجميل ، واستكشفا الطريق الضيق المتلوى المحيط بالبحيرة ، والذي يمتد عبر الصخور لمسافة أميال ، ثم يخترق الجبال . كانت هناك بيوت مبنية على الصخور على سطح الجبل ، ولاح في الأفق عبر الغابات ما يبدو كمبنى لونه أبيض كالقلاع القديمة .

قالت كاثرين : " ما هذا المبنى ؟ " .

قال لارى : " ليس لدى فكرة " .

" لنستكشفه " .

" حسناً " .

أوقف لارى السيارة في طريق قذر يؤدي إلى المبنى عبر مروج الغابات ، ومرا بالماشية والأغنام ومعها الراعي الذي حدى فيهما وهما يمران بالسيارة . أوقف لارى السيارة أمام المدخل المهجور للمبنى ، والذي بدا كالقلعة المهجورة القديمة .

قالت كاثرين : " إنها تشبه قلعة الوحش في الحكايات الخرافية للأطفال " .

قال لارى : " هل تريدان استكشافها حقاً ؟ " .

" بالتأكيد ، فيبدو أننا حضرنا في الوقت المناسب لكي نُنقذ الفتاة المسكينة المحبوسة في القصر كما في الأساطير " .

نظر إليها لارى نظرة سريعة وغريبة .

خرجا من السيارة إلى الباب الخشبي الضخم ، وكان به مطرقة حديدية ملتصقة به في المنتصف . طرّقا لارى عدة مرات وانتظرا . لم يكن هناك أى صوت سوى أزيز حشرات المرج ، وهب النسيم عبر الحشائش .

قال لارى : " لا يوجد أحد هنا " .

همست كاثرين في هزل : " ربما يتخلصون الآن من الجثث " .

فجأة فُتح الباب الكبير ببطء وبصوت عال ، وظهرت أمامهما راهبة ترتدى زى الرهبنة الأسود .

لقد باغتت كاثرين على حين غرة فقالت لها : " إننى آسفة ، لم نكن نعرف ما هذا المكان ، حيث لا توجد لافتة تشير إلى ماهيته " .

نظرت إليهما الراهبة لبرهة من الوقت ، ثم أشارت لهما بالدخول . دخلا فوجدا أنفسهما في حديقة كبيرة في وسط مجمع المباني . كان الجو هادئاً وساكناً أكثر من اللازم ، وأدركت كاثرين أن الشيء الناقص هو أصوات البشر .

قالت كاثرين للراهبة : " ما هذا المكان ؟ "

هزت الراهبة رأسها بالنفي ، وأشارت لهما بالانتظار ، ودخلت لبني حجري قديم في نهاية المجمع الخاص بالمباني .

همست كاثرين مازحة : " هل ستحضر لنا من يأسرنا أو يقتلنا ؟ " بعيداً عن المبنى كانت هناك نتوءات بارزة من الأرض عبر البحر ، وكان أعلى من مستوى سطح البحر ، وشاهدا مقبرة تحيط بها من الجانبين أشجار الصنوبر .

قال لارى : " هذا المكان يخيفني " .

قالت كاثرين : " وكأننا قفزنا فى فجوة زمنية ، وانتقلنا للماضى . " كان يهتمان دون أن يدركا ذلك ، وكأنهما يخشيان إزعاج الهدوء والسكون الرهيب الذى يخيم على المكان . عبر نوافذ المبنى الرئيسى شاهدا نساءً متشحات بالسواد يحملقن فى دهشة إليهما .

قال لارى : " إذن هو دير راهبات غريبات الأطوار " .

جاءت من المبنى امرأة طويلة ونحيفة ، وسارت بنشاط إليهما ، وكانت ترتدى زى الراهبات الأسود ، ولديها وجه بشوش وودود .

" أنا الأخت تريزا ، هل من خدمة ؟ "

قالت كاثرين : " كنا نمر فقط ، وانتابنا الفضول بشأن هذا المكان ، ولم نقصد الإزعاج " .

ثم نظرت كاثرين للوجه التى تطل عبر النوافذ .

قالت الراهبة تريزا : " لا نتشرف بالعديد من الزائرين هنا ، إننا لا نتصل بالعالم الخارجى إلا نادراً ، نحن راهبات الكارملايت ، ولقد اتخذنا عهداً على أنفسنا بالصوم عن الكلام " .

قال لارى : " إلى أى مدى ؟ "

" لباقي حياتنا . وأنا الوحيدة المسموح لى بالكلام عند الضرورة فقط " .

حدقت كاثرين حولها فى الحديقة الساكنة الكبيرة ، وكتمت رغبةها فى الارتعاش . هل لا يغادر أحد هذا المكان ؟ "

ابتسمت الراهبة وقالت : " كلا فلا داعى لذلك ، فحياتنا ما بين هذه الحوائط " .

قالت كاثرين : " سامحينا على إزعاجك " .

أومأت الراهبة ، وقالت : " لا بأس ، ليحفظكما الرب " .

عندما غادر لارى وكاثرين المكان أغلق الباب الضخم بيطة وراءهما ، ونظرت كاثرين إلى الباب ، وبدا كباب السجن ، وربما باب مقبرة . شعرت كاثرين بالأسى لحال هؤلاء النسوة اللاتى اخترن الصمت الرهيب كالموتى فى القبور لباقي حياتهن بلا طائل فى سجن صامت كالقبر ، وشعرت أنها لن تنسى هذا المكان أبداً .

فى صباح اليوم التالى تناولوا الإفطار فى شرفة الكوخ المطلة على البحيرة . كان يوماً مثالياً ، والشمس ساطعة ، والنسيم يهب عبر البحيرة . جاء النادل الشاب بالطعام ، وكانت كاثرين ترتدى ملابس النوم عندما دخل النادل ، فوضع لارى ذراعيه حولها وضمها إليه ، وقال لها هامساً : " قضينا ليلة رائعة بالأمس "

كتم النادل الضحك ، وغادر المكان بدون إزعاج ، وشعرت كاثرين بالإحراج لم يعتد لارى إظهار عواطفه أمام الغرباء ، لقد تغير فعلاً . كلما جاء خادم أو نادل أو خادمة إلى الكوخ كان يبادر لارى باحتضان كاثرين ، وإظهار حبه لها ، وكأنه يريد أن يعرف العالم بأسره كم يحبها . تأثرت كاثرين بذلك جداً .

قال لارى : " لدى خطة رائعة لقضاء اليوم " ثم أشار إلى ناحية الشرق فى ناحية قمة الجبل ، وقال : " سنتسلق جبل توميركا " . قالت كاثرين : " لكنى لا أحب تسلق الجبال " . قال لها : " هيا يا كاثي ، فالمنظر رائع جداً من أعلى " . انتبهت إلى أنه كان جاداً فى لهجته ، فنظرت للجبل الذى بدا شاق الارتفاع ، وقالت : " أنا لا أجيد تسلق الجبال يا حبيبى " . " الأمر مجرد تمشية سهلة ، فالطريق ممهد للقمة " ، ثم تردد وقال : إذا لم تريدى الذهاب معى فإنه يمكننى الذهاب وحدى " . وكان فى نبرة صوته إحباط شديد .

كان من السهل الرقص بكل بساطة ، والجلوس هنا ، والاستمتاع باليوم ، وكان الإغراء قوياً جداً ، لكن لارى يريد معها ، وكان هذا الشعور يكفيها .

" حسناً ، أتمنى أن أجد قبعة تصلح لتسلق الجبال " بدا الارتياح على وجهه ، حيث فهم أنها فرحت لأنها أرضته ، وقررت الذهاب معه . سيكون الأمر ممتعاً ، فهي لم تتسلق جبلاً من قبل .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢١

ذهب لارى للقرية مبكراً فى صباح اليوم التالى ، وطلب من كاثرين المجيء معه ، لكنها رفضت بلطف ، وقالت إنها ستنام بضع ساعات . بمجرد أن غادر المكان ، قامت من الفراش ، وارتدت ملابسها سريعاً ، وذهبت إلى صالة الألعاب الرياضية التى تفقدتها بالأمس . وأمرتها المدربة الضخمة الجثة بأن تخلع ملابسها ، وفحصت جسدها بدقة . قالت لـ " كاثرين " موبخة إياها : " لقد كنت كسولة جداً ، كان جسدك رائعاً ، وإذا تدربت بشدة فسيعود كما كان مرة أخرى " . " إننى راغبة فى بذل الجهد المطلوب " .

تحت إشراف وتدريب المدربة الضخمة كانت كاثرين تمارس الرياضة يومياً ، وتتحمل عذاب المساج القاسى والتدريبات العنيفة ، أخفت كل شئ عن لارى ، ولكن بنهاية اليوم الرابع كان التغيير ملحوظاً على كاثرين لدرجة أن لارى لاحظ الأمر ، وقال لها : " هذا المكان متوافق معك ، فأنت فتاة مختلفة " . قالت بخجل : " إننى كذلك بالفعل " .

سارا بالسيارة إلى مرج أخضر على حواف القرية ، حيث يبدأ طريق الجبل ، وأوقف لارى السيارة . كان هناك مطعم صغير على جانب الطريق ، فاشتري لارى ساندويتشات وفاكهة وقوالب حلوى ، وإناء كبيراً مليئاً بالقهوة .

قال لصاحب المحل : " المكان رائع أعلى الجبل ، أعتزم المبيت هناك مع عروستى " واحتضن كاثرين فابتسم الرجل .

سارا على الأقدام حتى بداية الطريق الذى كان يتفرع إلى طريقتين صغيرين فى اتجاهين مختلفين . اعترفت كاثرين لنفسها أن التسلق سيكون سهلاً ، فالطرق ممهدة وواسعة ، وليست متحدرة جداً . عندما اشرأبت بعنقها ، وحدقت إلى قمة الجبل بدت لها كثيفة ، ولا تبشر بالخير ، لكنهما لن يصلا إلى هذا الارتفاع ، بل سيصلان لأعلى قليلاً ، ثم يتناولان الطعام فى الخلاء .

قال لارى : " لنسلك هذا الطريق " . ثم قادها للطريق الأيسر وبدأ التسلق . كان الرجل اليونانى صاحب المطعم يريد اللحاق بهما لإخبارهما بأن هذا الطريق غير مناسب ، فهو خطير ويصلح لخبراء التسلق فقط . فى تلك اللحظة دخل زبائن للمطعم ، ونسى الرجل أمر الرجل الأمريكى وزوجته .

كانت الشمس حارقة ، لكن كلما تسلقا لأعلى زادت برودة الجو ، وكان الجمع بين الشمس والنسيم البارد شيئاً منعشاً لـ " كاثرين " . كان اليوم جميلاً ، وكانت مع الرجل الذى تحبه . من وقت لآخر كانت كاثرين تنظر إلى الأسفل ، لكى تعرف إلى أى ارتفاع وصلا ، وكانت تندesh . زاد نقص الهواء ، وزادت صعوبة التنفس . كانت تسير وراء لارى ، لأن الطريق ضيق ، ولا يسمح سوى بمرور شخص واحد ، ولم يتمكنوا من السير متجاورين تساءلت متى سيتوقفان لتناول الطعام .

أدرك لارى أن كاثرين تسير بصعوبة خلفه ، وزادت المسافة بينهما ، فوقف ينتظرها .

قالت له : " آسفة ، الارتفاع الشاق يصيبنى بالتعب " ثم نظرت للأسفل ، وقالت : " يبدو أننا سننزل فى وقت طويل " .

قال لها : " كلا ، ليس وقتاً طويلاً " ثم استدار وواصل الصعود عبر الطريق الضيق . نظرت إليه وتنهدت ، وواصلت الصعود بإصرار . صاحبت فيه مازحة : " يا ليتنى تزوجت لاعب شطرنج " .

لم يرد لارى .

وصل لارى لدوران حاد مفاجئ عبر الطريق ، وكان أمامه جسر خشبى به حبل واحد للإمساك به ، وكان الجسر مبنياً عبر هوة عميقة ، وكان الجسر يتأرجح فى الهواء مع الرياح ، ولا يبدو آمناً بالقدر الكافى لتحمل أى وزن ، وضع لارى قدمه على أول لوح خشبى متعفن ، ونزل اللوح لأسفل تحت ثقل وزنه ثم ثبت . نظر لارى للأسفل ، كانت الهوة أكبر من ١٠٠٠ قدم . بدأ لارى فى عبور الجسر مع تقدير كل خطوة بحرص ، ثم سمع صوت كاثرين : " لارى ! " فاستدار فوجدها أمام الجسر .

" لن نعبر على هذا الجسر ، فهو لن يتحمل وزن قطة ! "

" لن يتحمل إلا إذا تمكنت من الطيران " .

" لكنه لا يبدو آمناً " .

قال لها : " لكن الناس يعبرونه كل يوم " ثم استدار وواصل التسلق ، وترك كاثرين واقفة عند بداية الجسر .

خطت كاثرين أول خطوة فبدأ الجسر فى الاهتزاز ، ونظرت للهوة السحيقة وملأها الخوف . يعد الأمر ممتعاً بل خطيراً . نظرت أمامها ، ووجدت أن لارى على وشك الوصول للجانب الآخر . ضغطت على أسنانها من الغيظ ، وأمسكت بالحبل ، وبدأت تعبر وكان الجسر يتأرجح مع كل خطوة . استدار لارى فى الناحية الأخرى وأخذ

يراقبها . كانت تتحرك ببطء ، وتمسك بالحبل بكل ما أوتيت من قوة ، وحاولت ألا تنظر إلى أسفل الهوة السحيقة ، رأى لارى الخوف على وجهها ، وعندما وصلت إليه كانت ترتعد خوفاً ، وشعرا بالرياح الباردة التى تجتاح أعالي الجبال المغطاة بالثلوج .

قالت كاثرين : " لا أظن أنتى مؤهلة طبيعياً لتسلق الجبال ، ألا يمكننا العودة يا حبيبى الآن ؟ "

نظر إليها فى دهشة : " لم نر المناظر الجميلة بعد يا كاثرى . "

" رأيت ما يكفينى لبقية حياتى . "

احتضنها وقال مبتسماً : " سأخبرك بشئ ما ، يوجد فى الأعلى مكان مثالى وهادئ لتناول الطعام فى الخلاء ، وسنتوقف عنده : فما رأيك ؟ "

قالت على مضض : " لا بأس . "

" هذه كاثرى التى أعرفها " .

ثم ابتسم لها سريعا ، ثم استدار ، وبدأ التسلق مرة أخرى وكاثرين وراءه ، واعترفت لنفسها أن منظر القرية من أعلى ، جميل جداً ، ويسلب الألباب ، وكأنه مشهد من بطاقة بريدية لكان هادئ يسوده السلام ، إنها سعيدة حقاً لمجيئها إلى هنا ، فهى لم تر لارى سعيداً ومتحمساً بهذا الشكل منذ فترة زمنية طويلة . بدا أن لارى ممثلى بالإثارة بشكل متزايد كلما تسلقوا إلى أعلى . كان وجهه متورداً ، وكان يثرثر فى أمور تافهة ، وكأنه يفعل ذلك لتفريغ بعض طاقته وعصبية وتوتره بدا أن كل شئ يجعله يشعر بالإثارة : التسلق ، والمنظر الجبلى ، والزهور عبر الطريق .. إلخ . كل شئ بدا وكأنه قد اكتسب أهمية غير معتادة ، وكأن حواسه يتم تحفيزها أكثر من المعتاد . كان يتسلق دون مجهود يذكر ، ولم يشعر بضيق التنفس . بينما نقص الهواء جعل كاثرين تشهق فى تنفسها .

تصلبت قدمها ، وزادت صعوبة تنفسها ، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن الزمن الذى استغرقته فى التسلق ، لكن عندما نظرت إلى أسفل وجدت أن القرية بدت كنموذج مصغر من بعيد . بدا الطريق لـ " كاثرين " أكثر وعورة وانحداراً وضيقاً ، وكان يلتف على حافة أخدود ، وكانت تقترب كاثرين من الجبل قدر الإمكان . قال لارى إنها رحلة تسلق سهلة . قالت كاثرين لنفسها : " للماعز الجبلى " . لم يكن هناك أى آثار لن سبقوهم لهذا المكان ، وكأن أحداً لم يترده من قبل ، وقل عدد الزهور الأعشاب غريبة الشكل بنية اللون التى تخرج من الصخور . لم تكن كاثرين متأكدة من أنها ستتمكن من الاستمرار فى التسلق ، صار الطريق ضيقاً واستدار بحيث بدت الهوة السحيقة تحت قدميها مباشرة مما أصابها بالدوار .

صرخت كاثرين : " لارى ! "

هرع لارى إلى جانبها فوراً ، وجذبها من ذراعينيها ، وأرشدتها فوق الصخور . لكى تواصل السير على الطريق . كان قلبها يبدق بعنف . قالت لنفسها : " ما هذا الجنون ، أنا لا أصلح للقيام برحلة سفارى " . تغير الضغط الجوى ، والمجهود جعلها تشعر بالدوار . همت بالتحدث إلى لارى ، لكنها وجدت أنهما وصلا لقمة الجبل .

استلقت على الأرض ، لكى تستعيد قواها ، وشعرت بالنسيم يداعب شعرها ، وقل شعورها بالخوف ، لم يعد هناك ما تخشاه الآن . قال لارى إن طريق النزول سهل ، ثم جلس بجوارها .

" هل تشعرين بتحسن ؟ "

قالت له : " نعم " وكان قلبها قد كف عن الدق بعنف ، وبدأت تتنفس بشكل عادى ، ثم سحبت نفساً عميقاً ، وابتسمت له .

قالت كاثرين : " انتهى الجزء الصعب . أليس كذلك ؟ " نظر إليها لبرهة ، وقال : " انتهى بالفعل يا كاثرى "

تمكن من رؤيتها فى الضباب ، وكانت يدها تحاولان الوصول إليها ، وفى تلك اللحظة انقشع الغمام ، واستدارت كاثرين وواجهته ، ولم يفصل بينهما سوى ثلاث أقدام .

تراجعت خطوة للوراء فى فزع ودهشة بحيث إن قدمها اليمنى صارت على حافة الجرف : " أوه ! لقد أفزعتنى ! " .

تقدم لارى خطوة إليها وهو يبتسم ، لكى يطمئنها ، وأمسك بها بكلتا يديه ، وفى تلك اللحظة صاح صوت عال من بعيد : " اللعنة ، لدينا جبال أعلى من هذا فى بلادنا ! " .

استدار لارى فجأة فى دهشة ، وكان وجهه شاحباً من الفزع . ظهرت مجموعة من السائحين مع المرشد اليونانى من الطريق الآخر المؤدى لقمة الجبل . توقف المرشد عندما شاهد لارى وكاثرين .

قال لهما فى دهشة : " صباح الخير ، لا بد أنكما تسلكتما المنحدر الشرقى " .

قال لارى بوقاحة : " نعم " .
هز المرشد رأسه ، وقال : " لم يخبرك أحد بأنه طريق خطير ، فالمنحدر الآخر أسهل كثيراً " .

قال لارى بصوت أجش : " سأذكر ذلك المرة القادمة . لقد اختفى إحساس لارى بالإثارة والذى لاحظته كاثرين فجأة بدون سبب واضح . قال لارى : " لنهبط من هنا " .

" لكننا لم نصل إلا منذ قليل ، ما الخطب ؟ " .
" لا أحب الزحام والبقاء مع الرعاع من الناس " .

نزلا من الطريق السهل ، وأثناء النزول لم يتحدث لارى قط ، وكأنه مغمم بغضب مكتوم ، ولم تعرف كاثرين السبب . كانت متأكدة أنها لم تقل أو تفعل ما يسىء له . لقد تغير سلوكه فجأة منذ وصول الآخرين . فجأة خمنت السبب فى تغير حالته المزاجية وابتسمت : ربما كان يريد أن ينعم بلحظات رومانسية معها وسط السحاب ! وهذا سبب أنه اقترب

رفعت كاثرين نفسها على ساعديها ، ووجدت منصة خشبية للملاحظة والمراقبة على هضبة صغيرة ، وكان على الحافة سور معدنى قديم لمشاهدة المنظر الخلاب للقرية من هذا الارتفاع البانورامى الشاهق . على بعد عشرات الأقدام رأت كاثرين الطريق المؤدى للجانب الآخر من الجبل .

قالت كاثرين : " أوه يا لارى ! إنه جميل ، أشعر كأننى كالمستكشفين الكبار " . وابتسمت له . لكنه لم يكن يسمعها ، ولم يلتفت ناحيتها . بدا مشغول البال - ومتوتراً - كأنه قلق من شىء ما . نظرت كاثرين إلى أعلى ، وقالت : " انظر ! سحابة قادمة فى اتجاهنا ، لم أفق وسط السحاب من قبل ، وكأننى فى الجنة ! " .

شاهدها لارى وهى تقوم وتسير فى اتجاه حافة الجرف إلى السور المتهاك . مال لارى على ساعديه ، وبدا عليه التفكير فجأة ، وراقب السحاب وهو يتجه إلى كاثرين ، وكان على وشك أن يغطيها .

صاحت بمرح : " سأقف فى منتصف السحابة لكى تخترقنى ! " غاصت كاثرين فى لحظة وسط الضباب الرمادى .

قام لارى بدون صوت ، ووقف ساكناً كالتمثال للحظة ، ثم سار بدون صوت ناحية كاثرين . فى ثوان غمره الضباب ، فتوقف لأنه لم يعرف مكانها ، ثم سمع صوتها آتياً أمامه : " يا لارى ، المنظر رائع ! هيا تعال معى " .

سار نحو الصوت ببطء ، وكان صوتها مكتوماً بفعل السحابة ، وصاحت كاثرين وهى تمزج : " إنها كالأمطار الخفيفة ، هل تشعر بها ؟ " كان صوتها يقترب الآن ، كانت على بعد بضعة أقدام منه . تقدم لارى خطوة إلى الأمام وكانت يدها ممتدتين وتبحثان عنها .

" لارى ! أين أنت ؟ " .

منها وهو يفرد ذراعيه ، وخطته فشلت عندما جاء السائحون . كادت تفهقه بصوت عال من فرط السعادة . وراقبت لارى وهو ينزل الطريق أمامها ، وشعرت بالدفع يملؤها ، وقالت لنفسها : " سأعوضه فى الفندق " .

لكن عندما عادا للكوخ الملحق بالفندق احتضنته وقبلته ، لكنه قال لها إنه بحاجة إلى الراحة ؛ لأنه يشعر بالتعب .

ظلت كاثرين مستيقظة على الفراش حتى الثالثة بعد منتصف الليل وهي تشعر بالإثارة التي أصابتها بالأرق . كان يوماً طويلاً ومربحاً . فكرت فى الطريق الجبلى الوعر ، والجسر المتهاالك ، وتسلق الصخور . فى النهاية استغرقت فى سبات عميق .

فى اليوم التالى ذهب لارى لموظف الاستقبال . قال لارى : " أخبرنى عن الكهوف التى ذكرتها لى ذات مرة " .

قال الموظف : " نعم ! كهوف بيراسا . إنها مليئة بالصخور الملونة المثيرة ، لا تدعها تفوتك " .

قال لارى بلا حماس : " أعتقد أنني سأزورها ، على الرغم من أنني لا أهتم بالكهوف ؛ لكن زوجتى سمعت عنها ، وألحت فى الذهاب لرؤيتها ، فهى تحب تلك الأشياء " .

" أنا متأكد من أنكما ستستمتعان بها معاً يا سيد دوجلاس ، بيد أنك يجب أن تتأكد من وجود مرشد أثناء جولتك فى الكهوف " .

" وهل أنا بحاجة إلى مرشد " .

" من الأفضل ذلك ، حدثت حوادث كثيرة ، وفقد الكثير من الناس ، ذات مرة ذهب زوج وزوجته ، ولم يعثر عليهما حتى الآن " .

قال لارى : " إذا كانت خطيرة إلى هذا الحد فلماذا يسمحون للناس بالذهاب للكهوف ؟ " .

" الجزء الجديد فقط هو الخطر ، لأنه لم يتم استكشافه بالكامل بعد ، ولا توجد إضاءة ، ولكن بصحبة المرشد لا داعى للقلق " .

" متى تغلقون الكهوف ؟ " .

" فى السادسة مساءً " .

وجد لارى كاثرين تقراً تحت ظل شجرة البلوط الوارفة ، فقال لها : " كيف تجدین كتابك ؟ " .

" يمكن الاستغناء عنه " .

جلس بجانبها ، وقال : " أخبرنى موظف الاستقبال عن بعض الكهوف هنا " .

نظرت إليه كاثرين وهى تتوجس خيفة قليلاً ، وقالت : " كهوف ؟ " .

" قال إنه من الضروري رؤيتها ، حيث يذهب إلى هناك كل من فى شهر العمل ، وعندما تتمنين أمنية داخل الكهف فإنها تتحقق ، فما رأيك ؟ " . كان صوته مملوءاً بالحماس كالصبية .

ترددت كاثرين للحظة ، وفكرت كم أن لارى يشبه الأطفال ، ثم قالت : " إذا أردت ذلك فلا بأس " .

ابتسم قائلاً : " رائع ، سنذهب بعد الغداء ، واصلى القراءة ، وسأذهب للقرية لشراء بعض المستلزمات " .

" هل تريدنى أن أذهب معك ؟ " .

قال بنبرة عادية : " كلا فسأعود سريعاً ، تمتعى بوقتك " .

" حسناً " .

ثم استدار وتركها .

اشترى لارى من المتجر بطارية ضوئية ، وبطاريات أخرى لتشغيلها ، وبكرة خيط .

قال له التاجر : " هل ستظل فى الفندق ؟ " ثم أعطاه باقى الحساب .

قال لارى : " كلا سأعود لأثينا " .

" سأكون حريصاً لو كنت مكانك "

قال له لارى وهو ينظر إليه بحدّة : " لماذا ؟ "

" هناك عاصفة قادمة ، لذلك ستصبح الماشية " .

عاد لارى للفندق فى الثالثة عصرًا ، وفى الرابعة ذهب هو وكاثرين للجبال ، وكانت السماء ملبدة بالغيوم ، وتذرر بعاصفة وشيكة حجبت الشمس .

تقع كهوف بيراما على بعد ثلاثين كيلومتراً شرقى أيونيما ، وتكونت عبر القرون تكوينات صخرية على شكل حيوانات وقصور وجواهر وغيرها ، مما جعل الكهوف مزاراً سياحياً مهماً .

عندما وصل لارى وكاثرين إلى الكهوف كانت الساعة الخامسة أى قبل ساعة من موعد إغلاقها . اشترى لارى تذكرتين وكتيباً من عند شباك التذاكر . جاء مرشد سياحى يرتدى ملابس رثة ، وعرض خدماته عليهما .

قال لارى بجفاء : " لا نحتاج لمرشد " . نظرت إليه كاثرين فى دهشة من نبرته الحادة .

ثم جذب كاثرين من ذراعها ، وقال : " هيا بنا " .

" هل أنت متأكد من أننا لا نحتاج لمرشد ؟ "

" نعم ؛ الأمر سهل جداً . كل ما سنفعله هو الدخول ، وتأمل

الكهف ، والكتيب سيخبرنا بما نريد معرفته " .

قالت كاثرين موافقة : " حسناً " .

كان مدخل الكهف أكبر مما توقعت كاثرين ، ومضاء بضوء مبهر بكثير من المصابيح ، كما كان يوجد الكثير من السائحين . بدا سقف وجدان الكهف مليئة بتمائيل العظماء والأبطال المنحوتة فى الصخر : طيور وعمالقة وزهور وتيجان وما إلى ذلك .

قالت كاثرين وهى مبهورة : " رائع جداً ! " ، ثم قرأت من الكتيب : " لا أحد يعرف عمر هذه الأعمال الفنية الطبيعية " .

بدا صوتها أجوف ، وتردد مداه عبر السقف الصخرى ، فوق رؤوسهما تمتد التكوينات الصخرية إلى أسفل ، وهناك نفق منحوت فى الصخر يؤدى إلى حجرة أصغر ، مضاءة بمصابيح دون غطاء ، وممتدة عبر أسلاك مثبتة عبر سقف الكهف ، وكان هناك بها أشكال فنية طبيعية مثيرة وكثيرة . فى نهاية الكهف كانت توجد لافتة : " خطر ، ممنوع الاقتراب " .

وراء اللافتة كان هناك مدخل لكهف صغير فحصه لارى بينما كانت كاثرين تتأمل تمثالاً منحوتاً بجوار المدخل ، خلج لارى اللافتة جانباً ، وعاد لـ " كاثرين " .

قالت له : " الجو رطب لنخرج من هنا . "

قال لها بحزم : " كلا " .

نظرت إليه فى دهشة .

قال لها موضحاً : " مازال يوجد الكثير لكى نراه . فلقد أخبرنى موظف الفندق بأن أكثر الأماكن إثارة الجزء الجديد ، وقال ينبغى ألا يقوتنا " .

قالت له : " أين هذا الجزء ؟ "

قال لها : " هناك " وأمسكها من ذراعها ، ووقف على مدخل الكهف الصغير .

قالت كاثرين : " لن نتمكن من الدخول ، فهو مظلم " ربت كتفها وقال : " لا داعى للقلق ، لقد أخبرنى الموظف بضرورة إحضار بطارية " ، وأخرجها من جيبيه قائلاً : " ها هى ، ثم أضاءها ، وأنارت فى شعاع ضيق مدخل الكهف الصغير من الصخر القديم .

وقفت كاثرين تحديق إلى المدخل الخاص بالنفق ، وقالت : " إنه كبير ، هل أنت متأكد من أنه آمن ؟ "

قال لها : " بالطبع ، حتى إنه مكان للرحلات المدرسية " .
ترددت كاثرين ، وتمننت لو بقيتا مع السياح ، لأن الكهف بدا خطيراً .

لكنها قالت : " حسناً " .

ودخلا عبر النفق ، وابتلعهما الظلام الدامس ، واختفى الضوء الصادر من الكهف الرئيسى ، وكان النفق يتجه لليسار ثم اليمين ، وكانا بمفردهما فى عالم بارد بلا زمن محدد فى مكان من أقدم الأماكن على ظهر الأرض . نظرت كاثرين لوجه زوجها على ضوء البطارية وبدا متحمساً جداً ، مثلما كان عندما كانا على قمة الجبل . أمسكت كاثرين بذراعيه بشدة .

تشعب النفق لعدة طرق ، ورأت كاثرين الأحجار الصخرية الخشنة عبر السقف المنخفض وتشعب الطرق . فكرت فى أسطورة ثيوسيسيوس اليونانى ، والمينوتور ذلك الحيوان الخرافى الذى يأخذ نصف جسمه شكل إنسان ، والنصف الآخر شكل ثور ، وتساءلت عما إذا كانت ستقابلهما مصادفة أم لا . همت باقتراح العودة ، لكن قبل أن تتفوه به قال لارى : " لننتجه إلى اليسار " .

نظرت إليه ، وقالت بشكل عادى ، مقتعل : " ألا نعود الآن يا عزيزى ؟ الوقت تأخر ، وقد يغلقون الكهف " قال لها : " إنهم يغلقونه فى التاسعة ، وهناك كهف محدد أريد الوصول إليه فلقد استكشف حديثاً وهو رائع جداً " وبدأ يسير إلى الأمام .

ترددت كاثرين ، وحاولت أن تخلق أى عذر لكيلا تصحبه . لماذا يجب أن يفعل ذلك ؟ كان لارى يستمتع بذلك . إذا كان هذا ما سيمعده فستلبى رغبته ، وتكون أكبر مستكشفة جبال فى العالم . وقف لارى فى انتظارها ، وقال بعد أن نفد صبره : " هل أنت قادمة ؟ " .

تصنعت الاهتمام والحماس ، وقالت : " نعم ، وأتمنى ألا نضل الطريق " .

لم يجيبها لارى ، واتخذ الطريق الأيسر ، وسار بحرص مع تجنب الصخور الصغيرة التى تتساقط تحت أقدامهما . تناول لارى شيئاً ما من جيبه ، ولاحقاً سمعت كاثرين صوت شىء يقع على الأرض . قالت كاثرين : " سمعت صوت شىء ما يسقط ، هل أوقعت شيئاً ؟ " .

" بل ركلت حجراً ، هيا نسير بشكل أسرع " . لم تدرى كاثرين أن بكرة الخيط خلفها تمتد ، لكى تدل لارى على طريق العودة . بدا سقف الكهف أقل ارتفاعاً ، وزادت الرطوبة ، وكانت كاثرين تضحك بينها وبين نفسها ، وتقول إن الجو العام ينذر بالشؤم ، وكأن النفق سينغلق عليهما ، وبدا مصدراً للتهديد . قالت كاثرين : " لا يبدو أن المكان يرحب بنا " .

" لا تكونى سخيفة يا كاثى ، إنه مجرد كهف " .

" لماذا تظن أننا وحدنا هنا ؟ " .

قال لارى بعد تردد : " لا يعرف أحد الكثير عن هذا الجزء الجديد " .

واصلت المسير حتى بدأت كاثرين تفقد وعيها بالزمان والمكان . كان النفق يضيق بهما ، والصخور البارزة الحادة تمزق ملابسهما حيث تبرز فجأة .

قالت له : " إلى أى عمق سنستمر ؟ إذا وصلنا المسير فسنصل للصين " .

" لن نبتعد كثيراً " .

تردد صدى صوتها على مدى بعيد فى جوف الكهف . صار الجو بارداً جداً ، وزادت نسبة الرطوبة ، وارتعشت كاثرين . على ضوء

البطارية وجدا الطريق يتشعب إلى طريقين ، وسارا إلى المفقوق وتوقفا .
بدا الطريق الأيمن أصغر من الأيسر .

قالت كاثرين مازحة : " كان لابد أن يعلقوا لافتات من النيون ،
ربما ابتعدنا جداً " .

قال لارى : " كلا ، أنا متأكد أن الطريق الأيمن هو المناسب " .
" الجو قارس البرودة يا حبيبى ، لنعد الآن " استدار ليراها
وقال : " لقد أوشكنا على الوصول يا كاثرين " وضغط على ذراعها ،
وقال : " سأدفنك عندما نصل للفندق " ورأى آثار التقاعس على
وجهها ، فقال : " لو لم نجد المكان المناسب خلال دقيقتين فسنعود ،
ما رأيك ؟ " . شعرت كاثرين بالراحة وقالت : " حسناً " .
" هيا بنا " .

اتجهت للطريق الأيمن ، وشعاع الضوء الصادر من البطارية يعكس
أنماطاً ضوئية غريبة ومربعة على الصخور الرمادية أمامهما . نظرت
كاثرين وراءها ، فوجدت ظلاماً دامساً ، وكأن ضوء البطارية ينحت بؤرة
مضيئة فى وسط الظلام .

وقف لارى فجأة ، وقال : " اللعنة ! " .

" ما الأمر يا لارى ؟ " .

" لقد ضللتنا الطريق ، لأننا سلكتنا الاتجاه الخاطى " .

" حسناً ، لنعود أدراجنا " .

" دعينى أتأكد من الطريق ، وابقى أنت هنا " .

نظرت إليه فى دهشة ، وقالت : " إلى أين أنت ذاهب ؟ " .

" سأراجع بضع أقدام إلى المدخل " . بدا صوته متهدجاً وغير
طبيعى .

" أنا قادمة معك " .

" سأفعلها أسرع بمفردى يا كاثرين . سأتحقق من الطريق فى
التفرعة الأخيرة " بدا عليه نقاد الصبر .

" سأعود إليك بعد ثوان " .

قالت بخوف : " حسناً " .

وقفت تراقبه ، وهو يسير نحو الظلام فى الطريق الذى جاء منه ،
وتغلغه هالة النور ، وكأنه ملاك يتحرك فى أعناق الأرض . بعد دقيقة
اختفى الضوء وسقطت كاثرين فى أعماق ظلام دامس فى حياتها ،
ووقفت ترتعد من البرد ، وأخذت تعد الثوانى والدقائق لكن لم يعد لارى
إليها .

شعرت كاثرين أثناء انتظارها بالسواد الحالك يتموج فى موجات غير
مرئية ترعبها وتنذر بالشر . صرخت باسم لارى عدة مرات بصوت أجش
ومتردد ، ثم ازدردت ريقها وتنحنت ، وصرخت بأعلى صوتها ،
وسمعت الصوت يتردد صداه ويبتلعه الظلام . يبدو أنه لا توجد حياة
داخل الكهف ، وبدأت كاثرين تشعر ببوارد الخوف تتسلل إليها .
قالت لنفسها : " بالطبع سيعود لارى ، وكل ما علىّ هو البقاء هنا ،
والتزام الهدوء " .

مرت الدقائق الثقيلة فى الظلام ، وبدأت تواجه حقيقة أن ثمة خطأ
فظيحاً قد حدث . ربما تعرض لارى لحادث أو انزلق وارتطمت رأسه
بالصخور الحادة . ربما هو ملقى على بعد أقدام منها ينزف حتى
الموت . أو ربما ضل الطريق والبطارية انطفأت ، وانحبس فى جوف
الكهوف مثلها .

شعرت بالاختناق والذعر فوق الوصف ، فاستدارت ، وبدأت تمشى
فى الاتجاه الذى جاء منه ، وكان النفق ضيقاً ، وإذا كان لارى بالقرب
من هنا ، فهذه فرصة لكى تسعفه ، لكن سرعان ما وصلت للمكان الذى
تفرع منه الطريق . تحركت بحرص والحجارة تتدحرج تحت قدميها .
خيل إليها أنها سمعت صوتاً من بعيد ، فصاحت باسم لارى بعد أن
أرهفت السمع ، لكن الصوت اختفى ، فواصلت التحرك حتى سمعت

الصوت مرة أخرى ، وكان أشبه بجهاز التسجيل ، لابد أن هناك أحدًا هنا .

صرخت كاثرين بأعلى صوتها ، وابتلع صوتها الصمت الرهيب . ثم سمعت الصوت مرة أخرى ! كانت ضوضاء كآلة تدور وكان الصوت آتيا فى اتجاهها بسرعة جدًا . ارتفع الصوت ، وهبت رياح مفاجئة ، واقترب مصدر الصوت أكثر فأكثر ، ثم قفز فوق وجهها فى الظلام ، وشعرت بملمس جلدى مبتل يلامس خدها ورأسها ويخنفها بينما ترفرف أجنحتها ، وبدأ هذا الجسم المرعب الذى لا تعرف اسمه يهاجمها فى الظلام ، ففقدت كاثرين وعيها .

كانت مستلقية على الأرض الصخرية الصلبة ، وكان هناك حجر حاد يوخزها فى جسدها وهذا الشعور بعدم الراحة الناتج عن ذلك الوضع هو ما جعلها تستعيد وعيها . كان خدها دافئًا ولزجًا ، وبعد دقيقة أدركت أن الدماء تغطى وجهها ثم تذكرت الأجنحة والمخالب التى هجمت عليها فى الظلام وبدأت ترتعد . وأدركت أن الكهف ملىء بالخفافيش .

حاولت أن تتذكر كل ما تعرفه عن الخفافيش ، قرأت ذات مرة أنها تتجمع بالآلاف فى الكهوف ، وهى كالقتران ذات الأجنحة ، وهناك بعض منها يمص الدماء ، لكنها حاولت ألا تفكر فى ذلك ، قامت كاثرين رغمًا عنها ، وكانت يداها تؤلمانها من الاحتكاك بالصخور .

قالت لنفسها : " لن أجلس هنا بلا حراك دون أن أفعل شيئًا ، سأنهض وأحاول الخروج . وقفت بصعوبة وألم على قدميها . كان رداؤها ممزقًا ، وفقدت حذاءها ، لكن لارى سيشتري لها رداء آخر غداً بدأت كاثرين تتخيل نفسها مع لارى ، يتسوقان ، ويضحكان ، ويشتريان رداء أبيض لها ، لكن الرداء تحول إلى كف ، وشعرت برعب شديد . يجب أن تظل تفكر فى الغد ، لكيلا تغرق فى الكوابيس ، ويجب أن تواصل السير . لكن فى أى طريق ؟ لقد استدارت ، وقالت

إنها لو سارت فى الطريق الخاطئ سيبتلعها جوف الكهف ، وفى نفس الوقت لا يجب أن تظل هنا . حاولت تقدير الوقت الذى ظلت فيه هنا ، ربما ساعة أو ساعتين منذ دخولها للكهف . لم تعرف كم من الوقت مر فى فترة إغمائها . ربما سيبحث عنها أفراد الأمن هـى ولارى . ماذا لو لم يعرف أحد بما تلاقيه من عذاب ، لم يكن هناك أحد يتحقق من الداخلين للكهف . ترى هل ستظل هنا للأبد ؟

خلعت الفردة الأخرى من الحذاء ، وواصلت السير بخطوات حريصة وبطيئة ، مع تشابك الأيدي لمنعهما من الارتطام بالصخور أو الجوانب الخشنة للحائط الكهفى . يوجد مثل صينى يقول : " رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة " . الصينيون أذكيا فى الأمثال ، وفى الاختراعات لكنهم ، لم يدخلوا الكهوف المظلمة لكى يضلوا الطريق فى جوفها . ربما لو فسارت ستقابل لارى مصادفة ، أو بعض السائحين ، وتعود للفندق ، وتأكّل وتشرب وتضحك على هذا الموقف لاحقًا . كل ما يجب أن تفعله الآن هو مواصلة السير .

توقفت فجأة ، حيث سمعت عن بعد صوت حركة الأجنحة ، وكانت الأشباح آتية إليها فى سرعة رهيبية ، بدأت ترتعد بشكل لا إرادى ثم صرخت ، ولاحقًا جاء مئات الخفافيش تحوم حولها ، وتضربها بأجنحتها الباردة اللزجة ، وتخنفها بأجسامها التى تشبه القتران وشعرت أنها فى كابوس مرعب للغاية . كان آخر شىء تتذكره قبل أن تفقد الوعي هو صراخها باسم لارى .

كانت مستلقية على الأرضية الباردة الرطبة للكهف وكانت مغلقتين ، لكن عقلها تيقظ فجأة ، وقالت لنفسها : " لارى كان يريد قتلى " وكأن عقلها الباطن هو من أوحى لها بالفكرة بكل وضوح . فى سلسلة من الومضات السريعة سمعت لارى يقول : " إننى ... إننى أحب امرأة أخرى . أريد الانفصال بالطلاق " . ثم تذكرت عندما مد

يديه ناحيتها وهما على قمة الجبل . . . تذكرت عندما رأت الجبل المنحدر ، وقالت ستستغرق وقتاً طويلاً للنزول قال لارى : " كلا لن يحدث ... لن نحتاج لمُرشد لقد ضللتنا الطريق ، وسرنا فى طريق خاطئ ، انتظرى هنا ... سأعود فى غضون ثوان " ثم الظلام الدامس المرعب .

لم يعتزم لارى العودة إليها أبداً . الصلح بينهما ، شهر العسل الجديد ... كل هذا كان مجرد تظاهر وخداع ، كجزء من الخطة لكى يتمكن من قتلها . كانت طوال الوقت تحمد الله على أنه منحها فرصة أخرى وكانت تتق فى نفسها ومهاراتها فى أنها ستستعيد حبه المفقود ، بينما كان هو يتآمر على حياتها . وها هو نجح ، فهى لن تخرج من هنا أبداً . كانت مدفونة وهى على قيد الحياة داخل مقبرة حالكة الظلام ومرعبة . ذهب الخفافيش لكنها شعرت وشمت رائحة قاذوراتهم التى لطخت وجهها وجسدها ، وعلمت أنهم سيعودون من أجلها ، لم تعرف هل ستجن من هجمة أخرى منهم أم لا ، وكان التفكير فى ذلك قد جعلها ترتعد خوفاً ، ولكنها أجبرت نفسها على سحب أنفاس عميقة ببطء .

ثم شعرت بمقدم الخفافيش مرة أخرى ، بدا الصوت كالمهممة الخفيفة ثم زاد وصار صوتاً عالياً متجهاً نحوها . صرخت فجأة فى ألم وترددت أصداً صراخها فى الظلام الدامس ، وزاد علو صوت رفرفة أجنحة الخفافيش ثم ظهر ضوء فى نهاية النفق المظلم وسمعت أصواتاً بشرية تنادىها وشعرت بأياٍ تمتد لها ، وتحملها وأرادت تحذيرهم من الخفافيش ولكنها لم تتوقف عن الصراخ بشكل لا إرادى .

نويل وكاثرين

أثينا : ١٩٤٦

٢٢

ظلت مستلقية ومتصلبة كالتمثال لكىلا تقترب منها الخفافيش وظلت تسمع رفرفة أجنحتها وهى تغلق عينيها بشدة . سمعت صوت لرجل يقول : " إنها معجزة أننا وجدناها " . قال صوت آخر : " هل ستكون بخير ؟ " كان هذا الصوت الآخر هو صوت لارى . شعرت كاثرين بالرعب يجتاحها مرة أخرى وكان كل عصب من أعصاب جسدها يصرخ ويحفزها على الهروب . جاء قاتلها من أجلها صاحت بألم مكتوم : " كلا ! " وفتحت عينيها فوجدت نفسها فى الفراش فى كوخ الفندق وكان لارى واقفاً فى آخر الفراش ويجوار رجل لم تره من قبل جاء لارى ناحيتها وقال : " كاثرين " .

تراجعت كاثرين للخلف بينما يسير لارى ناحيتها وقالت بصوت ضعيف أجش : " لا تلمسنى ! " .

قال لارى وكان وجهه يعبر عن الأسى : " كاثرين ! " .

قالت كاثرين للرجل الآخر : " ابعد عنى ! " .

قال الرجل الغريب : " إنها لا تزال تحت تأثير الصدمة ، ربما من الأفضل أن تنتظر بالخارج فى الحجرة الأخرى " .

نظر لارى لـ " كاثرين " لبرهة ولم يبد أى تعبير على وجهه ثم قال : " بالطبع ، سأفعل ما هو فى صالحها " ثم خرج من الحجرة .

اقترب منها الرجل الغريب ، وكان بديناً قصيراً وله وجه بشوش وكان يتحدث بالإنجليزية ولكنه أجنبية : " أنا د. " كازوميديس " ، لقد قضيت وقتاً عصيباً يا مدام دوجلاس ، لكنى أؤكد لك أنك ستكونين بخير ، أصابك ارتجاج بسيط فى المخ ، وصدمة عنيفة ، لكن خلال أيام ستتحسن صحتك . كان يجب أن يغلقوا الكهوف اللعينة فهذا ثالث حادث مماثل لهذا العام " .

هزت كاثرين رأسها ثم توقفت ثم اهتز جسدها بعنف وقالت : " لم تكن حادثة ، بل حاول قتلى ! " " من حاول قتلك ؟ " .

كانت شفتاها جافتين ولسانها ثقيل الحركة وتحدث بصعوبة : " إنه زوجى " .

قال الطبيب : " كلا " .

لم يصدقها ، وازدردت ريقها وحاولت إقناعه : " لقد تركنى فى الكهف لكى ألقى حتفى " .

هز رأسه بالنفى وقال : " كان حادثاً ، سأعطيك مهدئاً وستشعرين بتحسن بعد الاستيقاظ " .

اجتاحتها موجة من الخوف وقالت : " كلا ! ألا تفهم ؟ لن أستيقظ أبداً ، أخرجنى من هنا من فضلك ! " .

ابتسم الطبيب ليطمئنها وقال : " قلت لك إنك ستصبحين بخير يا مدام دوجلاس . كل ما تحتاجين إليه هو نوم طويل هادئ " . ثم فتح حقيبة الأدوات وبحث عن الحقنة .

حاولت كاثرين النهوض لكن باغتها ألم فظيع وتصيب منها العرق فهوت على الفراش ورأسها تطن بألم لا يحتمل .

قال الطبيب : " لا تحاولي الحركة بعد ، لقد مررت بموقف عصيب " . ثم ملأ الحقنة بسائل أصفر من زجاجة صغيرة وقال متجهاً لـ " كاثرين " : " أعطنى ظهرك من فضلك وعندما تستيقظين ستشعرين بتحسن " .

قالت له هاسمة مستنجدة : " لن أستيقظ ! سيقتلنى وأنا نائمة " . بدا القلق على وجه الطبيب وسار نحوها وقال : " أعطنى ظهرك يا مدام دوجلاس " .

حدقت إليه بعينين عنيدتين متمردتين فأمسكها برفق ورفعها وأعطاهما الحقنة فى خصرها ثم قال : " لقد انتهيت الآن " . استراحت فى رقدتها وهمست والدموع تتدفق بغزارة ! " لقد قتلتنى هكذا ! " .

قال الطبيب بهدوء : " هل تعرفين كيف وجدناك يا مدام دوجلاس ؟ " .

همت بهز رأسها بالنفى وتذكرت ألم رأسها . قال الطبيب بصوت رقيق : " قادنا زوجك إليك " .

حدقت إليه ولم تستوعب ما قاله من هول المفاجأة ، فقال الطبيب : " لقد سار فى الطريق الخاطئ وضل الطريق وسط الكهف وعندما لم يتمكن من إيجادك طار عقله وجن جنونه واستدعى البوليس وقامت فرق الإنقاذ بالبحث عنك " .

مازالت تحديق إليه وهى لا تفهم وقالت : " لارى طلب المساعدة من أجلى ؟ " .

" كان فى حالة يرثى لها وألقى باللوم على نفسه لما حدث لك " . حاولت أن تفهم وتستوعب المعلومات الجديدة . إذا كان لارى يحاول قتلها فلماذا يستدعى النجدة ولماذا جن جنونه وساوره القلق

البالغ على سلامتها . ملأتها الحيرة الكبرى وكان الطبيب ينظر إليها باشتياق .

" حاولي أن تنامي الآن وسأمر عليك في الصباح . "

لقد كانت تظن أن حبيبها قاتل وكان عليها الاعتذار له بعد أن تعترف له بخطئها وتطلب منه الغفران ، لكن ثقل رأسها وأغمضت عينيها وقالت لنفسها : " عندما أستيقظ سأخبره لاحقاً وسيتفهم الموقف ويسامحني وكل شيء سيعود رائعاً كما كان . "

استيقظت بسبب صوت الرعد الحاد المفاجئ وفتحت عينيها بشدة وكان قلبها يدق في عنف وكان المطر يهطل بغزارة ويدق بعنف على زجاج حجرة النوم والبرق أنار كل المكان بنور خافت أزرق وجعلت الحجرة كالصورة الفوتوغرافية التي تم تجميعها أكثر من اللازم . عصفت الرياح بالمنزل وهزته بعنف وأخذ المطر يطرق النوافذ والسقف مثل صوت آلاف الطبول الصغيرة وكل بضع ثوان تسمع كاثارين صوت الرعد يتبعه البرق الخاطف .

كان صوت الرعد هو ما أيقظ كاثارين وقامت بمشقة وأصبحت في وضع الجلوس ونظرت إلى الساعة بجوار الفراش . كانت تشعر بالدوار من الحفنة المهدئة وحدقت بعينيها بشدة لترى أرقام الساعة . كانت الثالثة بعد منتصف الليل . كانت بمفردها . لا بد أن لاري كان ساهراً في الحجرة المجاورة وهو يقلق بشدة عليها ويسهر على راجحتها وتمريضها . كان يجب أن تذهب إليه لأنها مدينة له بالاعتذار . حاولت النهوض ببطء ووضعت قدميها على الأرض وحاولت الوقوف ، وشعرت بالدوار أكثر وكانت عضلاتها متصلبة من قلة الحركة والطنين في رأسها يؤلمها فوقفت مستندة على مقبض الباب ثم فتحت الباب المؤدى لحجرة المعيشة .

لم يكن لاري هنا . كان هنا ضوء في المطبخ فسارت بخطى متثاقلة إليه وكان لاري واقفاً في المطبخ وظهروه لها فنادته : " لاري ! " لكن صوتها لم يصل إليه بسبب صوت الرعد . قبل أن تناديه مرة أخرى رآته بصحبة امرأة . وقال لاري : " من الخطر أن " وكانت الرياح العاصفة تبعه باقي الكلمات عن مجال السمع .

" لقد جئت لكي أتأكد من " .

" سيرونا معاً ولن يعرف أحد " .

" ... ثمة ما يسوء ، لن يفعلوا بنا ... " .

" قلت لك سأهتم بالأمر " .

" اقتلها وهي نائمة الآن ... " .

وقفت كاثارين وكأنما أصابها الشلل ولم تتمكن من الحركة . كأنها تسمع عبارات تلغرافية وباقي الجملة يضع في أصوات الرياح والرعد . " لنتحرك سريعاً قبل أن تستيقظ ... " .

شعرها الخوف من جديد وارتعدت كل أجزاء جسمها وشعرت بالغزع الكبير . لقد صار كابوسها حقيقة ، لقد كان يحاول قتلها . كان عليها الهرب قبل أن يعثروا عليها ويقتلوا . حاولت السير لكن بيظه لأن كل جسدها كان يرتعش ، فصدمت أباجورة لكنها التقطتها قبل أن تسقط على الأرض . دقات قلبها الآن قوية وسريعة وخيل إليها أنها أعلى من الرعد والمطر . وصلت للباب الأمامي وفتحته وأوشكت الرياح على خلعها من يدها .

وقفت ليلاً في الطريق وأغلقت الباب خلفها وغمرها على الفور المطر الغزير وأدركت لأول مرة أنها لا ترتدى سوى قميص نوم كالغلالة الرقيقة . لم تهتم بذلك ، فكل همها كان الهرب من الموت . غير الأمطار الغزيرة رأت أضواء قاعة الاستقبال في فندق على مرمى البصر . يمكنها الذهاب إلى هناك وطلب النجدة ، لكن هل سيصدقها أحد ؟ تذكرت وجه الطبيب عندما قالت له أن لاري حاول قتلها . سيظنون

أنها تعاني من الهستيريا ويعيدونها لـ " لارى " . يجب أن تهرب من هذا المكان . ذهبت عبر الطريق الصخرى المؤدى للقرية .

حولت عاصفة المطر الغزير الطريق إلى وحل وطين زلق غاصت فيه قدمها الحافيتان مما أبطأ سيرها وشعرت أنها فى أسوأ كوابيسها وتحاول بدون جدوى الهرب من الموت بخطوات بطيئة بينما يعدو وراءها المطاردون بسرعة . وقعت عدة مرات على الأرض ونزفت قدمها من الصخور الصلبة والحجارة عبر الطريق ، لكنها لم تدرك ذلك من الهول والفرع . كانت فى حالة صدمة وتتحرك كالإنسان الآلى . تسقط عندما تدفعها الرياح ثم تنهض وتسير عبر الطريق المؤدى للقرية . بدون أن تعلم وجهتها ولم تعد تشعر بالمطر الغزير .

أدى بها الطريق فجأة إلى الشارع المهجور المظلم على حافة القرية وظلت تسرع فى السير بجهد شديد كالغريسة التى يطاردها القناص وتسرع بالخطوة تلو الأخرى بشكل آلى بدون تفكير وهى مرعوبة من الأصوات المرعبة التى تشق سكون الليل ومن ضربات البرق التى تحول السماء إلى لون أحمر كالنار .

وصلت للبحيرة ووقفت تحديق إليها والرياح تكاد تنتزع قميص نومها من على جسدها . تحول الماء الراكد إلى محيط ذى أمواج هادرة تحركها رياح عاتية وترتفع بها لأعلى وتجعلها ترتطم ببعضها البعض .

وقفت كاثرين وحاولت أن تتذكر ما الذى تفعله هنا ، داهمتها ذكرى مقابلتها لـ " بيل فريزر " . كان فى انتظارها فى منزله الجميل لكى يتزوجها . لمحت كاثرين ضوءاً أصفر عبر المطر وأحسست أن فريزر فى انتظارها لكن كيف ستصل إليه ؟ هل بدأت تنتابها هلاوس ؟ نظرت ووجدت قوارب راسية على الرفأ وتدور من أثر العاصفة وكأنها تحاول فك قيود رسوها .

علمت ما يجب أن تفعله . سارت بصعوبة فى اتجاه أحد القوارب وقفزت بداخله وحاولت بصعوبة الحفاظ على توازنها وهى تحاول فك

الحبل الخاص بالرسو على الرفأ ، مما أعطى القارب دفعة كبرى مفاجئة فوقعت فى القارب ثم قامت وجلست وأمسكت بالمجدافين وحاولت أن تتذكر كيف كان لارى يستخدمهما . لم يكن لارى فى ذهنها بل كان هناك بيل فريزر . كان هو من يجدف معها وسيقابل والديه للتعارف . حاولت استخدام المجدافين لكنهما سقطا فى الماء من شدة اهتزاز المركب وراقبتهما وهما يختفیان إلى عمق الماء . كان القارب يسرع إلى مركز البحيرة وارتعدت كاثرين من البرد وتحولت الرعشة إلى تشنجات لا إرادية . شعرت بشيء يرتطم بقدميها ووجدت القارب ممتلئ بالماء ، بدأت تبكى لأن فستان زفافها سيبتل . لقد اشتراه لها فريزر وسيغضب منها . ستتزوج بيل فريزر . ثم اختفى فريزر والضوء الأصفر ووجدت نفسها فى الكهف ولارى والمرأة الأخرى يحاولان قتلها وإغراقها . لم يعد فريزر يرغب فيها زوجة له . لم يعد لديها أحد الآن .

ابتعد الشاطئ عن مرمى البصر ولم يتبقى سوى المطر الغزير وكانت كاثرين وحيدة فى الليلة العاصفة مع الرياح الصارخة تطن فى أذنيها . بدأ القارب يهتز بصورة خطيرة والأمواج تتقاذف به لكن لم تعد كاثرين تشعر بالخوف ، بل سرى دفة خدرى فى جسدها وبدأ المطر وكأن له ملمساً مخملياً على جلدها . بدأت تضم يديها وتضرع فى دعاء الله كان أبوها قد علمه لها وهى صغيرة لكى تردده قبل النوم " . سأنام الآن ... فليقبل الله روحى إليه ، وليرحمنى " وفجأة غمرها شعور مفاجئ من السعادة وأحسست أن كل شيء سيكون على ما يرام . إنها فى طريقها للمنزل .

وفجأة فى تلك اللحظة انقلب القارب بفعل موجة عارمة وبدأ يغرق فى البحيرة السوداء التى لا قاع لها .

الكتاب الثالث

المحاكمة

أثينا : ١٩٤٧

٢٣

قبل خمس ساعات من بداية محاكمة نويل باج ولارى دوجلاس كانت القاعة ٣٣ فى محكمة أثينا تعج بالحضور . كانت المحكمة تشغل بناية ضخمة ورمادية تحتل مساحة كبيرة فى شارع الجامعة اليونانية . وكانت توجد ٣٠ قاعة محكمة وهناك ٣ قاعات فقط مخصصة للجنايات : الغرف ٢١ و ٣٠ و ٣٣ . وتم اختيار الغرفة رقم ٣٣ لأنها الأكبر وقد استألت الممرات خارج تلك القاعة بالبوليس للتحكم فى زحام الناس ومنعهم من الدخول وكشك الساندويتشات باع كل ما لديه فى خلال خمس دقائق وكان هناك طابور طويل أمام كشك الهاتف العمومى .

كان رئيس الشرطة جورجىوس سكورى يشرف بنفسه على الترتيبات الأمنية . كان المصورون الصحفيون فى كل مكان وتمكن سكورى من أن يجعلهم يصورونه كثيراً مما أرضى غروره . كان الدخول لقاعة المحكمة صعباً جداً ولا يتاح سوى للصفوة ممن يتمكنون من الدفع ، وقد حوَصر أعضاء هيئة القضاء اليونانى من قبل أقاربهم وأصدقائهم بطلبات للدخول وحضور المحاكمة ، وتمكن أصحاب النفوذ من توفير وحجز مقاعد

للناس مقابل خدمات أخرى أو مقابل المال حيث يتكلف المكان ٥٠٠ درخمة .

وكان مكان المحاكمة عادياً ، حيث إن القاعة ٣٣ في الطابق الثاني من مبنى المحكمة عبارة عن ساحة قديمة شهدت آلاف المعارك القانونية التي وقعت عبر السنوات الماضية . كانت القاعة عرضها ٤٠ قدماً وطولها ٣٠٠ قدم ، والمقاعد مقسمة إلى ٣ صفوف وعرض كل صف ٦ أقدام وكل صف به ٩ مقاعد .

في مقدمة القاعة توجد منضدة مرتفعة خلف قسم من خشب الماهوجني عرضه ٦ أقدام به مقاعد من الجلد لها ظهر مرتفع للقضاة . كان المقعد الأوسط لرئيس القضاة وفوقه مرآة مربعة قدرة تعكس جزءاً من القاعة .

أمام المنضدة كانت توجد منصة للشهود عبارة عن منضدة خشبية مربعة ومائلة بها ما يشبه الصينية لحمل الأوراق . من الناحية الأخرى يوجد مكان هيئة المحلفين المكونة من ١٠ أفراد اتخذوا مقاعدهم ، وفي اليسار كان هناك قفص الاتهام وفي الأمام مكان الدفاع ومنضدة المحامين .

كانت الحوائط جديدة ومبطنة لكتم الصوت الخارجى وعدم تسريب الصوت من داخل القاعة لخارجها وكانت الأرضية من الشمع اللامع على عكس القاعات الأخرى ذات الأرضية الخشبية وكان هناك عشرات اللمبات الكهربائية معلقة في السقف ومحاطة بالزجاج الدائرى . في أحد أركان الحجر كانت هناك مدفئة قديمة تسرى منها تيارات دافئة تتصاعد إلى السقف . كان هناك قسم في القاعة مخصص للصحافة به مندوبو أشهر وكالات الأنباء .

كانت ظروف محاكمة الجنائيات تثير ضجة إعلامية وتثير الرأي العام لكن ما زاد من الإثارة هو شهرة المتهمين . كان المكان يعج بالناس وكأنه سيرك وليس قاعة محكمة وكانت تمتلئ بنجوم من بين الحضور .

كان في الصفوة الأولى الممثل الفرنسي فيليب سوريل الذى كان عشيق نويل سابقاً كما تقول الإشاعات . كان سوريل قد حطم كاميرا صحفى حاول تصويره وهو يتجه لقاعة المحكمة ورفض بإصرار التحدث مع الصحافة . جلس في مقعده وظل صامتاً ومتجاهلاً للآخرين من حوله وكأنه بمفرده ويفصله عنهم جدار غير مرئى . فى الصف الخلفى جلس أرمان جوتييه المخرج الطويل ذو الوجه المرعب . والذى ظل يتفحص القاعة وكأنه يأخذ ملاحظات ذهنية لقيلمه القادم . وبجواره جلس كاتس الجراح الفرنسى الشهير الذى يعد أحد أبطال المقاومة .

على بعد مقعدين جلس ويليام فريزر المساعد الخاص برئيس الولايات المتحدة . بينما سرت إشاعة كالنار فى الهشيم بأن كونستانتين ديميريس سيحضر المحاكمة .

فى كل مكان يرى الناس فى القاعة وجه مألوف لأحد المشاهير : سياسى ، مطرب ، نحات ، مؤلف ، وغيرهم . وعلى الرغم من وجود المشاهير فإن محور التركيز والانتباه كان على قفص الاتهام .

فى قفص الاتهام كانت تجلس نويل باج وكانت جميلة جداً وجلدها الذى يشبه لون العسل أصبح باهتاً قليلاً وترتدى زياً فخماً جداً وكانت تبدو كالملكة المتوجة مما يُعلى من قدر المأساة التى تتعرض لها ، وكان مظهرها يهيج الجماهير المتعطشة للدماء المطالبين بإعدامها .

كما قالت إحدى الصحف الأمريكية : " الانفعالات إزاء نويل باج كانت قوية وطاغية الحضور فى قاعة المحكمة . لم تكن الانفعالات متمثلة فى الكراهية والتعاطف ولكن غالباً كانت مجرد توقع وترقب ، فالتهمة بجريمة القتل ليست امرأة عادية بل خارقة يعرفها الجميع بمركزها المرموق وشهرتها البالغة . كان المشهد مثل مشاهدة الفلاحين لـ " مارى أنطوانيت " وهى فى طريقها للإعدام " .

لم تكن نويل هى النجمة الوحيدة فى قاعة المحكمة الأشبه بالسيرك كان هناك فى قفص الاتهام أيضاً لارى دوجلاس الذى يعتريه غضب

مكتوم . كان وجهه الوسيم شاحباً وقد فقد وزنه مما زاد من إظهار ملامحه المتناسقة وشعرت العديد من النساء بالرغبة فى احتضانه ومواساته بأى طريقة . منذ إلقاء القبض عليه وهو يتلقى مئات الرسائل من النساء من مختلف أنحاء العالم وعشرات الهدايا وعروض بالزواج .

كان النجم الثالث هو نابليون شوتاس المحامى الشهير فى اليونان ، وكان من أشهر المحامين الجنائيين ولقد ترافع عن زبائن مثل رؤساء الحكومة المتورطين بالاختلاس والقتلة المتورطين فى جرائم القتل ولم يخسر أى قضية كبرى من قبل . كان شوتاس رجلاً نحيلًا ونحيفًا وجلس يشاهد الجماهير الحاضرة بعينين واسعتين وحزينتين وجاحظتين وكان وجهه مكفهراً . كان شوتاس كلما تحدث لهيئة المحلفين كان يتحدث ببطء وبتردد ويدعى عدم القدرة على التعبير عن نفسه ويظهر شعوره بالألم والإحراج لدرجة أن أحد المحلفين قد يسعفه بالكلمة التى يحاول قولها فيشعر بالارتياح والامتنان لتلك المساعدة ، مما يجعل المحلفين يتعجبون منه جداً . لأنه فى الواقع ، وخارج قاعات المحاكم كان شوتاس متحدثاً بارعاً وحاذقاً ولبقاً وجيد التحكم فى أدواته اللغوية ويتقن سبع لغات بطلاقة وعندما يكون لديه وقت فراغ فى جدول أعماله المزدحم كان يلقي المحاضرات على هيئة المحلفين فى جميع أنحاء العالم .

كان بجوار شوتاس يجلس على بعد بضعة أقدام على مقعد آخر المحامى فريدريك ستافروس الموكل للدفاع عن لارى دوجلاس . على الرغم من اتفاق الخبراء على أنه كفء فى القضايا العادية إلا أنه لم يكن بالخبرة والعمق الكافيين لقضية مهمة كهذا .

حاكمت الجرائد والجماهير لارى ونويل وحكمت عليهما بأنهما مذنبان ولم يشك أحد فى ذلك أبداً ولو للحظة . راهن الناس على أن الحكم هو الإعدام ، وما زاد الموقف إثارة هو أن أشهر محام جنائى سيحاول استخدام كل حيله وألاعيبه لتبرئتهما .

عندما أعلن على الملأ أن شوتاس سيدافع عن نويل المرأة التى خانت ديميريس وجعلته أضحوكة المجتمع أحدث هذا الخبر ضجة كبرى . لأن شوتاس رجل قوى وذو نفوذ لكن ديميريس أكثر منه قوة ونفوذاً بمئات المرات ولا أحد يعرف سبب معاداة شوتاس لـ " ديميريس " . الأقرب هو الحقيقة الواضحة بعيداً عن الشائعات الغريبة المتناثرة : لقد تولى شوتاس الدفاع عنها بناءً على طلب شخصى من ديميريس .

قبل ثلاثة أشهر من موعد المحاكمة جاء مأمور السجن بنفسه لـ " نويل " فى زيارتها فى سجن شارع سانت نيكودىوس لكى يخبرها برغبة ديميريس فى زيارتها ، وكانت قد تساءلت قبل ذلك عما إذا كان سيحاول الاتصال بها ، ولكن لم يحاول الاتصال بها منذ إلقاء القبض عليها . وسادت فترة صمت رهيب لا يبشر بخير .

عاشت نويل مع ديميريس لفترة كافية بحيث عرفت عمق إحساسه بالعشق الخالص وإلى أى مدى ينتقم لأقل إهانة . لقد أهانته نويل أكثر من أى شخص ، وهو قوى لدرجة إنزال العقاب الرهيب بها . السؤال الوحيد هو : كيف سينزل بها العقاب ؟ كانت نويل متأكدة من أنه لن يلجأ لأسلوب رخيص مثل رشوة المحلفين أو القضاة بل سيلجأ لخطة معقدة لكى يشعر بلذة الانتقام . كانت نويل تظل مستيقظة على فراش الزنزانة ليلالى طويلة تحاول الوصول بما قد يفعله ديميريس وتستبعد طريقة تلو الأخرى مثلما فعل بالتأكيد بحثاً عن الخطة المثالية . وكأنها تلعب شطرنج ذهنياً مع ديميريس ، وكأنها هى ولارى عساكر الشطرنج والمخاطرة مسألة حياة أو موت .

غالباً سيريد ديميريس تدميرها هى ولارى لكنها أدركت أنها بشر بخبايا طبيعية مخ ديميريس . قد يخطط لتدمير أحدهما وترك الآخر يعيش ليتعذب من الفراق . إذا رتب ديميريس للأمر بحيث يعدم كلاهما سيحصل على انتقامه أسرع من اللازم - ولن يتبقى شئ يستمتع به

ويرضى شهوة الانتقام . تفحصت نويل بدقة كل الاحتمالات الخاصة بتلك اللعبة وتوصلت إلى أنه قد يدمر لارى ويدعها تعيش إما فى السجن أو تحت سيطرته لكى يطيل مدة انتقامه لما لا نهاية . ستعاني نويل من فقدان الرجل الذى تحبه ثم عليها أن تتحمل كل الآلام والعذابات التى سيحضرها لها ديميريس فى المستقبل . جزء من متعة ديميريس فى الانتقام أن يخبر نويل سلفا لكى تشعر باليأس وتتجرع مرارة الأسى . لذلك لم تتدهش نويل عندما أخبرها رئيس السجن برغبة ديميريس فى رؤيتها .

وصلت نويل أولاً لحجرة مأمور السجن الخاصة حيث تم توصيلها لهنالك وتركت وحدها مع علبة ماكياج أحضرتها الخادمة للاستعداد للقاء ديميريس .

تجاهلت نويل مساحيق التجميل وفرشاة الشعر وسارت نحو النافذة وأطلت منها . كانت أول مرة ترى العالم الخارجى منذ فترة السجن التى دامت ثلاثة أشهر ، بخلاف المرات القليلة التى شاهدت فيها العالم الخارجى أثناء انتقالها من السجن إلى المحكمة فى عربة السجن ذات العمدان المعدنية على النافذة وتم اصطحابها عبر القبو ثم عبر المصعد للطابق الثانى مع حراس السجن حيث يتم الاستماع لأقوالها وتم تحديد موعد للمحاكمة وإعادتها للسجن .

نظرت نويل عبر النافذة ورأت زحام المرور عبر شارع الجامعة والرجال والنساء والأطفال يسرعون للعودة إلى عائلاتهم . لأول مرة فى حياتها شعرت نويل بالخوف ، لم يكن لديها وهم البراءة من التهمة فلقد قرأت الجرائد وعلمت أنها لن تكون محاكمة عادية . كان اليونانيون يكرهونها لأنها انتهكت حرمة الزواج ويحقدون عليها لأنها شابة جميلة ويحتقرونها لأنهم شعروا أنها لا تكثر لمشاعرهم إزاءها .

فى الماضى كانت نويل لا تعباً بالحياة وكذلك تضيع وقتها سدى وكأنها ستعيش للأبد : لكن الآن تغير شىء ما بداخلها . جعلها الموت الوشيك تدرك لأول مرة رغبتها الجامحة فى الحياة . سرى الخوف بداخلها وزاد مع الوقت وأرادت أن تعيش حتى لو أحوال ديميريس حياتها جحيماً ، فستواجه الأمر وبعد ذلك ستجد طريقة للتغلب على ذكاء ديميريس .

ولكن حالياً فى الوقت الزاهن تحتاج لمساعدته للإبقاء على حياتها . كانت هناك نقطة فى صالحتها ، كانت تستخف بالموت دائماً ، ولذلك لا يعرف ديميريس مدى أهمية الحياة لديها الآن . إذا عرف فسيدهنها تموت . تساءلت مرة أخرى ما الذى يديره لها عبر الشهور الماضية ، وفجأة انفتح الباب فاستدارت وشاهدت ديميريس واقفاً ولقد صدمت من مظهره ولكنها علقت أنه لا داعى للخوف .

شعرت وكأنه قد كبر عشر سنوات على عمره الحقيقى منذ آخر مرة رآته . بدا شاحباً وهزيلاً ونحيفاً وملابسه واسعة على قوامه . جذبت عيناه انتباه نويل حيث إنها تنم عن العذاب الذى يعانیه ، اختفت نظراته المفعمة بالقوة والحيوية والحركة وكأن هناك شيئاً انطفأ بداخله وكل ما تبقى هو نسخة باهتة من ذكاء وبراعة كانت متقدمة وباهرة . وقف ديميريس يحدق إليها وعيناه مغممتان بالآلم .

فى جزء من الثانية تساءلت نويل عما إذا كان هذا المظهر خدعة أو جزءاً من خطة الانتقام ، لكن هل من المعقول أن يفشل عليها بهذه المهارة ؟ خرقت الصمت وقالت له : " أنا آسفة يا كوستا " .

أوماً لها ديميريس ببطة وكأن الحركة تستدعى منه بذل مجهود . قال ببطة وتعب : " كنت أريد أن أقتلك " كان صوته كرجل عجوز ، " كنت قد رتبته لذلك بالفعل . " " لماذا لم تقتلنى إذن ؟ " .

قال بهدوء : " لأنك قتلتنى أولاً . لم أحتج إلى أحد من قبلك ولم أشعر بالألم من قبل . "

" كوستا ... "

" كلا ، دعيني أكمل حديثي ، أنا لا أسامح أحداً ، إذا كان باستطاعتي الاستغناء عنك صديقيني لكنت قتلتك ، لكنى لا أستطيع . لا يمكننى تحمل الابتعاد عنك بعد الآن وأريدك أن تعودى لى يا نويل . "

جاهدت لكيلا تظهر ما تشعر به داخلها وقالت : " لم يعد الأمر بيدى ، أليس كذلك ؟ "

" إذا كان بإمكانى تحريرك ، فهل ستعودين لى وتبقيين معى للأبد ؟ "

" للأبد ؟ " رأت فى ذهنها آلاف الصور ، لن ترى لارى أبداً أو تلمسه أو تحتضنه . لم يكن لديها أى خيار لأن الحياة أهم ، وطالما أنها ستحيا فستكون هناك فرصة للنجاة . قالت له وهى تنظر إليه : " نعم يا كوستا . "

حدق ديميريس إليها وامتلاً وجهه بالرغبة ، وقال بصوت أجش : " شكراً ، سننسى الماضى الذى ذهب ولن يتغير " ثم قال بصوت مفعم بالألم : " أنا مهتم بالمستقبل ، سأحضر لك محامياً للدفاع عنك . "

" من ؟ "

" نابليون شوتاس . "

أدركت نويل أنها الآن فازت فى لعبة الشطرنج : كش ملك ، مات الملك .

جلس شوتاس على مائدة المحامين الخشبية يفكر فى المعركة الكلامية التى ستحدث فى المحاكمة . كان يفضل أن تحدث المحاكمة فى أيوتينا بدلاً من أثينا لكن كان ذلك مستحيلاً ، لأنه وفقاً للقانون

اليونانى لا يمكن أن تتم المحاكمة فى مسرح الجريمة . لم يكن يشك فى لحظة أن نويل مدنية ، لكن ذلك لم يهمه ، فهو كأي محام جنائى لا يشعر بأهمية أن العميل مذنب أو براء ، فالجميع يستحقون محاكمة عادلة .

لكن المحاكمة القادمة لن تكون عادية ، فهذه أول مرة يسمح شوتاس لمشاعره الشخصية بالتدخل فى قضاياه ؛ لقد وقع فى غرام نويل باج ، لقد ذهب لرؤيتها بناءً على طلب ديميريس ، وعلى الرغم من أنه قد رآها من قبل فى الصحف لكنه لم يكن مستعداً لرؤيتها على الحقيقة . لقد استقبلته وكأنه ضيف عزيز يزورها من الناحية الاجتماعية ، ولم تظهر الخوف أو التوتر ، واعتقد شوتاس أن هذا يرجع لجهلها عن ضعف موقفها لكن اتضح له العكس تماماً ، فهى أذكى وأجمل امرأة قابلها . على الرغم من أن مظهرها لا يوحي بذلك لكنه خبير فى شئون النساء وأدرك سمات شخصية نويل ، كان مجرد الجلوس معها والتحاور معها يتمتع للغاية ، فقد تناقش معها فى الفن والقانون والجريمة والتاريخ وكانت فى كل مرة تدهشه . لقد قدر علاقتها مع ديميريس لكن حيرته علاقتها بـ " لارى دوجلاس " . كان يشعر أنها أعلى منه ، لكنه شعر أنه توجد للحب كيمياء خاصة تجعل الناس غير المتساوين اجتماعياً يحبون بعضهم البعض فيتزوج العلماء بالشقراوات فارغات العقل ، والكتاب بالمثلثات الحمقاوات ، ورجال السياسة بالعاهرات .

تذكر شوتاس لقاءه بـ " ديميريس " . كانا يعرفان بعضهما البعض اجتماعياً لكن شركة شوتال للاستشارات القانونية لم تقم بأى عمل لصالح ديميريس من قبل . ديميريس حدد له موعداً فى منزله ودخل فى الموضوع بدون مقدمات : " كما تعلم فأننا مهتم بشكل خاص بتلك المحاكمة فهى أول امرأة أحبها حقاً " ثم تناقش معه فى القضية لست ساعات متواصلة وناقشا كل الجوانب والزوايا وقررا أن تخرج نويل براءة

وتم الاتفاق مع شوتاس حيث سيأخذ أجره المعتاد مضاعفاً وستكون شركته القانونية هي أهم جهة استشارية لإمبراطورية ديميريس الاقتصادية المتسعة الأركان ، وتلك صفقة رابحة تساوى الملايين .

قال ديميريس فى نهاية الحوار بشراسة : " لا يهتمنى كيف تفعلها ، لكن تأكد من عدم وقوع أى خطأ . "

قبل شوتاس الصفقة ولكن يا لسخرية الأقدار ، لقد وقع فى حب نويل . كان أعزب طوال حياته ويقيم علاقات متعددة ، وتلك هى المرأة الوحيدة التى رغب فى الزواج بها لكنها كانت بعيدة المنزل . نظر إليها وهى فى قبض الاتهام وكانت جميلة وهادئة . كانت ترتدى حلة من الصوف الأسود بسيطة وأنيقة وسترة بيضاء بلا رسومات ولها عنق طويل وبدت كأميرة فى القصص الخيالية والأساطير .

التفتت نويل وشاهدته يحدق إليها فابتسمت له بدفء فبادلها الابتسامة وكان عقله مشغولاً بالمهمة الصعبة الملقاة على عاتقه . جاء حاجب المحكمة ليعلن بدء الجلسة .

وقف الحضور بينما دخل اثنان من القضاة وكانا يرتديان حُلل العمل الرسمية وجلسا على مقعديهما ثم تبعهما القاضى الثالث فى المقعد الذى فى المنتصف وقال : " تبدأ المحاكمة " وهكذا بدأت المحاكمة .

كان رئيس النيابة العامة بيتر ديمونيديس متوتراً ، وبدأ بخطابه الموجه للمحلفين ، وكان رجلاً ماهراً وحاذقاً فى مهنته ولقد واجه شوتاس كثيراً لكن - فى كل مرة - كان شوتاس يهزمه فى كل المحاكمات ، وكم حاول المحامون تخويف الشهود لكن شوتاس كان يمزج معهم ويدلهم وبالتالي تتضارب أقوالهم بما يخدم هدفه . كان شوتاس من أقوى أصحاب العقول القانونية الذين واجههم ديمونيديس وكان لديه دراية تامة بالقانون والتشريع لكن ليس هذا هو السبب

الوحيد لقوته ، بل كانت قوته فى معرفته بالناس وطباعهم . سأله صحفى ذات مرة كيف تعلم الكثير عن الطبيعة البشرية فقال له : " لا أعرف أى شىء عن الطبيعة البشرية بل عن الناس فقط . " فصار قوله ذلك مقتظاً يتذكره الناس .

علاوة على ماسبق فإن تلك المحاكمة كانت تبدو كأنها مفصلة لـ " شوتاس " ؛ حيث كانت من النوع المفضل له حيث تجمع بين الشهرة والقتل والمشاعر . كان ديمونيديس متأكداً من شىء واحد : لن يدع شوتاس أى شىء يمنعه من أن يربح هذه القضية . لكن ديمونيديس لن يدع أى شىء يجعله يخسر ، فلديه أدلة دامغة ضد المتهمين وبينما قد يخدع شوتاس المحلفين بالتغاضى عن الدليل وأهميته ، لكنه لن يخدع القضاة الثلاثة . لذلك كان يتحدث وهو يشعر بالإصرار المخلوط بالترقب ، وهو يوجه حوار له للمحلفين .

فى عبارات رنانة فصيحة لخص ديمونيديس القضية وادعاء النيابة ضد المتهمين . ووفقاً للقانون فإن رئيس المحلفين العشرة محام ، لذلك وجهه ديمونيديس للنقاط القانونية بينما النقاط العامة وجهها لباقي أعضاء هيئة المحلفين .

قال ديمونيديس : " قبل انتهاء تلك المحاكمة ستثبت النيابة أن هذين المتهمين تآمرا على قتل كاثرين دوجلاس لأنها وقفت عقبة أمامهما وكانت جريمتها الوحيدة أنها كانت تحب زوجها ولذلك قُتل . كان المتهمان متواجدين فى مسرح الجريمة وستثبت بما لا يدع مجالاً للشك .

كان خطاباً قصيراً وملتزماً بالنقاط الأساسية دون إطباب ، وحن دور محامى الدفاع للتحدث .

شاهد الحضور شوتاس وهو يجمع أوراقه بعدم نظام وتوتر ثم يستعد لإلقاء خطابه التمهيدى . اقترب ببطء من منصة المحلفين وكان يبدو عليه التردد وصعوبة وبطء الحركة وكأنه يشعر بالرهبة ممن حوله .

شاهده فريزر ، وهو لا يكاد يخفى إعجابه بمهاراته إلا أنه لم يذبح بتمثيله لأنه شاهده من قبل فى حفل لسفارة بريطانية وقد شاهد المحلفين وهم يساعدونه عن طريق دفعه للأمام لالتقاط كل كلمة يقولها بهدوء .

قال شوتاس للمحلفين : " تلك السيدة فى قفص الاتهام لا تحاكم على جريمة قتل ، حيث إنه لا توجد جريمة قتل ، وإذا حدثت فأين جثمان الضحية ؟ ولماذا لم يظهره لنا وكيل النيابة ؟ ولأنه لم يفعل ذلك فلا توجد جثة ولا توجد بالتالى جريمة قتل " . صمت لبرهة وحك رأسه وكأنه يحاول أن يتذكر ما كان على وشك قوله وتأمل الأرضية قليلاً ثم أوما برأسه وقال للمحلفين : " ليست تلك هى الجريمة يا سادة ، بل إن موكلتى تحاكم لأنها انتهكت قانوناً آخر عرفياً مدوناً هو الزنا مع زوج امرأة أخرى ، ولقد أدانتها الصحف والناس وبالتالى يطالبون بإعدامها " .

توقف لبرهة وأخرج منديلاً كبيراً أبيض ليحشف عرقه ثم وضع المنديل فى جيبيه وحدث للحظة وكأنه يحاول أن يتذكر ما سيقوله : " حسناً ، لقد انتهكت قانوناً ما فلنعاقبها ، لكن الجريمة ليست القتل يا سادة ، لأنها جريمة لم تقع أصلاً ، فتهمة نويل باج هى أنها كانت عشيقه " . ثم توقف لبرهة متأثراً ثم أردف قائلاً : " لأهم رجل فى اليونان واسمه يعتبر سراً رهيباً ، لكنكم ستجدونه فى الجرائد الآن " . ضحك الحاضرون .

التفت أوجست لانشون وحدث إلى الحضور بغضب ملأ عينيه اللتين تشبهان عيون الخنازير . كيف تجرأوا وسخروا من نويل حبيبته ؟ إنها لم تهتم أبداً بـ " ديميريس " بل بأول رجل كانت تعشقه . لم يتمكن لانشون التاجر السمين من مرسيليا من التحدث إلى نويل بعد لكنه دفع ٤٠٠ دراخمة لحجز المكان الذى يجلس عليه رغم بخله الشديد لكى يتمكن من رؤيتها كل يوم . عندما تظهر براءتها سيتقدم لحمايتها

ويتخذها صديقة مدى الحياة ، ثم انتبه بعد أن استغرق فى خياله إلى المحامى الذى قال :

" تقول النيابة إن نويل باج ولارى دوجلاس قتلا مدام دوجلاس لكى يتمكنوا من الزواج ، انظروا إليهما " .

التفتت جميع القاعة إلى نويل ولارى .

" هل يحبان بعضهما البعض ؟ محتمل ، لكن هذا لا يجعلهما مخطئين لجريمة قتل . إذا كان هناك ضحايا فى تلك المحاكمة فأنتم تنتظرون لهما الآن . لقد راجعت كل الأدلة واقتنعت وسأقنعكم بالبراءة . لكنى أوضح لهيئة المحلفين أننى لا أمثل لارى دوجلاس ، فليده محاميه القدير ، لكن النيابة تتهمه مع موكلتى كشريك فى الجريمة ، وأنهما خططا ونفذا جريمة قتل ولذلك إذا أدين أحدهما فسيدان الآخر . وأنا أقول إن كليهما برىء ولن أغير رأيى سوى بظهور الجثة ، وأعلم أنه لا توجد جثة " .

زاد الغضب والحدة فى صوت شوتاس : " الأمر كله محض الخيال ، موكلتى لا تعرف ما إذا كانت كاثرين دوجلاس قد ماتت أم لا تزال على قيد الحياة . من أين لها أن تعرف ؟ فلم تقابلها أبداً فما بالك بإلحاق الأذى بها ؟ تخيلوا معى فداحة أن يتهم المرء بقتل من لم يره أبداً . توجد احتمالات أخرى لمصير كاثرين دوجلاس ، إحدى تلك الاحتمالات أن تكون قتلت ، لكن هذا مجرد احتمال واحد من عدة احتمالات ، ربما اكتشفت علاقة زوجها بامرأة أخرى فهربت ليس من الخوف ولكن من الألم ، وهذا ليس سبباً لإعدام رجل وامرأة من الأبرياء " .

كان محامى لارى دوجلاس فريدريك ستافروس يتنهد خلسة ويتنفس الصعداء . كان كابوسه الدائم أن تخرج نويل براءة وتتم إدانة موكله ، لأنه إذا حدث ذلك فسيكون أضحوكة زملائه المحامين . كان ستافروس يبحث عن طريقة للتعليق بدفاع شوتاس وهامى قد جاءت الفرصة دون

عناء عن طريق ربط مصير المتهمين معاً بحيث يكون الدفاع عن نويل دفاعاً عن موكله . إذا ربح ستافروس القضية فسيغير مستقبله تماماً ويحقق كل أحلامه ، ولقد امتلأ بالعرفان والتقدير لأستاذه القديم شوتاس .

ولاحظ ستافروس أن أعضاء هيئة المحلفين ينصتون باهتمام لكل كلمة يقولها شوتاس .

قال شوتاس بإعجاب : " تلك السيدة لا تهتم بالماديات ، فهي رغبت في التضحية بكل شيء دون تردد من أجل الرجل الذي أحبته وتلك ليست شخصية قاتلة ومدبرة جرائم بالتأكيد يا أصدقائي " .

بينما استمرت مراقبة شوتاس تحولت انفعالات المحلفين إلى التعاطف الظاهر مع نويل . رسم لهم شوتاس صورة المرأة الجميلة عشيقة أقوى وأغنى رجل في العالم وكان يندق عليها بكرمه وفي النهاية رضخت واستسلمت لحب طيار فقير عرفته لفترة قصيرة .

كان شوتاس يلعب على وتر مشاعر المحلفين وكأنه عازف محترف ، ويجعلهم يضحكون ويبكون ويستحوذ على انتباههم تماماً . عندما انتهى دفاعه عاد على استحياء لمكانه وجلس لكي يوقف الناس من التصفيق له .

* * *

كان لارى دوجلاس في قفص الاتهام ينصت لـ " شوتاس " وهو يدافع عنه وكان غاضباً جداً . إنه ليس بحاجة إلى دفاع لأنه لم يقم بأية جريمة والمحاكمة خطأ فادح واللوم يقع على نويل فلقد كانت تلك فكرتها . نظر إليها ووجدوها جميلة وهادئة لكنه لم يرغب فيها بل شعر بذكرى خافتة لعشق قديم وتعجب كيف عرض حياته للخطر من أجل مجرد امرأة . جال ببصره إلى منصة الصحفيين فوجد صحفية في العشرينات تحدد إليه قايتم لها ابتسامة خفيفة فاستنار وجهها .

كان ديمونيديس يستجوب أحد الشهود .

" ما اسمك ؟ "

" أليكسيس مينوس " .

" ما عملك ؟ "

" محام " .

" هلا نظرت للمتهمين في قفص الاتهام يا سيد مينوس ، هل رأيت

أحدهما من قبل ؟ "

" نعم أحدهما فقط " .

" من ؟ "

" الرجل " .

" السيد لارى دوجلاس ؟ "

" هذا صحيح " .

" هلا أخبرتنا من فضلك في أى ظروف قابلته ؟ "

" جاء لكتبى منذ ستة أشهر " .

" هل جاء لاستشارتك فى مسألة قانونية ؟ "

" نعم " .

" هلا أخبرتنا بها ؟ "

" طلب منى الحصول على الطلاق من زوجته " .

" هل وكلك من أجل تلك المهمة ؟ "

" كلا ، فعندما شرح لى الوضع والظروف أخبرته أنه من المستحيل

أن يحصل على الطلاق فى اليونان " .

" وما هذه الظروف ؟ "

" قال إن الطلاق يجب أن يظل سرياً بدون إشهار والسبب الثانى أن

زوجته لا توافق على الطلاق " .

" هل طلب منها الانفصال بالطلاق فرفضت ؟ "

" هذا هو ما قاله لى " .

" هل شرحت له أنك لا يمكنك مساعدته وأنه إذا لم ترغب الزوجة في الطلاق ، فسيكون من الصعب أو المستحيل أن يطلقها بموجب القانون ، وقد يلزم الأمر الإشهار ؟ "

" نعم . "

" إذن لم يكن هناك بديل عن الإجراءات الياثسة سوى القتل . "

" اعتراض ! "

" الاعتراض مقبول ! "

" استجوب الشاهد يا محامي الدفاع "

قام شوتاس من مقعده وتنهّد وسار بخطى بطيئة نحو الشاهد . لم يقلق ديمونيديس لأن مينيوس محام بارع لن تخدعه حيل شوتاس .

قال شوتاس : " أنت محام يا سيد مينيوس . "

" نعم . "

" ومحام بارع بالتأكيد ، وأنا مندهش لأننا لم نتقابل من قبل في قضية ما ، فشركتي القانونية تتعامل مع عدة فروع قانونية ربما قابلت بعض شركائي في أى قضية خاصة بالشركات ؟ "

" كلا فأنا لا أعمل في القضايا الخاصة بالشركات . "

" آه ، ربما تعمل في قضايا الضرائب ؟ "

" كلا . "

بدا الارتباك وعدم الراحة على وجه شوتاس وكأنه يصطنع الحماسة والغباء . " إذن في مجال الأمن ؟ "

" كلا " بدأ مينيوس يستمتع بإحراج وإهانة شوتاس ، وبدت على وجهه نظرة الواثق من نفسه ومن مهارته أما ديمونيديس فقد سرى بداخله القلق ، لقد رأى تلك النظرة على وجوه الكثيرين من الشهود قبل أن يربكهم شوتاس ويدحض أقوالهم ويجعلها تتضارب .

حك شوتاس رأسه في حيرة وقال بصراحة : " إذن ، ما هو تخصصك القانوني ؟ "

قال بصوت واضح وببطء للتشفي والشماتة : " محامى قضايا طلاق . "

بدت على وجه شوتاس نظرة حزن وهز رأسه قائلاً : " كان يجب أن أعرف أن وكيل النيابة قد أحضر متخصصاً . "

" شكراً يا سيدى " ولم يخف مهارته وإعجابه بذكائه الآن . تلك فرصة لا تتاح لكل شاهد أن يسخر من شوتاس وفي ذهنه الآن قصة رائعة يجعلها ويزيد تفاصيلها ليقولها لأصحابه في النادى الليلة .

قال شوتاس بإحراج : " لم أترافع في قضية طلاق من قبل ، ولذلك سأحيل الأمر للخبراء . "

كان المحامى القدير يستسلم تماماً وهذا يجعل القصة أجمل لـ " مينيوس " مما كان يتوقع .

قال شوتاس : " لا بد أنك مشغول جداً في قضاياك . "

" أنا آخذ عدد القضايا الذى يمكننى التعامل معه . "

قال شوتاس بإعجاب : " بالقدر الذى يمكنك التعامل معه . "

" أحياناً أكثر . "

نظر ديمونيديس للأرض لأنه توقع ما سيحدث .

قال شوتاس برهبة : " لا أريد التدخل فى شئون عملك يا سيد

مينيوس لكن من باب الفضول المهنى ، كم عميلاً لديك فى العام الواحد ؟ "

" من الصعب معرفة ذلك . "

" لا تكن متواضعاً يا سيد مينيوس ، خمن . "

" ربما ٢٠٠ عميل تقريباً . "

" مائتا عميل سنوياً ! لا بد أن الأعمال الكتابية وحدها مرهقة

ل للغاية . "

" حسناً ، ليس مائتي عميل بالضبط " .

قال شوتاس بارتباك وهو يحك ذقنه : " ماذا ؟ " .

" ليست كلها قضايا طلاق " .

قال شوتاس وقد بدا الارتباك على وجهه : " ألم تقل أنك تتعامل

مع قضايا الطلاق فقط ؟ " .

" نعم لكن ما أعنيه أن الطلاق لا يقع في كل حالة " .

" لكن أليس هذا سبب لجوء الناس إليك ؟ " .

" نعم لكن بعضهم يعدل عن إصراره على الطلاق لسبب أو لآخر " .

أوماً شوتاس عندما فهم فجأة وقال : " آه ! تعنى أن بعضهم

يتوصل للصلح مثلاً ؟ " .

" بالضبط " .

" إذن ما تقوله هو - مثلاً - أن ١٠٪ من العملاء لا يحصلون على

الطلاق نتيجة الصلح ؟ " .

قال مینوس وهو يتقلب في مقعده في عدم ارتياح : " بل النسبة

أعلى من ذلك " .

" إلى أى مدى ؟ ١٥٪ ، ٢٠٪ ؟ " .

" بل أقرب لـ ٤٠٪ " .

حدق إليه شوتاس في دهشة : " هل تقول يا سيد مینوس إن حوالى

نصف الناس ممن يأتون إليك لا يحصلون على الطلاق لأنهم يعدلون عن

هذا القرار ؟ " .

" نعم " .

تصيب العرق من جبهة مینوس والتفت إلى ديمونيديس الذى ظل

يحدق إلى الأرضية الخشبية .

قال شوتاس : " إننى متأكد من أن ذلك ليس نقص ثقة فى

قدراتك " .

قال مینوس مدافعاً : " بالتأكيد لا ، فقد يأتى الناس لى باندفاع

أحمق ، قد يتشاجر زوجان وتنمو بينهما الكراهية ويرغبان فى الطلاق

وبعد أن يهدأ الموقف يعدلان عن هذا " . ثم توقف فجأة عندما انتبه

لتأثير كلامه .

قال شوتاس : " شكراً ، لقد كنت خير معين لى " .

* * *

كان ديمونيديس يستجوب الشاهد التالى :

" ما اسمك ؟ " .

" كاستا ، إيرينى كاستا " .

" آنسة أم مدام ؟ " .

" مدام ، فأنا أرملة " .

" ما عملك ؟ " .

" مديرة منزل " .

" أين تعملين ؟ " .

" لدى أسرة ثرية فى قرية رافينا " .

" إنها قرية صغيرة تطل على الساحل ، أليس كذلك ؟ على بعد

١٠٠ كيلومتر شمال أثينا ، صحيح ؟ " .

" بالطبع " .

" هلا نظرت للمتهمين فى قصص الاتهام ؟ هل رأيتهما من قبل ؟ " .

" بالتأكيد ، كثيراً " .

" هلا أخبرتنا بملاحظات الموقف ؟ " .

" كانا يعيشان بالفيلا المجاورة للفيلا التى أعمل بها ورأيتهما

عاريين على الشاطئ كثيراً " .

شهق الحضور ثم سرت همهمة بينهم ، ألقى ديمونيديس نظرة

سريعة إلى شوتاس ليرى هل سيعترض أم لا لكنه وجده جالساً يبتسم

وكانه في حلم ، مما جعل ديمونيديس متوتراً أكثر لكنه واصل استجواب الشاهدة .

" هل أنت متأكدة من رؤيتك لهما ؟ فلقد أقسمت اليمين كما تعلمين ؟ "

" نعم ، إنني متأكدة . "

" هل عندما كانا على الشاطئ هل كانت العلاقة بينهما حميمية ؟ "

" حسناً ، لم يكونا كأخ وأخته . "

ضجعت القاعة بالضحك .

قال ديمونيديس : " شكراً لك ، استجوب الشاهدة يا شوتاس " أوما شوتاس بود وقام وسار بخطى سريعة للسيدة المهيبة في منصة الشهود .

" منذ متى وأنت تعملين في هذه الفيلا يا مدام كاستا ؟ "

" منذ سبعة أعوام . "

" سبعة أعوام ! لا بد أنك ماهرة جداً في عملك . "

" بكل تأكيد . "

" ربما تزكين لي مديرة منزل ، فأنا كنت أفكر في شراء فيلا في رافينا لكن المشكلة في الخصوصية ، والفيلات هناك متلاصقة ومتجاورة جداً . "

" كلا يا سيدي كل فيلا محاطة بسور كبير "

" رائع ، فهي ليست متجاورة جداً ؟ "

" كلا ، كل فيلا على بعد ١٠٠ ياردة من الأخرى وأعرف واحدة معروضة للبيع وستتمتع فيها بالخصوصية وأزكي لك أختي كمديرة منزل فهي ماهرة ومنظمة وتجيد الطهي "

" شكراً يا مدام كاستا ، فهذا يبدو رائعاً ، ربما سأخبر أختك هاتفياً وقت العصر . "

" إنها تعمل يومياً وستعود في الساعة السادسة . "

" كم الوقت الآن ؟ "

" لا أرتدى ساعة يد "

" توجد ساعة حائط عبر القاعة . "

" إنها بعيدة ولا يمكنني رؤيتها جيداً . "

" ما المسافة التي بينك وبين الساعة ؟ "

" حوالي - إجم - ٥٠ قدم "

" بل ٢٣ قدماً يا مدام كاستا . شكراً لا يوجد المزيد من الأسئلة . "

في اليوم الخامس للمحاكمة ، شعر د . كاتس بألم في موضع ساقه المبتورة . عندما كان يجري جراحاته المتعددة كان يقف على رجل صناعية لساعات متواصلة ولم يزعجه ذلك . لكن الآن مجرد الجلوس بدون التركيز الشديد لإلهاء انتباهه عن الألم ، فإن الأعصاب ترسل رسائل للذاكرة بأنه لا توجد ساق الآن ، وظل يتقلب في مقعده ويحاول تقليل الضغط على وسطه ولقد حاول رؤية نويل وزيارتها كل يوم منذ وصوله لأثينا لكن بلا فائدة . وتحدث مع شوتاس فقال له إن نويل متوترة ولا تريد مقابلة أحد إلا بعد انتهاء المحاكمة . قال له كاتس إنه يريد مساعدتها إذا احتاجته لكنه ليس متأكداً هل وصلت لها تلك الرسالة أم لا ، فكان يجلس في قاعة المحكمة يوماً بعد يوم ويأمل أن تنظر إليه لكنها لم تلق بأية نظرة للحضور .

إن كاتس مديون لها بحياته ولذلك شعر بالإحباط لأنه لن يتمكن من سداد الدين . لم يدر كيفية سير المحاكمة وهل سيتم تبرئه ساحتها أم سيتم إدانتها . لكنه علم من شوتاس أنه يوجد حكمان لا ثالث لهما : البراءة أو الإدانة . إذا تم الحكم بالبراءة فسيطلق سراحها ، وإذا تمت إدانتها فسوف تعدم .

جاء شاهد آخر وحلف اليمين .

" ما اسمك "

" كريستيان باربيه "

" أنت مواطن فرنسي أليس كذلك ؟ "

" نعم "

" أين تسكن ؟ "

" في باريس "

" ما عملك ؟ "

" أنا صاحب وكالة استخبارات سرية "

" أين المقر الرئيسي لوكالتك ؟ "

" في باريس "

" ما نوع القضايا التي تتولاها ؟ "

" كثير جداً ... الاختلاس ، المفقودين ، مراقبة الأزواج والزوجات

الغيورين على شركاء حياتهم ... "

" هلا تفحصت الحضور وأخبرتنا هل كان منهم من لجأ

لخدماتك ؟ " . تفحص باربيه القاعة ببطء ثم قال :

" نعم يا سيدي "

" من ؟ "

" السيدة الجالسة هناك : " نويل باج "

سرت مهمة وسط الحضور نتيجة الإثارة لهذا الخبر .

" هل تقول إنها استأجرت خدماتك للقيام بالتحري ؟ "

" نعم يا سيدي "

" هلا أخبرتنا بنوع العمل الذي طلبته منك ؟ "

" كانت مهمة بشخص يدعى لارى دوجلاس وأرادت معرفة كل

شيء عنه "

" هل هو نفس الشخص الحاضر الآن ؟ "

" نعم يا سيدي "

" هلا نظرت لتلك الإيصالات ، هل هى خاصة بنقود تم

دفعها لك ؟ "

" هذا صحيح "

" أخبرنا كيف كنت تتوصل لمعلومات عن السيد دوجلاس "

" كان هذا أمراً صعباً يا سيدي ، فأنا أعيش في فرنسا وكان السيد

دوجلاس في إنجلترا ولاحقاً في الولايات المتحدة وكانت فرنسا واقعة

تحت الاحتلال النازى ... "

" نعم ؟ "

" قلت إن فرنسا كانت واقعة تحت الاحتلال النازى ... "

" لحظة واحدة ، أريد أن أتأكد من أنني أفهمك يا سيد باربيه فيما

ذكرته . لقد أخبرنا محامى نويل باج أنها تقابلت مع لارى دوجلاس

منذ بضعة أشهر ووقعاً في الحب والآن أنت تقول أن العلاقة بدأت -

منذ متى ؟ "

" منذ ٦ سنوات على الأقل "

سرى الهرج والمرج في القاعة .

قال ديمونيديس لـ " شوتاس " وهو ينظر له بانتصار : " دورك فى

استجواب الشاهد "

فرك شوتاس عينيه وقام من مجلسه وسار حتى منصة الشهود .

قال شوتاس : " لن أعطلك كثيراً يا سيد باربيه فلابد أنك قلق

وتريد العودة لعائلتك فى فرنسا "

قال باربيه بثقة : " خذ ما تريد من الوقت يا سيدي "

" شكراً لك . سامحنى على فضولى الشخصى ، لكن حلتك تبدو

فاخرة يا سيد باربيه . "

" شكراً لك يا سيدي "

" لقد صنعت فى باريس أليس كذلك ؟ "

" نعم يا سيدى . "

" إنها فاحرة وأنيقة ، ليس لدى أى حظ فى الحُل . هل جربت الحياكة الإنجليزية ؟ فهم ماهرون جداً فى تلك الأمور . "

" كلا يا سيدى . "

" إننى متأكد من أنك زرت لندن عدة مرات أليس كذلك ؟ "

" كلا . "

" أبداً ؟ "

" لم أذهب إلى لندن أبداً . "

" هل زرت جنوب المحيط الهادى ؟ "

" كلا يا سيدى . "

" لا بد أنك مخبر سرى رائع يا سيد باربيه وأنا أرفع قبعتى تحية لك ، فتقاريرك عن لارى دوجلاس من إنجلترا وأمريكا وجنوب المحيط

الهادى - ومع ذلك لم تسافر أبداً لتلك الأماكن . فهل أفترض أنك تصل

للمعلومات عن طريق الروحانيات الباطنية والتكهن الروحانى ؟ "

" دعنى أوضح لك يا سيدى ، ليس من الضرورى لى الذهاب لتلك

الأماكن فأنا أؤجر مراسلين ومخبرين سرّيين ليعملوا لحسابى فى أى

مكان . "

" سامحنى على غبائى ، بالطبع هذا ما حدث ! وهل هؤلاء الناس

هم من كانوا يخبرونك بأنشطة لارى دوجلاس ؟ "

" بالضبط . "

" لكنك لم تعرف معلومات عن تحركاته بشكل مباشر وشخصى ؟ "

" كلا يا سيدى . "

" إذن كل المعلومات كانت منقولة من أطراف أخرى . "

" نعم إلى حد ما يا سيدى . "

" أنا أطلب يا حضرات السادة الأفاضل باستبعاد شهادة هذا الشاهد

لأن كل كلامه إشاعات لا سند لها . "

قفز ديمونيديس من مقعده وصاح : " أعترض يا حضرات القضاة

فلقد قامت نويل باج باستئجار خدمات السيد باربيه للحصول على

معلومات عن لارى دوجلاس وهذه ليست إشاعة ... "

قال شوتاس بهدوء : " المستندات التى قدمتها كدليل لا تكفى وأنا

سأقبل شهادة هذا الرجل إذا أحضر لنا من كانوا يتابعون تحركات لارى

دوجلاس وإلا فسأفترض أن المتابعة لم تحدث وأطلب استبعاد

شهادته . "

قال القاضى لـ " ديمونيديس " : " هل أنت على استعداد لإحضار

هؤلاء الشهود ؟ "

قال ديمونيديس متلعثماً : " هذا مستحيل فالأمر سيستغرق أسابيع

والسيد شوتاس يعلم ذلك ! "

قال القاضى : " يتم استبعاد شهادة هذا الشاهد . "

قال ديمونيديس مستجوباً شاهد آخر :

" ما اسمك ؟ "

" جورج موسون . "

" ما عملك ؟ "

" إننى موظف الاستقبال فى فندق بالاس فى أيوتينا . "

" هلا نظرت للمتهمين ، هل رأيتهما من قبل ؟ "

" رأيت الرجل فقط وكان من نزلاء الفندق فى أغسطس الماضى . "

" هل تقصد السيد دوجلاس ؟ "

" نعم يا سيدى . "

" هل جاء للفندق بمفرده ؟ "

" كلا يا سيدى . "

" من كان معه ؟ "

" زوجته . "

" كاثرين دوجلاس ؟ "

" نعم يا سيدى ؟ "

" هلا سجلا اسميهما كزوج وزوجة ؟ "

" نعم يا سيدى "

" هل تناقش معك لارى دوجلاس عن كهوف بيراما ؟ "

" نعم يا سيدى "

" هل أنت من بادرته بالنقاش أم هو ؟ "

" بل هو كما أذكر ، فلقد سألتني عنها وقال إن زوجته تريد الذهاب

إلى هناك بلهفة ، فهي تحب الكهوف واعتقدت أن هذا شيء غريب "

" لماذا ؟ "

" النساء لا يهتممن بالاستكشاف وما إلى ذلك "

" هل ناقشت الأمر مع مدام دوجلاس فى أى وقت ؟ "

" كلا مع زوجها فقط "

" وما الذى قلته له ؟ "

" قلت له إن الكهوف خطيرة "

" هل ذكرت له أنه يمكنه استئجار مرشد ؟ "

" نعم وأنا متأكد من أننى اقترحت ذلك لأننى أقول ذلك لكل نزلاء

الفندق "

" لا مزيد من الأسئلة ، دورك يا سيد شوتاس فى استجواب

الشاهد "

" منذ متى وأنت تعمل فى الفنادق يا سيد موسون ؟ "

" أكثر من ٢٠ عاماً "

" هل كنت طبيباً نفسياً قبلها ؟ "

" إننى ... ! كلا يا سيدى "

" أو محللاً نفسياً ؟ "

" كلا يا سيدى "

" إذن فأنت لست خبيراً فى سلوك النساء "

" ربما لست محللاً نفسياً ، لكن فى مجال الفندقية يتعلم المرء الكثير

عن النساء "

" هل تعرف من تدعى أوزا جونسون ؟ "

" كلا "

" إنها مستكشفة شهيرة على مستوى العالم . هل سمعت عن

ايميلينا إبرهريت ؟ "

" كلا يا سيدى "

" مارجريت ميد ؟ "

" كلا يا سيدى "

" هل أنت متزوج يا سيد موسون ؟ "

" حالياً لا ، لكنى تزوجت وطلقت ٣ مرات وبالتالى فأنا خبير فى

النساء ، وتمكنت من الاحتفاظ بزيعة واحدة . لا مزيد من الأسئلة "

* * *

" قال ديمونيديس : " ما اسمك ؟ "

" كريستوفر كوسيانيس "

" ما عملك ؟ "

" أنا مرشد فى كهوف بيراما "

" منذ متى وأنت فى هذا العمل ؟ "

" عشرة أعوام "

" هل ييسر العمل على ما يرام ؟ "

" جداً جداً ، فآلاف السائحين يأتون للكهوف كل عام "

" هلا نظرت للمتهم فى قفص الاتهام . هل رأيته من قبل ؟ "

" نعم فقد جاء للكهوف فى أغسطس الماضى "

" هل أنت متأكد ؟ "

" متأكد للغاية "

" هذا يحيرنا يا سيد كوسيانيس ، هل مازلت تتذكر شخصاً واحداً من ضمت آلاف السائحين للكهوف ؟ "

" من الصعب نسيانه . "

" لماذا ؟ "

" لأنه لم يلجأ لخدمات المرشد . "

" هل كل الزوار يستأجرون مرشداً ؟ "

" الألمان والفرنسيون يخلأ لكن كل الأمريكيان يفعلون ذلك . "

ضجت القاعة بالضحك .

" فهمت ، لكن هل يوجد سبب آخر يجعلك تذكر السيد دوجلاس ؟ "

" بكل تأكيد ، لم أكن لألاحظه سوى بسبب رفضه للمرشد ، حيث شعرت زوجته بالإحراج عندما رفض المرشد . لاحقاً رأيته يهرع خارج فتحة الكهف وكان في شدة الاضطراب وظننت أن زوجته قد تعرضت لحادث أو ما شابه ذلك . فذهبت إليه وسألته هل السيدة بخير فحدثني بشكل غريب وقال : " أى سيدة ؟ " فقلت له : " السيدة التي اصطحبتها للكهف " . فشحب وجهه وظننت أنه سيضربني لكنه بدأ في الصراخ : " لقد فقدتها وأحتاج للمساعدة " وبدأ كالمجنون . "

" لكنه لم يطلب المساعدة إلا عندما سألته عن السيدة ؟ "

" هذا صحيح . "

" ما الذى حدث بعد ذلك ؟ "

" نظمت فريقاً من المرشدين وبدأنا البحث ، قام أحقق برفع لافتة " خطر " من الجزء الجديد من الكهف فهو ليس مفتوحاً للعمامة ووجدناها هناك بعد حوالى ثلاث ساعات وكانت في حالة سيئة . "

" سؤال أخير ، أجبه بكل حرص وصراحة ، عندما خرج لارى دوجلاس من الكهف لأول مرة هل كان يبحث عن يساعده أم كان يهيم بمغادرة المكان . "

" بل كان يهيم بمغادرة المكان . "

" دور الدفاع فى استجواب الشاهد . "

قال شوتاس بصوت هادئ : " هل أنت طبيب نفسى يا سيد كوسيانيس ؟ "

" كلا يا سيدى فأنا مرشد . "

" وأنت لست روحانياً ؟ "

" بالتأكيد لست كذلك . "

" إننى أسأل ذلك لأنه فى تلك المحاكمة التى استمرت لأسبوع حتى الآن وجدنا موظف فندق يدعى خبرته فى علم النفس وشهوداً يعانون من قصر النظر ، والآن تقول لنا إن دوجلاس لفت نظرك لأنه بدا مضطرباً ، وكأنك تقرأ ما فى ذهنه فكيف علمت أنه لم يكن يبحث عن مساعدة إلا عندما تحدثت إليه ؟ "

" لم يبد عليه السعى فى طلب المساعدة ، بل كان سيغادر المكان "

" هل تذكر سلوكه جيداً ؟ "

" بالطبع . "

" لا بد أن لديك ذاكرة متميزة ، أريدك أن تنظر إلى القاعة هل رأيت أحداً من الناس هنا قبل اليوم ؟ "

" المتهم . "

" وغيره ، خذ وقتك فى التفكير . "

" كلا . "

" هل إذا رأيت أحداً من قبل من الحضور كنت ستتعرف عليه ؟ "

" بكل تأكيد . "

" هل قابلتني قبل اليوم ؟ "

" كلا يا سيدى . "

" هلا نظرت لهذه الورقة ، هل تعرف ما هى ؟ "

"إنها تذكرة".

"تذكرة ماذا؟"

"لدخول كهوف بيراما".

"ما هو التاريخ المدون عليها؟"

"الاثنين منذ ٣ أسابيع".

"نعم فأنا من اشتريتها واستخدمتها يا سيد كوسيانيس مع خمسة من أصدقائي وكنت مرشدنا في رحلة الكهف. لا يوجد المزيد من الأسئلة".

"ما مهنتك؟"

"إنني حامل الحقائق في فندق بالاس في أيوتينا".

"هلا نظرت للمتهمين، هل رأيتهما من قبل؟"

"نعم رأييت السيدة في السينما".

"هل رأيتهما في الحقيقة قبل اليوم؟"

"نعم، جاءت للفندق وسألت عن حجرة السيد دوجلاس وأخبرتها أن تسأل موظف الاستقبال فقالت إنها لا تريد إزعاجه فأعطيتها رقم الكوخ".

"متى؟"

"أول يوم من أغسطس يوم العاصفة العاتية".

"هل أنت متأكد من أنها نفس السيدة؟"

"كيف أنساها؟ لقد أعطتني بقشيشاً قيمته مائتا دراخمة".

بدأ الأسبوع الرابع للمحاكمة واتفق الجميع على أن شوتاس يدافع بشراسة وقدم أفضل دفاع شاهدوه في حياتهم. لكن على الرغم من ذلك كانت شباك الإدانة تحاك وتضيق أكثر وأكثر.

رسم ديموتيديس صورة عشيقين ينسا من الزواج بسبب عقبة وجود زوجة، ويوما بعد آخر كان يزيد من شرح خطتهما لقتلها. ترك ستافروس محامي دوجلاس موضعه لـ "شوتاس" معتمداً عليه تماماً لكنه شعر أن البراءة تحتاج لمعجزة. حدد ستافروس في المقعد الخالي في قاعة المحكمة وتساءل هل سيأتي ديميريس أم لا. إذا تمت إدانة نويل فغالباً لن يأتي لأن ذلك معناه هزيمته. ومن ناحية أخرى إذا كان يعلم أنها ستحصل على البراءة فغالباً سيظهر، لذا أصبح المقعد الخالي رمزاً لسير المحاكمة. لكنه ظل خالياً.

وجاء يوم الحسم في النهاية.

"ما اسمك؟"

"د. جون كلاوميديس".

"هل قابلت السيد دوجلاس أو زوجته؟"

"نعم. كلاهما".

"ماذا كانت المناسبة؟"

"تم استدعائي للذهاب لكهوف بيراما لأن هناك امرأة فقدت هناك ووجدتها فريق البحث وكانت تعاني من صدمة عصبية".

"هل كانت تعاني من الناحية البدنية؟"

"نعم، عدة سحبجات وكدمات، فقد احتكت يداها وذراعاها وخداها في الصخور ووقعت على رأسها وشخصت حالتها ارتجاجاً في المخ وأعطيتها حقنة مورفين للتخلص من الألم وأمرت بنقلها للمستشفى".

"وهل ذهبت فعلاً للمستشفى؟"

"كلا يا سيدى".

"هلا أخبرت هيئة المحلفين السبب؟"

" أصر زوجها على إعادتها للكوخ فى فندق بالاس "

" هل كان ذلك غريباً أيها الطبيب ؟ "

" قال إنه يريد العناية بها بنفسه "

" إذن عادت مدام دوجلاس للفندق . هل اصطحبتهإلى هناك ؟ "

" نعم وأصررت على ذلك وعلى بقاءى معها فى الكوخ لكى أكون معها عندما تفيق "

" هل كنت معها عندما أفاقت ؟ "

" نعم "

" هل قالت أى شىء لك ؟ "

" نعم "

" هلا أخبرتنا به ؟ "

" قالت إن زوجها حاول قتلها "

مرت خمس دقائق قبل أن تهدأ الضجة بين الحضور بأمر القاضى الذى هدد بإخلاء القاعة إذا لم يلتزم الجميع الهدوء . سار شوتاس لـ " نويل " سريعاً وتبادل معها حواراً قصيراً وبدأت حزينة لأول مرة . واصل ديمونيديس استجوابه للشاهد .

" ذكرت أيها الطبيب فى شهادتك أن مدام دوجلاس كانت فى حالة صدمة عصبية . فى رأيك المهنى كطبيب هل كانت مدام دوجلاس فى حالة عقلية سليمة عندما قالت لك إن زوجها حاول قتلها ؟ "

" نعم ؛ فلقد أعطيتها عقاراً مسكناً عندما كانت فى الكهف وكانت هادئة إلى حد ما ؛ وعندما أخبرتها أننى سأعطيها مسكناً آخر لكى تنام ؛ اضطربت بشدة وتوسلت بآلا أفعل ذلك "

قال القاضى : " ألم تذكر لك السبب ؟ "

" نعم ، يا سيادة القاضى ، فقد قالت إن زوجها سيقتلها وهى نائمة "

قال القاضى لـ " ديمونيديس " بعد أن اعتدل فى جلسته : " استمر فى استجواب الشاهد "

" هل أعطيتها المسكن بالفعل للمرة الثانية ؟ "

" نعم "

" وهى على فراشها فى الكوخ ؛ أليس كذلك ؟ "

" نعم "

" كيف أعطيتها لها ؟ "

" بالحقن "

" هل كانت نائمة عندما غادرت الكوخ ؟ "

" نعم "

" هل توجد فرصة لكى تستيقظ فى أى وقت وترتدى ملابسها وتخرج بلا مساعدة من الكوخ ؟ "

" فى حالتها ؟ كلا ، فهذا أمر غير وارد لأن المسكن كان قوياً "

" هذا كل شىء ، شكراً لك أيها الطبيب "

نظر المحلفون بعيون باردة تنم عن العداوة إلى نويل ولارى . وقد بدا من الواضح والبديهى لأى فرد إلى أى مسار اتجهت القضية .

برقت عينا بيل فريزر من الرضا . بعد شهادة د. كلاوميديس لا يوجد مجال للشك فى أنهما قتلا كاثرين . لن يتمكن شوتاس من فعل أى شىء لإقناع المحلفين بنفى الصورة الذهنية لامرأة منومة وخائفة ولا يمكنها الدفاع عن نفسها تتوسل للطبيب لكى لا يتركها بين يدي قاتلها .

كان ستافروس فى حالة فزع ، لأنه اتبع شوتاس فى ثقة عمياء به لأنه سيحصل على البراءة لموكلته وبالتالى لموكله . شعر بالخيانة الآن وأن كل شىء ينهار ويتهاوى . كانت شهادة الطبيب لها أثر سلبي لسير القضية لتأثيرها كدليل وتأثيرها الانفعالى على المحلفين . فحصى ستافروس القاعة بعينيه فوجدها ممتلئة عن آخرها بالناس والصحافة عدا

قال شوتاس لـ " نويل " : " لم يكن من السهل الاتفاق مع القضاة ، ولكن - بكل صراحة - فإن السبب الأساسي لتساهلهم معك هو اهتمامهم بـ " ديميريس " لأنه عانى من كل الإشاعات بدون داع ويودون عمل كل ذلك لراحته .
قالت نويل : " أتفهم ذلك " .
قال شوتاس بتردد : " هناك شرط آخر " .
نعم ؟ "

" سيحتفظ ديميريس بجواز سفره ولن تغادر اليونان أبداً وستظلي تحت حمايته " .
وهكذا قضى الأمر .

هذا هو اتفاق ديميريس . لم تصدق نويل أن القضاة قلقون بشأنه كرجل مهم لكنه دفع لهم من أجل حريتها ، بالتأكيد كان الثمن باهظاً . لقد رتب ديميريس للأمر بحيث لا تفارقه نويل أبداً ولن ترى لارى أبداً . نظرت إلى لارى ولاحظت في وجهه الارتياح لأنه سيطلق سراحه وهذا كل ما كان يهتم به ، فهو غير نادم على فقدانها أو على ما حدث لكنها فهمته لأنه بمثابة الأنا العليا لها ، كلاهما يعيش الحياة ولا يشبعان منها أبداً . كانت روحاهما متشابهتين وكأنهما مخلصان في هذا العالم إلى الأبد ، فهما فوق القانون الذى لم يضعاه ولن يلتزما به أبداً . ستفتقد لارى كثيراً ، لكنها تقدر الحياة الغالية الآن وتخاف الموت . ولذلك فإنها صفقة رابحة وقبلتها بامتنان وقالت لـ " شوتاس " : " هذا يرضيني " .

نظر إليها شوتاس برضا مشوب بحزن . فهبت نويل السبب ، لأنه وقع في حبها ويستخدم مهاراته لكي ينقذها من أجل رجل آخر . شجعت نويل عمداً على أن يقع في غرامها لأنها تحتاجه لكيلا يتأخر عن القيام بأى شيء لإنقاذها ، وما قد نجحت .
قال ستافروس : " أعتقد أن كل شيء رائع للغاية " .

شعر ستافروس أن الأمر معجزة ، فهذا الحكم جيد كالبراءة تماماً ، ولكن على الرغم من أن معظم الفائدة ستعود لـ " شوتاس " لكن ما سيتبقى له سيكون رائعاً ، سيحظى ستافروس بزيائن أثرياء ودوره سيكبر في المحاكم وسوف يسطع نجمه في عالم الصحافة .
قال لارى : " العرض رائع لكن فى الواقع نحن لسنا مذبين فنحن لم نقتل كاثرين " .

قال له ستافروس بغضب جامح : " من يكثر هل أنت مذب أم لا ؟ " . ثم صاح : " نحن نقدم لك حياتك وحريتك دون مقابل ! " .
نظر سريعا لـ " شوتاس " ليرى وقع كلمة " نحن " عليه ، لكنه وجده يستمع فى حياد تام .

قال شوتاس لـ " ستافروس " : " يجب أن تفهم أننى أنصح موكلتى وموكلك حر فيما يريد " .

قال لارى : " ماذا سيحدث لنا بدون هذا الاتفاق ؟ "

قال ستافروس : " سيتولى المحلفون ... "

قال لارى بوقاحة : " أريد سماع رأيه هو " والتفت لـ " شوتاس " .
قال شوتاس : " المهم فى أى محاكمة يا مستر دوجلاس ليس أن تكون بريئاً أو مذنباً بل الانطباع بأن تكون بريئاً أو مذنباً . لا توجد حقيقة مطلقة ، بل تفسيرات مختلفة للحقيقة . فحتى لو كنت بريئاً فإن المحلفين لديهم انطباع بأنك مذنب وهذا سيدفعك للإعدام " .
نظر إليه لارى لبرهة وقال : " حسناً ، لننته من الأمر " .

بعد ربع ساعة مثل المتهمان أمام القاضى الذى جلس عن يمينه ويساره المستشاران . كان شوتاس يقف بجوار نويل وستافروس بجوار لارى دوجلاس . كان التوتر يملأ الجو والناس فى القاعة ، لأن الجميع شعر بتطورات حادة فى الموقف . لكن ما حدث باغت الجميع وكان مفاجأة مذهلة . بصوت رسمى وهادئ وكأنه لم يعقد اتفاقاً مع القضاة

قال شوتاس : " حضرات السادة القضاة ، تود موكلتي الاعتراف بأنها مذنبه " .

حدق القاضي في دهشة لـ " شوتاس " وكأنه يسمع لأول مرة هذا الحوار .

فكرت نويل : " إنه قاض يتقن التمثيل ، لا بد أنه يخدم ديميريس من أجل المال أو أية مصلحة أخرى " .

تشااور القاضي مع المستشارين في همس وقال لـ " نويل " : " هل تريد الاعتراف بأنك مذنبه ؟ " .

أومأت نويل وقالت بثبات : " نعم " .

تحدث ستافروس سريعا وكأنه لا يريد أن يكون خارج الصورة : " موكلتي يرغب في الاعتراف بأنه مذنب أيضا " .

قال القاضي لـ " لارى " : " هل تريد الاعتراف بأنك مذنب ؟ " . نظر لارى لـ " شوتاس " وقال : " نعم " .

حدق القاضي وتفرس في وجه لارى ونويل وكان وجهه يتسم بالجدية ثم قال : " هل نصحكما المحاميان بأن الاعتراف بالقتل المتعمد مع سبق الإصرار والترصد جريمة عقوبتها الإعدام ؟ " .

قالت نويل بصوت هادئ وواضح : " نعم يا سيدى القاضي " .

نظر القاضي إلى لارى الذى قال بدوره : " نعم يا سيدى القاضي " . قال القاضي لـ " ديمونيديس " : " هل لدى النيابة اعتراض على هذا ؟ " .

نظر ديمونيديس لـ " شوتاس " لبرهة ثم قال : " كلا يا حضرة القاضي " .

تساءلت نويل هل تقاضى وكيل النيابة رشوة من ديميريس أم يتم استخدامه كقطعة الشطرنج في اللعبة الكبرى .

قال القاضي : " ليس أمام المحكمة سوى قبول اعتراف المتهمين . ثم قال لهيئة المحلفين : " مع هذا التطور الجديد فى سير القضية ،

ينتهي دوركم أيها السادة وسوف تنتهى القضية اليوم بصور الحكم . شكرا على خدماتكم وتعاونكم . رفعت الجلسة وستستأنف بعد ساعتين " .

فى اللحظة التالية هرع الصحفيون للهواتف والآلات الكاتبة لنقل التطور الخطير الأخير فى محاكمة نويل باج ولارى دوجلاس .

بعد ساعتين امتلأت قاعة المحكمة عن آخرها بينما تم استئناف المحاكمة . ألقت نويل نظرة على الحضور فوجدتهم يراقبونها وفى وجوههم نظرة توقع وحماس وقاومت الرغبة فى الضحك على سذاجتهم فهؤلاء هم الدهماء الذين يظنون أن العدل سيأخذ مجراه وأنهم يعيشون فى ديمقراطية تعطى نفس الحقوق للغنى والفقير .

قال القاضي : " هلا تقدم المتهمان للشول أمام هيئة المحكمة " . سارت نويل برشاقة نحو منصة القضاة وبجوارها شوتاس ولاحظت بطرف عينها أن لارى وستافروس وقفا مثلها أمام منصة القضاة .

قال القاضي : " كانت تلك محاكمة طويلة وصعبة وفى القضايا الكبرى مثلها تميل المحكمة للاعتقاد بأن المتهم برىء حتى صدور أى أدلة ، وكان هناك شك ضئيل فى البراءة لصالح المتهمين لعدم وجود جثة ، وأنا متأكد من أن المحاميين قد أخبرا المتهمين أنه لم يحدث أبداً فى تاريخ القضاء اليونانى أن نحكم على أحد بالإعدام فى حالة عدم ثبوت ارتكاب جريمة قتل " .

توجست نويل خيفة من كلام القاضي وسرى الشك بداخلها لكن القاضي واصل كلامه :

" لقد اندهشت وزملائي من اعتراف المتهمين المفاجئ " . زاد شعور نويل بالقلق وشعرت بتقلص فى معدتها وصعوبة وضيق فى التنفس . كان لارى يحدق إلى القضاة ولا يفهم ما يدور .

" نحن نقدر عذاب الضمير الذى قاد المتهمين إلى الاعتراف أمام القضاة وأمام كل الناس ، لكن عذاب الضمير لا يغفر أو يكفر عن ذنب القتل لامرأة عاجزة عن الدفاع عن نفسها " .

فجأة فهمت نويل اللعبة الكبرى التى لعبها ديميريس لخداعها ؛ لقد أعطائها إحساساً كاذباً بالأمان لكى يخدعها ولقد وقعت فى الفخ لكى ينتقم منها . كان يعلم مدى خوفها من الموت فأعطائها الأمل فى الحياة وصدقته لكنه كان أذكى وأدهى منها ، فهو يريد انتقامه منها الآن وليس لاحقاً . بالتأكيد كان شوتاس يعلم كل هذا وأنها لن تواجه الإعدام ما دامت لم تظهر أى جثة ، وهو لم يتفق مع القضاة ولم يقدم لهم الرشاوى ؛ لقد خدع نويل لكى تلاقى حتفها . نظرت إليه فنظير إليها بحزن ، فقد أحبها لكنه ساقها إلى الموت ، ولو كان الخيار متاحاً له لفعل نفس الشيء لو عاد به الزمن للوراء ؛ لأنه فى النهاية رجل ديميريس كما كانت هى تابعة لـ " ديميريس " وكلاهما لا يمكنه مقاومة بطشه .

واصل القاضى خطابه قائلاً : " ولذلك فمن منطلق القوة المفوضة لى من الحكومة وبموجب القانون فلقد حكمت المحكمة على نويل باج ولارى دوجلاس بالإعدام رمياً بالرصاص على أن ينفذ الحكم خلال ٩٠ يوماً من تاريخه " .

ساد الهرج والمرج فى القاعة ولكن نويل لم تعد تسمع أو ترى أى شئ ، فجأة استدارت للمقعد الذى ظل فارغاً طوال الأيام السابقة ؛ لم يعد فارغاً ، بل كان ديميريس يجلس عليه وكان مهتماً وحليق الذقن والشعر ويرتدى حلة فاخرة وكانت عيناه تلمعان من الحيوية . لا يوجد أثر للرجل المهزوم المتهاوى الذى زارها فى السجن لأن هذا الرجل لا وجود له من الأساس .

لقد جاء ديميريس ليرى نويل لحظة انهزامها ويستلذ بالرعب فى عينيها . ظلت عيناه السوداوان تحديقان فى عينيها ورأت هى فى عينيها

رضا عميقاً شديداً ، وكان هناك شعور آخر ، ربما نوع من الندم لكنها لم تلتقطه خاصة أنه فات الأوان الآن . انتهت لعبة الشطرنج إلى الأبد .

كان لارى ينصت لكل كلمة من الكلمات الأخيرة للقاضى وكان مذهولاً ولا يصدق ما سمع ، وعندما جاء العسكرى وقاده من ذراعه انفلت منه لارى وصاح : " انتظروا ! أنصتوا لى ! لم أقتلها ! " جاء عسكرى آخر وأمسك لارى مع العسكرى الأول وقيدا لارى بالكليشات لكنه أخذ يصيح : " لم أقتلها ! لم أقتلها ! " وحاول الهرب منهما لكن الكليشات كانت أسرع وهرعا به خارج المحكمة عنوة .

شعرت نويل بيدى السجانة على ذراعها واصطحبتها إلى خارج المحكمة بهدوء .

قالت السجانة : " إنهم فى انتظارك يا نويل " بدا لنويل أن تلك العبارة كنداء لها لكى تصعد على خشبة المسرح ، لكن هذه المرة سيسدل الستار على حياتها ولن يفتح مرة أخرى . أدركت أنها لن ترى الناس مرة أخرى ولن تظهر على الملأ مرة أخرى وكأن هذا هو العرض الأخير لتوديع الجماهير فى المحكمة القذرة التى كانت بمثابة المسرح لها الآن . قالت نويل لنفسها فى تحد : " حسناً ، هذا وداع يليق بأميرة " ثم ألقت نظرة أخيرة على القاعة المزدحمة ورأت أرمان جوتييه يجلس فى صمت وذهول ولأول مرة يخرج عن هدوئه المعتاد وإنكاره لعدم الفائدة فى أى شئ فى العالم .

رأت فيليب سوريل بوجهه الصارم يحاول الابتسام فلم يستطع . رأت كاتس وعينييه وفمه مغلقتين وكأنه يصلى من أجلها . تذكرت الليلة التى هربته فيها فى حقبة سيارة الجنرال الألماني تحت عيني ضابط المخابرات الأحمق ، وتذكرت خوفها فى ذلك اليوم ، والذى لا يقارن بالرعب الذى يعتريها الآن .

رأت أوجست لانشون صاحب دار الأرياء ، لكنها لم تتذكر اسمه ولكنها تذكرت وجهه المكتظ وجسده المكور البدين ولبيلتها معه فى الفندق القذر عندما وجدها تنظر إليه أخفض بصره عنها .
كان يوجد رجل أمريكى طويل وسيم ذو شعر رمادى واقف يحملق إليها وكأنه يود أن يقول لها شيئاً لكنها لم تعرف أنه ويليام فريزر .
جذبت السجانة من ذراعها وقالت : " هيا بنا يا نويل "

كان ستافروس فى حالة صدمة وذ هول ، فهو ليس مجرد شاهد على تهمة ملفقة بل هو مشارك فى تلك الجريمة ، يمكنه الذهاب للقاضى وإطلاعه على الحقيقة : ولكن هل سيصدق أحد ؟ هل سيصدقونه ويكذبون شوتاس ؟ لا يهم ، لقد شعر ستافروس بمرارة فى حلقه لأنه شعر أن مهنته كمحام انتهت ولن يلجأ إليه أى شخص . سمع من يناديه ووجد أنه شوتاس : " إن لم يكن لديك مواعيد مهمة غداً فلماذا لا نتناول الغداء معاً ؟ أريدك أن تقابل شركائى فأنا أعلم أن لديك مستقبلاً باهراً فى المحاماة " .

لاحظ ستافروس عبر كتفى شوتاس أن القاضى يهم بالانصراف . هل يخبره بحقيقة الأمر أم لا ؟ ثم نظر إلى شوتاس وشعر بالرعب من قدرته على اقتراف ما فعل ، لكنه وجد نفسه يقول : " هذا كرم منك يا سيدى ، متى سيكون الموعد المناسب ... ؟ " .

وفقاً للقانون اليونانى يتم تنفيذ أحكام الإعدام على جزيرة صغيرة تسمى أجيانا وهى على بعد ساعة من ميناء بيرويوس وهناك قارب مخصص لنقل المذنبين للجزيرة ذات المنحدرات الصخرية الرمادية فى الشواطئ وكان بها فئار على الصخور . كان السجن فى شمال الجزيرة وكان السياح يشاهدون الجزيرة من بعيد تمهيداً لزيارة جزيرة أخرى ،

لكن السجن لم يكن مدرجاً ضمن المزارات السياحية . ولا يقترب منه أحد إلا لسبب قانونى محض .

كانت الساعة الرابعة صباحاً وقد بقيت ساعتان على موعد إعدام نويل فى السادسة صباحاً .

احضروا لها رداءها المفضل لكى ترتديه ، وكان زياً أحمر مصنوعاً من الصوف من ماركة كريستيان ديور وحذاء أحمر من نفس اللون وملابس داخلية فرنسية فاخرة وشبكة لرقبتها ، وقد أرسل ديميريس كل هذا من مصففة الشعر المعتادة لها لتمشيط شعرها وكأنها ذاهبة إلى حفل .

من الناحية النظرية شعرت نويل أنه لن يصدر لها عفو فى آخر لحظة ، وأن الرصاص سوف يخترق جسدها والدماء التى ستغرق الأرض هى دماؤها . لكن من الناحية العاطفية شعرت أن ديميريس سيفعل المعجزات وينقذها ربما عن طريق مكالمات هاتفية أو كلمة أو إشارة من يده . إذا فعل ذلك فستعوضه وتلبى كل رغباته . تمننت لو أتيح لها فرصة مقابلته وستعده بأنها لن تنظر لأى رجل آخر سواه وستكرس حياتها لإسعاده مدى الحياة . لكنها تعلم أنه لا فائدة من استجداء عاطفه ، لكن إذا جاء هو إليها فلا بأس ، حيث إنها لن تهرع إليه بالطبع .

وما زال أمامها ساعتان .

كان لارى دوجلاس فى زنزانة أخرى ، ومنذ صدور الحكم عليه ، زادت الخطابات الواردة إليه من النساء من جميع أنحاء العالم ، ومدير السجن الذى كان يظن نفسه خبيراً قد صدم ببعض تلك الرسائل .

كان لارى يستمتع بالرسائل لو كانت وصلت له ، لكنه كان مغيباً ذهنياً ، ففى أول أيامه فى السجن بعد صدور الحكم كان فى حالة عنف

وهياج ويصرخ طوال الليل والنهار بأنه برىء، ويطالب بمحاكمة جديدة فأمر الطبيب بإعطائه المنوم طوال الوقت .

فى الخامسة إلا عشر دقائق صباحاً جاء مدير السجن و٤ حراس لزنازة لارى وكان جالساً على فراشه فى هدوء وانسحاب وناداه مدير السجن عدة مرات قبل أن ينتبه لارى إلى أنهم حضروا من أجله فقام بخطوات بطيئة متثاقلة وكأنه مغيب ذهنياً ولا يعى ما حوله .

ساروا عبر الممر إلى باب عليه حراس فى آخر الممر حيث فتح الباب وجد لارى نفسه فى حديقة مسورة وكان يرتعش من برودة هواء الفجر وهو يخرج من الباب . كانت النجوم لامعة والقمر بدرًا ، فذكره ذلك بجزر جنوب المحيط الهادى عندما كان الطيارون يغادرون القراش ويستعدون للإقلاع فجراً . سمع هدير البحر من بعيد وحاول تذكر الجزيرة التى كان بها ومهمته فى الحرب ، ولكن قيده الجنود على عمود أمام الحائط بحيث صارت ذراعاه خلف ظهره مكبلتين إلى العمود .

لم يعد يشعر بالغضب الآن بل يتعجب وكأنه فى حلم وكأنه مازال فى الحرب ، شعر بالكسل والتراخى لكنه قال لنفسه إنه لا يجب أن ينام لأن أمامه مهمة حربية هو قائدها . وجد الجنود فى الزى الرسمى قد اصطفوا أمامه ويصوبوا البنادق ناحيته . تملكه الخوف ؛ سيهاجمونه من عدة اتجاهات لكى ينفصل عن باقى سرب الطائرات لأنهم خائفون منه . تخيل نفسه يقوم بمناورة بالطائرة ويحطم كل الطائرات التابعة للعدو . فجأة شعر بالألم يخترق جسده وأصابته عدة طلقات فى أماكن متفرقة . فكر لارى أثناء سكرات الموت وهو فى النزاع الأخير : من أين أتى الرصاص ؟ ... يوجد طيار أفضل منى ... يا ترى من هو

ثم دار رأسه وساد الظلام والصمت .

كانت مصففة الشعر تعتنى بنويل فى الزنازة عندما سمعت نويل صوت طلقات الرصاص وظنت أنه رعد وبرق .

قالت نويل : " هل ستمطر ؟ "

نظرت إليها مصففة الشعر باستغراب ووجدت أن نويل لم تتعرف على صوت طلقات الرصاص فقالت لها بهدوء : " بل سيكون يوماً جميلاً " .

فهمت نويل أن الدور عليها لتنفيذ الحكم .

فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً قبل موعد إعدامها بنصف ساعة سمعت خطوات تقترب من زنازتها . شعرت بقلبها يخفق فى رعب رغماً عنها بشكل لا إرادى . إنها متأكدة من أن ديميريس سيأتى لزيارتها . كانت تعلم أنها الآن أجمل من ذى قبل وعندما يراها ربما ... لكن جاء مدير السجن ومعه ممرضة معها حقيبة طبية سوداء . نظرت خلفهما بحثاً عن ديميريس لكن الممر كان فارغاً . فتح المدير باب الزنازة ودخل مع الممرضة . دق قلب نويل بعنف وبدأ الخوف يعتريها وطفى على بارقة الأمل التى كانت بدأت تسطع على لحظاتها الأخيرة .

قالت نويل : " لم يحن الوقت بعد أليس كذلك ؟ " قال المدير وقد انزعج : " كلا يا نويل بل إن الممرضة هنا لإعطاءك حقنة شرجية " .

لم تفهم نويل فقالت : " لكنى لا أريد ذلك " .

قال لها المدير وبدا عليه الانزعاج أكثر : " هذا مهم لكىلا تشعري بالإحراج " .

فهمت نويل مقصده ، وتحول خوفها لألم حاد فى معدتها فأومات برأسها وخرج المدير من الزنازة وأغلق الحارس الباب وابتعد عنها من باب الذوق لكىلا يراها .

قالت المريضة : " لا داعى لإفساد هذا الرداء الأنيق ، ساعدينى لكى أعطيك الحقنة بهدوء وسوف يستغرق الأمر دقيقة واحدة " .

بينما استغرقت المريضة فى عملها لم تشعر نويل بأى شىء . تخيلت نفسها مع أبيها وكان يقول : " انظروا لابنتى ، بمقدور أى شخص أن يعرف أنها أميرة متوجة " ورأت الناس يحملونها ويتسابقون لرؤيتها . جاءها رجل الدين لكى يساعدها على التوبة قبل الموت لكنها رفضت التحدث معه وانشغلت بتذكر والدها الذى كان يقول : " أنت أميرة والعالم مملكتك ، وعندما تكبرين ستتزوجين أميراً وسيماً وتعيشين فى قصر فخم " .

كانت تسير عبر الممر مع رجال الشرطة وفتح أحدهم الباب وخرجت إلى الحديقة الباردة . تذكرت عندما كان والدها يحملها عبر النافذة لترى صواري السفن المتلاطمة عبر الماء .

قادها الرجال إلى العمود وأوثقوا يديها خلفه وربطوا خصرها أيضاً بالعمود . تخيلت والدها يقول لها : " هل ترين كل تلك السفن يا أميرتى ؟ إنه الأسطول الخاص بك . فى يوم من الأيام سيحكمك للأماكن السحرية فى كل العالم " . حملها والدها وشعرت بالأمان . لكنها لم تتذكر لماذا كان غاضباً منها ولكن كل شىء أصبح على مايرام الآن فهو يحبها الآن وقد عادت إليه ، لكن لم تتمكن من رؤية وجهه ، ولم تعد تتذكر كيف كان شكل وجهه .

شعرت بحزن عميق وكأنها فقدت شيئاً ثميناً وأرادت أن تتذكر وجهه وإلا ستموت كمداً وحزناً ، فبدأت تركز جداً لكن قبل أن تراه مزقت جسدها طلقات الرصاص وكأنها آلاف السكاكين . وصاح عقلها : " كلا ! ليس الآن ! دعونى أرى وجه أبى ! " .

لكنه ضاع للأبد فى غياهب الظلام .

الخاتمة

تحرك الرجل والمرأة عبر المدفن ولاحت على وجهيهما ظلال أشجار
الصنوبر الباسقة الرشيقة على جانبي الطريق . سارا ببطء في الحر القائن
في شمس الظهيرة .

قالت الراهبة : " أود أن أعرب لك مرة أخرى عن امتناني باسم كل
الراهبات على كرمك معنا ولم نكن نعرف ما الذي سنفعله لولا مساعدتك
لنا " .

أشاح ديميريس بيديه معبراً عن عدم رضائه من كلامها وقال :
" هذا شيء لا يذكر " .

لكنها كانت تعلم أنه لولاه لأغلق الدير منذ سنوات وكانت سعيدة
لأنها سترد له الجميل إلى حد ما . كانت علامة رضا من الله ، فحمدته
وشكرته على أنها مع باقي الراهبات ، وقد أنقذن صديقة ديميريس
الأمريكية من الغرق في البحيرة يوم العاصفة . لقد حدث شيء ما لعقل
السيدة وجعلها كالأطفال ، لكنها ستعتني بها ، لأن ديميريس طلب

منها رعايتها والتأكد من أنها لن تغادر أسوار الدير ، لكي تظل في حماية ضد العالم الخارجى لباقي حياتها . إنه لرجل عطوف وخير .
وصلا لنهاية المدفن ، وكان الطريق يؤدي إلى أرض صخرية بارزة في المياه ، حيث وقفت كاثرتين تتأمل في البحيرة الهادئة ذات اللون الزمردى الأخضر في الأسفل .
قالت تريزا : " ها هي الفتاة ، سأتركك معها الآن . أراك لاحقاً يا سيد ديميريس " .

راقب ديميريس تريزا حتى انصرفت عائدة للدير ثم سار عبر الطريق حتى جاء إلى كاثرتين . وقال لها برقة : " صباح الخير " .
استدارت ناحيته ببطء ونظرت إليه ، كانت عيناها تبدوان فارغتين ولم تتعرف عليه عندما نظرت إليه .
قال لها : " أحضرت لك شيئاً " .
ثم أحضر من جيبه علبة مجوهرات صغيرة ومد يده بها إليها .
فحدقت إليها كطفلة صغيرة .
قال لها : " هيا خذيها " .

مدت يدها ببطء نحو العلبة وأخذتها ورفعت غطاءها فوجدت بداخلها دبوساً ذهبياً على شكل طائر له عيانان من فصوص الياقوت الأحمر وموضوعة على بطانية قطنية وكان الطائر فارداً جناحيه وكأنه على وشك الطيران . راقبها ديميريس وهي تأخذ الديوس من العلبة وترفعه إليها . كان يبرق في ضوء الشمس وفصوص الياقوت قد عكست قوس قزح صغيراً عبر الهواء . قلبته من جانب لآخر وشاهدت الأضواء الراقصة حول رأسها .

قال ديميريس : " لن أراك ثانية ، لكن لا تقلقى فلن يؤذيك أحد الآن ، فلقد مات الأشرار " .

بينما كان يتحدث ، كان وجهها في مواجهته وللحظة لا تنسى ، بدا له على وجهها لمعان يدل على الذكاء ونظرة تدل على البهجة جدت

في عينيها ، لكن بعد لحظة اختفت وظلت نظرتها حائرة فارغة كمن لا عقل لها . ربما كان ذلك خداعاً بصرياً بسبب ضوء الشمس الذى يعكس أضواء مبهرة من الديوس الذهبى على عينيها .
ظل يفكر في هذا الأمر بينما يسير عبر التل ببطء وخرج من بوابة حجرية ضخمة من الدير إلى سيارته الليموزين التي كانت في انتظاره لكي تعود به إلى أثينا .

شيكاغو
لندن
باريس
أثينا
أيونيها
لوس أنجلوس